غير مرخصة للطباعة

المحـور الحادي عشر

خطـب الجـمعة

١٧١

خطب الشيخ القرضاوي

٨

إعـــداد

المكتب العلمي للشيخ

نسخة مجانية

من الدستور الإلهي للبشرية

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التَّوبة: ١١٩].

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ۞ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا﴾ [الإسراء: ١٨، ١٩].

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٥

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «**إنَّ الله عز وجل يبسط يدَه بالليل ليتوبَ مسيءُ النهار، ويبسطُ يدَه بالنهارِ ليتوبَ مسيءُ الليل، حتَّى تطلعَ الشمسُ من مغربها**». رواه مسلم.

عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ألا تستعملُني؟ قال: فضرب بيده على منكبي، ثم قال: «**يا أبا ذرٍّ، إنَّك ضعيف، وإنَّها أمانة، وإنَّها يوم القيامة خزيٌ وندامة، إلَّا من أخذها بحقِّها، وأدَّى الَّذي عليه فيها**». رواه مسلم وأحمد.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالَمِين، الرحمن الرحيم، مالك يومِ الدِّين.

والصَّلاة والسَّلام على من أرسله الله رحمة للعالَمِين، وحُجَّة على النَّاس أجمعين، ونعمة على المؤمنين ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وعلى آله وصحبه الَّذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه، واتَّبعوا النُّور الَّذي أُنزل معه، أولئك هم المُفْلِحون، وعلى من اتَّبعهم بإحسانٍ من أجيال المسلمين إلى يوم الدِّين.

(أمَّا بعد)

فإنَّ ممَّا أكرم الله به الإنسان في عصرنا: أنْ علَّمه ما لم يكنْ يعلم، وأَقْدَرَه على تحويل الكلام الشفهي المرتجل إلى مادَّة تُسجَّل وتُحفظ عن طريق آلات مُعَيَّنة، يحتفظ بعضها بصوت المُتَكَلِّم، وبعضها بصوته وصورته معًا.

وهذا الحفظ والتسجيل جعلنا قادرين على أن نستعيد الكلام مرَّة أخرى، فنسمعه صوتًا بيِّنًا، كما في تسجيلات الكاسيت، أو نسمعه ونرى قائله كما في تسجيلات الفيديو، وعلى هذا قامت الإذاعة والتلفاز.

كما جعلنا قادرين على أن نُفَرِّغ الكلام المسموع، لنُحَوِّله إلى كلامٍ مكتوب، فيخلد كما تخلد الكتب المسطورة بالقلم من أوَّل الأمر.

QaradawiBooks.com

هذا ما جعل كثيرًا من أهل العلم والدعوة يستفيدون من هذا الإنجاز البشـــري في هذا العصر، ليُحَوِّلوا خطبهم ومحاضراتهم ودروسهم إلى سطور مكتوبة على الورق.

فإذا الخُطب والمحاضرات تتحوَّل إلى كتبٍ يقرؤها النَّاس.

وهذا من فضل الله علينا وعلى النَّاس، ولكن أكثر النَّاس لا يشكرون.

وهذا هو الجزء الثامن من سلسلة خُطبي، أُقَدِّمه إلى قرَّائي الأعزَّاء، ليُضيف حلقة إلى الأجزاء السابقة.

أعدَّه مكتبي العلمي بالدوحة، ففرَّغ نصوصه، وضبط كلماته، ورقَّم آياته، وخرَّج أحاديثه وآثاره، وعلَّق على ما لا بدَّ من التعليق عليه.

وقـــد راجعته خُطبـــة خُطبة، وأبديـــتُ ما لا بدَّ منه مـــن ملاحظات وتعديلات، ووعيت كلَّها وأقررتُه على ما هو عليه الآن.

وهأنذا أُقَدِّمه، لتطبعه مكتبة وهبة وتنشره على النَّاس، عسى أنْ يكون مددًا للخطباء والدعاة، وأن يكون مصدر تثقيف وتنوير للمسلم العادي.

فجزى الله أعضـــاء مكتبي خيرًا، وجزى الله ناشـــره وقارئه، وكلَّ من أسهم في الانتفاع به خيرًا.

آمين.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالَمِين.

الفقير إليه تعالى

يوسف القرضاوي

الدوحة: في رجب ١٤٢٩هـ

الموافق يوليو ٢٠٠٨م

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

١

وأقيموا الشهادة لله[١]

الخطبة الأولى

الحمد لله ربِّ العالَمِين، وأشــهد أن لا إلٰه إلَّا الله، القائل في كتابه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التَّوبة: ١١٩].

وأشــهد أنَّ محمَّدًا عبدُه ورســوله، الصادق الأمين، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

حيرة والإيمان هو العاصم:

في غبار المعركة الانتخابيَّة، وفي زحمة التنافس بين المُرَشَّحين، قد يلتبس الحقُّ بالباطل، ويُؤْثِر النَّاس المنفعة على الواجب، والنزعة الخاصَّة على المصلحة العامَّة، وينقادون للعصبيَّة الجاهليَّة لا للحقِّ المُبِين.

ويقف الرجل الحريص على إرضاء ربِّه، وراحة ضميره، وأداء واجبه، مُرَاعيًا توجيه مقتضيات الإيمان في هذا الظرف الدقيق.

(١) أُلقيت بجامع الزمالك في ٢١ ذي القعدة ١٣٧٦هـ الموافق ٣١ مايو ١٩٥٧م، وأُذيعت من إذاعة القاهرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

شهادة يترتَّب عليها مصير أُمَّة:

أيُّها النَّاخب الأمين:

إنَّ صوتك الَّذي تُدلي به في الانتخابات ليس كلمة عابرة، ولا مسألة تافهة، ولكنَّه شهادة خطيرة، تُسأل عنها: أمام الله، وأمام الأمَّة، وأمام التاريخ.

شهادة لا يترتَّب عليها دفع غرامة، أو سداد دين، أو إيجاب نفقة، أو تقرير عقوبة، كغيرها من الشهادات، ولكنَّها شهادة يترتَّب عليها كيان مجتمع، وسياسة حكومة، ومستقبل أمَّة.

فانظر ماذا يجب عليك، حتَّى تكون بمَنْجاة من سخط الله وذمِّ النَّاس، وخصوصًا المؤمنين؛ فإنَّهم شُهداء الله على الأرض.

توجيهات حكيمة في باب الشهادة:

إنَّ للدِّين توجيهات حكيمة في باب الشهادة لا بدَّ أن نرعاها.

ولا تكتموا الشهادة:

لقد أمر الله بأداء الشهادة، وأنذر بالوعيد الشديد من يكتمها، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وحذَّر الله أشدَّ التحذير من شهادة الزُّور، وقَول الزُّور، حتَّى قرن ذلك مع الشِّرك بالله في سياقٍ واحد، في آيةٍ واحدة، فقال سبحانه: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحجُّ: ٣٠].

QaradawiBooks.com

وجعل من أوصاف عباده المقرَّبين أنَّهم: ﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفُرقان: ٧٢].

وفي الصحيح قال ﷺ: «**ألا أُنَبِّئكم بأكبر الكبائر**» ثلاثًا؟

قالوا: بلى يا رسولَ الله.

قال: «**الإشراكُ بالله، وعقوق الوالدين**» وجلس وكان متكئًا، فقال: «**ألا وقول الزُّور**» فما زال يُكَرِّرها حتَّى قلنا: ليتَه يسكت[1].

على مِثل ضوء الشمس فاشهد:

ولا يكتفي الإسلام من المرء أنْ يجتنب الزُّور في شهادته فحسْب، ولكنَّه يطالبه بالتثبُّت فيما يشهد فيه، والتحقُّق ممَّن يشهد له أو عليه؛ حتَّى يأتي بالشهادة على وجهها الأكمل، يقول تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا﴾ [المائدة: ١٠٨].

فإذا شهدتَ لرجلٍ بالأفضليَّة فاعرفْ شخصيَّته معرفةً فاحصة، فإذا عرفتَ ماضيَه وحاضره، ودرستَ غايته ووسائله، واطمأننتَ إلى أفكاره وأخلاقه وكفايته، فتقدَّم وزكِّه وأنت واثق، واشهدْ له وأنت مطمئنُّ الفؤاد، حتَّى إنْ تغيَّر بعد، أو حاد، فحسْبُك أن تقول: ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ [يُوسف: ٨١].

شهد رجلٌ لآخر عند عمر رضي الله عنه بالصَّلاح وأثنى عليه خيرًا، فقال عمر: أنت جاره الأدنى الَّذي يعرف مَدْخَلَه ومَخْرَجَه؟

قال: لا.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الشهادات (٢٦٥٤)، ومسلم في الإيمان (٨٧)، عن أبي بكرة.

QaradawiBooks.com

قال: أعاشرتَه في السفر الَّذي يُستَدَلُّ به على مكارم الأخلاق؟

قال: لا.

قال: أعاملتَه بالدِّينار والدرهم الَّذي يستبين به ورع الرجل؟

قال: لا.

قال عمر: أظنُّكَ رأيتَه قائمًا في المسجد يُهَمْهِم بالقرآن، يخفض رأسه تارةً، ويرفع أخرى؟

قال: نعم.

قال: اذهبْ فلستَ تعرفه.

وقال للرجل: اذهبْ فأتِني بمن يعرفك[1].

الشهادة لله:

ومن توجيهات الإسلام في الشهادة: أنْ تكون لله وحده، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾ [الطَّلاق: ٢].

ومعنى إقامَة الشهادة لله: أن تكون لوجه الحقِّ الَّذي يرضاه، ويأمر به، لا لقرابةٍ أو صداقةٍ أو جوارٍ، ولا لهوًى، أو رشوة، أو منفعةٍ شخصيَّة؛ فإنَّ الله تعالى أمرنا بالعدل الكامل في أداء الشهادة: العدل الَّذي لا يتأثَّر بعواطف الحبِّ مع من نُحِبُّ، ولا بمشاعر الكُره مع من نكره؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النِّساء: ١٣٥]، وقال تعالى:

(١) رواه البيهقي في آداب القاضي (١٢٥/١٠)، وانظر: إحياء علوم الدين (٨٢/٢، ٨٣)، نشر دار المعرفة، بيروت.

QaradawiBooks.com

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

كيف يُختار الرِّجال؟

أيها الناخب الأمين، إنَّ ممَّا يطالبك به الدين: أنْ تعرف الموازين الأصليَّة الَّتي بها تُرَجِّح وتختار الرِّجال.

وهنا نذكر تلك الكلمة الَّتي حكاها القرآن عن ابنة الشَّيْخ الكبير في شأن موسى، إذ قالت لأبيها: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

القوَّة والأمانة: هما الركنان اللذان يقوم عليهما بنيان كلِّ عمل يُسند إلى الإنسان.

والقوَّة: هي الكفاءة في العمل، والقدرة على أدائه بإجادة وإتقان، بما عند صاحبها من أهليَّة وخبرة، واستعدادٍ ومِران.

والأمانة أساسها ضمير حيٌّ يجعل المرء يخشى الله، ويخاف حسابه، ويعرف ما له وما عليه، فلا يبيع أمَّته بشخصه، ولا دِينه بدُنياه؛ فهو يُؤْثِر الآخرة على الأولى، والحقَّ على الهوى.

الأمانة وحدها لا تكفي:

ويُحَدِّثنا القرآن عن رجلٍ أوتي العلم والعِرفان، ولم يؤتَ الخُلق والإيمان فقال: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥].

QaradawiBooks.com

وقد يكون الرجل ذا أمانة، ولكنَّه ضعيف الحيلة، قليل المواهب، عاجز عن النهوض بمُهِمَّته، فماذا تُغني عنه الأمانة إذا لم تسندها القدرة والكفاية؟

أرأيتم إلى أبي ذرٍّ المؤمن المجاهد الصدوق، الَّذي قال فيه الرسول: «**ما أظلَّت الخضراءُ ولا أقلَّت الغبراءُ أصدق لهجةً من أبي ذَرٍّ**»(١).

لقد سأل أبو ذرٍّ رسول الله أنْ يُولِيَه عملًا فقال له في صراحة: «**يا أبا ذرٍّ، إنَّك ضعيف! وإنَّها أمانة، وإنَّها خزي وندامَة يوم القيامَة، إلَّا من أخذها بحقِّها، وأدَّى الَّذي عليه فيها**»(٢).

لا بدَّ من الكُفء الدَّيِّن:

ومن هنا كان اجتماع القوَّة والأمانة، أو الكفاية والديانة في شخصٍ واحدٍ قليلًا في النَّاس، حتَّى إنَّ عمر كان يقول: اللهمَّ إنِّي أشكو إليك جلَد الفاجر وعجز الثِّقة(٣).

وجلس مع قلَّة من الصَّحابة يومًا فقال لهم: تَمَنَّوا فتمنَّى هذا مالًا، وذاك خيلًا، وذلك سلاحًا، ليستعينوا بها على الجهاد في سبيل الله.

فقال عمر رضي الله عنه ـ الخبير بما تحتاج إليه الأمم والرسالات ـ: أمَّا أنا

(١) رواه أحمد (٧٠٧٨)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. والترمذي في المناقب (٣٨٠١)، وقال: حسن. وابن ماجه في المقدمة (١٥٦)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه مسلم في الإمارة (١٨٢٥)، وأحمد (٢١٥١٣)، عن أبي ذر.

(٣) ذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٦٨/٢٨)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر مجمع الملك فهد، المدينة النبويَّة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

فأتمنَّى رجالًا مثــل: أبي عُبَيْدة، ومعاذ بن جبل، وســالم مولى حُذَيْفة؛ فأستعملهم في طاعة الله[١].

فاللهمَّ هيِّئ لأمَّتنا الرِّجال الأقوياء والأُمناء، وحُلْ بينها وبين الفَجَرة والضعفاء، إنَّك نِعْمَ المَوْلى ونعم النَّصير.

* * *

(١) رواه أحمد في فضائل الصَّحابة (١٢٨٠)، والحاكم في معرفة الصَّحابة (٢٢٦/٣)، وسكت عنه، وصحَّحه الذهبي على شرط الشيخين.

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

قال بعض الحُكماء: إذا صلَح الراعي صلَحت الرعيَّة.

وقال آخرون: بل إذا صلَحت الرعيَّة صلَح الراعي.

وأولى الأمم بهذه الحكمة الثانية الأمم الدستوريَّة البرلمانيَّة، الَّتي انتخبت رؤساءها، وتختار حكَّامها؛ فهم أحقُّ من يقال لهم: كما تكونوا يولَّ عليكم.

فلنفتِّشْ جيدًا عمَّن نضع فيه ثقتنا، ولنراقب الله فيمن نسند إليه أمرنا؛ فإن إسناد الأمور إلى أهلها أمر يستقرُّ به المجتمع، وتشيع به السعادة، ويحلو به طعم الحياة.

أمَّا اختلال الموازين، وتقديم من لا يستحقُّ التقديم، فأمرٌ يُنَغِّص الحياة، ويمسخ وجهها في أعين الأحياء.

ففي الحديث الَّذي رواه البخاري: «**إذا ضُيِّعَت الأمانة فانتظر الساعة**».

قال: وكيف إضاعتها؟

قال: «**إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعةَ**»[1].

* * *

(١) رواه البخاري في العلم (٥٩)، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

٢

نور الدين محمود الشهيد[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون،

بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى:

لا زلنا في رحاب الإسـراء والمعراج، ذلك الحدث العظيم الَّذي ربط الله به بين المسجدين: المسـجد الحرام والمسجد الأقصى الَّذي بارك الله حوله.

هذا الحدث الَّذي أراد الله تعالى به ـ فيما أراد ـ أن يثبت هذا المعنى الكبير؛ معنى الارتباط بين المسـجدين: المسجد الحرام الَّذي ابتدأ منه الإسراء، والمسجد الأقصى الَّذي انتهى إليه الإسراء؛ حتَّى لا يمكن لهذه الأمَّة أن تفـرِّط في أحدهمـا، إلَّا إذا فرَّطت في الآخـر، فمن فرَّط في المسجد الأقصى أوشك أن يفرِّط في المسجد الحرام.

أراد الله تعالى لهـذه الأرض المباركة أرض النُّبوات، وأرض القدس وفلسطين الَّتي بارك الله فيها للعالمين أن ينتهي إليها الإسراء، وأن يبتدئ

(١) أُلقيت بمسجد عمر بن الخطَّاب بالدوحة في ٨ ربيع الثاني ١٤٢٢هـ الموافق ٢٠ يوليو ٢٠٠١م.

QaradawiBooks.com

منهـا المعـراج، وأن تكون ملتقـى لرسـول الله ﷺ مـع النَّبيين، وأن يصلِّي عليه الصلاة والسلام بهم إمامًا، ليثبت للنَّاس أنَّ الدين عند الله واحد ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمـران: ١٩]، وأنَّ الأنبياء جميعًـا إخوة، دينهم واحد وإن اختلفت شرائعهم ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، وأنَّ الإمامَة إنَّما هي لمحمَّد ﷺ؛ إيذانًا بأنَّ القيادة الدِّينيَّة انتقلت من أمَّة إلى أمَّة؛ من بني إسـرائيل إلى بني إسـماعيل، أو إلى الأمَّة الَّتي أُخرجت للنَّـاس، كلِّ النَّاس، فليس الإسـلام للعرب وحدهـم، ولكنَّه للعالمين جميعًا ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

هذا المسـجد الأقصى وهذا القدس الشـريف وهـذه الأرض المباركة تتعرَّض اليـوم لما تتعـرَّض له، تتعرَّض لعـدوان هؤلاء الصهاينـة، الَّذين لا يخشـون خالقًا، ولا يرحمـون مخلوقًا، الَّذين وصفهم الله بالقسوة ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقـرة: ٧٤]، ووصفهم الله بالعنصرية، وأنَّهم يسـتحلُّون الأمم جميعًـا ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمـران: ٧٥]، ووصفهـم الله تعالـى بالغدر ونقض المواثيق والعهـود ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٥٥، ٥٦]، عُرف ذلك في عصر رسـول الله ﷺ؛ فبعد أن أقام معهم العهود والاتفاقيات نقضوها قبيلة بعد قبيلة، بنو قينقاع، ثمَّ بنو النضير، ثمَّ بنو قريظة، انضموا للوثنيين من المشركين، وقالوا لهم: أنتم أهدى سبيلًا من محمَّد!

QaradawiBooks.com

هؤلاء الَّذيــن يدَّعون أنَّهم أمَّــة التوحيد، فضَّلــوا الوثنيين على دين التوحيد، وعلى نبي التوحيد، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ۞ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ [النِّساء: ٥١، ٥٢].

معركتنا مع اليهود طويلة الأمد:

نحن ـ أيُّها الإخوة ـ في معركة دائمة وطويلة مع اليهود.

مشــكلة كثير من النَّاس في عصرنا أنَّهم يريــدون أن يختصروا هذه المعركة، وهي معركة بطبيعتها طويلة الأمــد، طويلة النَّفَس، الَّذين ملُّوا الجهاد والكفاح يريدون أن يصلُوا إلى حقِّهــم بالكلام وبالمفاوضات، ولكنَّهم للأســف ـ منذ حاولوا ذلك وإلى اليوم ـ لم يصلُوا إلى شيء، ولن يصلُوا إلَّا إلى سراب بقيعة، يحســبه الظمآن ماء، حتَّى إذا جاءه لم يجده شيئًا!

إنَّ السَّــلام الَّذي يقال ويتردَّد ذِكره هذه الأيام هو ســلام إسرائيل، إسرائيل تريد سلامها، تريد أن تأخذ كلَّ شيء ولا تعطي شيئًا، ولا أدري كيف يصدِّقها هؤلاء الَّذين يركضون هنا وهناك، من مدريد على أوسلو، إلى واشنطن، إلى شرم الشيخ، إلى... إلى؟

وحتى اليوم لم نرهم قبضوا شيئًا إلَّا الريح في أيديهم.

إنَّ المعركة ـ أيُّها الإخوة ـ معركة طويلة لا تُحل بين عشية وضحاها، ولا تُحل بالاســتجداء، بأن تســتجدي من إســرائيل أن تعطيك شيئًا، الحقوق لا تُســتجدى، والحريــات لا تُوهــب، وإنَّما تؤخــذ بالجهاد والكفاح، والعَرق والدم.

QaradawiBooks.com

هذا ما أثبته التاريخ، ولكن للأسف لم نُحسن الاعتبار بالتاريخ، ولم نُحسن قراءة التاريخ.

التاريخ معلِّم الأمم والأفراد، التاريخ مخزن العِبر، التاريخ مدرسة لكلِّ من يريد أن يتعلَّم.

رجال يجب أن نقرأ تاريخهم:

ونحن ـ كما ذكرنا من قبل ـ قد ابتلينا بقوم احتلُّوا هذه المنطقة نفسها، هؤلاء الَّذين جاؤوا من الغرب بقضِّهم وقضيضهم، وثالوثهم وصليبهم، في حملات مشهورة مسعورة، يريدون ـ فيما زعموا ـ أن ينقذوا قبر المسيح! هؤلاء الَّذين سمَّاهم علماء المسلمين: الفرنجة، كفار الفرنجة جاؤوا من الغرب من أوربا ليحتلُّوا هذه البلاد، وجاؤوا والمسلمون في غاية من الضعف، وفي غاية من الفُرقة، وفي غاية من التخاذل، واستطاعوا أن يدخلوا هذه البلاد، وأن يقيموا لهم ممالك وإمارات، ظلَّ بعضها مائتي سنة أو تزيد، وحالفوا بعض الأمراء في تلك المنطقة ضد إخوانهم من العرب والمسلمين، فهيَّأ الله رجالًا نذروا أنفسهم للجهاد في سبيل الله، نذروا أنفسهم لمقاومة هؤلاء الكفَّار المعتدين، نذروا حياتهم لهذا الأمر، فكان هناك رجال ينبغي أن نقرأ تاريخهم، ونتعلَّم منهم.

هؤلاء هم الرِّجال الَّذين بعثهم الله للإنقاذ والتحرير، وجاؤوا من أجناس شتَّى؛ بعضهم تركي، وبعضهم كردي.

هؤلاء الرِّجال أمثال: عماد الدين زنكي التركي، وابنه نور الدين محمود، الَّذي لقِّب بالشهيد، وتلميذه صلاح الدين يوسف بن أيوب،

QaradawiBooks.com

ومن بعدهم: الظاهر بيبـــرس البندقداري القائـــد المملوكي، هؤلاء هم الَّذين تولوا تحرير هذه الأرض من الصليبيين أو من الفرنجة، وأخرجوهم مدحورين من هذه الديار.

لا بدَّ أن نتعلَّم من هؤلاء ماذا صنعوا؟

يكفينا من هؤلاء رجلان اشتهرا في التاريخ.

أولهما هو: **نور الدين محمود بن زنكي.**

وثانيهما: **صلاح الدين يوسف بن أيوب.**

أمَّا محمود بن زنكي ـ أيُّها الإخوة ـ فكثير من المسلمين يجهلونه، ولا يعرفون قيمته في التاريخ، يقول ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «الكامل في التاريخ»: «لم يعـــرف بعد عمر بن عبد العزيز أميـــر كان مثل نور الدين محمود بن زنكي في عدله وتقواه، وزهده وشجاعته، وحسن سيرته في النَّاس، بعد عمر بن عبد العزيز لم يظهر مثله»[1].

هذا الرجـــل الَّذي ورث الملك عن أبيـــه، ورث «حلب» و«الموصل» و«الشام» و«بلاد الجزيرة»، وأراد بعد ذلك أنْ يضمَّ إليها مصر؛ لأنَّ مصر مهمة إذا انضمت إلى هذه القوَّة يمكنها أن تفعل شيئًا في حرب الصليبيين.

كان هذا الرجل مثالًا للإنسان المسلم، التقي العادل المجاهد، وكان يلقَّب بـ: الملك العادل، وهو عادل فعلًا.

علاقة نور الدين محمود بربِّه:

أوَّل شيء كانت علاقته بربِّه على أعظم ما يكون، تعلَّم العلم، وقرأ

(١) الكامل في التاريخ (٣٩٤/٩)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

القرآن والحديث، والفقه على المذهب الحنفي، ولكنَّه لم يكن متعصبًا لمذهبه، كان يكرم العلماء من كلِّ المذاهب.

وكان إذا دخل عليه الأمراء هابوه، ووقفوا بين يديه قائمين، حتَّى يأذن لهم بالجلوس.

ولكن إذا دخل عليه عالم، أو فقيه، أو رجل صالح من أفقر النَّاس، قام له وهشَّ له، وأجلسه بين يديه أو بجواره.

هكذا كان هذا الرجل، كان من العلماء في نفسه، كان كثير القراءة للقرآن والتلاوة له، كان كثير القراءة للكتب الدِّينيَّة، أراد أن يفقِّه نفسه إضافة إلى تفقُّهه على مشايخ عصره، وعلماء عصره.

كان من قوَّام الليل، كان يقوم الليل ويتضرَّع إلى الله تعالى في سجوده: أن يكتب له النصر، ويسأله الشهادة، وهو ـ إن لم يُرزق هذه الشهادة ـ عاش طوال عمره يتمنَّى الشهادة، ولكنَّه قال: يبدو أنِّي لست أهلًا لهذه الشهادة، ولهذا لم يرزقني الله إيَّاها.

ومن حبِّه للشهادة وسؤاله إيَّاها، ورغبته فيها، لقَّبه النَّاس المسلمون: نور الدين محمود «الشهيد»، وهو لم يستشهد، ولكن لتعلُّقه بالشهادة سمَّاه النَّاس: الشهيد، وقد جاء في «الصحيح» عن رسول الله ﷺ: «**من سأل الله الشهادة بصدق، بلَّغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه**»[1].

عاش نور الدين محمود وهو رجل خاشع لربِّه، متضرِّع له خائف منه، قائم لليل، صوَّام للنَّهار، وكان يقوم الليل هو وزوجته «خاتون»، حتَّى إن امرأته أصبحت مرَّة فوجدها حزينة آسفة، فقال لها: ما بك؟

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٩٠٩)، وأبو داود في الصلاة (١٥٢٠)، عن سهل بن حنيف.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قالت: غلب عليَّ النوم فلم أقم الليلة، فأمر أن تقام طبلخانة (مكان للطبل) تأتي قبل الفجر بنحو ساعة، أو بنحو ذلك، وتضرب الطبل لمن يريد أن يقوم الليل، وأعطى الضارب على الطبلخانة أجرًا جزيلًا، وجراية كثيرة[١].

هذا ما كان يشغل هذا الرجل، ويشغل أهل بيته!

كيف لي أن أتبسم وثغر من ثغور المسلمين محاصر:

كان يقرأ الحديث ويتعلَّمه على أيدي شيوخ الحديث في زمنه، وقد أُجيز بعلم الحديث، ففي علم الحديث شيء اسمه «الإجازة»، أن يعطيك عالم الحديث إجازة مثل شهادة، بأنَّ من حقِّك أن تروي الحديث.

وفي مرَّة من المرَّات روى حديثًا مسلسلًا بالابتسام، ما معنى مسلسل بالابتسام؟

أي أنَّ راوي الحديث روى أنَّ النَّبي ﷺ قال كذا وتبسَّم؛ فالصاحبي الَّذي يروي الحديث حينما يروي الحديث يتبسَّم كما تبسَّم النَّبي ﷺ، أي: يروي الحديث قولًا وفعلًا، والتابعي الَّذي يروي عن الصحابي يقول كذا وتبسَّم، ثمَّ يتبسَّم هو كما تبسَّم الصحابي الَّذي روى عنه، وتابعي التابعي، وكلُّ واحد يروي الحديث يبتسم في نهاية الحديث.

ولما روى نور الدين محمود هذا الحديث لشيخه لم يتبسَّم، فقال له شيخه: تبسَّم يا نور الدين؛ حتَّى تكتمل الرواية قولًا وفعلًا. فقال له: كيف لي أن أتبسَّم وثغر من ثغور المسلمين محاصر[٢]؟!

---

(١) البداية والنهاية (٣٤٥/١٢)، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر دار هجر، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

(٢) ذكره السيوطي في حسن المحاضرة (٢٨٩/٢)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط١، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

QaradawiBooks.com

كان الصليبيون يحاصرون دمياط، فقال له: من أين يأتيني الابتسام؟

لا أجد الابتسام على شفتي وثغر من ثغور المسلمين محاصر!

انظروا إلى هذه النَّفسية الَّتي لا تستطيع أن تتبسَّم في مثل هذا الموقف، لا يجد ابتسامَة؛ إنَّه مشغول بهموم هذه الأمَّة، هذا لون من النَّاس.

شخصيَّة فريدة:

كان نور الدين محمود شخصيَّة فريدة، علَّم نفسه فنون الفروسية، الرماية والقتال والرياضة، وكان يلعب الكرة بالجياد، يركب الجياد ويأخذ الكرة وهي طائرة، وأحيانًا يلتقطها من الجو، وقد لامه بعض العلماء في ذلك كأنَّ هذا نوع من اللعب، فقال له: إنَّما الأعمال بالنيات، نحن قوم مجاهدون، ولا نريد أن ننسى الجهاد، ولا أن تنسى خيلنا الحركة والمعاناة دائمًا، فنحن نمرِّن خيلنا، ونمرِّن أنفسنا حتَّى لا ننسى، وإنَّما لكلِّ امرئ ما نوى[1].

نور الدين حريص على إقامَة العدل:

كان رجلًا شجاعًا لا يهاب الموت في سبيل الله، وكان رجلًا عادلًا، كان يعدل بين النَّاس، بين الصغير والكبير، أقام مجلسًا للعدل وللنظر في المظالم، فتح بابه للنَّاس جميعًا، كلُّ من عنده مظلمة عليه أن يتقدَّم إلى الأمير أو الملك العادل نور الدين، يجلس مرتين في الأسبوع، وقيل: أربعًا، وقيل: خمس مرات في الأسبوع، ليتلقَّى مظالم النَّاس على أي واحد من قوَّاده أو أمرائه أو ولاته.

(١) انظر: البداية والهداية (٤٨٥/١٦)، والروضتين في أخبار الدولتين: النورية والصلاحية لأبي شامة (٣٥/١)، تحقيق إبراهيم الزيبق، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

وقد رأى أنَّ بعضهم لم يصل إليه مظلمة من قِبله، وهو أسد الدين شيركوه؛ عم صلاح الدين، لم يتقدَّم أحد يقول: إنَّه ظلمه؛ وذلك أنَّ أسد الدين قال للنَّاس: من كان له مظلمة فليأت إليَّ، ولا يفضحني عند نور الدين لأرفع المظلمة عنه.

فلما سأل: لماذا لم يتقدَّم أحد ضد أسد الدين؟

قالوا له: إنَّه قال للنَّاس كذا، فمن كان له مظلمة ذهب إلى أسد الدين فرفع عنه مظلمته، فسجد لله شكرًا، وقال: الحمد لله الَّذي وفَّق ولاتي إلى هذا[١].

شرع الله أولى بالتطبيق:

كان رجلًا حريصًا على إقامَة العدل، وكان يراقب الله في كلِّ صغيرة وكبيرة، وينفِّذ شرعه، ويقول: نحن خدم محمَّد ﷺ وخدم شرعه[٢].

واقترح عليه بعض ولاته أو وزرائه: أن يزيد في العقوبة عن الحدِّ الشرعي، وقالوا له: إن هناك بعض العتاة من المجرمين لا تكفيهم الحدود الشرعية، فلا بدَّ أن نؤدِّبهم بأكثر ممَّا جاء في الحدود حتَّى يرتدعوا.

فكتب إليه يقول: «سبحان الله! كيف تقترح عليَّ مثل هذا؟! كأنَّك تقول: إنِّني أعلم من الله تعالى، وإنَّ ما نقترحه من عند أنفسنا أعدل من شرع الله تعالى، والله لا أفعل ذلك، ولا أتعدى حدود الله أبدًا».

وبهذا رأى الرجل أنَّ أي افتئات على الشرع بالزيادة أو النقصان، كأنَّما يفضِّل الإنسان عقله على علم الله تعالى[٣].

(١) البداية والهداية (٤٨٥/١٦).
(٢) البداية والنهاية (٤٨٤/١٦).
(٣) المصدر السابق (٤٨٤/١٦).

QaradawiBooks.com

الحامي والحارس هو الله:

هذا الرجل العظيم قال له بعض العلماء مثل الشيخ قطب الدين في يوم من الأيام: أيُّها الأمير، لا تخاطر بنفسك.

وقد كان يدخل في الجيش ويحارب، ولا يبالي أوقع على الموت، أم وقع الموت عليه.

فقال له: لا تخاطر بنفسك؛ فإنك إن قُتلت فسد الحال، وضاع المسلمون، وضاع الدين، إلى آخر ما قال.

فقال له: اسكت يا قطب الدين، لا تقل هذا الكلام، هذه إساءة أدب مع الله تعالى، من كان يحرس الدين، ومن كان يحمي المسلمين قبل محمود بن زنكي؟

إنَّ الله تعالى هو حامي الدين[1]، وهو المدافع عن المؤمنين، فلو متُّ، أو قُتلت لبعث الله من يحمي هذا الدين، ويدافع عنه ممَّن لا نعلم عنه.

انظروا إلى هذه الحساسية من هذا الرجل، يقول: أنت تسيء الأدب إذا قلت: إنَّك إذا هلكت أو قتلت ضاعت الأمَّة، وضاع الدين، لست أنا الَّذي أحمي الدين، ولست أنا الَّذي أحمي الأمَّة، الله هو الحامي، وهو المدافع عن الدين وعن الأمَّة.

تواضع رفيع:

وكان الخطباء يدعون له على المنابر بألقاب ضخمة: «اللهمَّ انصر عبدك نور الدين بن محمود بن زنكي، معز الدين، وناصر الدولة،

(١) انظر: الكامل في التاريخ (٣٩٥/٩)، والبداية والنهاية (٤٨٥/١٦).

QaradawiBooks.com

ومجد الأمَّة، وكذا وكذا» فأمر بحذف هـذا كلِّه، وقال قولوا: «اللهمَّ انصر عبد ابن عبـدك محمود بن زنكي، وأصلِـح حاله، ولا تزيدوا على ذلك».

وبعض العلماء اقترح عليه، فقالوا: هـل هناك مانع أن نقول: «اللهمَّ انصر عبدك الخاضع لهيبتك، الراجي لرحمتك، المرابط في سـبيلك، المقاوم لأعداء دينك... ومثل هذا الكلام»؟

فقال: إذا لـم يكن فيـه كذب فلا بـأس، أمَّـا المدائـح الكاذبة، والمبالغات الزائفة، فلا تجوز على المنبر أبدًا[1].

هكذا كان هذا الرجل العظيم، هذا الرجل قـاوم الصليبيين، قاتلهم وهزمهم، أسر منهم من أسـر، وقتل منهم من قتل، وأسر بعض الملوك يومًا، ثمَّ فاوضـه هذا الملك أن يدفع له مبلغًا كبيـرًا من المال ويفديه، وشاور العلماء والوزراء والأمراء من حوله، فبعضهم قال له: اقتله وأرح المسلمين من شرِّه، وبعضهم قال له: نأخذ المال نتقوَّى به في الجهاد في سـبيل الله، ثمَّ ترجَّح له أن يقبل الفداء منه، ويأخذ المال ليتقوَّى به في الجهاد، وبعد أن أخذ المال كأنَّه لام نفسه.

فلما ذهب هذا الملـك إلى بلاده أدركه المـوت، وأخذه الله، وجاء الخبر إلى نور الدين، فقال: الحمد لله، كفانا الله شرَّه، وأخذنا منه الفدية لمصلحة الجهاد ومصلحة المسلمين[2].

(١) انظر: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية (٥٨/١).

(٢) انظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (٢٠٩/١٨، ٢١٠)، نشـر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، والروضتين في أخبار الدولتين (٤٦/١).

QaradawiBooks.com

«بيماريستان» نور الدين محمود:

كان هذا الرجل يعمل باستمرار على تنفيذ شرع الله، وعلى رفع الظلم عن النَّاس، هذا الفداء الَّذي أخذه من هذا الملك بنى به «بيماريستان» مستشفى خيريًّا كبيرًا ومعروفًا في التاريخ «بيماريستان نور الدين محمود» في دمشق[1]، لم يُبن مثله قبله ولا بعده، مستشفى للفقراء والمستضعفين من النَّاس، يدخل الإنسان فيه يعالج مجانًا، ويبقى فيه إلى أن يُشفى، ويخرج ويهيَّأ له المأكل والمشرب، والدواء وكلُّ الرعاية المطلوبة.

ولا يدخله الأغنياء إلَّا بأجر، إلَّا إذا كان الدواء الَّذي يحتاج إليه الأغنياء لا يوجد إلَّا في هذه المستشفى، فيسمح لهم بالتداوي به.

هذا ما فعله هذا الرجل.

ورعه:

وحينما آتاه الله الغنائم من معاركه في الجهاد، مع الفرنجة أو الصليبيين، رفع المكوس عن المسلمين، تلك الضرائب الَّتي كانت تُؤخذ من النَّاس، وكان النَّاس يشكون منها، فرفع عنهم هذه المكوس الجائرة والمبالغة، وأعفى النَّاس منها، فدعا النَّاس له في المشارق والمغارب، وقال للعلماء: أحلُّوني من النَّاس، اطلبوا من النَّاس أن يحلُّوني، وأن يعفوني ممَّا حدث ومما أخذت منهم قبل ذلك، وقولوا لهم: إنَّ ما أخذناه منهم والله لم ننفقه إلَّا في الجهاد في سبيل الله، وفي الدفاع عنهم، وعن بلادهم وعن أولادهم ونسائهم.

(١) انظر: الكامل في التاريخ (٣٩٥/٩)، والروضتين في أخبار الدولتين (٤٦/١).

QaradawiBooks.com

فكان العلماء يطلبون ذلك من النَّاس[١].

يريد الرجل أن يلقى الله وليس في عنقه مظلمة لأحد.

وقد طلب من العلماء أن يفتوه بما يحلُّ له من بيت المال، فقالوا له: يحلُّ لك كذا وكذا، فكان أحيانًا يأخذ هذا القدر فلا يكفيه، فيقولون له: زد.

فيقول: والله لا أزيد عما أفتاني به العلماء درهمًا ولا دينارًا، ويحاول أن يكفي نفسه بهذا القدر القليل[٢].

ولذلك قالوا: كان أقلُّ الفقراء من النَّاس أعلى منه نفقة، يكتفي بالقليل، متقشفًا زاهدًا في الدُّنْيا وخزائنها، وكان له دكاكين اشتراها في حمص ممَّا يخصُّه من الغنائم، فكان يأخذ منها، وكانت تأتي بدخل قليل، وطالبته زوجه مرَّة: أنَّ نفقتها قليلة، فليزد معاشها أو راتبها أو ما تأخذ، فقال لها: من أين؟ أتريدين أن أعطيك من بيت مال المسلمين ما لا يحلُّ لك؟

ثمَّ قال لها: أعطيك ثلاثة دكاكين تأخذين من غلَّتها في «حمص».

وهذه الثلاثة دكاكين كانت تأتي في العام بعشرين دينارًا، وهذا شيء قليل جدًّا.

فعاش الرجل وعاش أهله في هذا الزهد[٣].

(١) الروضتين في أخبار الدولتين (٤٩/١).
(٢) المصدر السابق (٣٤/١).
(٣) الروضتين في أخبار الدولتين (٣٤/١، ٣٥).

QaradawiBooks.com

من خاف الله أخاف الله منه كلّ شيء:

مثل هــؤلاء هم الَّذيــن تنتصر بهم الأمــم، هم الَّذيــن تنتصر بهم الرسالات، هم الَّذين تتحقَّق بهم الغايات، هم الَّذين ينهزم بهم الأعداء، ولذلك كان مجرد ذِكر نور الدين محمود أمام أعدائه يرعبهم، ويقلقهم، ويزعجهم، ويخافون من ملاقاته إذا لاقوه؛ لأنَّه رجل خاف الله فأخاف الله منه كلَّ شيء.

كان هذا نــور الدين محمود بن زنكي، الَّذي عــاش طول عمره لله، وللجهاد في سبيله، وللقاء أعدائه، ولهذه المعركة الَّتي كرَّس لها حياته، ونذر لها نفسه، ونذر لها كلَّ قوته، وقوة دولته.

هذا هو نور الديــن محمود بن زنكي، وهو رجــل ينبغي أن ندرس ســيرته، ما ذكرتُه ـ أيُّها الإخوة ـ ملامــح ومقتطفات من هذه السِّــيرة المشرقة.

آثار «نور الدين» في الحياة الإسلاميَّة:

أمَّا سِــيرة الرجل وما صنعه في الحياة الإسلاميَّة، لقد بنى المدارس الَّتي تعلِّم النَّــاس، المدارس النورية في كلِّ مــكان وخصوصًا في بلاد الشــام، مدارس الحديث، أوَّل من بنى مدرســة للحديث هو نور الدين محمود، بنى هذا لأنَّه لا يمكن أن تقيــم الجهاد إلَّا إذا أصلحت الجبهة الداخليَّة، إلَّا إذا أعددت الشعب بالتعليم.

كان من ناحية يعــدُّ النَّاس للجهــاد، وينفخ في الشــعب من روح الإيمان، وينشــر العلم والثقافة، وينشــر العدل بين النَّاس؛ حتَّى يكون النَّاس معك، حتَّى يقول النَّاس بإخلاص: اللهمَّ انصر فلانًا.

QaradawiBooks.com

إنَّ كثيرًا من حكَّامنا اليوم يتردَّد النَّاس إذا دخلوا معركة: أيدعون الله أن ينصرهم، أم يدعون الله أن يأخذهم ويريح العباد والبلاد منهم؟

تتردَّد ألسنتهم بين الخوف منهم، والخوف على بلادهم.

أمَّا هذا نور الدين محمود، فكان النَّاس يتمنون من كلِّ أعماق قلوبهم أن ينصره الله؛ لأنَّه إذا انتصر انتصر معه الحقُّ والعدل والخير ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحجُّ: ٤٠، ٤١].

أقول قولي هذا أيُّها الإخوة، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

غير مرخصة للطباعة

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

واجبنا نحو فلسطين:

إنَّ المعركة بيننا وبين بني صهيون الغاصبين المعتدين معركة مستمرَّة، لا ينبغي أن نلقي فيها السِّلاح حتَّى نحرِّر الأرض المغصوبة، ونعيد البلاد المفقودة، ونستردَّ حرية هذه الأمَّة وكرامتها، ولن يكون ذلك إلَّا بأن يبذل كلُّ إنسان ما يستطيع من نفس ومال.

كثيرًا ما سألني الشَّباب المسلم في كلِّ بلد أزوره: ما الواجب علينا اليوم، ونحن لا نستطيع أن نذهب لتحرير المسجد الأقصى؟

فأقول لهم: إنَّ على كلِّ مسلم عدَّة أشياء:

١ ـ اصطحاب نية الجهاد:

الأمر الأوَّل: عليه أن يصطحب نية الجهاد، إذا لم تستطع أن تجاهد فانو الجهاد بقلبك «**إنَّما الأعمال بالنيات، وإنَّما لكلِّ امرئ ما نوى**»[(١)]، وفي الحديث: «**من مات ولم يغزُ، ولم يحدِّث نفسه بغزو، فقد مات على شعبة من النفاق**»[(٢)].

أقلُّ ما في الأمر أن تحدِّث نفسك بالغزو وبالجهاد، أن يكون هذا حاضرًا بذهنك، خاطرًا ببالك، ليس أمرً منسيًّا، ولا أمرًا مهجورًا، حدِّث

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (١)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٧)، عن عمر بن الخطَّاب.
(٢) رواه مسلم في الإمارة (١٩١٠)، وأحمد (٨٨٦٥)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

نفســك بالجهاد دائمًا حتَّى تتاح لك الفرصة، اصطحب نية الجهاد، فإذا أتيحت الفرصة فتقدَّم، وإن لم تُتح كُتب لك أجر المجاهدين، وقد جاء في «الصحيح»: «**من سأل الله الشهادة بصدق، بلَّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه**»[١].

٢ ـ الجهاد بالمال:

الأمر الثاني: الجهاد بالمال مطلوب من المسلمين؛ فالله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الصَّف: ١٠، ١١]، ويقدّم المال على النَّفس، وفي الحديث الصحيح: «**من جهَّز غازيًا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازيًا في أهله بخير فقد غزا**»[٢].

فإذا لم تغزُ، ولم تجاهد، فلتساعد المجاهدين وتجهِّزهم، ادفع لهم ما يستطيعون أن يقاوموا به، ولذلك نحن نقول: إذا لم تكن حكومتنا قادرة على الحرب، ولا يمكنها أن تعلن الحرب، وليس عندها من المؤهلات ما يعدُّها لذلك، على الأقلِّ تدعم المقاومة.

يجب أن تستمرَّ المقاومة، ويجب أن تستمرّ الانتفاضة، وللانتفاضة شهداء ومجروحون ومعوَّقون ومعتقلون، أشياء كثيرة تحتاج إلى مال، فلا بدَّ أن نبذل المال.

هناك جمعية الشيخ عيد بن محمَّد الخيرية في قطر، هذه المؤسسة تقوم مع مثيلاتها بجمع التبرعات لإرسالها إلى هؤلاء الَّذين يحتاجون إلى النصرة والإغاثة.

---

(١) سبق تخريجه صـ ٢٢.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسِّيَر (٢٨٤٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٩٥)، عن زيد بن خالد.

QaradawiBooks.com

وإغاثة الملهوفين، وتفريج كربة المكروبيـــن، من أعظم ما دعا إليه الإسلام.

فالبذل من المال يجب أن نســتمرَّ فيه، ولا نتوقَّــف أبدًا، ما دامت المعركــة قائمة فلا بدَّ أن نمدَّهــا بالمال، إخواننا في الأرض المقدَّســة يبذلون من دمائهم وأنفسهم، فلا أقلَّ من أن ندفع من أموالنا، هم يبذلون الدم، أفلا نبذل نحن قليلًا من المال؟

٣ ـ واجب مقاطعة إسرائيل وأعوانها:

والواجب الثالث علينا ـ أيُّها الإخوة ـ هو مقاطعة إسرائيل ومن يساند إسرائيل، حرام علينا أن نشــتري من بضائع هؤلاء، لا يجوز لمسلم أن يدفع لهم درهمًا أو ريالًا أو جنيهًا أو دينارًا، أو أي عملة من العملات.

كلُّ عُملة من هذه، كلُّ ريال يدفع لهم يتحول إلى رصاصة في صدر أخيك وأختك وابنك وابنتك هناك في فلسطين.

أنت إذنْ بهذا تساعد على قتلهم، فلا يجوز أن تقتل إخوانك، إذا لم تقاتل عنهم فلا تقتلهم، أنت تقتلهم بمالك الَّذي تشتري به هذه الأشياء، سواء كانت بضائع إسرائيلية أم بضائع أمريكيَّة، ولماذا؟

أنا أتعجــب لهــذه العبوديَّة، عبَّدنا هــؤلاء النَّاس لأنمــاط وأذواق أصبحت تمتلك علينا أمرنا، ولم نعد نملك لها شــيئًا، أصبحنا مدمنين، هذا الَّذي يشــرب «الكوكاكولا» و«البيبســي كولا» وهو هائم، ما هذا؟ ما هذه العبوديَّة؟ أأنت أسير أم حرٌّ؟

لمــاذا لا تركل هــذه الأشــياء وترفضهــا، ما الَّــذي يجعلنا نطلب الهامبورجر والبيتزا كأنَّنا أمَّة أصبحنا لا نملك أن نصنع الطعام لأنفسنا؟

QaradawiBooks.com

هذا أمر عجيب، ألا نملك أن نصنع لأنفسنا دجاجة نشويها أو فطيرة نأكلها أو أي شيء من هذا؟

ولماذا نتعبَّد بأذواق غيرنا، وكلُّ أمَّة لها أذواقها ولها مأكولاتها، ولها مشتهياتها ولها مواريثها في هذه الناحية؟

لماذا نغيِّر أذواقنا، لندفع الملايين بل المليارات؟

هذه الأشياء بالجملة ـ أيُّها الإخوة ـ تكوِّن المليارات، ما نشتريه من أمريكا، ممَّا يُؤكل ويُشرب ويُلبس، ويُركب من السيارات، وما يُستخدم من أجهزة وآلات؛ يكوِّن في النهاية مليارات وعشرات المليارات ومئات المليارات تدفع من المسلمين هنا وهناك.

وقد قال أحد الإخوة المسلمين الأمريكان حينما استضافتنا قناة «أبو ظبي» الفضائية: إنَّ الأمريكان يؤيدون اليهود وسيظلُّون يؤيدونهم؛ لأنَّهم لن يدفعوا ثمن هذا التأييد، لن يخسروا شيئًا، ما خسروا شيئًا، مع أنَّه لولا التأييد الأمريكي، ولولا المال الأمريكي، ولولا السِّلاح الأمريكي، ولولا الفيتو الأمريكي ما قامت إسرائيل ولا صالت وجالت وعربدت في المنطقة دون أن يردَّها راد، أو يصدَّها صاد.

نحن لا نستطيع أن نحارب أمريكا، ولكن ألا نستطيع أن نرفض أكلَ أمريكا وشرب أمريكا، ألا تستطيع أن تقول: لا لن أشرب البيبسي؟

هذه الأشياء دخلت علينا، غيَّرت حياتنا، كان النَّاس قديمًا يشربون العرقسوس والخرُّوب والسوبيا وماء الشعير، أشياء كانت رخيصة ومفيدة للنَّاس. حتَّى دخلت هذه الأشياء، فذهب هؤلاء النَّاس الَّذين كانوا يصنعون هذه المشروبات الوطنية وانقطعوا من الحياة، بسبب كساد أشيائهم، حين أصبحنا عبيدًا لهذه الأشياء الجديدة.

QaradawiBooks.com

ما هذا أيُّها المسلمون؟

أنا أريد من الأمَّة أن تقاطع هذه الأشياء بعزيمة وإصرار وقوة، وهي قادرة أن تفعل إن شاء الله.

٤ ـ حَمْل همِّ المسجد الأقصى:

الأمر الرابع: أنَّ على كلِّ مسلم أن يحمل هذا الهمَّ، يحمل همَّ المسجد الأقصى وتحرير المسجد الأقصى، ولا يستبعد هذا الأمر، ولا يقول: أنا مالي، وماذا أفعل؟

لا يا أخي، احمل هذا الهمَّ، همَّ أمتك، وهمَّ قضاياها، من لم يهتم لأمر المسلمين فليس منهم.

أقلُّ ما ينبغي أن تدعو لإخوانك، ادع لهم في سجودك إذا سجدت، وفي خلوتك إذا خلوت، وفي سَحرك إذا قمت في السَّحر، ادع الله أن ينصر إخوانك ويعزَّهم ويذلَّ أعداءهم المعتدين ويأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٣
صلاح الدين الأيوبي(١)

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

في تاريخنا مناطق مضيئة وأخرى مظلمة:

تحدَّثنا في الجمعة الماضية عن أحد قادة التحرير الإسلامي، قادة الجهاد في سبيل الله، عن البطل الإسلامي: الملك العادل، المجاهد الزاهد، الشجاع الصالح، العالم المربي، عن نور الدين محمود، الَّذي كان يلقَّب بـ: الشهيد، وإن لم يستشهد، لرغبته في الشهادة في سبيل الله.

واليوم ـ أيُّها الإخوة ـ نتحدَّث عن قائد آخر من قادة تحرير الأرض المقدَّسة، هو أكثر شهرة من نور الدين محمود، وإن كان تلميذًا في مدرسة نور الدين محمود، هذا البطل هو: صلاح الدين الأيوبي.

وهو رجل كردي، ونور الدين محمود رجل تركي، أي أنَّ كليهما لم يكن عربيًّا، إنَّما عرَّبهما الإسلام، ونفخ فيهما الإسلام من رُوحه، وجعل كلًّا منهما بطلًا من أبطال التاريخ الإسلامي.

(١) أُلقيت بمسجد عمر بن الخطَّاب بالدوحة في ١٥ ربيع الثاني ١٤٢٢هـ الموافق ٦ يوليو ٢٠٠١م.

نسخة ثانية
QaradawiBooks.com

ما أحوجنا ـ أيُّهـا الإخوة ـ إلـى أن نتعرَّف علـى تاريخنا، إلى أن نستكشف هذا التراث، وأن نزيح التراب الَّذي غطَّى هذا التاريخ، فأصبح الكثير منَّا يجهلـون هذا التاريـخ، ويجهلون أبطاله، هنـاك مناطق في تاريخنا مظلمة، ينبغي ألَّا ننكر هذا، وهناك مناطق مضيئة.

من المناطق المظلمة: حينما أقبل الفرنجـة، أو الصليبيون من بلاد الغرب والمسلمون في غفلة، والمسـلمون في تفرُّق وتناحر، وأمراؤهم خانوا أنفسهم، وأمَّتهم ودينهم، هذه محطات مظلمة في تاريخنا.

ولكن الظلام لا يسـتمرُّ أبدًا؛ هذا الإسـلام قادر على أن يهيئ من أبنائه من يجعل الظلام نورًا، ومن الضعف قوَّة، يجعل بعد الليل فجرًا.

طبيعة الحياة، وطبيعة سـنن الله في الكون: أنَّ مع العسر يسرًا، وأنَّ بعد الليل فجرًا، وأنَّ أحلك ساعات الليل ظلامًا وسوادًا: هي السويعات الَّتي تسبق الفجر، أشدُّ ما تكون حلكة وظلامًا هي هذه الساعات.

وفي هذه الحالة يهيئ الله رجـالًا يصنعهم على عينه، ويربيهم لمهمة، ويعدُّهم لرسالة، كان من هؤلاء: نور الدين محمود، وصلاح الدين الأيوبي.

وكلٌّ منهما تمثِّل حياته وسـيرته وجهاده منطقـة مضيئة في تاريخ الأمَّة الإسلاميَّة.

شبلٌ ناشئٌ في عرين أسدٍ مقاتلٍ:

نشأ صلاح الدين في مدرسـة نور الدين، كان أبوه نجم الدين أيوب من رجال نور الدين، من رجال الجهاد، وكان عمُّه أسـد الدين شيركوه من رجال الجهاد عند نور الدين، ونشـأ يوسـف صلاح الدين في هذا المناخ الجهادي، وأُشرب هذه الرُّوح، أُشـربها من أبيه وعمِّه، وأُشربها من نور الدين محمود.

QaradawiBooks.com

تعلَّم من نور الدين محمود حُسن القيادة، وحُسن الإدارة، والعدل في النَّاس، وحبَّ الخير، وإقامَة الحقِّ، والتعصب للحقِّ[١].

تعلَّم في هذه المدرسة، فلمَّا أُتيحت له الفرصة حينما ذهب مع عمِّه أسد الدين شيركوه في حملة إلى مصر[٢]، وكانت مصر في ذلك الوقت يحكمها العبيديون الَّذين يسمّون في التاريخ بـ«الفاطميين»، والمحقِّقون من العلماء يقولون: إنهم لم يكونوا فاطميين، ولم يكونوا أشرافًا، وليس لهم صلة بنسب عليٍّ، ولا بفاطمة، ولا بالحسن، ولا بالحسين، رضي الله عن الجميع، ولكن ذهب رئيسهم إلى بلاد المغرب ـ أماكن بعيدة ـ وادَّعى أنَّه شريف نسيب، وأنَّه حسيني، وراجت مقولته عند النَّاس، حتَّى صار له أتباع وأنصار[٣].

واستطاع أن يقيم له دولة امتدَّت من بلاد المغرب إلى مصر، وإلى بلاد الشام أحيانًا، وظلَّت أكثر من مائتين وثمانين عامًا تحكم هذه البلاد، وللأسف حينما جاء الصليبيون تحالف هؤلاء مع الصليبيين[٤]، وكانوا على المذهب الإسماعيلي[٥]، لم يكونوا كالشيعة الجعفرية[٦]، كالذين

(١) راجع: الروضتين في أخبار الدولتين (٢٧٥/١).
(٢) المصدر السابق (٤١٣/١، ٤١٤).
(٣) المصدر السابق (٢١٤/٢).
(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦٣٧/٢٨)، (١٣٨/٣٥).
(٥) الإسماعيلية: فرقة باطنية، تنسب إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق، ظاهرها التشيع لآل البيت، وحقيقتها هدم عقائد الإسلام، مالت إلى الغلو الشديد، لدرجة أنَّ الاثني عشرية يكفرون أتباعها. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٣٨٦/١)، إشراف ومراجعة د. مانع بن حماد الجهني، نشر دار الندوة العالمية، ط ٤، ١٤٢٠هـ.
(٦) الجعفرية: ينتسبون إلى جعفر بن محمد، المعروف بالإمام الصادق؛ ويطلق عليهم: الشيعة الإمامية، والاثنا عشرية، وهم الذين زعموا أنَّ عليًّا هو الأحقُّ بالخلافة بعد النبي ﷺ، ولهم معتقدات معروفة خالفوا بها أهل السُّنة. انظر: المرجع السابق (٥٥/١).

QaradawiBooks.com

نعرفهم في العراق، أو في إيران، أو في لبنـــان، بل كانوا على المذهب الإسماعيلي الباطني.

ونحن نعلم ما فعله الحاكم وغيره، وكانوا في أيام دولتهم يحاربون السُّنة، ورجال السُّـــنة ورجال الحديث، وعلماء المسلمين، ويؤيِّدون كلَّ من ســـبَّ الصَّحابة، حتَّى إنَّه كان عندهم شعار يقول في مصر: من لعن وســـبَّ فله دينار وإردب، أي: مَن لعن الصَّحابة وسبَّهم يأخذ دينارًا من الذهب، وإردبًّا من القمح، حتَّى اضطر كثير من علماء السُّنَّة أن يهجروا مصر إلى بلاد أخرى؛ فرارًا من هذه البدع الَّتي أطلت برؤوسها وأصبحت شائعة، ولا يستطيع أحد أن يردَّها أو يطفئ فتنتها[١].

في هذا الجـــو جاء صلاح الدين إلى مصر، ومكَّـــن الله له حتَّى زال سلطان الفاطميين تمامًا أو العبيديين هؤلاء تمامًا.

وكان آخرهم ملكًا يسمَّى: العاضد، كما قال ابن كثير: العاضد معناه: القاطع، ومنه قول النَّبي ﷺ في خصائص مكَّة: «**لا يعضد شـــجرها**»[٢]، أي: لا يقطع شجرها، فقطع الله به دولتهم، وانتهت إلى الأبد[٣].

صلاح الدين يعيد النَّاس إلى صراط الحقِّ:

جاء صلاح الدين وأحيا السُّنَّة بعد أن كادت تموت، وأقام معالمها، وأعاد لعلم السُّـــنة وعلماء السُّـــنة الحياة، وأصبحت السُّـــنة تجري في شرايين مصر من جديد، وفي كلِّ أنحاء هذه البلاد.

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦٣٧/٢٨)، (١٣٨/٣٥).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (١١٢)، ومسلم في الحجِّ (١٣٥٥)، عن أبي هريرة.

(٣) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٤٥٠/١٦).

QaradawiBooks.com

بدأ صلاح الدين يعيد النَّاس إلى صراط الحقِّ، ينفخ فيهم من رُوح الإيمان، ويهيئ الصناع لصناعة السِّـلاح؛ فلا بدَّ للأمَّـة حينما تريد أن تلاقي عدوها من أمرين:

- أمر مادي.
- وأمر روحي.

لا بدَّ من هذين العنصرين أن يكتملا معًا.

لا بدَّ من العنصر المادي؛ أن تعدَّ لملاقاة أعدائك ما تستطيع من قوَّة، وهذا ما أمر الله تعالى به: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [النِّساء: ١٠٢].

ومن فضل الله تعالى أنَّه لم يأمر المؤمنين أن يعدوا لأعدائهم مثل ما عندهم من قوَّة، فقد يكون ذلك في غير مقدورهم، إنَّما أمروا أن يعدوا لهم ما استطاعوا من قوَّة، كلَّ ما في استطاعتهم عليهم أن يبذلوه، ليعدوا لهم العدة، وقد قال النَّبي ﷺ: «**إنَّ الله تعالى يثيب في السهم الواحد ثلاثة: صانعه يحتسب في صنعته الخير، ومنبله** ـ أي: الَّذي يضع السهم في مكان الرمي ـ، **والرامي به**»[1] هؤلاء الثلاثة يشتركون في الأجر.

(١) رواه أحمد (١٧٣٠٠)، وقال مخرِّجوه: حسن بمجموع طرقه وشواهده. وأبو داود (٢٥١٣)، والترمذي (١٦٣٧)، وقال: حسن صحيح. والنسائي (٣١٤٦)، وابن ماجه (٢٨١١)، كلهم في الجهاد، عن عقبة بن عامر.

QaradawiBooks.com

عاشق للجهاد:

أعدَّ صلاح الدين رجاله، وهيَّأ الجو العام للجهاد في سبيل الله، وكان الرجل مشـــغوفًا بالجهاد، من أراد من النَّاس أن يتقرَّب إليه وأن يتحدَّث له، حدَّثه عـــن الجهاد، فإذا حدَّثه عن الجهاد انشـــرح صدره، وانفرجت أساريره، وذهب عنه الهمُّ والتعب والمعاناة[١].

فكان يعشق الجهاد عشقًا، هكذا كان صلاح الدين.

صلاح الدين «العابد»:

وكان صلاح الدين رجلًا مصليًـــا لله، لم يدع الصَّلاة في جماعة عدَّة ســـنين، كان لا يصلِّي إلَّا في جماعة، حتَّى إنَّه إذا أصابه مرض أو إعياء يطلب الإمـــام في خيمته الَّتي ينـــزل بها، أو في بيته الَّذي يســـكن فيه، ليصلي به إمامًا وهو مريض؛ حتَّى لا يدع الجماعة[٢].

صلاح الدين «العادل»:

وكان رجلًا عادلًا يقيم مجلسًـــا للنظر في مظالـــم الخلق، وفي إنصاف المظلومين كلَّ يوم اثنين ويوم خميس من كلِّ أسبوع، ويجتمع حوله القضاة والعلماء والصالحون، ويأتي النَّاس من كلِّ حدب وصوب، الكبير والصغير، والغني والفقير، والرجل والمـــرأة، كلٌّ من عنده مظلمة يأتي ليشـــكو إليه مظلمته، فيرفع عنه الظلم، ويعيد إليه الحقَّ، ولو كان عند أقرب النَّاس إليه، أو آثر النَّاس لديه، أو أعز النَّاس عليه، يرغمه على أن يعطي الحقَّ لأهله[٣].

---

(١) الروضتين في أخبار الدولتين (٣٩٢/٤، ٣٩٣).

(٢) الروضتين في أخبار الدولتين (٣٨٣/٤).

(٣) المصدر السابق (٣٨٦/٤).

QaradawiBooks.com

عفَّته وزهده:

وكان رجلًا عفيفًا عن المال الحرام، حتَّى إنَّه حينما توفي نظروا في خزانته فلم يجدوا فيها إلَّا سبعة وأربعين درهمًا من الفضة، وقطعة ذهبية واحدة[١]، وجدوها في خزانة هذا الرجل الَّذي فتح الفتوح، وغنم الغنائم من الصليبيين في بلاد شـــتَّى، فتح نحو مائة مدينة من المدن، ولا شك أنَّه غنم فيها الكثير وغنم منها الكثيـــر، ولكنَّه أنفق ذلك كلَّه في الجهاد في سبيل الله، وفي تجهيز الجيوش والجنود.

فحينما مات لم يجدوا في خزانته إلَّا هذا المبلغ الضئيل.

حلمه:

وكان هذا الرجل رجلًا حليمًا، لا يغضب إذا أُسيء إليه، وكم من مرَّة تناوله بعض النَّاس بما يغضب، أو ربما وقع عليه شـــيء يحسب النَّاس أنَّه سيطير من الغضب ويفزع، ولكنَّه كان حليمًا متأسيًا برسول الله ﷺ[٢].

شجاعته:

وكان رجلًا شجاعًا لا يهاب الموت، لا يخشى أن يموت، بل إنَّه في وقت من الأوقات ركب البحر، وكان كاتبه العماد الأصفهاني يخاف من البحر، ولكنَّه وجد هذا القائـــد لا يبالي بالبحر وقد هاج، فحدَّثه بما في نفسه أنَّه خاف، فكيف لا تخاف أنت؟

فقال له: ما هي أشرف الميتات؟

قال: أشرف الميتات الموت في سبيل الله!

---

(١) الروضتين في أخبار الدولتين (٣٧٥/٤)، والبداية والنهاية (٦٥٥/١٦).

(٢) المصدر السابق (٣٩٨/٤ ـ ٤٠٠).

QaradawiBooks.com

قال: فهذه هي غايتي، غايتي أن أموت أشرف الميتات[١]، لا أموت على فراشي، أحسن ما أموت عليه: أن أموت في سبيل الله، أن تصيبني ضربة بسيف، أو رمية بسهم، أو طعنة برمح، فأقتل في سبيل الله ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

كان يلاقي جيوش الفرنجة أو الصليبيين وهم بعشرات الآلوف، ولكنَّه لم يكن يبالي بهذه الكثرة، مؤمنًا بقول الله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

سماحته:

كان رجلًا كريم الخلق؛ في معركته الفاصلة مع الصليبيين، معركة حطِّين، هذه المعركة كان الصليبيون أكثر من ستين ألفًا، وكان جيش صلاح الدين اثني عشر ألفًا من الجنود المجندين، غير بعض آلاف من المتطوعة، كان جيش صلاح الدين لا يساوي ربع جيش الصليبيين، ولكنَّه توكَّل على الله تعالى.

وحينما أراد أن يلقاهم عند هذه البلدة الصغيرة أو القرية الصغيرة الَّتي نعرف اسمها: حطِّين، اجتمع الصليبيون وتصالحوا فيما بينهم، زال الخلاف بينهم، كان بعضهم مختلفين مع بعض، ولكن عندما يجدون العدو القوي ينسون الخلافات، وهذا هو شأن العقلاء من النَّاس، نسوا الخلافات وتجمَّعوا بقضِّهم وقضيضهم، أو كما قال ابن كثير في «البداية والنهاية»: بحدِّهم وحديدهم، وفي مقدِّمتهم الصليب الكبير، صليب الصَّلبوت، كما يسمونه، يحمله منهم عبَّاد الطاغوت، وضلال النَّاسوت[٢].

(١) انظر: الروضتين في أخبار الدولتين (٣٩٥/٤).

(٢) انظر: البداية والنهاية (٥٨٠/١٦)، والروضتين في أخبار الدولتين (٢٧٨/٣).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

اجتمعوا كلُّهم؛ أمير طرابلس، وأمراء البلدان الأخرى، وكان أشدُّهم على المسلمين أمير الكرك ـ حتَّى إنَّ أمير طرابلس هذا قال له: إنَّ المسلمين أشدَّاء. فقال له: لا أشك أنَّك تحبُّ المسلمين، وتخوِّفنا من كثرتهم، وسترى عند النزال من تكون له العاقبة ـ هذا رجل فاجر.

شدة في موضعها:

وحينما كانت المعركة فرَّ أمير طرابلس، ووقع أمير الكرك أسيرًا في يد صلاح الدين[1]، وكان صلاح الدين رجلًا سمحًا، كريم الخُلق، كان يعامل النَّاس معاملة حسنة، فأجلس هؤلاء الملوك والأمراء بعضهم عن يمينه وبعضهم عن يساره، كبيرهم أقعده عن يمينه، وأعطاه كأسًا من اللبن فشرب منه، فأعطى الملك الكأس لأرناط أمير الكرك، فغضب صلاح الدين، وقال له: إنَّما أعطيتك لتشرب، ولم آذن أن تعطيه هذا.

ثمَّ دخل خيمة أخرى، ودعا بهذا الرجل كان يسمَّى: أرناط، وعرض عليه الإسلام ليعفيه من القتل فأبى.

فقال له: إذن ليس لك عندي إلَّا القتل انتصارًا لرسول الله ﷺ؛ فقد كان كثير السبِّ لرسول الله ﷺ، وقتله، وأرسل برأسه إلى الملوك في الخيمة الكبرى، ليروا عاقبة هذا الإنسان الفاجر، الَّذي لا خُلق له ولا دين له[2].

(١) البداية والنهاية (٥٨٢/١٦)، والروضتين في أخبار الدولتين (٢٨٣/٣، ٢٨٤).

(٢) انظر: النوادر السلطانية (١٢٩/١)، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م، والروضتين في أخبار الدولتين (٢٩٦/٣).

QaradawiBooks.com

حطّين يوم من أيام الله:

كانت معركة حطّين من معارك التاريخ الحاسمة، انتصر فيها المسلمون انتصارًا هائلًا، في ذلك اليوم كان صلاح الدين بين قادته وجنوده، يرغِّبهم في الجهاد في سبيل الله، ويكبِّر فيكبِّرون وراءه.

يطلب العلم بين الصفين!

وفي أثناء المعركة أمر أحد العلماء أن يقرأ عليه بعض أحاديث «صحيح البخاري»، وقال: أنا أوَّل من قرأ الحديث بين الصفين. أراد أن يطلب العلم وهو بين الصفين، وأن يقرأ أحاديث رسول الله ﷺ في هذا المقام، وبعد الانتصار خطب خطبة عظيمة، قال فيها: أيُّها النَّاس، هذا يوم من أيام الله لا ينبغي فيه البغي ولا الفخر، اسجدوا لله شاكرين، وأمرهم أن يلتزموا التقوى، وأن يتحرّوا أمر الله تعالى فيمتثلوه، ونهي الله تعالى فيجتنبوه[1].

وكان هذا يومًا من أيام الله حقًّا، حتَّى إنَّ بعضهم رأى بعض الفلاحين يأسر نيفًا وثلاثين أسيرًا، وربطهم في حبل خيمة، بعض الفلاحين المصريين الَّذين كانوا في الجيش لم يجد شيئًا ليربط به الأسرى، فربطهم في حبل خيمة، كذا وثلاثين أسيرًا، وسيَّرهم كالأغنام حوله، وفدى بعضهم بنعله، لم يكن معه نعل يلبسه، فأخذ منه نعله فداء وتركه، يعني كأنَّ الواحد لا يساوي نعلًا.

هكذا كان هذا اليوم يومًا من أيام الله.

(١) راجع هذا كلَّه في أحداث سنة ٥٨٣هـ في البداية والنهاية (٥٨١/١٦) وما بعدها.

QaradawiBooks.com

معركة فتح بيت المقدس:

بعد ذلك ظــلَّ صلاح الدين يفتــح البلاد بعد البــلاد، يفتح المدن المختلفة، بيروت وصيدا، وعكَّا، وعسقلان، وغزَّة، ونابلس...

كلُّ هذه البلاد صــار يفتحها بلــدًا بلدًا، ومن كان فيها من أســرى المسلمين أطلقهم وأكرمهم... وهكذا، إلى أن تهيَّأ صلاح الدين للمعركة الثانية بعد معركة حطين.

هذه المعركة هــي: معركة فتح بيت المقدس، فتــح القدس، وإنقاذ المسجد الأقصى، لقد عاث الصليبيون فيها فسادًا خلال هذه السنين.

حينما فتح صلاح الدين عكا، أقــام فيها صلاة الجمعة، وقد حرمت فيها صلاة الجمعة أكثر من تسعين عامًا، لم تصل فيها جمعة، وهنا أراد أن يفتح بيت المقدس، وعلم المســلمون في مشارق الأرض ومغاربها بنية هذا السلطان العادل، أنَّه يريد أن يفتح بيت المقدس، وأن يحرِّره من أيــدي الصليبيين، فجاءه العلمــاء والصلحاء والزهــاد والأتقياء من كلِّ مكان، يريدون أن ينالوا شرف المشاركة في هذا الجهاد العظيم، القدس، معركة القدس، وبخاصة أنَّها معركة يهواها كلُّ مسلم، كلُّ مسلم يودُّ أن يكون ممَّن يحرِّر القدس؛ يوم يفتح الباب للجهاد.

حينما علم النَّــاس بنية صلاح الدين أنَّه بعــد حطين لا بدَّ أن يفتح القدس، جاءه النَّاس من كلِّ مكان، كبار النَّاس من العلماء والصلحاء من بلاد الإسلام، جاؤوا لينضموا إلى جيشه.

وفعلًا حاصــر القدس، وكان فيها أكثر من ســتين ألفًا من المقاتلين الأشــداء المدربين، وقد حصَّنوها تحصينًا بليغًا، ولكنَّ الله تعالى قوَّى

QaradawiBooks.com

قلب صلاح الدين، وحاصر هذه المدينة، واستطاع أن ينقض جزءًا من سورها، وأن يهدِّد من كان في داخلها.

وجاءه قادة هؤلاء الصليبيين يستعطفونه، ويطلبون منه الصفح والعفو، هؤلاء الَّذين دخلوا هذه المدينة، فقتلوا سبعين ألفًا من أهلها، أو أكثر من ذلك، وسالت الدماء أنهارًا، وغاص النَّاس في الدماء إلى الركب، حين دخل الصليبيون القدس الشريف، منذ اثنين وتسعين عامًا هجرية.

ولكن هؤلاء اليوم جاؤوا يطلبون العفو والصفح، ورفض صلاح الدين في أوَّل الأمر، ثمَّ نظر في العاقبة، ووجد أن في هذا العفو خيرًا، وعفا عن هؤلاء، على أن يتركوا المدينة، ويذهبوا إلى مكان آخر؛ في صور، في لبنان، وكلُّ واحد منهم يدفع (٢٥ دينارًا) للرجل، وخمسة دنانير للمرأة، ودينارين لكلِّ صغير وصغيرة، فدية بسيطة معظمها أخذوها من مال المسلمين حينما احتلُّوا هذه الديار.

ونصر الله عبده، وأعزَّ جنده، وهزم الأحزاب الكافرة المغيرة وحده، ودخل المسلمون بيت المقدس بعد اثنتين وتسعين سنة، ظلَّ في أيدي الصليبيين.

دخلوه في السابع والعشرين من رجب سنة ٥٨٣ هجرية، دخلوا وكان يوم جمعة، ولكنهم لم يصلُّوا الجمعة في ذلك اليوم؛ لأنَّهم كانوا مشغولين، ولم يسعفهم الوقت ليعدوا المسجد؛ فالمسجد مليء بالصلبان والقذارة والخنازير، ولذلك لم يصلوا إلَّا في الجمعة التالية.

QaradawiBooks.com

أخذ المسلمون المسجد الأقصى، وأصبح في أيديهم، وفي الجمعة التالية كانت خطبة عظيمة، خطبة التحرير، خطبة الصَّلاة بعد الحرمان هذه المدة الطويلة[١].

المعركة لم تنته بحطين وبفتح بيت المقدس:

وهكذا أيُّها الإخوة، لا بدَّ للحقِّ أن ينتصر، ولا بدَّ للباطل أن ينكسر ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

ولكن أحبُّ أن أقول لكم: إنَّ المعركة لم تنته بحطين، ولم تنته بفتح بيت المقدس، فسرعان ما انتفض الصليبيون على صلاح الدين، وعادوا إلى عكا بعد أن حرِّرت منهم، جاؤوا من البر والبحر ألوفًا، جاء ملك ألمانيا، وكان معه مائة وخمسون ألفًا، معظمهم ماتوا في الطريق، ولم يصل إلَّا بخمسة آلاف، ثمَّ جاء ملك الإنجليز ريتشارد قلب الأسد، جاؤوا ولم يستسلموا، وظلَّ القتال بقية عمر صلاح الدين ومع أولاده، ثمَّ بعد ذلك مع المماليك، أيام الظاهر بيبرس البندقداري، المملوك الَّذي حكم مصر والشام، بل ظلَّ ذلك بعده ـ أيضًا ـ أيام القلاوونيين.

نصر الله للمؤمنين وبالمؤمنين:

ولم يكن الجهاد ضد الصليبيين في الشام وحدها؛ فقد وقعت معارك في مصر معهم، منها: معركة «المنصورة» الشهيرة الَّتي أُسر فيها الملك لويس التاسع، الَّذي كان يسمَّى: القديس لويس، ووضع في «دار ابن لقمان».

(١) وكان الخطيب هو: القاضي محيي الدين بن الزكي، كما ذكر ابن كثير في البداية والنهاية (٣٢٥/١٦).

QaradawiBooks.com

هؤلاء الصليبيون المتعصِّبون جاؤوا في حملات متتالية، ثمان حملات، أو تسع حملات، بعضها وراء بعض، يحاولون أن يحتلُّوا هذه البلاد، وقد احتلُّوها وأقاموا فيها ممالك وإمارات بالفعل، ولكنَّ الله هيَّأ لهم الرِّجال الَّذين استطاعوا أن ينتزعوها من أيديهم.

وهذا هو وعد الله حينما قال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الرُّوم: ٤٧]، النصر للمؤمنين، والنصر بالمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

إنَّما يتمُّ النصر بالمؤمنين المؤتلفة قلوبهم، أمَّا المؤمنون المختلفون، الَّذين يشرِّق أحدهم ويغرِّب الآخر، ويقاوم أحدهم ويستسلم الآخر؛ فهؤلاء لا ينتصرون، إنَّما النصر للمؤمنين المترابطين المؤتلفين، ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾.

نسأل الله تعالى أن يفتح لنا فتحًا مبينًا، وأن يهدينا صراطًا مستقيمًا، وأن ينصرنا نصرًا عزيزًا.

اللهمَّ آمين، ادعوا الله تعالى يستجب لكم.

* * *

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية

الخطبة الثانية

غير مرخصة للطباعة

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

تدخلات أضاعت الثمرَة والآمال:

في تاريخ الجهاد الفلسطيني محطَّات كثيرة؛ كان يمكن للإخوة الفلسطينيين أن ينتصروا فيها، وأن يجهضوا المشروع الصهيوني، ولكن ـ للأسف ـ حدثت تدخلات مختلفة أضاعت الثمرَة والآمال.

المحطَّة الأولى: إضراب ١٩٣٦م:

في سنة ١٩٣٦ أعلن الفلسطينيون إضرابًا عامًّا، أشبه بحركة عصيان مدني، شمل كلَّ المدن والقرى، أغلقت المحلات والمتاجر، وكلّ شيء، وظلَّ هذا شهورًا عدة، واحتار الإنجليز الَّذين كانوا يحكمون فلسطين في ذلك الوقت منتدبين من عصبة الأمم، ليحقِّقوا وعدهم الَّذي وعد به وزير خارجيتهم المعروف بلفور، الَّذي وعد اليهود بإقامَة وطن قومي لهم في فلسطين.

احتار الإنجليز ماذا يفعلون أمام هذا الإجماع، الَّذي قلَّ أن يوجد له نظير، فاستعانوا على إخماد هذه الوقفة التاريخية بالقادة العرب، وكان الإنجليز يحكمون كثيرًا من البلاد العربيَّة، استعانوا بالزعماء العرب ليتوسطوا لدى الإخوة الفلسطينيِّين، ليفكوا هذا الإضراب، واستطاع الزعماء العرب أن يؤثِّروا على الفلسطينيِّين، وأن ينزلوا عند رغبتهم ورأيهم، وأن يفكوا هذا الإضراب.

وهذا كان في صالح الحركة الصهيونيَّة من غير شك، تنفَّست

نسخة مكتبية

QaradawiBooks.com

الصعداء، واستطاع الإنجليز أن يمدوا لها في حبالها، ويهيئوا لها السلاح والعتاد، حتَّى أصبح لها شأن بعد ذلك.

والتي عرفت بعد ذلك بالعصابات الإرهابية المعروفة.

هذه محطة.

المحطة الثانية: دخول الجيوش العربيَّة:

ومحطة أخرى كاد المشروع الصهيوني فيها أن يجهض، عندما دخلت الجيوش العربيَّة السبعة في سنة ١٩٤٨م، حينما جلا الإنجليز، وانتهت مدة انتدابهم، وهي ثلاثون عامًا، دخلت الجيوش العربيَّة معركة أخرى، وعلى رغم ما كان في هذه الجيوش من خلل ومن عيوب، وبعضها كان يقودها إنجليز، من أمثال جلوب باشا وغيره، ولكن كان في هذه الجيوش وطنيون ومسلمون، ورجال متحمِّسون، واستطاعوا أن يُنزلوا ضربات موجعة بالحركة الصهيونيَّة، وبجماعاتها المسلَّحة.

وهنا بعد أن كاد المشروع الصهيوني أن يجهض، استعانوا ـ أيضًا ـ بالقادة العرب، وكانت الهدنة التاريخية المعروفة باسم: هدنة رودس، فرض على الجيوش وعلى المتطوعين أن يلقوا السِّلاح، بل أخذ المتطوعون من ميدان القتال إلى ميدان الاعتقال، ذهبوا وراء الأسلاك، ووراء القضبان، معتقلين في جبل الطور، نفَّذ ذلك النقراشي باشا في مصر، وعدد من رؤساء الحكومات العرب في ذلك الوقت.

المحطَّة الثالثة: انتفاضة الحجارة:

ومن قريب؛ منذ سنوات قامت انتفاضة مباركة هائلة زلزلت الكيان الصهيوني، انتفاضة أطفال الحجارة، أو ثورة المساجد، الَّتي انطلقت من

QaradawiBooks.com

غزَّة انطلاقًا تلقائيًّا، لم يكن فيها تخطيط لأحد، ولكن حدث حادث حرَّك النَّاس كما في الانتفاضة الأخيرة، واستمرَّت سنوات وسنوات، وكان لها صداها، وانتقلت من الحجارة إلى الرصاص، وإلى العمليات الاستشهاديَّة داخل القدس الغربيَّة، وداخل تل أبيب، وزلزلت الأرض تحت أقدام إسرائيل.

ولكن سرعان ما عقدت المؤتمرات لحماية إسرائيل ومحاربة الإرهاب!

والإرهاب عندهم هو: أن تدافع عن أرضك، وعن عِرضك، وعن أهلك، وعن حرماتك.

هذا إرهاب يجب أن تُعقد له المؤتمرات.

وأوقفت الانتفاضة، وأوقفت هذه الحركات.

المحطَّة الرابعة: انتفاضة الأقصى:

وحينما حدث ما حدث من تدنيس المسجد الأقصى، انطلقت الانتفاضة الجديدة، انتفاضة تلقائية، لم يخطِّط لها أحد، ولم يحرِّكها أحد، تحرُّك تلقائي من أبناء فلسطين، غيرة على المسجد الأقصى، وضيقًا بهذه المحادثات والمفاوضات الَّتي طال طريقها، ولم يجنِ النَّاس من ورائها ثمرَة، ولم يحصلوا على شيء إلَّا على السراب الَّذي ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النُّور: ٣٩].

انطلقت هذه الانتفاضة الَّتي قدَّمت المئات من الشهداء، والآلاف من الجرحى، الجرحى الَّذين معظمهم معوَّقون؛ يعيشون بعاهات في أجسامهم طوال حياتهم.

QaradawiBooks.com

الآن يُراد مرَّة أخرى إطفاء هذه الانتفاضة، إطفاء هذه الشُّعلة، والعودة من جديد إلى دائرة المفاوضات.

تلك المفاوضات الَّتي هي «محلك سِرْ» حلْقة مفرغة، لا يدرى أين طرفاها، عدنا إلى ما كنَّا فيه، أوسلو، وواي ريفر، وكامب ديفيد الثانية، وشرم الشيخ، و... و... عدنا إلى ما كنَّا.

أخشى ما أخشاه:

يا أيُّها الإخوة، إنَّ أخشى ما أخشاه إذا أوقفت هذه الانتفاضة، واحتاج ياسر عرفات وإخوانه إلى انتفاضة جديدة ألَّا يجدوها؛ فقد يئس النَّاس من هذه الانتفاضات الَّتي لا توصل إلى شيء، إلَّا ضحايا من غير ثمن، ضحايا لا مقابل لها.

إلى متى نظلُّ هكذا أيُّها الإخوة؟

إلى متى نظلُّ نسير ونسير، كالثور في الساقية، والمكان الَّذي انتهينا إليه، هو الَّذي ابتدأنا منه؟ ألا نحدِّد هدفنا؟ ألا نعرف عدونا؟

أمَّا آن لنا أن نعرف هذا العدو الَّذي جرَّبناه طوال تلك السنين، فلم نعرف عنه: إلَّا نكث العهود، وإخلاف الوعود، وتعدِّي الحدود، وانتهاك الحرمات، والاستهانة بالمقدَّسات!

أسأل الله تعالى أن يجمع كلمة أمَّتنا على الهُدى، اللهمَّ اجمع كلمة أمَّتنا على الهُدى، وقلوبها على التُّقى، ونفوسها على المحبَّة، ونياتها على الجهاد في سبيلك، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٤

مذبحة جنين البطلة[١]!

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

بأيِّ لغة أتكلَّم؟! لا أدري بأي لسان أنطق، وبأي لغة أتكلَّم! أأتكلَّم بلغة الرثاء والبكاء؟ وعندي والله مخزون من الدموع، أريد أن أُفيضه، أريد أن أبكي، وأن تبكوا معي على حال هذه الأمَّة، لا نريد أن نبكي على الأرواح الَّتي أُزهقت، ولا على المساجد الَّتي دمِّرت، ولا على المنازل الَّتي خرِّبت، ولا على الدماء الَّتي سُفكت، ولا على الشهداء الَّذين سقطوا صرعى في سبيل الله.

لا نريد أن نبكي على ضحايانا وعلى خسائرنا في فلسطين ونحن نشاهدها كلَّ يوم، وكلَّ ساعة.

لم يعد لنا عذر كما كان لأسلافنا من قبل حينما تحدث هذه الحوادث، ما كانوا يشاهدونها، كانوا يعرفونها بعد أشهر، أو أكثر من أشهر، ولكنَّا نشاهدها اليوم أولًا بأول، فما لنا لا تذرف العيون عَبرات؟ وما لنا لا تذهب النفوس حسرات؟ وما لنا لا تئن الصدور زفرات؟

(١) أُلقيت بمسجد عمر بن الخطَّاب بالدوحة بتاريخ ٢٩ محرم ١٤٢٣هـ الموافق ١٢ أبريل ٢٠٠٢م.

نسخة ثانية
QaradawiBooks.com

أنبكي؟! علامَ نبكي؟ أنبكي على إخواننا وأخواتنا وأبنائنا وبناتنا في فلسطين الصامدة المجاهدة؟ أم نبكي على أنفسنا؟

نبكي على حالنا ونحن نشـاهد هذه الأحداث، ولا نملك أن نفعل شيئًا، لا نسـتطيع أن نذهب إليهم لنقف بجوارهم، ونؤدِّي لهم واجب الإسـلام في النُّصرة؛ فـ«**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا**»[(١)]، و«**ترى المسلمين في توادِّهم وتراحمهم كمثَل الجسد الواحد**»[(٢)].

نبكي على أنفسنا ونحن عاجزون هذا العجز؟

أم نبكي على هذه الأمَّة؛ على الثلاثمائة مليون من العرب، ووراءهم أكثر من ألف مليون من المسلمين؟

وهم ـ كما وصفهم الحديث الشـريف ـ كثرة «**كغثاء السيل**»[(٣)]، أو كما قال الشاعر:

يملـؤون الأرض مـن كثرتهـم ثـمَّ لا يغنون فـي أمـر جلل[(٤)]

وكما قيل:

إنِّي لأفتـح عيني حيـن أفتحها على كثيرٍ ولكـن لا أرى أحدًا[(٥)]

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٨١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى الأشعري.

(٢) متَّفق عليـه: رواه البخاري فـي الأدب (٦٠١١)، ومسـلم في البر والصلـة (٢٥٨٦)، عن النعمان بن بشير.

(٣) رواه أحمد (٢٢٣٩٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الملاحم (٤٢٩٧)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩٥٨)، عن ثوبان.

(٤) البيت لمحمد فريد أبو حديد ترجمه عن هرقلية جورج البيسيدي، انظر: تعريبه لفتح العرب لمصر لألفرد ج. بتلر صـ١٥٩، هامش٣، نشر مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٦م.

(٥) من شـعر دعبل بن علي الخزاعي. العقد الفريد (١٥٢/٢)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

QaradawiBooks.com

أنبكي على حال الأمَّة؟

أم نبكي على حال حكَّامنا الَّذين اتخذوا الكرسي ربًّا، فاتخذهم الكرسي عبيدًا، الَّذين أرضوا أمريكا وأسخطوا ربَّهم، وأسخطوا شعوبهم؟

أنبكي على حكَّام تخاذلوا، وزعماء استخذوا، واجتمعوا في قمَّة بعد قمَّة، ولكنهم لم يقدموا لهذه المأساة شيئًا يذكر؟

أأتكلَّم ـ أيُّها الإخوة ـ بلغة البكاء والرثاء كما تكلَّم أبو البقاء الرندي، الَّذي رثى الأندلس حينما سقطت آخر مدنها غرناطة في قصيدته الشهيرة، الَّتي قال في ختامها:

لِمِثْلِ هذا يَذُوبُ القَلْبُ مِنْ كَمَدٍ
إِنْ كَانَ فِي الْقَلْبِ إِسْلَامٌ وَإِيمَانُ[1]

نعم: إن كان في القلب إسلام وإيمان.

أأتكلَّم بلغة البكاء والرثاء! أم بلغة الشكوى؟

وكثيرًا ما يضطر الإنسان إلى الشكوى، كما قال الشاعر:

شَكَوْتُ وما الشَّكْوَى لمِثْلِيَ عادة ولكنْ تفيضُ الكأسُ عند امْتِلَائِهَا[2]

---

(١) وهي القصيدة التي يقول في مطلعها:

لِكُلِّ شيءٍ إذا ما تمَّ نقصانُ فلا يُغَرَّ بطِيبِ العَيْشِ إِنْسَانُ!

انظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٤/٤٨٦ ـ ٤٨٨)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

(٢) من شعر أبي تمام، كما في نهاية الأرب للنويري (٦/٨٤)، نشر دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ، وانظر: شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي (٢/٣٨٠)، تقديم راجي الأسمر، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

أتكلَّم بلغة الشكوى! والله إنِّي لأشكو ثمَّ أشكو ثمَّ أشكو:

وَلِي كَبِـدٌ مَقْرُوحَةٌ مَـنْ يَبِيعُنِي بها كَبِدًا لَيْسَـتْ بـذَاتِ قُرُوحِ؟

أباها علـيَّ النَّاسُ لا يَشْـتَرُونها ومن يشـتري ذا علَّة بصَحِيحِ[1]؟

ولكن لمن نشكو؟ لمن نشكو؟

لهيئة الأمم! لمجلس الأمن! وقد أصبحت أدواتٍ في يد أمريكا؟!

مجلس الأمن الَّذي يحفـظ أمن العالم أصبح لعبة فـي يد أمريكا، الفيتو الأمريكـي يلاحقنا، حتَّى حينما طلب المجلـس مراقبين دوليين لأجل فلسطين، قال الفيتو الأمريكي: لا.

كلُّ شيء يمسُّ إسرائيل من قريب أو بعيد فأمريكا ضده بالمرصاد.

لمن نشكو؟!

كثير من زعمائنا يشكون إلى أمريكا نفسها، إذا حدث شيء سارعوا بالسـفر إلى أمريكا، أو للقاء السـفير الأمريكي، وأمريكا هي الخصم والحكَم، أمريكا هي الَّتي تقف ضدنا، أمريكا هي الَّتي تسـند إسرائيل بالمال والسِّلاح، والتأييد المادي والأدبي.

الرئيس الأمريكي اعتذر عن شـارون، وما يفعله شارون، وقال: إنَّه رئيس لبلد ديمقراطي انتخبه شعبه، وهو ينفِّذ ما يريده شعبه!

وهل إذا انتخب رجل من شعبه من حقِّه أن يعتدي على شعب آخر؟! وأن ينتهك حرماته ويدوس مقدَّساته؟!

(١) عزاها بلفظ مقارب ياقوت الحموي لابن الدمينة، كما في معجم البلدان (٣٤٦/٥)، نشر دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م. وهي في ديوان ابن الدمينة صنعة ثعلب صـ٢٧، تحقيق أحمد راتب النفاخ، نشر مكتبة دار العروبة، القاهرة.

QaradawiBooks.com

والشعب الفلسطيني اختار عرفات، لماذا كان لشارون الحقُّ أن يفعل ما يشاء؟

يا مستر بوش ليس من حقِّ شعب أن ينتهك حرمات شعب آخر.

هذا هو موقف أمريكا، كيف نشكو لأمريكا، وأمريكا هي الخصم والحكَم.

إنَّما نشكو إلى الله:

أم نشكو إلى من لا يُشكى إلَّا إليه؟!

نشكو إلى من شكا إليه يعقوب عليه السلام حينما قال: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [يُوسف: ٨٦].

اللهمَّ إنَّا نشكو إليك دماءً سُفكت، نشكو إليك أعراضًا هُتكت، نشكو اللهمَّ إليك حُرمات انتُهكت، نشكو إليك مساجد خُربت، ومدارس عُطِّلت، وبيوتًا دمِّرت، وأطفالًا تيتمت، ونساء تأيمت، وأمهات ثكلت، وبرآء سقطوا.

نشكو إليك اللهمَّ هذا كلَّه.

ونشكو إليك حكَّامًا خذلونا، ونشكو إليك جيوشًا تملك الكثير الكثير بالمليارات من الأسلحة، ولم تستعمل منها شيئًا، نشكو إلى الله، إلى الله شكوانا.

وقديمًا قال أسلافنا: الشكوى لغير الله مذلَّة.

بل نعتزُّ ونفتخر:

أنتكلَّم بلغة البكاء؟ أم بلغة الشكوى؟ أم بلغة الاعتزاز والفخر؟

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

من حقِّنا أن نعتزَّ ونفتخر بالشعب الفلسطيني، بأبناء هذا الشعب، هؤلاء الأبطال.

حيُّوا شعب فلسطين، حيُّوا هؤلاء الَّذين قال فيهم بنو إسرائيل من قبل: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ [المائدة: ٢٢].

حيُّوا الشعب البطل، الَّذي قدَّم الأنفس والنفائس، وضحَّى بكلِّ شيء من أجل كرامته، وكرامَة هذه الأمَّة.

حيُّوا أبطال جنين الَّذين وقفوا أمام الجيش؛ الجيش الشاروني الصهيوني بكلِّ ما يملك من عتاد وقوة، بما يملكون من أسلحة ضئيلة وقليلة، وكان شعارهم: «القتال حتَّى الموت».

وقال أخونا البطل أبو الهيجا ـ هناك في جنين ـ عن جيش صهيون المدجج بالسِّلاح: «إنَّه جيش من كرتون والله».

وصدق الله العظيم: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ [البقرة: ٩٦]، ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ﴾ [الحشر: ١٤]، وقراهم المحصنة: الدبابات يختبئون فيها، لا يواجهون هؤلاء الأبطال، وظلُّوا ثمانية أيام صابرين مصابرين مرابطين، حتَّى نفدت الذخيرة، أجل نفدت ذخيرتهم، حتَّى آخر رصاصة في جعبتهم، وما أكثر الذخائر والرصاص والأسلحة المكوَّمة في المخازن في بلادنا العربيَّة والإسلاميَّة.

ماذا نقول أيُّها الإخوة؟!

نحيي هؤلاء الأبطال، أبطال جنين ونابلس وطولكرم ورام الله ورفح والخليل، وكلّ هذه المدن وكلّ هذه المخيمات، الَّتي «صدرت» لنا أبطالًا أعادوا لنا أمجاد: خالد وطارق وصلاح الدين.

QaradawiBooks.com

حيُّوا هذا الشعب، حيوه برجاله ونسائه، بأبنائه وبناته، بآبائه وأمَّهاته.

حيُّوا «آيات الأخرس»[١] الَّتي أخرست كلَّ من يتحدَّث بسوء عن هذا الشعب، الَّتي أنطقت الحجارة بفعالها.

حيُّوا هذا الشعب، حيُّوا الأمَّهات اللاتي تستقبل الواحدة منهن شهيدها بالزغاريد.

حيوا الآباء الَّذين يرفضون أن يستقبلوا المعزِّين في أبنائهم، وإنَّما يستقبلون المهنئين.

حيوا الشعب الفلسطيني بكلِّ فئاته.

وشكرًا لهذا الشعب؛ لقد أثبت أنَّ هذه الأمَّة لا تزال حية ولا يمكن أن تموت، أنَّ هذه الأمَّة إلى خير.

أثبتوا أننا أحياء، أثبتوا لنا أنَّ الدم لا زال يجري في عروقنا.

اشكروا هذا الشعب، وحيُّوا هذا الشعب، وادعوا من أعماقكم لهذا الشعب.

نتكلَّم بلغة الاعتزاز للشعب الفلسطيني، ونعتز كذلك بالشارع العربي، بالشَّباب العربي والإسلامي، الَّذي تجاوب مع هذه الانتفاضة من جاكرتا إلى الرباط.

هذا الشَّباب الَّذي يغلي وينفجر كالبركان، ويهيج كالإعصار.

---

(١) الشهيدة «الأخرس» من مواليد (٢٠ فبراير ١٩٨٥م) كانت طالبة في الصف الثالث الثانوي، وهي الرابعة بين أخواتها السبع وإخوانها الثلاثة، عرفت بتفوُّقها الدراسي؛ وقامت بعملية استشهادية في ٢٩ مارس ٢٠٠٢م.

QaradawiBooks.com

هؤلاء الشَّباب الَّذين رأيناهم في مصر؛ في شوارع القاهرة والإسكندرية والزقازيق وطنطا والمنصورة وكفر الشيخ، من أسوان إلى الإسكندرية، ينادون: افتحوا لنا الحدود، افتحوا لنا الحدود.

حيُّوا شهيد الإسكندرية، الطالب الَّذي مات في سبيل هذه القضيَّة.

حيُّوا شهيد البحرين.

وحيُّوا الشَّباب الَّذي خرج في مسيرات يعبِّر عن سخطه، ويعبِّر عن نقمته، ويعبِّر عن طموحه.

في يوم المسيرة القطرية من عشرة أيام، وجدت شابًّا لا يشارك في المسيرة، وقلت له: لماذا لم تشارك معنا، فذرفت عينه الدموع، وقال: أرى إخواني وأخواتي يذبحون ويقتلون، ويكون كلُّ همِّي أن أصيح في الشوارع.

لم يرضه هذا، إنَّه يريد أن يجاهد، ولكن ما حيلة الأمَّة.

حيُّوا هؤلاء الَّذين خرجوا في هذه المسيرات.

صحيح المسيرات لا تستطيع أن تغيِّر شيئًا، ولكنَّها تعبير، نريد للنَّاس أن يتنفسوا، نريد أن نُشعر الحكَّام: أنَّ الأمَّة لها إرادة وتريد شيئًا، وأنَّ الأمَّة إذا أرادت لا يستطيع أحد أن يقف في سبيلها.

حيُّوا هذه المسيرات في قطر وفي عمان وفي الكويت وفي البحرين وفي الشارقة وفي دبي وفي غيرها من البلدان، بلدان الخليج وبلدان العالم.

حيُّوا المسيرة المليونية في الخرطوم، والمسيرة المليونية في الرباط.

نحيي كلَّ من وقف غاضبًا من أجل الحقِّ يريد أن يثبت وجوده.

حيُّوا هؤلاء جميعًا.

QaradawiBooks.com

كلُّ من قدَّم شيئًا لهذه القضيَّة نحييه، حيُّوا العراق الَّذي أوقف ضخ النفط ثلاثين يومًا قابلة للتجديد إذا لم تتغيَّر الأوضاع.

حيُّوا العراق الَّذي وقف فريدًا في هذه القضيَّة ولم ينضم إليه أي قطر آخر، وقال من قال: إنَّ قطع النفط يضرُّنا ولا ينفعنا.

لا والله لن ينفعنا، إذا ضاعت كرامتنا، إذا ديست حقوقنا، إذا أصبحنا كالأنعام نساق كما يريد الجزَّارون لنا، ليس هذا في مصلحتنا.

إذا لم نفعل كما فعل العراق، فلنفعل ما طلبناه في بيان المسيرة الشعبية في قطر، تخفيض إنتاج النفط، خفِّضوا إنتاج النفط خمسين بالمائة، ماذا يضر؟!

في وقت من الأوقات كان النفط يباع بعشر ريالات، وأعلنت الدول النفطية التقشف، وخفَّضت ميزانيتها أمام هذا، ليكن هذا، ألا تستحقُّ كرامَة الأمَّة وحقوق الأمَّة هذا الأمر؟

أين الملك فيصل رَحِمَهُ اللَّهُ ؟

حينما قال للأمريكان وللغربيين: إنَّنا مستعدُّون أن نعود إلى حياة الخيام ونكتفي بالتمر واللبن ولا نفرِّط في كرامتنا!

نريد هذا اللون من الرِّجال.

ألا يوجد هذا اللون من الرِّجال؟!

بماذا نتكلَّم أيُّها الإخوة، بلغة البكاء والرثاء؟ أم بلغة الشكوى؟ أم بلغة الاعتزاز والفخر والحماس؟ ونقول ما قاله الفرزدق من قبل:

أولئك آبائي فَجِئْني بمِثْلِهِمْ إذا جَمَعَتْنا يا جريرُ المَجَامِعُ[1]

(١) ديوان الفرزدق صـ٣٦٠، شرح علي فاعور، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

QaradawiBooks.com

وأنا أقول:

أولئـــك أبنائي فجئنـــي بمثلهم إذا جمعتنـــا يا جريـــر المجامع

هؤلاء أبناء الأمَّة، أبناء العروبة، أبناء الإسلام.

أم نستنهض ونستصرخ؟

أم نتكلَّم بلغة الاستنهاض والاستصراخ؟

نستصرخ القادرين من هذه الأمَّة، نستصرخهم أن يقفوا موقفًا رجوليًّا، يليق بشـــهامَة العرب؛ العرب عُرفوا بالنجدة والشهامَة، وإذا استجار بهم مُجير قالوا: نعم. إذا قالوا له: نعم نجيرك، بذلوا كلَّ شيء، يقول قائلهم:

ولا أقـــول: نعـــم يومًـــا وأتبعها بلا ولو ذهبت بالمـــال والولد[1]

إذا استجار بهم مجير أجاروه، ولو بذلوا في ذلك الأرواح والأموال، لكن عرب اليوم كما قال الشاعر:

المســـتجير بعمْـــرٍ عنـــد كربته كالمستجير من الرمضاء بالنَّار[2]

يا عرب! يا عرب اليوم! أين أمجاد العرب وبطولات العرب؟

العرب في ســـنة ثمانية وأربعين دخلوا بجيوشـــهم الســـبعة، كانت الجامعة العربيَّة سبعة دول، وكان عمرها ثلاث سنوات.

دخلت الجيوش العربيَّة الســـبعة لتحارب في فلســـطين، وحاربوا حوالي ســـنة، أتعجز الجامعـــة العربيَّة وقد أصبحت اليـــوم أكثر من

(١) هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر. انظر: عيون الأخبار (٤٦٣/١)، نشـــر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.

(٢) من شعر أبي نجدة لجيم بن سعد، انظر: الأغاني (٢٢٣/٢٤)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

عشرين دولة، وتملك ما تملك من أسـلحة؛ تعجز أن تقف ضد هذا التجبُّر الصهيوني؟!

إنَّه الجبن، إنَّه الفشل، إنَّه الخوف، إنَّهم زعموا أنَّ إسرائيل قوَّة لا تُقهر، أسطورة شـاعت، ولكن هذه الأسـطورة كذَّبها الواقع، كذَّبها صراعنا مع إسرائيل، انتصرنا عليها في العاشر من رمضان سنة ثلاثة وتسعين وثلاثمائة وألف من الهجرة، حينما أحسـنَّا التخطيط وأحسنَّا التدبير، واعتمدنا على الله، وكان شعارنا: الله أكبر، انتصر عليها حزب الله في لبنان، وخرجت من الجنوب اللبناني، انتصر عليها أبناء الانتفاضة هذه.

قال شارون: في مائة يوم ـ أقصاها مائة يوم ـ سأقضي على هذه الانتفاضة.

ومضت مائة، ثمَّ مائة، ثمَّ مائـة، ثمَّ مائة، والانتفاضة تزداد قوَّة على قوَّة، كذبت، خسئت يا شارون، يا شـارون الملعون، يا شارون السفاح، خسئت وكذبت، ستظلُّ الانتفاضة ما دام هذا الشعب باقيًا، وما دام هذا الدم يجري في عروقه، دم العروبة والإسـلام، دم الإيمان، ما دام يجري في عروقه ستظلُّ هذه الانتفاضة.

معهم أمريكا ومعنا القوَّة الَّتي لا تُقهر:

لماذا يخاف زعماء العرب هذا الخوف من مقاومة إسرائيل؟

يقولون: إنَّ وراءها أمريكا.

فليكن وراءها أمريكا، معها أمريكا ومعنا القوَّة الَّتي لا تُقهر؛ قوَّة الله تعالى، ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطَّارق: ١٥، ١٦]، ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤]، ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾ [الحشر: ٢].

QaradawiBooks.com

نحن أصحاب الحقِّ، والحــقُّ لا بدَّ منتصر، وصاحب الحقِّ لا يفكِّر هذا التفكير، إنَّه حينما يُعتدى عليك، أو على أهلك؛ على زوجتك، على ابنتك، لا تفكر فيما يملك عدوك، تفكــر أن تقاتل، وتتمنَّى لو خرجت شهيدًا، وفي الحديث: «**من قُتل دون دمه فهو شهيد، ومن قُتل دون أهله فهو شهيد، ومن قُتل دون ماله فهو شهيد**»[1].

نحن نقاتل دون ديننا، دون أهلينا، دون دمائنا، دون أموالنا، نقاتل دون كلِّ المقدَّســات الَّتي يقاتل من أجلها النَّاس، ونقاتل شرَّ قوَّة في الأرض، وأعتى قوَّة في الأرض، إنَّها قوَّة بني صهيون، نقاتل الاستعمار العنصري الإحلالي الاســتيطاني، الاســتعمار الَّذي يطرد أهل البلد، ويحلُّ محلَّهم.

كان هناك اســتعمار اســتيطاني في الجزائر ولكنَّه لم يكن إحلاليًّا، استوطن الجزائر مع أهلها، لم يطرد أهلها منها.

أمَّا هذا الاستعمار فهو إحلالي، يريد أن يستوطن وأن يطرد أهل البلاد.

وشــارون الآن يريد أن يفعل ما فعلــه «بيجن» قديمًــا، حينما أقام المذابح الرهيبة فأرعبت النَّاس وتركوا قراهم وديارهم.

أهل فلسطين تعلَّموا الدرس، لم يتركوا قراهم، ولن يتركوها أبدًا، لن يدعوا هذه البيوت والقرى، ولو تحوَّلت إلى مقابر.

أين أنتم يا عرب؟!

نستنهض الدول العربيَّة أن تقاتل كما قاتلت سنة ثمانية وأربعين.

---

(١) رواه أحمد (١٦٥٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي. وأبو داود في السُّنَّة (٤٧٧٢)، والترمذي في الديات (١٤٢١)، وقال: حسن صحيح. عن سعيد بن زيد.

QaradawiBooks.com

سنة ثمانية وأربعين لم تدع الفلسطينيين يدافعون عن أنفسهم، وكان هذا هو الأَولى.

الآن بعد أن أصبحت إسرائيل خمسة ملايين، وأصبحت تملك ترسانة هائلة من أسلحة الدمار، والأسلحة النَّوويَّة، والأسلحة التقليدية، والأسلحة المتطورة، الآن تركوا الشعب الفلسطيني المسكين يأكلَها وحده! يقاوم هذه القوَّة وحده.

أين أنتم يا عرب؟! أين الجامعة العربيَّة؟! أين رابطة العروبة؟! أين الدفاع العربي المشترك؟!

لا أثر لهذا حتَّى اليوم، إذا لم تستطيعوا أن تقاتلوا بأنفسكم فاسمحوا للمقاتلين أن يذهبوا، اسمحوا لهم.

والله لقد سمعت إحدى الفتيات في لقاء في مصر تقول: افتحوا لنا الحدود وسترون ماذا نصنع، فتاة تقول هذا، سترون ماذا سنصنع.

وفي الشَّباب خير:

والله إنَّ الشَّباب يغلي؛ وقد جاءني أحد الشَّباب من قطر يقول: أريد أن أجاهد.

أنت قلت: إنَّ الجهاد أصبح فرض عين، وأريد أن أُسقط الفرض عني.

قلت: هو فرض عين لمن يقدر عليه، لمن يستطيعه، وستمنعك دول الطوق.

قال: سأحاول، وأنا أريد أن أذهب، وأن أعلن هذا؛ من يريد الذهاب إلى الجهاد فليأت معي بشروط كذا وكذا وكذا.

QaradawiBooks.com

قلت: لن تمنعك دول الطوق فقط؛ بل ستمنعك دول الطريق إلى الطوق وأنت ذاهب بسيارتك ورافع علم الجهاد، هل تسمح لك هذه الدول أن تمرَّ في أرضها؟

وهو ما وقع بالفعل، والله، الشَّباب في كلِّ مكان يقول: افتحوا الحدود، غضُّوا الطرف عمَّن يتسلَّل من الحدود.

ليس من الضروري أن تكون هناك جيوش وكتائب كبيرة، اسمحوا، لا تشدِّدوا ليدخل هؤلاء الشَّباب الراغبون في الجهاد والاستشهاد.

ولكن دول الطوق لا تسمح.

لا تسمح بأن ينفذ هؤلاء ليصلوا لمساعدة إخوتنا في فلسطين!

إلى متى تظلُّ هذه الأمَّة هكذا؟

اسمحوا للشباب أن يذهب إلى هؤلاء، ابعثوا بالأسلحة إلى الانتفاضة، سلِّحوا الانتفاضة، سرِّبوا الأسلحة إلى الانتفاضة إلى المقاومة، إلى فصائل المقاومة، هؤلاء الشَّباب، كتائب عزِّ الدين القسَّام، سرايا القدس، كتائب شهداء الأقصى، فصائل المقاومة المختلفة، نحييهم ولكنَّهم في حاجة إلى أسلحة.

سيسجِّل التاريخ العار على هذه الأمَّة، حينما نفدت ذخائر أبناء جنين واضطروا للاستسلام وجرفتهم الجرَّافات، ودفنوا تحت الأنقاض، وأُخفيت المعالم، إسرائيل تفعل هذه الجرائم ثمَّ تخفي المعالم، ولكنَّ التاريخ لن يرحم، والله تعالى بالمرصاد.

QaradawiBooks.com

ماذا نستطيع أن نقدِّم؟

نستطيع ـ أيُّها الإخوة ـ أن نفعل أشـياء كثيرة، إذا لم نستطع الجهاد العسـكري الَّذي أصبح فرض عين على كلِّ من يقدر عليه، فليكن هناك أنواع أخرى من الجهاد نستطيع أن نقوم بها.

الجهاد السياسي:

تستطيع الأمَّة أن تقوم بالكثير؛ من ذلك الجهاد السياسي، وأدنى هذا الجهاد أن نقطـع كلَّ علاقة بهذا الكيان الصهيوني، سـواء كانت علاقة اقتصاديَّة، سياسية، تجارية، ثقافيَّة، سياحية، سـمُّوها ما تسمُّونها، هذه العلاقات إثمٌ وعار، إثمٌ وعار.

إثمٌ من الناحية الدِّينيَّة، وعارٌ من الناحية القومية، لا يجوز أن يبقى في بلد عربي ولا بلد مسلم صلة بإسرائيل، أي صلة ولا علاقات دبلوماسية.

لا نريد أن تظـلَّ بيننا وبينهم أي قناة، لا بدَّ مـن قطع العلاقات، لا بدَّ من طرد السـفراء، لا بدَّ من إغلاق السفارات، لا بدَّ من سحب سفرائنا هناك.

هذا هو أوَّل الواجبات وأضعف الإيمان، ألا يكون بيننا وبين هؤلاء صلة، بأي وجه نلقى الله، بأي وجه يتحدَّث عنَّا التاريخ، وإخواننا يلقون ما يلقون، ويعانون ما يعانون، ونحن نفتح الأبواب لمن يمثِّلون الصهاينة الغادرين السفَّاحين الجزَّارين؟

هذا هو الجهاد السياسي.

QaradawiBooks.com

الجهاد الاقتصادي (المقاطعة):

وهناك جهاد اقتصـــادي، وهو أن نفعِّل الفتوى الَّتـــي أصدرتُها وأصدرها معي عدد من علماء الأمَّة بتحريم التعامل مع البضائع الإسرائيلية والأمريكيَّة.

المقاطعة: مقاطعة البضائع الإسرائيلية والأمريكيَّة.

هذا واجب الأمَّة، كلُّما يشـــير إلى أمريكا، مجرد الإشـــارة حتَّى لو كانـــت وطنية، «كـــولا» كلمـــة «كـــولا» يعنـــي: أمريـــكا، «همبرجر»، «ماكدونالدز»، «بيتزا» هذه الأشياء أمريكا، ارحمونا منها.

كلَّما رأيت هذه العناوين ثارت نفسي، وثار البركان في صدري، نريد أن تقاطع الأمَّة هذه البضائع، من زجاجة «البيبســـي» إلى الســـيارة إلى الطائرة البوينغ.

نطالب الحكومات، ونطالب الشعوب: أن تقاطع هذه البضائع، وأن تنظِّم اللجان الشعبية لتفعيل هذه المقاطعة، وترتيب الأولويات فيها، كلُّ ما له بديل يجب أن يُقاطـــع، ما الَّذي يجعلني أركب ســـيارة أمريكيَّة، وأستطيع أن أشتري سيارة يابانية، أو سيارة ألمانية؟

لن أخسر شيئًا.

هذه المقاطعة واجبة على الجميع، الكبير والصغير.

وفي أوَّل الانتفاضة رأينا العجب والله؛ رأينا الصغار الأبطال يقولون لآبائهم وأمهاتهم: لا يا أبي لا يا أمي، هذه بضاعة أمريكيَّة... حرام.

رأينا الإخوة في الهند في كيـــرالا يجتمعون في يوم جمعة مثل هذا، وكلّ واحد في يده زجاجة كوكاكولا ويكسرها، إشارة إلى المقاطعة.

QaradawiBooks.com

ما الَّذي جعل الأمَّة تسترخي؟

نريد من الأمَّة؛ من رجالها ونسائها؛ من الأمهات في البيوت ألَّا يشترين البضائع الأمريكيَّة، وربَّما تكون هناك بضائع إسرائيلية، تتسلَّل تحت أسماء وعناوين أخرى، من عرف ذلك فعليه أن يقاطعها، وأن ينبِّه غيره عليها.

شراء البضائع الأمريكيَّة أو الإسرائيلية كبيرة!

شراء البضائع الأمريكيَّة أو الإسرائيلية حرام أي حرام.

حرام؛ بل كبيرة من الكبائر: أن تشتري في هذا الوقت البضائع الإسرائيلية والأمريكيَّة.

هذا جهاد، نوع من الجهاد، لا بدَّ أن نفعِّله ونتواصى به.

الجهاد بالمال:

وهناك جهاد آخر، الجهاد بالمال، الله تعالى يقول: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [التَّوبة: ٤١]، القرآن دائمًا[1] يقدِّم الجهاد بالمال على الجهاد بالنَّفس؛ لأنَّه لا يمكن أنْ يستمرَّ جهاد إلَّا بالمال.

إخواننا يجودون بأنفسهم، يضعون رؤوسهم على أكفِّهم ويقدِّمونها رخيصة في سبيل الله؛ أفنبخل نحن بأموالنا، علينا أن نبذل هذه الأموال:

(١) لم تسبق النفس المال في القرآن إلَّا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾ [التوبة: ١١١].

QaradawiBooks.com

الأموال من الزكـــوات المفروضة؛ لأنَّها في ســـبيل الله، وهم فقراء، وأبناء سبيل، ويستحقُّون الزكاة من أكثر من وجه.

وأموال الصدقات التطوعية، مَن يريد أن يقدِّم شيئًا يضعه في رصيده عند الله، وأموال الصدقات الجارية.

الأوقاف، يمكـــن أن نعطيهم من ثمار الأوقـــاف، يمكن أن نعطيهم أموال الوصايا، وصايا الأموات، وصايا أبيك وجدك.

وحتى الأموال المشبوهة، من اجتمع له مال من فوائد في البنك، أو نحو ذلك فهذا مصرفها، هي حرام عليك حلال لإخوتك في فلسطين.

علينا أن نبذل من أموالنا، وشـــكر الله للإخوة الَّذين نظَّموا ذلك في أكثر من بلد.

وأول أمس نظَّمت قطر جمع هذه التبرعات، وتبرع الأمير وولي العهد من أموالهم الخاصَّة بعدة ملايين، ولازالت الأمَّة تنتظر المزيد، وعلينا أن نقدِّم لهؤلاء المواد الإغاثية، والمواد الطبية، بكلِّ وسيلة ممكنة.

الجهاد الثقافي:

هناك الجهاد المالي، وهناك الجهاد الثقافي، وأعني بالجهاد الثقافي: أن تتغير الحياة الثقافيَّة للأمَّة، هذا الَّذي نراه في وسائل الإعلام، الأغاني والرقص، وهذه الأشـــياء، كيف نغنـــي ونرقص وإخوتنـــا يقدِّمون هذه التضحيات يومًا بعد يوم؟

هذه المآســـي الَّتي نشهدها، والتي تقشـــعرُّ لهولها الأبدان، وتشيب لهولها الولدان.

QaradawiBooks.com

كيف نسمح بهذا الكم من الأغاني والأفلام والمسلسلات؟

آن لهذه الأمَّة أن تعرف أنَّنا في وقت جـد، وأوقات الجدّ لا بدَّ أن تقابل بمثلها، حينما قتل كُلَيْب بن ربيعة (آلى)[١] أخوه المهلهل بن ربيعة على نفسـه أن يمتنع عن كلِّ طيبات الحياة، وألّا يخلع ثوبه عن بدنه، وقال في شعره:

ولسـتُ بخَالعٍ دِرْعِي وسَـيْفِي إلـى أن يَخْلَـعَ الليلَ النَّهـارُ[٢]

وحينما هُزم المشـركون من قريش في بدر آلى أبو سفيان، وحلف على نفسه ألَّا يمس امرأته، ولا يمسه ماء لغسل من جنابة حتَّى يثأر من محمَّد وأصحاب محمد[٣].

هكذا كان العرب، كيف نعيش نحن هذه الحياة العادية؟

أعراس ومهرجانات، وسباقات وأشـياء، كأنَّنا لسنا في حالة حرب، كأنَّنا لسـنا في كارثة حقيقيَّة، يالله! ماذا جرى لهـذه الأمَّة يا قوم؟ ماذا جرى للنَّاس؟ أليس فينا أحاسـيس تشـعر؟ ماذا نقول؟! ننادي حكَّامنا وزعمائنا؟ فهل لحكَّامنا وزعماءنا آذان تسمع؟ وإذا كانت لهم آذان فهل لهم قلوب تتوجع؟! وإذا كانت لهم قلوب، فهل عندهم عزائم تتشجع؟! وإذا كان عندهم عزائم، فهل عندهم سيوف تشهر وأيدٍ تقطع؟!

الأُمَّة في حاجـة إلى أن يتفجـر منها جهاد ثقافي، تشـعر معه بالحزن والأسى.

---

(١) حلف وأقسم.

(٢) ديوان المهلهل بن ربيعة صـ٣٤، شرح وتقديم طلال حرب، نشر الدار العالمية.

(٣) كان ذلك في غزوة السويق، وكانت في ذي الحجة سنة ٢هـ، راجع: سيرة ابن هشام (٤٤/٢)، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، نشر مكتبة الحلبي، مصر، ١٣٥٥هـ ـ ١٩٥٥م.

غير مرخصة للطباعة

أمِن الإسلام أو من الإيمان أو حتَّى من الإنسانية: أن تجمع على مائدتك ما لذَّ وطاب من الطعام والشراب، وأن تعيش بين أهلك وأولادك، في بيتك الظليل؛ المدفَّأ في الشتاء والمبرَّد في الصيف، وإخوانك هناك قد أُخرجوا من ديارهم؟

هناك عائلات أُخرجت من ديارها، ولا تعرف أين ذهب أولادها.

بالأمس سمعت الأم تقول: لا أعرف أين ذهب أولادي، هي في مكان وهم في مكان، لم يجتمع شمل الأسرة، ألا نُحِسُّ بآلام هؤلاء؟

الأمَّة الواحدة يجب أن يُحسَّ بعضها ببعض.

الجهاد الروحي:

ماذا أقول أيُّها الإخوة؟!

الكلام كثير، وفي الجعبة الكثير والكثير، هناك الجهاد الثقافي، وهناك جهاد آخر هو: الجهاد الروحي.

الجهاد الروحي: أن نستشعر آلام إخواننا ونصطحبها دائمًا، وتعيش في وجداننا، وأن ندعو الله لهم في صلواتنا، في خلواتنا، في أسحارنا، في سجودنا، ندعو الله لهؤلاء الإخوة.

أقلّ ما نقدِّمه إليهم أن ندعو الله لهم، أن ندعو دعاء القنوت، قنوت النوازل الَّذي قرَّره الفقهاء عندما تنزل بالمسلمين نازلة، ندعو في الصلوات وخصوصًا الصلوات الجهرية، وخصوصًا صلوات الجمعة، ونصلي على أرواح الغائب على الشهداء؛ الَّذين يُدفنون بالعشرات، ولا يُصلي عليهم أحد، علينا أن نصلي على هؤلاء، علينا أن نمسك بالجذوة ـ بالجمرَة ـ ملتهبة حتَّى لا تستحيل إلى رماد.

QaradawiBooks.com

إنَّ أمَّتنا تملك الكثير والكثير من أنواع الجهـاد، من لم يقدر على نوع، قدر على نوع آخر.

كلُّ واحد يستطيع أن يبذل من عنده، وأن يتعاون مع إخوانه، وأن يعيش في المأساة حتَّى ينتصر إخواننا، وإنَّهم لمنتصرون، إنَّهم لمنتصرون رغم عوامل الإحباط، ورغم تخاذل المتخاذلين، واستخذاء المستخذين.

رغم هذا ستنتصر الانتفاضة، وستنتصر المقاومة، إن لم يكن اليوم فغدًا، وإنَّ غدًا لناظره قريب، وسيجعل الله بعد عسر يسرًا، وسيجعل الله بعد الظلام فجرًا، ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦]، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحجُّ: ٤٠]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمَّد: ٧]، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الرُّوم: ٤٧].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٥

الدروس المستفادة من أحداث فلسطين والعراق[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

غياب بسبب المرض:

منذ ثلاثة أشهر ـ أيُّها الإخوة ـ لم يُقدَّر لي أن أعتلي هذا المنبر؛ وذلك لما قدَّره الله لي أن أجري عمليَّة جراحية كبيرة، وأحمد الله أن منَّ عليَّ بالشفاء منها، وأسأله تعالى أنْ يتمَّ عليَّ وعليكم نعمة العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة.

المؤمن يستفيد من التاريخ الحافل، ومن الواقع الماثل:

وفي هذه الأشهر الثلاثة وقعت وقائع، وحدثت أحداث لأمَّتنا، جرى بها قدر الله تعالى ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، وفي هذه الأحداث دروس وعِبر، لا بدَّ أن نستفيد منها.

(١) أُلقيت بمسجد عمر بن الخطَّاب بالدوحة في ١٣ ربيع الثاني ١٤٢٤هـ الموافق ١٣ يونيو ٢٠٠٣م.

غير مرخص للطباعة
نسخة ثانية
QaradawiBooks.com

والبصير الموفَّق من تعلَّم من الزمان، وأخذ من أحداثه العِبر، ولم يغلق عقله ولا قلبه عن قراءة الأحداث قراءة صحيحة، قراءة العارف بالقلب وباللب، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يُوسف: ١١١].

المؤمن يستفيد من التاريخ الحافل، ومن الواقع الماثل، يستفيد الدروس ويعيها ويسجِّلها، ليتخذ منها نورًا لحاضره ومستقبله.

الدرس الأوَّل: قانون القوَّة يحكم العالم:

الدرس الأوَّل ـ أيُّها الإخوة ـ في هذه الأحداث: أنَّ القوَّة اليوم هي الَّتي تحكم العالم، ليست قوَّة القانون، ولكن قانون القوَّة، القوي هو الَّذي يفرض نفسه، ويملي إرادته، ويطالب الجميع أن يسمعوا ويطيعوا.

هذا هو الدرس الأوَّل.

لقد صمَّمت أمريكا أنْ تغزو العراق[1]، وأن تحتلَّ العراق هي وحلفاؤها، ووقف العالم كلُّه ضدها، حتَّى في قلب أمريكا، وحتى في أوربا سارت مسيرات بالملايين تقول: لا للحرب على العراق.

ولكنَّ أمريكا سدَّت أذنًا من طين، وأذنًا من عجين، وأصرَّت على موقفها، ودخلت العراق، وغزت العراق، واحتلَّت العراق، وليضرب كلُّ معارض برأسه عرض الحائط، إن شاء.

المنطق للقوة، وليست القوَّة للمنطق، القوي هو الَّذي يتحكَّم، النَّاس يقولون: القادر فاجر؛ ما دام قادرًا؛ وليس عنده إيمان، ولا أخلاق، ولا ضمير، فهو يفعل ما يشاء.

(١) كان احتلال العراق في ٨ إبريل ٢٠٠٣م.

إنَّه المنطق الفرعوني الَّذي يقول للنَّاس: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]، إنَّه التألُّه في الأرض، أمريكا متألِّهة في الأرض، لا تُسأل عما تفعل، هي تسأل الآخرين، ولا يستطيع أحد أن يسألها.

حينما قدم أحد جنرالاتها في بلجيكا، ليُسأل عمَّا ارتكب من جرائم الحرب في العراق قال: لا، ليس من حقِّ أحد أن يسأل أحدًا خارج أمريكا.

أمريكا لا تُسأل إلَّا في دارها، في قلب دارها، ولا يسألها أحد من غيرها، هذا هو منطق التألُّه.

وقد صدقت مقولتنا: إنَّ أمريكا لم تدخل العراق من أجل أسلحة الدمار الشامل، وانتزاع أسلحة الدمار الشامل، فقد أثبتت الوقائع الَّتي لا ريب فيها: أنَّ العراق لم يكن يملك أي أسلحة دمار، وحتى بعد الاحتلال، وبعد أنْ أصبح كلُّ شيء في أيديهم، وكشف كلُّ شيء أمامهم، لم يستطيعوا أن يجدوا دليلًا واحدًا على أن هناك أسلحة للدمار.

الدعوى الأساسية بطلت، فبطلت معها هذه الحرب الَّتي قتلت من قتلت، ودمَّرت ما دمَّرت، وفعلت ما فعلت، وإلى اليوم، حتَّى إنَّ كبير مفتشي الأسلحة، شنَّ هجومًا عنيفًا على الإدارة الأمريكيَّة، ووصف بعض أعضائها بأنَّهم قذرون، وبعضهم بأنَّهم طغاة، وأنَّهم عرقلوا أعمالهم، وعاقوا ما يريدون أن يفعلوه.

وقال هذا مع أنَّه كان يمسك العصا من الوسط، لا يريد أن يقول: لم نجد أي أسلحة في العراق؛ خشية أن يُغضب أمريكا.

QaradawiBooks.com

الآن وبعد فوات الأوان يُهاجـــم أمريكا، ليس هناك دليل واحد على أنَّ العراق كان يملك أسلحة دمار شامل، وإلَّا لظهرت.

كان في آخر لحظة يحاول أن يستعمل هذه الأسلحة، لم يستعملها، ولم يجد الأمريكان ولا البريطانيون أي دليل على ذلك.

هذا ما تبين الآن.

أسباب الغزو الحقيقيَّة:

هذا هو الدرس الأوَّل: أنَّ أمريـــكا دخلت العراق؛ لأنَّها أرادت ذلك لأهداف عندها، ليس لانتزاع أســـلحة الدمار، وليس لتخليص الشـــعب العراقي من صـــدَّام؛ فقد أعلنـــوا قبل ذلـــك أنَّه حتَّى لو خـــرج صدَّام ســـيدخلون العراق، إنَّما دخلـــت لأهداف أخـــرى؛ تريد تدميـــر القوَّة العســـكرية العراقية، ليخلو الجو لإسرائيل، وأســـلحة إسرائيل، وترسانة إسرائيل، ولا يبقى في المنطقة أحد يملك هذه الأسلحة غير إسرائيل.

هذا ما وقع.

وهناك الاستيلاء على النفط.

هناك تغيير المنطقة كمـــا قال «باول» من قبل، يريدون أن يرســـموا خارطة المنطقة من جديد، وأن يغيِّروا مناهجها، وسياساتها، وفلسفاتها، وأُسس تعليمها، حتَّى التعليم الديني إلخ.

هذا ـ أيُّها الإخوة ـ هو الدرس الأوَّل.

الدرس الثاني: لكلِّ ظالم نهاية:

الدرس الثاني؛ هو أنَّ لكلِّ ظالم نهاية، كان صدَّام حسين أحد الظلمة الطغاة في هذه الأرض، وفي أرضنا العربيَّة والإسلاميَّة، هذا ممَّا لا نشك

QaradawiBooks.com

فيه، وأنا أحمد الله أنِّي لم أقل فيه كلمة مدح قط، لا قبل الحرب ولا بعدها، ولا منذ زمن طويل؛ لأنِّي ضد كلِّ حاكم ظالم مستبد، كلِّ ديكتاتور طاغية، هؤلاء هم الَّذين يقتلون الشعب.

هذا الظلم وهذا الطغيان هو الَّذي مهَّد لدخول الأمريكان والبريطانيين إلى المنطقة، هو الَّذي سبَّب ما سبَّب من قبل في حرب الكويت، وسبَّب ما سبَّب من قبل في حرب العراق وإيران.

الظلم، والطغيان، ولا بدَّ للظالم من نهاية، النَّاس يقولون: يا ظالم لك يوم مهما طال اليوم، لكلِّ ظالم نهاية، الله تعالى يُمهل ولا يُهمل، والرسول ﷺ يقول: «**إنَّ الله ليملي للظالم**» يمهله «**حتى إذا أخذه لم يفلته**»، ثمَّ تلا قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هُود: ١٠٢][1].

يملي له ثمَّ يأخذه، يقول الله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٤، ٤٥].

وأحيانًا الإملاء يأخذ صورة إحداث النِّعم لهم، وإغداق الرزق عليهم؛ فهو يوسِّع عليهم حتَّى يظنُّوا أنَّ الله نسيهم، وأنَّ القدر تركهم؛ فيزدادون طغيانًا، وعتوًّا وفسادًا، ثمَّ تأتي القارعة الإلٰهيَّة، يقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٦٨٦)، ومسلم في البرِّ والصِّلة (٢٥٨٣)، عن أبي موسى الأشعري.

QaradawiBooks.com

﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ﴾ وهو ما يكون من النِّعم والخيرات والأرزاق ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٤، ٤٥] قَطع دابر الظالمين نعمة يُحمد الله تعالى عليها.

وقد سلَّط الله الظالمين على الظالمين، سلَّط الله أمريكا ـ وهي ظالمة ـ على صدَّام وحزبه ـ وهو ظالم، وهكذا ينتقم الله من ظالم بظالم وقد قالوا: الظالم سيف الله في أرضه، ينتقم به ثمَّ ينتقم منه!

ويقول الشاعر:

وما من يد إلَّا يد الله فوقها وما ظالم إلَّا سيُبلى بظالم[1]

الظالم يُبتلى بالظالم، ثمَّ يأخذ الله الجميع كلًّا في حينه ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤]، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٢]، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

لعلَّ هذه عِبرة لكلِّ الطغاة:

هذا هو الدرس الثاني.

ولعلَّ الظلمة والطغاة الَّذين يعيثون في الأرض فسادًا، والذين يظلمون شعوبهم، والذين يستذلون الرقاب، والذين يهدرون الكرامات، والذين يعطِّلون الحريات، والذين يدوسون على أعناق الشعوب

(١) ذكره الثعالبي ولم ينسبه. انظر: التمثيل والمحاضرة صـ١٠، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، نشر الدار العربية للكتاب، ط ٢، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

QaradawiBooks.com

بأقدامهم، لعلَّ هؤلاء الطغاة يستفيدون من هذا درسًا، ويعتبرون أنَّ مصيرهم مصير هذا الطاغية الظالم.

ليت الطغاة والظلمة من الحكَّام في ديارنا العربيَّة والإسلاميَّة يعتبرون بما حدث لصدَّام حسين؛ فالدائرة عليهم، والأيام المقبلة ستنذرهم بسوء عواقبهم ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

الدهر يومان: يوم لك ويوم عليك، ودوام الحال من المحال، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشُّعراء: ٢٢٧].

إنَّ دعوات المظلومين، ودموع الثكالى واليتامى والباكين، هذه لا تضيع عند الله، إنَّ «**دعوة المظلومين يرفعها الله فوق الغمام، تُفتح لها أبواب السماء، ويقول: وعزتي لأنصرنَّك ولو بعد حين**»[(١)].

لا تظلمنَّ إذا ما كنت مقتدرا فالظلم ترجع عُقباه إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم[(٢)]

هذا المظلوم الَّذي يدعو عليك لن تذهب دعواته سُدًى، إنَّ هذه الدعوات لا بدَّ أن تعمل عملها في يوم قد يكون قريبًا ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٦، ٧]، فلعلَّ الظلمة حيثما كانوا يعتبرون بمصير هذا الظالم الكبير، فالدور عليهم، والقدر لا يحابي، وسنن الله تعمل مع النَّاس جميعًا، وما جرى على ظالم يجري على آخر.

---

(١) رواه أحمد (٩٧٤٣)، وقال مخرِّجوه: صحيح بطرقه وشواهده. والترمذي في الدعوات (٣٥٩٨)، وقال: حسن. وابن ماجه في الصيام (١٧٥٢)، وحسنه الألباني لغيره في التعليقات الحسان (٨٧١)، عن أبي هريرة.

(٢) ديوان الإمام علي بن أبي طالب صـ١٨٤، جمع عبد العزيز الكرم، ١٩٨٨م.

QaradawiBooks.com

لم تُغن عن صدَّام أسلحته ولا جيشه:

نعم ـ أيُّها الإخوة، لم تُغن عن صدَّام أسلحته ولا جيشه، ولا حزبه ولا قصوره، الَّتي شيَّدها من أموال الشعب العراقي، ولا مخابئه الَّتي خبَّأها ولا... ولا... كلُّ هذا لم يُغن عنه شيئًا، ولم يبك عليه أحد، ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ۝ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ۝ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٥ ـ ٢٩]، الظالم يذهب ولا يبكي عليه أحد، لا من أهل السماء، ولا من أهل الأرض؛ بل قد يودِّعونه باللعنات، الألسنة الَّتي خرست ولم تستطع أن تتكلَّم في عهد الطغاة تنطق اليوم، وتدعو على الظالمين، وتلعنهم، فهذا مصير الطغاة، ومصير الظالمين.

هذا هو الدرس الثاني أيُّها الإخوة.

الدرس الثالث: الاحتلال هو الاحتلال بمساوئه وظُلمه:

الدرس الثالث، هو أنَّ الاحتلال هو الاحتلال، والغزو هو الغزو بما له من آثار سيِّئة، وما يجر وراءه من مظالم وآثام، ليست هذه أوَّل مرَّة تُحتل فيها بغداد؛ دار السَّلام كما كان يسميها الأولون، عاصمة المنصور والرشيد والمأمون، عاصمة الدُّنْيا في وقت من الأيام، عاصمة العلم والحضارة، الَّتي كان يتقرَّب إليها الملوك، والأباطرة، والقياصرة، في أنحاء العالم، الَّتي كان يتحدَّى خليفتها السحابة في السماء ويقول: أيَّتها السحابة شرِّقي، أو غرِّبي، وأمطري حيث شئت؛ فسيأتيني خراجك! سحابة أظلَّت بغداد في عصر الرشيد، ثمَّ انقشعت عن بغداد، وذهبت إلى مكان آخر، وهنا قال لها الرشيد: شرِّقي أو غرِّبي وأمطري حيث شئت فستأتي ثمرَة مطرك إلى بيت مال المسلمين[1].

(١) انظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي (٢٨٥/٣)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

QaradawiBooks.com

إنْ أمطرت في بلاد المسلمين فستأتي في صورة زكاة، أو بلاد غير إسلاميَّة فستأتي في صورة جزية.

بغداد في عهد هولاكو القديم:

هذا البلد جاء عليه يوم احتل، وسقط في أيدي التتار، ودخل هولاكو بغداد، وأسقط هذه العاصمة، وأعمل جنوده السيوف في النَّاس، وكانت الدماء أنهارًا في الشوارع، والبيوت، وفوق السطوح، حتَّى سالت الميازيب[1] دماء، سالت الدماء أنهارًا، احمرَّ نهر دجلة من الدماء، وقد قُتل في هذه الحرب: ألفا ألف، أي: مليونان. وبعضهم قال: ألف ألف وخمسمائة ألف، أي: مليون ونصف. وأقلّ ما قيل: ألف ألف، يعني: مليون من البشر.

وذبح مليون من البشر في ذلك الوقت ليس بالشيء القليل، ولا الهيِّن اليسير، فقال المؤرخ ابن الأثير في كتابه «الكامل»[2] وهو يحكي هذه الوقائع، وكان معاصرًا عايش مقدِّمات هذه الأحداث، فقد مات قبل سقوط بغداد، يقول: ليت أمي لم تلدني ولم أر هذه الأحداث بعيني.

جاؤوا إلى بغداد، ثمَّ جاؤوا إلى المكتبات؛ عاصمة العلم والثقافة والحضارة، كانت المكتبات تمتلئ بآلاف، وعشرات الآلاف، ومئات الآلاف

(١) هي المواسير التي تُعمل، حتى تسقط مياه الأمطار من فوق السطوح.

(٢) للمزيد راجع: الكامل لابن الأثير (١٤٧/١٢، ١٤٨)، ومما قاله ابن الأثير: لقد بقيت عدة سنين، معرضًا عن ذكر هذه الحادثة؛ استعظامًا لها، كارهًا لذكرها، فأنا أقدِّم إليه رِجلًا، وأؤخر أخرى! فمَن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين؟ ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك؟ فيا ليت أمي لم تلدني! ويا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيًا منسيًّا!

QaradawiBooks.com

من الكتب، في كلِّ فنٍّ في الديــن والدنيا، والآداب والعلــوم، أُلقيت هذه الكتب في نهر دجلة، حتَّى اسودَّ النهر؛ من كثرة ما كان فيه من مداد الكتب.

احمرَّ أيامًا من الدماء، واسودَّ أيامًا من المداد.

هكذا جرت الأحداث على بغداد في أيام المغول أو التتار.

بغداد في عهد هولاكو الجديد «بوش»:

قُدِّر لبغداد هذا في عصر الحضارة الإســلاميَّة، وفي القرن الحادي والعشرين حينما دخل الأمريكيون بغداد، ترك الناهبون ينهبون كلَّ شيء؛ متاحف بغــداد، ومكتبات بغــداد، وجامعــات بغداد، كلُّ شــيء تُرك للصوص، والناهبين، والنهب المنظَّم.

نُهبت المتاحف العراقيــة، وهي متاحف فيها آثار حضارات ســبعة آلاف سنة، سبعون ألف قطعة أثرية سُرقت من متاحف بغداد، جاؤوا لنا ببعض هؤلاء النَّاس الَّذين ينهبون هذه الأشــياء، ولم يأتوا لنا بمن فتح الأبواب المحصَّنة، لم يصوِّروا لنا هذا، مَن الَّذي فتح لهم هذه الأبواب؟

إنَّه نهــب منظَّم وراءه عصابات دولية، للأســف لم نــر هيئة الأمم تحرَّكت أو احتدت أو شــجبت كما فعلت حينما دمَّرت طالبان تماثيل بوذا، غضبوا لتماثيل بوذا، ولم يغضبــوا لهذه التحف والآثار الحضاريَّة الرائعة، الَّتي تسجِّل تواريخ سبعة آلاف سنة.

حتَّى الجامعات نُهبت كتبها، ونُهب أثاثها، حينما جمعوا الأســاتذة وقالوا لهم: ابدؤوا من أوَّل الطريق.

فقالوا: كيف نبدأ وكلُّ شيء عُطل، وكلُّ شيء نُهِب؟

QaradawiBooks.com

هذا ما فعلته أمريكا، أمريكا دولة القرن الحادي والعشـــرين، القطب الأوحد فـــي العالم، ما الفرق بيـــن هولاكو القديـــم وهولاكو الجديد؟ ما الفرق بين بوش وبين ملك التتار؟

الجميع خرَّبوا وهدَّموا، وأبادوا وقتلوا، وســـفكوا الدماء، وانتهكوا الحرمات، دمَّروا البنى التحتية لهذا الشعب العراقي، وقتلوا من قتلوا من النَّاس، ولا زال الأمر يجري إلى اليوم، ولا ندري ماذا يكون غدا.

لقد قالت أمريكا: إنَّها دخلـــت لتحرِّر الشـــعب العراقي، وصُدمت المعارضة؛ لأنَّها أعانت أمريكا في دخول العراق، والآن تلوم المعارضة نفسها وتقول لأمريكا: كذبتم علينا؛ قلتم: إنَّنا محرِّرون، ولسنا محتلين. والآن أصبحت أمريكا محتلة رســـميًّا بحكم مجلس الأمـــن، إنَّها دولة احتلال، وليست دولة تحرير كما كانت تقول.

ماذا يجري غدًا في العراق؟

الشـــعب العراقي ينتظر، بعضهم يتربَّص، وبعضهـــم ينتظر ما فعلوه لتكوين حكومة عراقية.

كيف تتكوَّن هذه الحكومة العراقية؟ لماذا لا يدعون إلى عقد جمعية تأسيسية ينتخبها الشعب يضع دستورًا، ويختار النَّاس بقوانين الانتخابات الديمقراطيَّة، الَّتي تجري في أمريكا وبريطانيا؟

لماذا لا يفعلون ذلك؟ لمـــاذا يعيِّنون هم حكومـــة بإرادتهم؟ لماذا لا يدعون الشـــعب يختار؟ أليس هذا هو منطق الديمقراطيَّة؟ أن يختار النَّاس لأنفسهم حكَّامهم.

إذن هذا هو منطق الاحتلال، منطق الاستعمار.

QaradawiBooks.com

الاستعمار القديم عاد من جديد، بعد أن ظنَّ النَّاس أنَّهم تحرَّروا من أثقاله، وأصبحوا مستقلين، فإذا هو يعود من جديد.

أمريكا تعود من جديد، وهي تزعم أنَّها لن تبقى طويلًا، ولكن ما هو الطول وما هو القِصَر؟

هذه أمور نسبية، قد تبقى عشر سنين، عشرين سنة، ثلاثين سنة، وتقول: هذا ليس طويلًا.

هذا هو الدرس الثالث.

الدرس الرابع: دعوة الشعب العراقي للوقوف صفًّا واحدًا:

الدرس الرابع هنا: أنَّنا نوصي الشعب العراقي بجميع أطيافه وفئاته العرقية والدِّينيَّة، عربًا وأكرادًا وتركمانًا وآشوريين، وغير ذلك من الأعراق، أو مسلمين ومسيحيين، أو سنيين وشيعة، يجب أن يقفوا جميعًا صفًّا واحدًا، كما قال شوقي يخاطب الحمام:

فإن يكُ الجنسُ يا ابنَ الطلح فرَّقنا إنَّ المصائبَ يجمعنَ المصابينا[1]

في هذه المصيبة لا معنى لأن يقول أحد: أنا سُنِّيٌّ، وهذا يقول: أنا شيعي، أو: أنا عربي، وآخر يقول: أنا كردي أو تركماني، يجب أن يقف الجميع صفًّا واحدًا، مصلحتهم واحدة، وخصمهم واحد، ومعركتهم واحدة، يجب أن ينسوا المعارك الجانبية، والخلافات الجزئية، ولا يسمعوا لدعاة الفتنة.

أن يقفوا صفًّا واحدًا، ولا يُسرفوا في الانتقام من البعثيين، فكم هناك من آلاف من النَّاس انضموا إلى حزب البعث، وهم لا يؤمنون به.

(١) أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١٠٤/٢)، نشر دار العودة، بيروت.

QaradawiBooks.com

حزب البعث حكم خمسة وثلاثين سنة، فالنَّاس لا بدَّ أن يوفِّقوا بين مصالحهم وأمورهم، وأظهر كثير منهم أنَّهم أعضاء في حزب البعث؛ وهم يلعنونه في داخلهم، لا بدَّ أن يراعى هذا، أمَّا أن ينتقم من كلِّ من تسمَّى بعثيًّا؛ فقد يبعد هذا عن الحقِّ.

البعثيون الحقيقيون ليسوا إلَّا عدة آلاف، أمَّا الشعب العراقي فلم يكن بعثيًّا، ولكنَّه كان مقهورًا تحت قبضة السلطة الطاغية، الَّتي أخرست الألسن فلم تتكلَّم، وأخافت الولد من أبيه، والأب من بنيه.

زعزعت الثقة بين النَّاس، وزرعت الخوف في قلوبهم، كما تفعل دائمًا الأنظمة الطاغية، طاغية على أبنائها، ذليلة أمام أعدائها:

أسدٌ عليَّ وفي الحروب نعامَة[1]

هذا الطغيان لم يظهر حينما دخل الأمريكان، لقد فرَّ حزب البعث، وفرَّت جيوشه، وللأسف لم نجد من يصمد أمام هذا الزحف؛ لأنَّه حزب علماني لا يقوم على تأسيس الإيمان في القلوب، واليقين في النفوس، والإيمان بقوة الله تعالى وبأقداره، وبالدار الآخرة، فلم يصمد هؤلاء.

سرعان ما انهاروا؛ حتَّى فوجئنا بهذا الانهيار الَّذي سقط بين عشية وضحاها!

---

(١) قال هذا المثل الشاعر عمران بن حطان الخارجي المعروف. ذكر ابن كثير: أنَّ غزالة الحرورية ـ من الخوارج ـ لما دخلت على الحجاج هي وشبيب بن شبة بالكوفة تحصن منها، وأغلق قصره عليه. فكتب إليه عمران بن حطان، وقد كان الحجاج لج في طلبه:

أسد علي وفي الحروب نعامة ... فتخاء تنفر من صفير الصافر

هلا برزت إلى غزالة في الوغى ... بل كان قلبك في جناحي طائر

والفتخاء: اللينة الجبانة. انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٢٠/٩).

QaradawiBooks.com

أين مئات الآلاف؟ وأين الحرس الجمهـــوري؟ وأين فدائيو صدَّام؟ وأين مقاتلو الحزب؟ وأين؟ وأين؟

تبخَّر هـــذا كلُّه، وذهب ســـدًى، وضاع هباء؛ لأنَّه لم يؤسَّـــس على الإيمان.

لا بدَّ للشـــعب العراقي أن يتوحَّد، وأن يقف جبهـــة متراصَّة، وصفًّا واحدًا، كأنَّهم بنيان مرصوص «**يشدُّ بعضه بعضًا**»(١).

ليس هذا أوان الخلافات والمشادات بين بعض الفئات وبعض، هذا ما ننصح به إخواننا في العراق في هـــذه الآونة الخطيرة، وهذه المرحلة الخطيرة من تاريخ الشعب العراقي، وتاريخ الأمَّة العربيَّة والإسلاميَّة.

الدرس الخامس: الدرس القديم الجديد «الانتفاضة»:

هناك درس خامس ـ أيُّها الإخوة ـ ممَّا جرى في هذه الأشهر، وهذا الدرس درس قديـــم جديد؛ إنَّـــه درس المقاومة الإســـلاميَّة، في أرض النُّبوات، أرض الإسراء والمعراج، إنَّه درس الانتفاضة، إنَّه درس أولئك الَّذين باعوا أنفسهم لله، ونذروها لله، وقدَّموا أرواحهم رخيصة، ورؤوسهم على أكفِّهم لا يبالون ما أصابهم في ســـبيل الله؛ أوقعوا على الموت، أم وقع الموت عليهم.

ولســـت أبالي حين أُقتل مسلما على أي جنب كان في الله مصرعي(٢)

(١) إشـــارة إلى حديث أبي موســـى: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشـــدُّ بعضه بعضًا»، وقد سبق تخريجه صـ ٥٦.

(٢) أنشده خبيب بن عدي ﷺ حين أُســـر، وأرادوا أن يقتلوه. رواه البخاري في الجهاد والسِّيَر (٣٠٤٥)، وأحمد (٧٩٢٨)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

إخوتنا في فلسطين أظهروا البطولات الرائعة البارعة، وسطَّروا سطور المجد والإباء لهذه الأمَّة بدمائهم، وليس بالمداد؛ برغم طغيان شارون، وتجبُّر شارون، وما يقوم به شارون منذ سنوات وإلى اليوم، قال شارون ـ أوَّل ما جاء: إنَّه سيقضي على الانتفاضة في مائة يوم ويوم، ومرَّت مائة يوم ويوم، ومثلها ومثلها ومثلها... ولكن الانتفاضة باقية.

إنَّ الانتفاضة تعبِّر عن شعب أبي، شعب بطل، شعب لا يبالي بالموت، شعب يريد أن يعيش حرًّا كريمًا، أو يموت شهيدًا، هذا الشعب لا يمكن أن يموت مهما حاولت دولة الكيان الصهيوني، ومهما حاولت معها حليفتها الاستراتيجية أمريكا، مهما حاولوا أن يُميتوا الانتفاضة في هذا الشعب، وأن يحطِّموا المقاومة، فلن يستطيعوا.

علام يحتفي العرب ببوش؟!

لقد رأينا في الأيام الماضية: قممًا تُعقد في شرم الشيخ، والعقبة، وغيرهما، وهذه القمم بعضها كان لونًا من الاحتفال ببوش الرئيس المنتصر! الَّذي يجب أن يكرِّمه العرب! ويحتفي به العرب! لأنَّه انتصر على شعب عربي! فيجب أن يُكرم، وأن يتوَّج ملكًا على العالم! وبعضها كان إيذانًا بمرحلة جديدة، تريد فيها أمريكا وتريد فيها إسرائيل: أن يقتتل الشعب الفلسطيني بعضه مع بعض.

هذا ما يسعى إليه الأمريكان والإسرائيليون، خارطة الطريق هذه ليست إلَّا فتحًا لهذا الباب، أسكتوا لانتفاضة، أخرسوا الألسنة، قاوموا المقاومة، لا تُبقوا مع أحد سلاحًا، لا يكون هناك قوَّة إلَّا قوَّة إسرائيل، هذا ما تريده أمريكا، وتريده إسرائيل، ويريدون أن يوقعوا الفلسطينيين بعضهم مع بعض، هذه هي الفتنة المرادة، ولذلك أغروا الحكومة الجديدة بهذا الأمر.

QaradawiBooks.com

وصيتي للفلسطينيين حكومة ومعارضة:

١ ـ ألا تمتد يد الفلسطيني إلَّا على الإسرائيلي:

وإنِّي لأرجو من الإخوة الفلسطينيين سلطة وشعبًا، حكومة ومعارضة، أرجو من الشعب كلِّه أن يرفض هذه المؤامرَة، وأن لا يقتل فلسطيني فلسطينيًّا، ألَّا تمتد يد الفلسطيني إلَّا على الإسرائيلي.

هذا ما نريده من الإخوة، أعتقد أنَّهم جميعًا يفقهون هذا، لا يجوز أن يُراق الدم الفلسطيني بيد فلسطينية، الدم الفلسطيني لا يراق إلَّا بيد إسرائيلية، وأعيذ إخوتنا أنْ تمتدَّ أيديهم بعضهم إلى بعض.

هذا ما يجب أن يفهمه الجميع، لا يجوز أن يسير بعضهم في الركاب، ويقول ما يقوله الآخرون: لا بدَّ من القضاء على حماس، والجهاد الإسلامي.

هذا ما يعزفون عليه الآن، إنَّ حماس والجهاد نغمة نشاز، وعقبة في الطريق، يجب أن تُزال حتَّى نستطيع أن نتفاهم مع بني صهيون.

أنا أقول لمحمود عباس ومُحَمَّد دحلان ومن معهما من الوزراء: يوم تزول حماس، والجهاد، وكتائب الأقصى، وهؤلاء الإخوة المجاهدون لن يبقى لكم شيء تفاوضون عليه، أو تستمسكون به، ستقفون في العراء المكشوف، وليس معكم شيء، ولا وراءكم أحد.

إنَّ الَّذي دفع الصهاينة، ودفع الأمريكان إلى أن يعرضوا خارطة الطريق: هو ما يلقَونه من هذه العمليات الاستشهاديَّة، ومن بطولات المقاومة الَّتي تزلزل أركانهم، وتزعزع كيانهم، وتزرع الرعب في قلوبهم؛ فلا يحسون بأمن ولا استقرار، ولا يفكِّرون إلَّا في الفرار.

QaradawiBooks.com

٢ ـ ألا يُوقفوا الحوار فيما بينهم:

وأوصي إخوتي في فلسطين أن يحرصوا على هذا، وأن يتحاوروا ولا يتقاتلوا، وأوصي إخواننا في حماس: ألا يُوقفوا الحوار ويظلّ الحوار بابًا مفتوحًا للجميع، حتَّى وإن خالفناهم في الرأي؛ يجب أن نجلس معهم، ونحاورهم، ونبادلهم، ويبادلونا.

يجب أن يظلَّ باب الحوار مفتوحًا، ولكن يجب أن يظلَّ عَلَم الجهاد مرفوعًا.

لماذا يطالبون الفلسطينيين أن يكفُّوا أيديهم، ولا يطالبون شارون ومن مع شارون أن يكفُّوا أيديهم؟

الأمر في غاية البساطة، وغاية السهولة، هناك مشكلة وهناك حلُّها.

المشكلة هو الاحتلال؛ احتلال اليهود لأرض فلسطين الَّتي اعترف بها العالم، لا نريد أرض فلسطين التاريخية، لا نسأل عن حيفا، ولا يافا، ولا عكا، ولا اللد، ولا الرملة، ولا الجليل ولا... ولا...

سكتنا عن هذا، رضينا بالظلم، والظلم لا يرضى بنا، ومع هذا احتلُّوا الجزء الباقي من فلسطين.

إذا كنتم تريدون الحلَّ، اخرجوا من الأرض الَّتي احتللتموها، هذا منطق في غاية السهولة والبساطة.

أيُّها المحتلون الَّذين تشتكون من المقاومة، نحن نقاومكم لأنَّكم احتللتم أرضنا، وسفكتم دماءنا، وحرقتم مزارعنا، ودمَّرتم بيوتنا، وخربتم مدارسنا، وعطَّلتم مساجدنا، وفعلتم... وفعلتم... فلماذا لا تتركون هذا ونحن نترككم؟

QaradawiBooks.com

بعض النَّـــاس يطالبون الفلســـطينيين بإيقاف العمليـــات، قولوا هذا لإسرائيل، قولوا لإسرائيل: أوقفوا هذه الصواريخ الَّتي تُرمى على النَّاس في الشوارع، الشوارع المكتظة، غزة من أكثر مدن العالم اكتظاظًا وكثافة سكنية، في الشـــوارع وفي الأســـواق تضرب الصواريخ، قطعًا ستصيب النَّاس، يريدون أن يقتلوا واحدًا، أو اثنين من حماس، ولكن يقتلون معه عشرات آخرين، ويجرحون مئات آخرين!

لقد أرادوا أن يقتلوا أخانا البطـــل المجاهد الصابر المصابر المرابط الدكتور: عبد العزيز الرنتيســـي، وقتلوا معه أناسًا، وقتلوا آخرين، ونجَّى الله الرنتيسي، إنَّ الله إذا أراد نجاة إنسان فلن يستطيع أحد أن يقتله، ومن أراد الله قتله سيقتل، ﴿قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

نجا الرنتيسي[1]، وقبل الرنتيســـي قُتل آخرون، قُتل كثيرون من أبناء حماس، ومن أبناء الجهاد، ومن كتائب الأقصى، ومن كتائب «أبو علي»، وآخرين من الإخوة في الفصائل الوطنية والإسلاميَّة.

إنَّ المؤمـــن لا يخـــاف المـــوت، بل هـــو يطلب الشـــهادة ﴿قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [التَّوبة: ٥٢]، إحدى الحسنيين إما النصر وإما الشهادة.

(١) نجا الدكتور الرنتيســـي من هذه العملية، والتي كانت في يونيو ٢٠٠٣م، لكن الله قدَّر له أن يُغتال في عملية أخرى ليلحق بشـــيخه وشيخ الانتفاضة الشـــيخ أحمد ياسين، وكان ذلك بتاريخ ١٧ إبريل ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

لن يخاف الرنتيسي، ولن يخاف الزهَّار، ولن يخاف الشيخ أحمد ياسين[١] من التهديد بالموت.

والآن يهدِّدون كلَّ رجال حماس، حتَّى الشيخ أحمد ياسين؛ هذا الرجل الشيخ المريض القعيد يزلزلهم من داخلهم، ويتوعَّدونه بالقتل وهو لا يبالي بالقتل في سبيل الله ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

يا أيُّها الإخوة في فلسطين، يا أيُّها الإخوة في الفصائل المقاومة:

اثبتوا على مواقفكم، ولا تتزحزحوا ما دام هناك احتلال، فمن حقِّكم أن تقاوموا الاحتلال، هذا لا يعارِض فيه معارض، ولا يقاومه إلَّا مكابر، فاثبتوا واذكروا الله كثيرًا لعلَّكم تفلحون، الصبر معه النصر إن شاء الله، «**واعلم أنَّ النصر مع الصبر، وأنَّ مع العسر يسرًا**»[٢]، وأنَّ فرج الله قريب، وأنَّ نصر الله آت لا ريب فيه، ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النِّساء: ١٠٤].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

(١) اغتالت اليد الصهيونية الآثمة الشيخ أحمد ياسين رحمه الله تعالى، في ٢٢ مارس ٢٠٠٤م.

(٢) رواه أحمد (٢٨٠٣)، وقال مخرِّجوه: صحيح. والطبراني (١٢٣/١١)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٦٨٠٦)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

تفجيرات الرياض والدار البيضاء:

بقي درس لا بـدَّ أن نعلِّق عليه، هـذا الدرس عما وقـع في مدينة الرياض، وما وقع فـي مدينة الـدار البيضاء من تفجيـرات، وأنا أُدين التفجيرات وعمليات العنف الَّتي تقع في البلاد الإسـلاميَّة، وقد نفِّذت هذه العمليات في بلاد شـتَّى فلم تؤت شـيئًا، والذين قاموا بها راجعوا أنفسهم وخطَّؤوا أنفسهم.

في مصر هناك الجماعة الإسلاميَّة، والتي كان زعيمها الروحي الشيخ عمر عبد الرحمن، وهو الآن في أمريكا ـ فكَّ الله أسـره ـ، هذه الجماعة ـ وهي شقيقة جماعة الجهاد ـ قامت بعمليات عنف في مصر، وحاولت الاغتيال، وحاولت كذا وكذا، ولكنَّها وجـدت أنَّ هذه الأعمال لم تغن عنها شيئًا، كلُّما فعلوه انتهت إلى أن آلاف منهم دخلوا السجون، وضاع مسـتقبلهم، وبقي الأمر كما هو، هذه الأعمال لا تغيِّر نظامًا، ولا تُسقط حكومة، حتَّى لو قُتل حاكم؛ كما حدث في بعض الأحيان، يأتي حاكم ربما كان أسوأ من السابق، فماذا فعلت؟

ربَّ يـوم بكيـت منـه فلمـا صرت في غيره بكيـت عليه[٣]

ولذلك راجعت الجماعة الإسـلاميَّة نفسـها، وأصدرت عدَّة كتب

(٣) من شعر ابن بسـام. انظر: التمثيل والمحاضرة صـ١٠٦، نشـر الدار العربية للكتاب، ط٢، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

QaradawiBooks.com

سمَّتها: «سلسلة تصحيح المفاهيم» وخطَّأت نفسها، وقالت: إنَّ الجهاد الَّذي قمنا به لم يكن له فائدة، إلَّا ما حدث لنا وما حدث لبلدنا إلخ.

ولذلك أنا أقول: إنَّ مثل هذه العمليات ليس لها فائدة، ولكنها تقتل أناسًا مسالمين وبرآء لا ذنب لهم، ليس كلُّ من قُتل في الرياض أمريكان، وليس كلُّ من قُتل في الدار البيضاء أمريكان، أو أجانب، وليس كلُّ الأجانب يجوز أن تقتله؛ القتل له شروط معينة، هناك أناس نسمِّيهم المستأمنين، دخلوا في أرضنا، والمستأمن لا يجوز أن يُمس، ولا يجوز أن يُهدر دمه.

وقد ضرب الإخوة ممَّا ضربوا ناديًا بلجيكيًّا، مع أن موقف بلجيكا كان موقفًا جيدًا، كانوا ضد الحرب في العراق، وهي تريد أن تحاكم شارون، وأن تحاكم بعض جنرالات أمريكا، فأخذوا الحابل بالنابل.

العنف لا يحارَب بالعنف:

هذه الأمور لا بدَّ لها من فقه، لا بدَّ من فقه نيِّر بصير، هذا العنف لا يأتي بنتيجة، ولا يؤتي أُكُلًا، والذي يستفيد منه أعداء الإسلام، العلمانيون واللادينيون الَّذين يشوِّهون الإسلام، ويقولون: هؤلاء يقتلون النَّاس، مع أنَّ الإسلاميين يدينون هذا الأمر بأنفسهم بكلِّ قوَّة، حتَّى في قلب المغرب نفسه، حركة الإصلاح، والعدل والإحسان، كلُّهم دانوا هذا الأمر، فلماذا يُتهم الإسلاميون؟

معالجة العنف تبدأ بمعرفة أسبابه:

العنف لا يحارَب بالعنف.

أول ما ينبغي أن يحارب العنف؛ أن نبدأ بمعرفة أسبابه، ومعالجة

QaradawiBooks.com

هذه الأسباب، قد يكون سببًا فكريًّا؛ نحاول أن نناقش هؤلاء، وهنا نحاول أن نقنعهم؛ فربَّما عادوا كما عادت الجماعة الإسلاميَّة.

سيدنا عليّ رضي الله عنه حينما أراد أن يحارب الخوارج، قبل أن يحاربهم أرسل إليهم ابن عمِّه عبد الله بن عباس، فجادلهم وحاجَّهم، ورجع منهم أربعة آلاف[١]، عادوا إلى الحظيرة، ورجعوا إلى الصراط المستقيم، ومن ظلَّ على رأيه شهر السيف فقاتل، أمَّا من لم يشهر السيف فلا يقاتل.

سمع سيِّدنا علي رضي الله عنه أحدهم يقول: لا حكَم إلَّا لله.

فقال: كلمة حقٍّ يُراد بها باطل.

ثمَّ قال لهذا الشخص ومن معه: لكم علينا ثلاث: ألَّا نبدأكم بقتال، وألَّا نمنعكم مساجد الله، وأن نعطيكم حقَّكم في الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا في الجهاد[٢].

تركهم؛ وهم يعلنون المعارضة، ما دام مجرد رأي فليعلن عن رأيه، ولكن لا يحمل السيف، «**من حمل علينا السِّلاح فليس منَّا**»[٣]، هكذا يقول النَّبي ﷺ.

إذا كانت القضيَّة فكرية فلنناقشهم فكريًّا، وإذا كانت القضيَّة اجتماعيَّة اقتصاديَّة فلتُحل عمليًّا؛ فلنبدأ بالإصلاحات: الإصلاح السياسي، والاجتماعي والاقتصادي، بعض هؤلاء فقراء، لا يكادون يملكون القوت.

---

(١) حديث مناظرة ابن عباس مع الخوارج، رواه الحاكم في قتال أهل البغي (١٥١/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في الجمل (٣٩٠٨٥)، والبيهقي في قتال أهل البغي (١٨٤/٨).

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الفتن (٧٠٧١)، ومسلم في الإيمان (١٠٠)، عن أبي موسى الأشعري.

QaradawiBooks.com

في المغرب كما في كثير من البلاد العربيَّة، أناس معدمون لا يملكون شيئًا، هؤلاء لا بدَّ أن نبحث عن حالهم، أن نقيم العدل الاجتماعي، ليس معقولًا أن يملك أناس القصور، ولا يملك بعضهم كوخًا؛ الرجل وزوجته وأولاده؛ وربما كان معه أمُّه وأبوه يسكنون في غرفة، في «البدروم».

ليس هذا عدلًا، لا بدَّ من إقامَة العدالة للنَّاس، ولا بدَّ من إزالة الأمية.

للأسف البلاد الإسلاميَّة من أكثر البلاد الَّتي تنتشر فيها الأمية، أمَّة «اقرأ» لا تقرأ، الأمَّة الَّتي أوَّل آيــة في كتابهــا: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلَق: ١]، لا تعرف القراءة، هذا عار وشنار، ونقطة سوداء في جبين الأمَّة إلى اليوم.

لا بدَّ من بذل الجهد في الإصلاح، لا بدَّ من إقامَة العدالة، لا بدَّ من إتاحة فرص متكافئة للنَّاس، وبذلك نضيِّق من أســباب الغلوِّ والتطرُّف، وإذا ظهر غلوٌّ وتطرُّف سيظلُّ محصورًا، ســيظلُّ الشعب يقاومه قبل أن تقاومه الحكومة.

اللهمَّ أرنا الحقَّ حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه.

اللهمَّ هيئ لنا من أمرنا رشــدًا، اللهمَّ لا تجعلنا ممَّن زُين له ســوء عمله فرآه حسنًا.

اللهــمَّ اجعل يومنا خيرًا من أمســنا، واجعل غدنا خيــرًا من يومنا، وأحسِن عاقبتنا في الأمور كلِّها، وأَجِرنا من خزي الدُّنْيا وعذاب الآخرة.

* * *

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

٦

الإصلاح الَّذي ننشده
أهدافه وشروطه ومجالاته[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

حيثما يمَّمتَ وجهك في أي بلد من بلاد الإسلام: وجدت النَّاس يتحدَّثون عن أمر مهمٍّ، يدعون إليه وينادون به، إنَّه الإصلاح.

الصُّحف تتحدَّث عن الإصلاح، والإذاعة والتلفاز وأجهزة الإعلام تتحدَّث عن الإصلاح، العلماء والمعلِّمون والمربون والمفكِّرون يتحدَّثون عن الإصلاح، جمعيَّات تتكوَّن تحت عنوان: الإصلاح، أحزاب تنشأ باسم الإصلاح، حوارات وندوات ومؤتمرات تُعقد كلُّها من أجل الإصلاح، فما هذا الإصلاح؟

ما المراد من الإصلاح الَّذي ينادي به الجميع؟

حتى الأمريكان ـ الَّذين يتحكَّمون في مصاير العالم ـ يطالبوننا بالإصلاح، يدعوننا إلى الإصلاح.

(١) أُلقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، في ٢٤ من ذي القعدة ١٤٢٤هـ الموافق ١٦ يناير ٢٠٠٤م.

نسخة مجانية

لا بدَّ إذن أن نعرف ما المراد بالإصلاح الَّذي ننادي به نحن وينادي به غيرنا؟

قوى الداخل والخارج تطالب بالإصلاح، فهل هناك شيء اسمه الإصلاح؟ وهل هناك حاجة إلى الإصلاح؟ وما هذا الإصلاح؟ وما أهدافه؟ وما شروطه؟ وما مجالاته؟

هذا ما نودُّ أن نتحدَّث عنه في خطبتنا اليوم.

ما المراد بالإصلاح؟

الإصلاح: أن تحوِّل الشيء الفاسد إلى شيء صالح، أو تحوِّل الإنسان الفاسد إلى إنسان صالح، أو المجتمع الفاسد إلى مجتمع صالح، أو الأمَّة الفاسدة إلى أمَّة صالحة، هذا هو الإصلاح.

ولهذا نحن نرحِّب بالإصلاح ـ بوصفنا مسلمين ـ نحبُّ الإصلاح ونكره الإفساد، والله تعالى ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، و﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤]، و﴿لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١]، ويعاقِب المفسدين ويُنزل عليهم نقمته، حتَّى إنَّ بني إسرائيل حينما أفسدوا في الأرض مرَّتين سلَّط الله عليهم من يقهرهم ويذلُّهم ويجوس خلال ديارهم، وكلَّما عادوا إلى الإفساد عاد الله عليهم بالعقوبة ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: ٨].

من ألوان الإفساد:

الإفساد السياسي وأعوانه:

الإسلام يكره الفساد والإفساد، والقرآن الكريم لمن يقرؤه ويتأمَّله ذكر أنواعًا من الإفساد، هناك الإفساد السياسي، كذلك الَّذي قام به

QaradawiBooks.com

فرعون حينما قهر طائفة من رعيته، استذلَّهم وحرَمهم حقوقهم الفطرية، ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤].

هذا إفساد سياسي.

ومثل هذا الإفساد السياسي: ما يقوم به بعض النَّاس من خداع للجماهير؛ لخدمة السلطة، كالذي يفعله المستأجَرون من الصحفيين والإعلاميين، الأبواق المستأجَرة. كالذي كان يقوم به سحرة فرعون قبل أن يؤمنوا، وقد قال لهم موسى: ﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يُونس: ٨١].

ومن الإفساد السياسي: ما يقوم به الاستعمار حينما يدخل بلدًا، فيذلّ العباد، ويفسد البلاد، كما أشار القرآن إلى ذلك على لسان ملكة سبأ: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾، أي: إذا دخلوها فاتحين ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النَّمل: ٣٤].

هذا إفساد سياسي.

الإفساد الاقتصادي:

وهناك إفساد اقتصادي أشار إليه القرآن، كالذي كان يفعله أهل مدين وأصحاب الأيكة، الَّذين أُرسل إليهم شعيب، وقال لهم: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ۞ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۞ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الشُّعراء: ١٨١ ـ ١٨٣].

هذا إفساد اقتصادي، أن يتصرَّف النَّاس في المال بما لا يتَّفق مع القيَم الأخلاقية والمصلحة الاجتماعيَّة، كما قال قوم قارون لقارون:

QaradawiBooks.com

﴿لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]، أي: لا تبطر بمالك ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [القصص: ٧٧]، لا تبغ الفساد في الأرض بمالك، لا تجعل مالك وسيلة للفساد والإفساد، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

الإفساد الأخلاقي:

هناك إفساد أخلاقي، كالذي قام به قوم لوط حينما قلبوا الفطرة واتخذوا الذكور محلًّا للشهوة، وقال لهم: ﴿أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ﴾ [الشُّعراء: ١٦٥، ١٦٦]، هؤلاء النَّاس الَّذين أتوا هذه الفاحشة، الَّتي ما سبقهم بها مِن أحد مِن العالمين، فاستحقُّوا نِقمة الله، قال لهم لوط: ﴿أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٩، ٣٠]، وأي فساد أشدّ من هذا الفساد.

ذو الوجهين:

ومن الفساد الأخلاقي: أنْ يعيش الإنسان بشخصيَّة مزدوجة، له وجهان، وله لسانان، وجه يقابل به جماعة، ووجه آخر يقابل به غيرهم، لسان لهؤلاء، ولسان لهؤلاء، مذبذبين بين ذلك، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ۝ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١، ١٢].

QaradawiBooks.com

الإفساد الاجتماعي:

هناك فساد أخلاقي، وهناك فساد اجتماعي، إشاعة فساد ذات البين، تقطيع الروابط بين النَّاس، كالذين قال الله فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٧]، ويقول: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ [محمَّد: ٢٢، ٢٣].

الإفساد البيئي:

هناك أنواع كثيرة من الإفساد، منها: الإفساد البيئي، أن يُفسد الإنسان الأرض الَّتي خلقها الله له لينتفع بخيراتها، ويستمتع بطيباتها، فيلوِّثها بالملوِّثات المختلفة، ويُفسد مكوِّناتها من الأرض والنبات والهواء والماء والحيوان والإنسان، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]، أي: بعد أن أصلحها الله، وهيَّأها لكم لتمشوا في مناكبها، وتأكلوا من رزقه.

هذا كلُّه من الإفساد في الأرض، وكما قال موسى لقومه: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠].

الإفساد الأمني:

هناك الإفساد الأمني، إشاعة الجرائم، وإخافة السبيل بالسَّرقة الصُّغرى، أو السَّرقة الكُبرى الَّتي يسمُّونها: الحِرابة وقطع الطريق، ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣].

هذا نوع من الفساد في أمن النَّاس، وهذا ما كان يقوم به اليهود ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗا﴾ [المائدة: ٦٤].

والذي كان يقوم به يأجوج ومأجوج ﴿إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الكهف: ٩٤].

كلُّ هذه الأنواع من الإفسادات ذكرها القرآن الكريم، وأنكر على أصحابها ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

لهذا ننكر الفساد وندعو إلى الإصلاح:

ولذلك نحن المسلمين نكره الفساد، والإفساد والمفسدين، الَّذين يفسدون في الأرض ولا يُصلحون، كما قال صالح لقومه: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾ [الشُّعراء: ١٥٠ ـ ١٥٢].

نحبُّ الصلاح والإصلاح، ونكره الفساد والإفساد، ولهذا فنحن أوَّل من يستجيب لدعوة الإصلاح، يجب أن نصلِح من أنفسنا، ولا يجوز أن نبقى على حالة الفساد الَّتي نحن فيها.

النَّاس يتنادون بالإصلاح في كلِّ مكان، ما سرُّ هذا؟

سرُّ هذا شعورهم بحالة الخلل والتفكُّك والتمزُّق الَّذي تعانيها مجتمعاتنا، وتعانيها أمَّتنا، لا من المحيط إلى الخليج فحسب، بل من المحيط إلى المحيط، من المحيط الهادي إلى المحيط الأطلسي، من جاكرتا إلى الرباط، الأمَّة كلُّها تعاني الفساد، ولهذا هي في حاجة إلى الإصلاح، ويجب أن تصلِح الأمَّة من نفسها، بدل أن يسعى

QaradawiBooks.com

غيرها إلى إصلاحها؛ لأنَّها إذا أصلحت نفسها تصلِح نفسها لنفسها، لذاتها، لأهدافها، لا لأهداف غيرها.

غير مرخصة للطباعة

أهداف الإصلاح:

الإصلاح ـ أيُّها الإخوة ـ أن نعالج أمراضنا المختلفة، نعالجها من صيدليتنا لا من صيدليات غيرنا، وبتشخيصنا لا بتشخيص أطباء أجانب لنا، وبوصف الدواء من عندنا لا من عند غيرنا، الإصلاح الَّذي نبتغيه له أهداف، وله شروط، وله مجالات.

من أهداف الإصلاح: أن يكون مُعَبِّرًا عن ذاتية الأمَّة:

أوَّل أهدافه: أنْ يكون معبِّرًا عن الأمَّة، عن ذاتية الأمَّة، أن يجيب عن هذا السؤال الكبير: «من نحن»؟ أنحن لنا قيمة؟ أم نحن صفر على الشمال؟ أنحن أمَّة على الهامش أم في الصُّلب؟ أنحن أمَّة لها رسالة ولها حضارة ولها تاريخ أم نحن دخلاء على هذا العالم؟

يجب أن نجيب عن هذا، فإذا قلنا: نحن الأمَّة الوسط، نحن الشُّهداء على النَّاس، نحن خير أمَّة أُخرجت للنَّاس، نحن الأمَّة الخاتمة، نحن أمَّة الخلود: ترتَّب على هذا أشياء كثيرة، إذا أردنا أن نصلِح الأمَّة نصلِحها على هذا الأساس: أن نربِّي الاعتزاز بهذه المعاني في الأمَّة، كما قال سيِّدنا عمر: نحن كنَّا أذلَّ قوم فأعزَّنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزَّة بغيره أذلَّنا الله[1].

(١) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٥٨٥)، والحاكم في الإيمان (٦١/١)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي.

نسخة مجانية

الإصلاح المرفوض:

الأمريكان يريدون لنا أن نصلِح أنفسنا، وإذا أصلحنا أنفسنا كما يريد الأمريكان، فلا شكَّ أنَّ الأمريكان يريدون شيئًا يحقِّق لهم مطامع وأهدافًا، لا يريدون منَّا أن نكون أمَّة قوية، أمَّة لها رسالة، أمَّة تقف على رأس القافلة، أمَّة تقوى من ضعف، وتتعلَّم من جهل، وترقى من هبوط، وتجتمع من فُرقة، لا يريدون لنا ذلك.

إنهم يريدون أمَّة مستأنسة، يُقال لها فتسمع، وتُؤمر فتطيع، أمَّة منزوعة السِّلاح، مكسورة الجناح، مكشوفة الساح، لا تستطيع أن تدافع عن نفسها، أمَّة بلا مخالب ولا أنياب، أمَّة تسير في ركاب الآخرين، وهل هذا ما نريده نحن لأنفسنا؟!

لا، ثمَّ لا.

هناك من العلمانيين ـ ومن يسير في ركاب الأمريكان وغيرهم ـ من يريدون الإصلاح، ولكنَّهم يريدون إصلاح الأمَّة بأن يفرِّغوها من عناصر القوَّة والبطولة فيها، أن يجرِّدوها من أسلحتها، أن تسير الأمَّة وراء الآخرين شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، حتَّى لو دخلوا جُحر ضبٍّ لدخلوه[1]، يريدون تجفيف منابع التدين الإيجابي في الأمَّة، في التعليم، في التربية، في الإعلام، في الثقافة، يريدوننا إنسانًا غريبًا عن أرضه، غريبًا عن قومه، بل غريبًا عن نفسه! مسلوخًا من جلده، إنسانًا متفرنجًا ـ أو خواجة ـ يلبس دشداشة أهل الخليج، أو جلابية أهل مصر، أو لباس أهل المغرب، ولكن في داخله خواجة أوربي أو أمريكاني.

---

(١) إشارة إلى قوله ﷺ: «لتتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جُحر ضبٍّ لدخلتموه». قالوا: يا رسول الله، اليهود والنَّصارى؟! قال: «فمن؟!». متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٥٦)، ومسلم في العلم (٢٦٦٩)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

يريدون امرأة كذلك تمشـــي وراء المرأة الغربيَّة، في زيِّها وسلوكها وأفكارها وتقاليدها.

هذا ما يريده العلمانيون الَّذين يغرِّبون الأمَّة باسم التحديث.

الإصلاح المنشود:

نحن ندعو إلى الاجتهاد والتجديد، ونحارِب الجمود والتقليد، ونرى الاجتهاد والتجديد لدين الأمَّة ودنياهـــا: فريضة وضرورة يوجبها الدين، وضرورة يحتِّمها الواقع.

نحن لا نقاوِم تحديث الأمَّة، ولكن التحديث في أي شيء؟

التحديث في الآليات والوسائل، أمَّا الأهداف فلا تُحدَّث، الأهداف ثابتة، والمرونة في الوسائل والكيفيات والآليات، ولكن هؤلاء المتغرِّبين والمتأمركين: يريدون أن يغيِّروا كلَّ شـــيء في الأمَّة، أو كما قال إقبال: إنَّهم يريدون تجديد الكعبـــة بجلب حجارة لها من أوربـــا! أو كما قال الرافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: إنَّهم يريدون أن يجدِّدوا الدين واللغة والشمس والقمر[1]!

لا، نحن نريد أن تتجدَّد الأمَّة من داخلها، بأن تنهض الأمَّة برسالتها، بتحقيق أهدافها هي، أن تكون الأمَّة كما أراد الله لها، أمَّة وسطًا، شهيدة على النَّاس، لها مقام الأستاذية بين البشريَّة، يقول قائلها ما قال ربعي بن عامر: إنَّ الله ابتعثنا لنخرج النَّاس مـــن عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدُّنْيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام[2].

(١) من عبارة الرافعـــي على غلاف كتابه تحت راية القرآن، نشـــر دار الكتـــاب العربي، ط٧، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

(٢) رواه الطبري في تاريخه (٥٢٠/٣)، نشر دار التراث، ط٢، ١٣٨٧هـ.

QaradawiBooks.com

نريد تعبئة الأمَّة بهذه المشاعر، صحيح أننا ضعفاء لا نملك ترسانات نووية، ولا نملك أسلحة إستراتيجيَّة هائلة، كما يملك الآخرون، ولكنَّنا نملك رسالة سماوية، رسالة رُوحية، رسالة حضارية، لا يملكها أحد سوانا.

وهذا يورثنا العزَّة الَّتي تجعلنا نباهي بها وننادي ربَّنا ونقول:

وممَّا زادني شرفًا وتيهًا وكِدتُ بأخْمُصي أطأ الثُّريَّا
دخولي تحت قولك: يا عبادي وأن أرسلتَ أحمدَ لي نبيًّا[1]

هذه هي أمَّتنا، وهذا هو الهدف الأوَّل من الإصلاح: أن نعيد الأمَّة إلى ذاتيتها، أن نغرس فيها هذه المعاني؛ حتَّى تشعر بنفسها، وتنطلق من ذاتها، لا يحرِّكها غيرها، وإنَّما تحرِّك نفسها، وإذا عرفت ذلك بَنت سياستها، وبَنت اقتصادها، وبَنت تعليمها، وبَنت إعلامها، وبَنت حياتها كلَّها على هذا الأساس.

هذا هو هدف الإصلاح، إنَّه إصلاح شامل، وإصلاح جذري، ليس إصلاحًا ترقيعيًّا، أشبه بالمسكِّن الَّذي يأخذ المريض قرصًا ليخفِّف الألم، والمرض باق كما هو يعمل بين جوانحه.

لا، إننا نريد أن نقتلع الأمر من جذوره، الداء من جرثومته، هذا هو الإصلاح الحقيقي.

شروط الإصلاح المنشود:

والإصلاح المنشود له شروط لا بدَّ أن تتوافر حتَّى يحقِّق هدفه، ويؤتي أُكله.

---

(١) من شعر القاضي عياض، كما في غذاء الألباب شرح منظومة الآداب للسفاريني (٢/٤٧٥)، نشر مؤسسة قرطبة، مصر، ط٢، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

QaradawiBooks.com

١ ـ أن يعتمد الإسلام مرجعية له:

أمَّا شروط الإصلاح: فأول شرط له: أن يراعي هذا الهدف، أن ينطلق من أعماق الأمَّة لا يُملى عليها.

هناك أُناس يريدون الإصلاح الَّذي يفرَض من الخارج، قالوا: لولا الأمريكان ما استطعنا أن نصلِح أنفسنا، وأن نغيِّر ما بنا.

لا يمكن أن يصلِح شعب شعبًا آخر، وأن يكون مخلصًا في إصلاحه، إلَّا إذا اتَّفق هدفه وهدفه، ونحن لنا أهداف وهم لهم أهداف، فكيف نتَّفق؟

لا يمكن أن يُملى الإصلاح من الخارج، الإصلاح المُملى من الخارج مشبوه، مشكوك فيه، متَّهم أبدًا، لا يمكن أن ترضى عنه أنفسنا، ولا أن تطمئنَّ إليه قلوبنا، هذا ما لا شكَّ فيه، وكيف يصلِحنا قوم قال الله في أمثالهم: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ [التَّوبة: ٣٢]، ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧].

٢ ـ أن يقوم به أهل الحِكمة والخبرة:

الإصلاح الحقيقي: أن يبدأ من الأمَّة، ويقوم عليه علماؤها وحُكماؤها، وأولو الرُّشد من أهلها، مستجيبين للدوافع الشَّعبيَّة، والرغبات العامَّة عند الأمَّة، ولكن لا ينبغي أن يكون الغوغاء هم المتحكِّمين في هذا.

لا يَصلح النَّاس فوضى لا سَراة لهم ... ولا سَراة إذا جُهَّالهم سادوا
والبيتُ لا يُبتنى إلَّا له عَمَد ... ولا عِماد إذا لم تُرْسَ أوتادُ[1]

(١) من شعر الأفوه الأودي. انظر: العقد الفريد (١١/١).

QaradawiBooks.com

والقرآن الكريم يقول: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النِّساء: ٨٣].

لا بدَّ أن يُردَّ الأمر إلى أهل العلم والحِكمة، أهل البصيرة في دين الله، والخبرة بدنيا النَّاس، الَّذين ينظرون إلى التراث بعين، وإلى العصر بعين أخرى، الَّذين يستلهمون الماضي، ويعايشون الحاضر، ويستشرفون المستقبل.

لا ينفع في الإصلاح الجامدون الَّذين يريدون أنْ يجمِّدوا الحياة كالنهر الآسن، لا تتحرَّك إلى أمام، ولا تتحرَّك يمنة ولا يسرة، ويقولون: ليس في الإمكان أبدع ممَّا كان، وما ترك الأوَّل للآخر شيئًا، وكلُّ قديم يجب أن يبقى على قِدمه.

هؤلاء لا يصلحون للإصلاح.

وكذلك لا يصلح لإصلاح الأمَّة أولئك المتسيِّبون عبيد الفرنجة، عبيد الفِكر الغربي، الَّذين يريدون أن يسلخوا الأمَّة من جلدها، وأن ينفرط كلُّ شيء، وألَّا يبقى شيء على حاله، فليس للأمَّة ثوابت ترجع إليها، ولا مرجعية تتمسك بها.

لا، هذا خطر، أوَّل شروط الإصلاح أن نتمسَّك بمرجعيتنا، وأن ننطلق من ذاتيتنا، ومرجعيتنا: هي الإسلام، وشريعة الإسلام، عليها نعتمد، ومنها نستمد، وبها نعتصم ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]، هذا ثاني شروط الإصلاح.

أول الشروط: أن نعتمد الإسلام، وثاني الشروط: أن نعتمد أهل الحِكمة وأهل الخبرة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٣ ـ أن يكون الإصلاح شعبيًّا:

وثالث هذه الشروط: أن يتمَّ الإصلاح بإرادة الشَّعب، وعن طريقه: أن يريد الإصلاح، ويتقبَّل الإصلاح، ويتجاوب مع الإصلاح.

أيضًا هناك أُناس يطلبون الإصلاح عن طريق انقلابات عسكريَّة، وهذا لا يمكن أن يؤدِّي إلى المقصود، الانقلاب العسكري ـ حتَّى وإن قام به أُناس مخلصون، وقاده رجل مستقيم المسيرة ـ لا يؤمَن أن يُصبح بعد ذلك ديكتاتورًا ومستبدًّا، ويفرض إرادته على الجميع، ونحن نريد أن ينطلق الإصلاح من الشَّعب، لا أن يُفرض عليه!

هناك أُناس يريدون الإصلاح عن طريق ثورة عارمة، وهذا أمر غير مأمون، ما جرى في إيران أيَّام الخميني كانت له ظروفه وأسباب نجاحه، وهيهات أن يتوافر لشعب آخر، وفي مكان آخر؛ لأن هذه الظروف قلَّما تتيسر إلَّا في النَّادر، ولذلك الثورات العارمة الَّتي تنطلق كالمارد وكالسيل العارم مخوفة العواقب.

لذلك علينا أن نوعِّي الشَّعب ونثقِّفه ونربِّيه؛ ليؤدي واجبه، ويطالِب بحقِّه، ويدافِع عنه؛ حتَّى يختار حكَّامه ويحاسبهم، ويعزلهم عند اللزوم، بغير دماء تراق، بل عن طريق المؤسَّسات الدستورية.

٤ ـ أن يبدأ الإصلاح من داخلنا:

ورابع شروط الإصلاح: أن نبدأ من الداخل، أن نقود الإنسان من داخله، من عقله، من ضميره، من نفسه الَّتي بين جنبيه، الإنسان ليس بهيمة تُقاد من آذانها أو من أعناقها، الإنسان يُقاد من نفسه، لنبدأ بإيقاظ

QaradawiBooks.com

العقول، وإحيـــاء الضمائر، وتزكية الأنفـــس، ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧ ـ ١٠].

غيِّر ما بنفسك يتغير التاريخ، هذا منطق القرآن الكريم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرَّعد: ١١].

هذا ما فعلـــه الأنبياء عليهم السّـــلام، بـــدؤوا بتغيير أنفـــس النَّاس وعقولهم، وتصحيح عقائدهم ومفاهيمهم الأساســـيَّة، وفِكرتهم عن الله، وعن الكون، وعن الإنســـان، وعن الحياة، وعـــن الوجود، وهذا ما فعله محمَّد ﷺ، صبَّ في عروق الصَّحابة هـــذا الإيمان الجديد، الإيمان بالله ورســـالاته، وبالدار الآخرة، وبالرســـالة العُظمى الَّتي يحملونها للبشريَّة لهداية النَّاس، ونفْع النَّاس.

هذا أمر مهمٌّ: أن نغيِّر ما بالأنفس قبل كلِّ شيء، لا بدَّ من القوانين، ولا بدَّ من الأنظمـــة، لا بدَّ من اللوائح، ولكن هـــذه لا قيمة لها، إذا لم يكن هناك ضمائر تراقِب هذه الأشياء وترعاها، وإلا أصبح القانون حبرًا على ورق.

قال أحد القضاة في قضيَّة شـــهيرة فـــي بريطانيا، اتُّهـــم فيها وزراء بالرشوة والفســـاد، كتب تقريرًا من مئات الصفحات، ثمَّ انتهى فيه إلى قوله: بلا قانون لا يكون أمَّة، وبلا أخلاق لا يهيمن قانون، وبدون إيمان لا توجد أخلاق. الإيمان هو الَّذي يحمي هذا كلَّه.

٥ ـ التدرُّج:

وهناك بعد ذلك: أن نســـير بمنهج التدرُّج، إنَّ الله بنى الدُّنْيا في ستَّة أيام، كان قادرًا علـــى أنْ يبنيَها في لحظة «كن فيكـــون»، ولكن ليعلِّمنا

QaradawiBooks.com

الأناة والتدرُّج، التدرُّج سُنة كونيَّة، وسُنة شرعية، ولذلك لا بدَّ أن نتدرَّج في الإصلاح، بشـــرط: أن يكون أمامنا هدف واضح، وخُطَّة مرســـومة، ومراحل معلومة.

أمَّا أن يقـــول بعض النَّاس: نتـــدرَّج ولا يتدرَّجـــون، كما قال بعض الحكَّام: إننا نريد أن نطبق الشَّريعة بالتدريج، ولكن مرَّت عليهم عشرات السِّـــنين وهم لا يتدرَّجون، محلك سِرْ، لا ينتقلون من درجة إلى درجة، ولا من خطوة إلى خطوة، ولا من مرحلة إلى مرحلة، هذا ليس تدريجًا وإنَّما هو التمويت لا التدريج.

نريد تدرُّجًـــا حقيقيًّا كما قال عمر بن عبد العزيـــز لابنه حينما تولَّى الخلافة، وبدأ يعالج أمور النَّاس بالرفق والأناة، شيئًا فشيئًا، ويومًا فيومًا، فقال له ابنه عبد الملك ـ وكان شابًّا تقيًّا مليئًا بالحماس والغيرة ـ قال له: يا أبت، مالـــي أراك تتباطأ في إنفاذ الأمور، فـــوالله لا أبالي لو غلت بي وبك القدور في سبيل الله!

يعني الابن: لو قُطِّعنا ووُضعنا فـــي القدور، وغلت علينا النَّار تحتها لا نبالي.

فقال له أبوه: يا بني لا تعجل! إنَّ الله ذمَّ الخمر في القرآن مرَّتين، ثمَّ حرَّمها في الثالثة، وإنِّي أخشى أنْ أحمل النَّاس على الحقِّ جُملة فيدعوه جُملة، ويكون من وراء ذلك فتنة، أمَا يسرُّك أنَّه لا يأتي على أبيك يوم، إلَّا ويميت فيه بدعة ويحيي سُنة[1]؟

هذا هو المهمُّ: أن يميت كلَّ يوم بدعة، ويحيي كلَّ يوم سُنة، أمَّا أن يقول: أتدرَّج ولا يتدرَّج، فهذا لا يجوز.

(١) العقد الفريد (٣٩/١).

QaradawiBooks.com

مجالات الإصلاح:

هذه شـــروط الإصلاح، أمَّا مجالات الإصـــلاح ـ أيُّها الإخوة ـ فهي الحياة كلُّها، الحياة كلُّها محتاجة إلى إصلاح.

التعليم محتاج إلـــى إصلاح، بحيث لا يخرج الإنســـان الَّذي يصم ويحفظ ولا يفهم، إنَّما يخرج الإنسان الواعي الفاهم، نريد تعليمًا حقيقيًّا.

الإعلام محتـــاج إلى إصلاح، بحيث لا يفسِـــد الإعـــلام ما يصلحه المنبر:

مَتَـــى يَبْلُـــغُ البُنْيَانُ يومًـــا تَمَامَه إذا كنتَ تَبْنِيه وغَيْـــرُكَ يَهْدِمُ[1]؟

الإصلاح السياسي:

السياســـة تحتاج إلى إصلاح، وأول ما تحتاج إليه السياســـة: إشاعة الحرِّية بيـــن النَّاس، أنـــا أرى أنَّ الأمر الأوَّل الَّذي يحتـــاج إليه العرب والمســـلمون في مجتمعاتهم اليوم هو: توطيد الحرِّية، الحرِّيات العامَّة، ولا سيَّما الحرِّية السياســـيَّة: أن يستطيع الإنســـان أن يختار القائد الَّذي يحكُم بلـــده، ولا يُفرض عليه فرضًا بالقـــوة أو بالتزوير، وأن يختار من يمثِّله في البرلمان، ويستطيع أن يقول الحقَّ إذا رآه، وأن يأمر بالمعروف، وأن ينهى عن المنكر دون أن تأتـــي كلاب الصيد فتتخطَّفه في منتصف الليل، وتذهب به إلى حيث لا يعلم أحد أين هو.

هذا هو الخطر، الحرِّية السياسيَّة هي أوَّل ما يحتاج إليه النَّاس.

---

(١) من شعر صالح بن عبد القدوس، كما في البيان والتبيين للجاحظ (٢٥٨/٣)، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

QaradawiBooks.com

الإصلاح الاقتصادي:

هناك الإصلاح الاقتصادي، هناك تنمية الإنتاج، وعدالة التوزيع، وترشيد الاستهلاك، وسلامة التداول، هناك ينبغي أن توزَّع الثروة بالعدل والقسطاس بين النَّاس، وليس العدل أنْ يتساوى الجميع، ولكن أن تُتاح فرص متكافئة للجميع، وأن يأخذ كلُّ ذي حقٍّ حقَّه، وألا يغرق بعض النَّاس في الذهب والحرير، في حين لا يجد آخرون ما يمسك الرَّمق.

الإصلاح الاجتماعي والأخلاقي:

هناك إصلاح اجتماعي، وإصلاح أخلاقي، وإصلاح في كلِّ مجال من المجالات، نريد أن نبدأ الإصلاح في هذه المجالات، لا يتوقف إصلاح في مجال على إصلاح في مجال آخر، كلُّ هذه المجالات قابلة لأن نبدأ فيها متوازية ومتكاملة، حتَّى نستطيع أن نصل إلى المجتمع الصالح الَّذي ننشده.

ومن خلال هذه المجتمعات ننشئ أمَّة صالحة تقوم بدورها في هداية العالم، هذا العالم الَّذي وصل إلى القمر، ووصل إلى المريخ، ولكنَّه ـ حتَّى الآن ـ لم يُسعد نفسه على ظهر هذه الأرض.

المسلمون وحدهم هم القادرون على حمل هذه الرسالة العظيمة إلى البشريَّة المعذَّبة، المسلمون بقرآنهم وسُنتهم هم الَّذين يحملون قارورة الدواء الَّتي فيها شفاء البشريَّة ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يُونس: ٥٧].

QaradawiBooks.com

أســأل الله أن ينير لنا الطريق، ويهدينا سواء الســبيل، وأن يُصلحنا، ويُصلح بنا، ويهدينا، ويهدي بنــا، ويُخرجنا من الظلمات إلى النُّور، إنَّه سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأســتغفر الله تعالى لي ولكم، فاســتغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

❊ ❊ ❊

غير مرخص
نسخة مجانية

الخطبة الثانية

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

انتحار الشَّباب بالسُّرعة الجنونية أثناء قيادة السَّيارات:

قرأت في صحف الأمس وصحف اليوم: نبأ أربعة شُبَّان من أبناء قطر، ذهبوا ضحية حوادث الطريق، ثلاثة في سيارة، وواحد في سيارة، وكلُّهم فتية في عمر الزهور، في ريعان الشباب، ومقتبل العمر، في السادسة عشرة والسابعة عشرة، وفي كلِّ مدَّة قريبة نقرأ هذه الأنباء عن شباب اغتالهم الطريق، ذهبوا ضحية السرعة الجنونية في الطريق، التسابق المجنون بين الشَّباب بعضهم وبعض.

إلى متى هذا أيُّها الإخوة؟ من المسؤول عن هذه الحوادث؟ هل المسؤول عن هذا هم الشَّباب الَّذين يركبون هذه المركبات، وكثيرًا ما لا يكونون يحملون الرخص؛ لأنَّ سِنهم لم يتأهل لأخذ الرخصة الرسميَّة؟ هل هؤلاء الشَّباب هم المسؤولون؟ أو المجتمع هو المسؤول؟

ابتداء من الأسرة والمدرسة، أي أنَّ المجتمع قصَّر في توجيههم وتربيتهم التربية السليمة، وتربية العقل الواعي، والضمير الحي.

إنهم لم يتربوا التربية الحقيقيَّة المطلوبة، الَّتي تعرِّفهم قيمة أنفسهم، وقيمة الحياة الَّتي منحهم الله إياها؟

هل الإنسان حرٌّ في أن يضيِّع حياته كما يريد؟ هل هو الَّذي خَلق نفسه؟!

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قيمة الحياة:

يجب أن نعلِّم شبابنا أنَّ أرواحهم هذه هبة من الله لهم، ووديعة من الله في أيديهم، لا يجوز أنْ يفرِّطوا فيها، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النِّساء: ٢٩]، ويقول: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِۛ﴾ [البقرة: ١٩٥].

إنَّني أرى هذه السُّرعات الجنونية ـ الَّتي كثيرًا ما أشاهدها في الطرقات ـ نوعًا من الانتحار، كأنَّما هذا السائق ينتحر، إنَّه لا يبالي بنفسه، ولا يبالي بغيره، كثيرًا ما يُصاب هو ويصيب غيره، وكثيرًا ما يموت، وكثيرًا ما يبقى معوَّقًا طوال الحياة؛ لأنَّه فقد بعض حواسه، أو فقد بعض أعضائه، أهذه حياة؟!

احترام الحياة والثروة:

ينبغي أن نعلِّم أبناءنا، وأن نربِّي أبناءنا على احترام الحياة، حياة نفسه، وحياة غيره، إذا كان الشَّاب عنده من المال، أو عند أبيه من المال ما يعطيه سيارة يَعبث بها، فليس من حقِّه أن يعبث بذاته، بروحه، حتَّى الأموال لا يجوز العبث بها؛ إنَّ النَّبي ﷺ نهى عن إضاعة المال[1].

تدمير هذه السَّيارات في غير فائدة، لماذا هذا العبث؟

ولماذا يسمح الآباء بإعطاء السَّيارات قبل السن اللازمة، القانون حينما حدَّد ثمانية عشر عامًا لم يكن لاهيًا ولا لاعبًا، إنَّما أراد أن يبلغ الشابُّ سِنًّا يكون فيها أقدر على التوازن، على التصرُّف الهادئ العاقل، فلماذا نتجاوز القوانين؟!

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٧٣)، ومسلم في الأقضية (٥٩٣) (١٢)، عن المغيرة بن شعبة.

QaradawiBooks.com

إنَّ هذه السَّيارات نِعمة مِن الله علينا، فلماذا لا نشكر الله عليها؟ لماذا نستخدمها فيما يضرُّنا ويغضِب ربَّنا؟ لماذا نقابل النِّعمة بالكفران لا بالشكران؟ والله تعالى يقول: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

نداء للآباء والمسؤولين:

إنِّي أناشد الآباء، وأناشد الأسر، وأناشد المربين: أن ينصحوا الشباب، أن يتقوا الله في أنفسهم، ويتقوا الله في مجتمعاتهم.

حرام علينا أن نفقد كلَّ عدَّة أيَّام بعض هذا الشباب، حتَّى قال لي أحد المسؤولين: إنَّ نحو ربع الأموات من الرجال من جرَّاء حوادث الطريق.

ربع الأموات! وهذه نسبة عالية، وأعتقد أنَّ هذه النسبة في قطر من أعلى النسب في العالم، هذا ما لا يجوز، أن يذهب هؤلاء مجانًا.

بين موتتين:

لو كانت هذه الميتات من أجل هدف رفيع، أو رسالة نبيلة، كنَّا نرحِّب بها، أمَّا أن يذهب الشابُّ مجانًا، وكأنَّه منتحر! فهذا الَّذي لا نحبه ولا نرضاه.

هناك ميتات نباركها ونرحِّب بها، مثل: ميتة الأخت ريم الرياشي، هذه الَّتي فجَّرت نفسها لتقتل عددًا من الإسرائيليِّين المغتصِبين المعتدين، هذا هو الموت الَّذي نرحِّب به.

أمَّا أن يموت الإنسان في غير شيء، فهذا ما لا يجوز، نرحِّب بهؤلاء الأبطال الاستشهاديين والاستشهاديات، الَّذين زلزلوا الكيان الصهيوني،

QaradawiBooks.com

والذين روَّعوهم، وقذفوا الرُّعب في قلوبهم، إنَّهم لا يملكون الطائرات، ولا المروحيات، ولا الآليات الَّتي تملكها إسرائيل المعتدية، ولكنَّهم يملكون رؤوسهم فوضعوها على أكفِّهم، يملكون أرواحهم فبذلوها رخيصة في سبيل الله.

حياك الله يا «ريم»، وحياكم الله أيُّها الأبطال، وثبَّتكم الله أيُّها الإخوة في ربوع فلسطين، الَّذين يقدِّمون كلَّ يوم الشُّهداء وراء الشُّهداء!

يا أبناء فلسطين، يا أبطال هذه الأمة: حيَّاكم الله في أمَّة خذلتكم، لم تقدِّم لكم أرواحًا، ولا أموالًا، ولا عتادًا، ولا سلاحًا، وتركتكم لأعدائكم.

حيَّاكم الله يا إخوتنا في أرض البطولة والصمود والرباط!

أسأل الله تعالى أن يسدِّد خُطاكم، وأن ينير طريقكم، وأن يثبِّت على الحقِّ أقدامكم، وأن يلحقنا بشهدائكم في سبيله.

اللهمَّ آمين.

عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارِك على عبدك ورسولك محمَّد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٧

بداية الإصلاح تزكية الأنفس(١)

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

أهميَّة إصلاح النُّفوس بالتزكية:

في آخر جمعة خطبتها من فوق هذا المنبر تحدَّثنا عن ضرورة الإصلاح، إصلاح المجتمع وإصلاح الأمَّة، وقلنا: إنَّ الإصلاح إصلاح المجتمعات، وإصلاح الأمم، لا يتمُّ إلَّا بصلاح الأفراد.

الأفراد للمجتمعات بمثابة اللبنات للبنيان، لا يمكن أن يقوم بنيان من لبنات فاسدة لبنات غير صالحة، لهذا ينبغي أن نبدأ بصلاح الأفراد.

وصلاح الأفراد يبدأ بصلاح الأنفس، إصلاح الإنسان من جوَّانيته، من داخله لا من خارجه، من باطنه لا من ظاهره، وهذا ما فعله رسول الله ﷺ حينما أراد أن ينشئ أمَّة مؤمنة، ماذا فعل بها؟

إنَّه بدأ بإصلاح أنفسها، إصلاح عقولها، إصلاح وجداناتها، إصلاح نواياها وبواعثها وأهدافها، هكذا ظلَّ ﷺ يزكِّيهم ويعلِّمهم الكتاب والحِكمة.

(١) أُلقيت بمسجد عمر بن الخطَّاب بالدوحة في ٢٢ ذي الحجَّة ١٤٢٤هـ الموافق ١٣ فبراير ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

معنى التزكية:

ما معنى التزكية؟

التزكية تشمل عنصرين: الطهارة والنماء، يقال: زكا الشيء: إذا طهر، وزكا الشيء: إذا نما، ولذلك نرى أنَّ الزَّكاة ـ الركن الثالث في الإسلام ـ هي طهارة ونماء، طهارة لنفس المزكِّي ولماله ونماء لنفسه ولماله ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التَّوبة: ١٠٣]، لا بدَّ أن نطهِّر أنفسنا أولًا، ثمَّ ننمِّيها ثانيًا.

أولًا: تطهير الأنفس من الشِّرك:

لا بدَّ من تطهير الأنفس من رذائل الشِّرك، ورذائل النِّفاق، ثمَّ ننمِّي هذه الأنفس بفضائل التوحيد وبأخلاق المؤمنين.

هذا ما يطلق عليه علماء السلوك: «التخلية والتحلية»، أي: العمل على التخلِّي عن الرذائل، والتحلِّي بالفضائل.

إذا أردت أن تُزكِّي النَّفس؛ فعليك أن تبدأ بتطهيرها، إزالة ما بها من رجس وخبث، رجس الشِّرك، وخبث النِّفاق ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحجُّ: ٣٠، ٣١].

الشِّرك انحطاط والتوحيد ارتقاء:

الشِّرك: انحطاط وهوي من الأعلى إلى الأسفل.

أمَّا التوحيد: فهو ارتقاء بالإنسان؛ أن تعلم أنَّه لا ربَّ إلَّا الله، لا خالق ولا رازق، ولا محيي ولا مميت، ولا نافع ولا ضار؛ إلَّا الله. الله هو مالك

QaradawiBooks.com

السماوات والأرض، وملك السماوات والأرض، فلا تبغي غير الله ربًّا، ولا تتَّخذ غير الله وليًّا، ولا تبتغي غير الله حَكمًا.

هذا هو التوحيد الحقيقي؛ أن تُفرد الله وحده بالعبادة والاستعانة، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

هذا ما تقوله لربِّك كلَّ يوم سبع عشرة مرَّة على الأقل، وأنت تقرأ فاتحة الكتاب في كلِّ فرض، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لا نعبد إلَّا إيَّاك، ولا نستعين إلَّا بك، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

أول ما يُزكِّي نفسك: أن تتحقَّق بالتوحيد، فلا تذلَّ لغير الله، ولا تنحني لغير الله، غير الله لا يملك لك ضرًّا ولا نفعًا، ولا خفضًا ولا رفعًا، الرزق بيد الله، لا يملك مخلوق أن يزيد في رزقك درهمًا يضاف إلى خزانتك، ولا يملك لقمة تدخل في بطنك، الله هو الرزَّاق ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذَّاريات: ٥٨]، ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦].

والآجال الَّتي يخاف عليها النَّاس، لا يستطيع أحد أنْ يزيد في عمرك دقيقة أو لحظة، ولا يستطيع أن ينقص من عمرك دقيقة أو لحظة، ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نوح: ٤]، ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١١]، ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، لا تخف إلَّا الله، ولا تذلّ

QaradawiBooks.com

نفسك إلَّا لله، ابسط يدك إليه، واسأله ما شئت ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [النِّساء: ٣٢].

هذا أوَّل ما يُزكِّي نفسك: أن توحِّد الله تعالى، وتتطهَّر من رذائل الشِّرك؛ أكبره وأصغره، جليِّه وخفيِّه.

ثانيًا: تطهير الأنفس من النِّفاق:

ثمَّ تتطهَّر من رذائل النِّفاق والمنافقين: لا تكن مذبذبًا، لك أكثر من وجه، ولك أكثر من لسان ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [النِّساء: ١٤٣]، لا تكن من هؤلاء الَّذين يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٨، ٩].

تحرَّر من هذا النِّفاق الَّذي هو سوس المجتمعات، والذي يُفسد الحياة ويدمِّرها إذا شاعت رذائل المنافقين ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النِّساء: ١٤٢].

منافقو هذا الزمان:

وفي زمننا هذا منافقون لا يقومون إلى الصَّلاة كُسالى ولا نشيطين، لا يعرفون لله حقًّا، ولا يحنون له ظهرًا، ولا يُعفِّرون له جبهة، منافقو اليوم وهم يدَّعون الإسلام لا يذكرون الله كثيرًا ولا قليلًا ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزُّمر: ٤٥].

QaradawiBooks.com

أخي المسلم:

تحرَّر من رذائل النِّفاق، لا تكن من هؤلاء الَّذين يتلوَّنون تلوُّن الحرباء ويروغون روغان الثعالب:

يُعْطِيكَ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ حَلَاوَةً ... ويَرُوغُ مِنْكَ كَمَا يَرُوغُ الثَّعْلَبُ[١]

مخاطر اتباع النَّفس الأمَّارة بالسوء:

أول ما يُطلب منك لتزكِّي نفسك: أن تتطهَّر من رذائل الشِّرك، ورذائل النِّفاق، «**آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»[٢]، وفي حديث آخر: «**إذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**»[٣].

أخلاق المنافقين معروفة، إذا تطهَّرْت من هذه الرذائل والآفات فعليك أن تبني نفسك من جديد، أن تُحليها بخصال المؤمنين، وفضائل الموحِّدين، وهذا يحتاج إلى جهاد وإلى رياضة، أن تروِّض نفسك؛ النَّفس ليست سهلة القيادة، ولا سلسة الانقياد.

هناك غرائز وشهوات، تدفعها إلى الشرِّ، ولذلك وصف الله هذه النَّفس على لسان امرأة العزيز فقالت: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [يُوسف: ٥٣]، إذا تركت النَّفس وهواها، إذا تركت النَّفس لغرائزها وشهواتها؛ أمرت بالسوء، وأمرت

(١) هو بيت من القصيدة الزينبية لصالح بن عبد القدوس كما في حياة الحيوان الكبرى للدميري (٥١/١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٢٤هـ.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨)، كلاهما في الإيمان، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

بالفحشاء، وزينت لك كلَّ شرٍّ، تسوِّل لك نفسك حتَّى ترتكب الجريمة، وحتى تغرق في المعاصي؛ معصيــة وراء معصية، حتَّى ترديك وتهلك، ولا تجد لنفسك مخرجًا في هذه الحالة.

نماذج للنَّفس الأمَّارة بالسوء:

١ ـ ابن آدم الأوَّل:

انظر إلى أحــد ابني آدم حينمــا ﴿قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ﴾ [المائدة: ٢٧]، قبِــل الله قربان ابن آدم الطيب، المخلص، الخيِّر، ولم يقبل قربان ذلك الشرير، فقال لأخيه: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾، ما ذنبه حتَّى تقتله؟

﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

ابحث عن نفســك، ابحث ماذا في نفســك، حتَّــى إنَّ الله لم يقبل قربانــك، ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٧، ٢٨]، فماذا كانت النتيجة؟

يقــول الله تعالــى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٣٠]، طوَّعت له نفسه قتل أخيه، نفسه الأمَّارة بالسوء هي الَّتي طوَّعت له، وسوَّلت له قتل أخيه فقتله.

لم يكن هناك مجتمع حتَّى يقول الاجتماعيون «دور كايم ومدرسته»: إنَّ هذا ضحية المجتمــع من حوله، وإنَّ كلَّ ما يحدث من شــرور هو نتيجة التأثير المجتمعي على الفــرد، لم يكن هناك مجتمع حتَّى إنَّه لم يعرف كيف يواري سوءة أخيه، أوَّل إنسان يموت، لا يعرف كيف يفعل

QaradawiBooks.com

بجثة الميت؛ حتَّى جاء غراب، بعث الله له غرابًا فعلَّمه كيف يواري سوءة أخيه.

النَّفس الأمَّارة بالسوء هي الَّتي سوَّلت له أن يقتل أخاه.

غير مرخصة للطباعة

٢ ـ إخوة يوسف:

هذه النَّفس الأمَّارة بالسوء: هي الَّتي سوَّلت لإخوة يوسف، وأبناء يعقوب، أبناء الأنبياء، سوَّلت لهم أن يفكِّروا في قتل أخيهم الصغير، البريء الَّذي لا ذنب له إلَّا أنَّ أباه يحبُّه أكثر من غيره، ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [يُوسف: ٩، ١٠]، واتَّفقوا على أنْ يطرحوه ﴿فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾، في بئر مهملة قديمة، وفعلوا ما فعلوا، ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ﴾ [يُوسف: ١٦]، يدَّعون أنَّ الذئب قد أكله، فقال لهم أبوهم: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يُوسف: ١٨].

أنفسهم الأمَّارة بالسوء هي الَّتي سوَّلت لهم أن يفعلوا بأخيهم الصغير ما فعلوا.

٣ ـ السَّامري:

النَّفس تستطيع أن تُلقي الإنسان في مهاوي الهلاك؛ إذا استجاب لغرائزها، وانطلق وراء شهواتها، واستمع لوسوستها، هكذا فعل ـ أيضًا ـ السامري؛ حين زيَّن لقوم موسى، لبني إسرائيل في غيبة موسى، وهو يناجي ربَّه على جبل الطور، زيَّن لهم أن يعبدوا العجل ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ﴾ [طه: ٨٨].

QaradawiBooks.com

وظلُّوا عليه عاكفين حتَّى جاء موسى، وقاوم هذه الفتنة، وقال له السامري: فعلت كذا وكذا ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾ [طه: ٩٦].

النَّفس أمَّارة بالسوء، ولا بدَّ من جهادها حتَّى تنقاد للحقِّ، لا بدَّ من جهاد هذه النَّفس، والنَّبي ﷺ يقول: «**المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله**»[(١)]، وروي عنه أنَّه قال: «**الكيِّس من دان نفسه** ـ حاسبها وحاكمها ـ **وعمل لما بعد الموت**»[(٢)]، والله تعالى يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

كيف تكون أنفُسُنا أنفسًا لوَّامَة؟

لا بدَّ أن تجاهِد هواك، وتجاهِد نفسك؛ حتَّى تنتقل من نفس أمَّارة بالسوء إلى نفس لوَّامَة، وهي الَّتي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۞ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامَة: ١، ٢].

النَّفس اللائمة: هي الَّتي تُكثر اللوم لصاحبها، إذا قصَّر في فعل واجب، أو وقع في فعل شرٍّ؛ تلومه، تؤنِّبه، تقول له: لماذا فعلت كذا؟ ولماذا لم تفعل كذا؟

كأنَّها تلسعه بسوط يُلهب ظهره.

هذا التأنيب الداخلي، هذه المحاسبة، هذا اللوم؛ هذا الَّذي يسمُّونه

(١) رواه أحمد (٢٣٩٥٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في الجهاد (١٦٢١)، وقال: حسن صحيح. وابن حبان في السير (٤٦٢٤)، والحاكم في الإيمان (١١/١)، وصحَّحه على شرط مسلم، وسكت عنه الذهبي، عن فَضَالة بن عُبيد.

(٢) رواه أحمد (١٧١٢٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٥٩)، وقال: حديث حسن. وابن ماجه في الزهد (٤٢٦٠)، والحاكم في التوبة (٢٨٠/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، عن شداد بن أوس.

QaradawiBooks.com

الآن: الضمير الحي؛ هو النَّفس اللوامَة، ولا يُنشـــئ هـــذه النَّفس اللوامَة شـــيء مثل: الإيمان؛ الإيمان بـــالله، والإيمان بالدار الآخـــرة، والإيمان بالحســـاب، والثواب والعقاب؛ هو الَّذي يحيي هذا الضمير، ينشئ هذه النَّفس اللوامَة؛ الَّتـــي تلوم صاحبها دائمًا ولا تتركه يهنـــأ بعيشٍ أو يلتذُّ بنومٍ؛ لأنَّه قصَّر في حقٍّ من حقوق الله، أو حقٍّ من حقوق النَّاس.

كيف نرتقي بأنفسنا إلى الأنفس المُطْمَئِنَّة؟

إذا ارتقـــت النَّفس الأمَّارة إلى هـــذه المرتبة؛ مرتبـــة النَّفس اللوامَة ما زال صاحبها يجاهدها ويرقيها، ويرقى بها حتَّى تصل إلى مرتبة أعلى وأسمى، هي مرتبة النَّفس المطمئنَّة ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر: ٢٧ ـ ٣٠].

هي نفس واحدة ليست نفوسًـــا ثلاثة، ولكن كلّ واحدة من هذه مرتبة من مراتب النَّفس، ترقى إليها، وإنَّما ترقى إليها بالمجاهدة، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

جهاد النَّفس ليس بالأمر السهل، ولا بالشيء الهين؛ إنَّه يحتاج إلى يقظة، ويحتـــاج إلـــى إرادة، ويحتاج إلى عمل مســـتمرٍّ، وإلـــى رقابة، «كنترول» ذاتي في داخل الإنســـان، يراقب أعمالـــه دون أن يكون عليه تفتيش من الخارج، ولا رقابة من دولـــة، ولا من إدارة، هو الَّذي يراقب نفسه، هذا هو الَّذي يرقى بالنَّفس.

هذه الرقابة ليست بالأمر السهل، الإمام الغزالي يقول[1]: جهاد النَّفس صعب لأمرين:

(١) منهاج العابدين للغزالي صـ١١٩، تحقيق د. محمود مصطفى حلاوي، نشر مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

QaradawiBooks.com

الأمر الأوَّل: أنَّ النَّفس عدوٌّ محبوب: فـإن كان الأمر كما يقول بعض الصالحين: أعدى أعدائك نفسك الَّتي بين جنبيك. يقول: هذا العدو خطره أنَّه عدو محبوب، إذا كان عدوك مكروهًا فهذا أمره سـهل، في قلبك من البغض له، ومن الحقد عليه؛ ما يجعلك تحترس منه، وتحذر من مزالقه.

إنَّما إذا كنت تحبُّ عدوك فهذه مشكلة.

الأمر الثانـي: أنَّ النَّفس عدو من الداخل: لكن هـذا العدو عدو من الداخل، يقول: تستطيع أن تحترس من اللص؛ إذا كان اللص من خارج الدار؛ فأحكِم إغلاق الباب، فلا يستطيع أن يدخل إليك.

ولكن إذا كان اللص من داخل دارك، معـك في البيت، ينام معك، ويستيقظ معك، ويعرف أسـرارك، ومداخلك ومخارجك، إذا كان خادم عندك ـ مثلًا ـ، ويعيش معك؛ كيف تحترس منه؟

هذا ما جعل أحد الصالحين يقول:

نفسـي إلـى مـا ضرَّنـي داع تـثـيـر آلامـي وأوجـاعـي
كيـف احتيالـي من عـدوي إذا كان عـدوي بين أضلاعـي[1]**؟!**

عدوه يسكن بين ضلوعه.

هذا هو خطـر النَّفس، ولذلك عليك أن تُشـمِّر عن سـاعدك، وأن تستيقظ لعدوك، وأن تعدَّ له أسلحتك، وأن تتهيَّأ لمواجهته في كلِّ لحظة.

هذا هو عمل الصالحين الَّذين أخذوا أنفسهم بالتزكية.

(١) هو عباس بن الأحنف، انظر: العقد الفريد (٣٢/١).

QaradawiBooks.com

مراتب تزكية النَّفس:

يقول ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ في مجاهدة النَّفس: مجاهدة النَّفس أربع مراتب[١]:

١ ـ مجاهدة النَّفس على التعلُّم:

المرتبة الأولى: أن تجاهدها على أن تتعلَّم ما جاء به رسول الله ﷺ من الهدى ودين الحقِّ، أنْ تتفقَّه في دينها، أن تتعلَّم ما لها وما عليها، أن تعرف ما يضرُّها في دينها وفي آخرتها، كما تعرف ما يضرُّها في دنياها.

هذا الجهاد الأول؛ تجاهد النَّفس حتَّى تتعلَّم، بعض النَّاس لا يريد أن يقرأ كتابًا ليفهم الإسلام، يجلس أمام التليفزيون بالساعات ليشاهد المسلسلات، أو يسمع الأغاني، وقد يقرأ مجلة حافلة بالصور الخليعة، ونحو ذلك، ولا يكلِّف نفسه أن يتفقَّه في دينه؛ أن يقرأ كتابًا في العقيدة، كتابًا في الفقه، كتابًا في السِّيرة النَّبويَّة، كتابًا في حديث رسول الله، كتابًا في تفسير كتاب الله، كتابًا في الدعوة الإسلاميَّة.

لا بدَّ أن تقرأ.

الأمَّة الَّتي أوَّل آية في كتابها: «اقرأ»، للأسف لا تقرأ.

للأسف أمَّتنا لا تتعلَّم ولا تتفقَّه.

الغربيون الَّذين ننقدهم في كثير من الأشياء يقرؤون، يجلس الإنسان بجوار خواجة في الطائرة، يراه طول الطريق يقرأ، تمرُّ عليهم في الحدائق؛ كلُّ واحد معه كتاب يقرؤه، يورثون أبناءهم مكتبات فيها عدد من الكتب، نحن لا نفعل ذلك.

(١) انظر: زاد المعاد (٩/٣، ١٠)، نشر مؤسسة الرسالة، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، ط ٢٧، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

أوَّل العلم أن تعلم دين الله:

وأول ما ينبغي علينا أن نتعلَّم دين الله، إنَّما العلم بالتعلُّم ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [النَّحل: ٧٨]، أعطاكم المفاتيح، أعطاكم النوافذ الَّتي تُطلون منها على العالم، السمع والبصر والفؤاد ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٦].

أول مرتبة أن تتعلَّم.

٢ ـ العمل بما علمت:

المرتبة الثانية: وثاني مرتبة أن تعمل بما تعلَّمته؛ فالعلم في الإسلام ليس لمجرد التلذذ والاستمتاع، العلم للعمل، إنَّما تتعلَّم الدين ليساعدك على أن تسلك السلوك الطيب المستقيم؛ حتَّى لا تمضي على جهل؛ فإنَّ من تعبَّد الله على جهل، فإنما يُفسد أكثر ممَّا يُصلح، لذلك قال الإمام الحسن البصري: العامل على غير علم يفسد أكثر ممَّا يصلح، فاطلبوا العلم طلبًا لا يضرُّ بالعبادة، واطلبوا العبادة طلبًا لا يضرُّ بالعلم، فإن قومًا تركوا العلم وذهبوا إلى العبادة؛ فخرجوا بأسيافهم على أمَّة محمَّد ـ يريد الخوارج، الَّذين لم يتفقَّهوا في الدين كما ينبغي ـ فتركوا أهل الأوثان وقتلوا أهل الإسلام، وعِلم بلا عمل كشجر بلا ثمر، لا تكن مثل الحمار يحمل أسفارًا بل اعمل بعلمك، ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤][1].

هذه هي المرتبة الثانية من جهاد النَّفس: أن تجاهدها حتَّى تعمل بما علمت.

(١) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٦٣٤٠).

QaradawiBooks.com

٣ ـ مجاهدة النَّفس في تعليم ما تعلَّمت:

المرتبة الثالثة: والمرتبة الثالثة أن تجاهد نفسك لتعلِّم غيرك ما تعلَّمته، وتدعوه إلى ما عملت به، لا تحتكر الخير لنفسك، أدِّ زكاة علمك، كما تؤدِّ زكاة مالك، إذا أنعم الله عليك بنصاب من المال؛ وجب عليك أن تزكيه، وتنفع غيرك كما نفعك الله بالمال، وكذلك العلم؛ إذا ملكت نصابًا من العلم فأدِّ زكاته، علِّم غيرك، لا تحتقر أي شيء، الكلمة الطيبة صدقة، لو علَّمته كلمة خير؛ فهي في ميزانك يوم القيامَة، وليس هناك أفضل من كلمة خير **تهديها لمسلم، تدلُّه على هدى، أو تردُّه عن ردى.**

كلُّ مسلم داعية لدينه:

نِعم الهدية، ونِعم العطية، هذه الكلمة يهديها المسلم إلى أخيه ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فُصِّلت: ٣٣].

كلُّ مسلم عليه أن يدعو غيره، كلُّ مسلم داعية لدينه، ليس الدعاة هم المشايخ والعلماء؛ كلٌّ يدعو بقدر ما يستطيع، اقرأ قول الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يُوسف: ١٠٨].

كلُّنا دعاة إلى الله على بصيرة، ادع أهلك، ادع زوجتك، ادع أولادك، ادع جيرانك ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طـه: ١٣٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التَّحريم: ٦] جاهد نفسك على أن تعلِّم الآخرين، وتدعوهم إلى ما تعلَّمته وعملت به، لا تكن أنانيًّا، حاول أن تشيع النُّور والهداية فيمن حولك، ثمَّ في النَّاس جميعًا بعد ذلك.

QaradawiBooks.com

٤ ـ الصبر على مشقَّة الطريق:

المرتبة الرابعة: والمرتبة الرابعة الَّتي ذكرها الإمام ابن القيِّم: أن تجاهد نفسك حتَّى تصبر على مشقَّة الطريق، هذا الطريق طريق طويل، طريق حافل بالمشقَّات، مضرَّج بالدماء، مليء بالجثث، مزروع بالأشواك ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

الطريق مضرَّج بالدِّماء، لا تظن أنَّه مفروش بالورود والرياحين.

لا.

﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ﴾، البؤس هو: الفقر في أموالهم.

﴿وَٱلضَّرَّآءُ﴾ هو: التعذيب والجراحات في أبدانهم، والزلزلة والقلق في نفوسهم؛ حتَّى يقولوا: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾؟

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [يُوسف: ١١٠].

يقول ابن القيِّم: يا مخنث العزم أين أنت؟! والطريق طريق تعب فيه آدم، وناح لأجله نوح، ورُمي في النَّار الخليل، واضطجع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمن بخس، ولبث في السجن بضع سنين، ونُشر بالمنشار زكريا، وذُبح السيِّد الحصور يحيى، وقاسى الضر أيوب، وزاد على المقدار بكاء داود، وسار مع الوحش عيسى، وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد...[1].

(١) انظر: الفوائد لابن القيم (٤٢/١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

QaradawiBooks.com

وظلَّ ابن القيِّم يذكر سلسلة دامية الحلقات من الصدِّيقين والشهداء، الَّذين قاسوا في طريق الله ما قاسوا، وهو يقول: يا مخنث العزم.

يريد عزائم رجولية، لا عزائم مخنثة.

هذا الطريق يحتاج إلى أولي العزم، كما قال الله لرسوله: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وكما خاطب الله أهل الإيمان: ﴿لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

سِلعة الله غالية:

طريق شاق، فإذا كنت تريدها غنيمة باردة، وبيضة مقشورة، ولقمة سائغة، لا تبذل فيها جهدًا، ولا تتحمَّل فيها ألمًا؛ فابحث لك عن طريق آخر.

أمَّا طريق الجنَّة، «**فإنَّ الجنَّة حُفت بالمكاره كما حُفت النَّار بالشهوات**»[(١)]، فلا بدَّ أن تصبر على المكاره حتَّى تنال الجنَّة، وما أدراك ما الجنَّة؟

إذا أردت الجنَّة فلا بدَّ أن تبذل لها ثمنها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [التَّوبة: ١١١].

في يوم غزوة بدر وقف النَّبي ﷺ يحرِّض المؤمنين على القتال فقال: «**أيُّها النَّاس، قوموا إلى جنَّة عرضها كعرض السماوات والأرض، والله**

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٨٧)، ومسلم في الجنَّة وصفة نعيمها (٢٨٢٢)، عن أبي هريرة. واللفظ لمسلم. وفي البخاري: «حُجِبَتِ» بدل «حُفَّت».

QaradawiBooks.com

لا يقاتلهم اليوم رجل فيلقاهم صابرًا محتسبًا، مقبلًا غير مدبر، فيقتل إلَّا أدخله الله الجنَّة» فقام عمير بن الحمام الأنصاري، وقال: بخ بخ يا رسولَ الله ـ بخ بخ كلمة تدل على التعجُّب والاستحسان ـ فقال له رسول الله: «**ممَّ تبخبخ يا ابن الحمام**»؟

قال: أليس بيني وبين الجنَّة إلَّا أن أتقدَّم فأقاتل فيقتلني هؤلاء؟

قال: «**بلى**».

قال: فإني «أبخبخ» رجاء أنْ أكون من أهلها، وكان في يده تمرات يلوكها بلسانه، أكلَ منها تمرَة أو تمرتين، ثمَّ قال: أأعيش حتَّى آكل هذه التمرات، إنَّها لحياة طويلة، ثمَّ ألقى بالتمرات من يده، وظلَّ يقاتل وهو ينشد:

ركضًا إلى الله بغير زاد إلَّا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد وكلُّ زاد عرضة النفاد
غير التقى والبر والرشاد

وقاتل حتَّى قُتل، وتحقَّق له ما أراد[1].

سلعة الله لا تُنال إلَّا بالتعب:

من أراد الجنَّة فليدفع الثمن، وليسر في طريقها، وليسعَ لها سعيها.

أمَّا الكسالى والمتقاعسون، أمَّا من يريد الجنَّة بالتثاؤب، بالتكاسل، بالضياع، بالفراغ، باللهو، بالغفلة، بالمعاصي... فهيهات هيهات، ابحثوا لكم عن طريق آخر أيُّها الغافلون؛ الجنَّة إنَّما تُنال بالمجاهدة، ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحجُّ: ٧٨].

---

(١) رواه الطبري في تاريخه (٤٤٧/٢، ٤٤٨).

QaradawiBooks.com

وأول الجهاد: جهاد الأنفس؛ فجاهدوا فـــي الله حقَّ جهاده، جاهدوا أهواءكم، وحدِّدوا أهدافكم، وأخلصوا نياتكم لله.

طريق تزكية الأنفس طريق طويل، سنتحدَّث عنه في الأسابيع المقبلة إن شاء الله.

أقول قولي هذا، وأســتغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

مشكلة الحجاب في فرنسا:

وافقت الجمعية الوطنية الفرنسية الَّتي هي برلمان فرنسا؛ وافقت على منع الحجاب في الأماكن العامَّة وغيرها بأغلبيَّة ساحقة، ولم تستمع فرنسا إلى نداءات المسلمين المخلصين في بلاد شتَّى، حتَّى في أوربا نفسها، في فرنسا، وفي إنجلترا، وفي غيرها من البلاد، وإن كان هناك أمل ستتراجع عن هذا الموضوع بعد سنة.

وأحبُّ أن أعلِّق على هذا الأمر بأنَّ الحجَّة الَّتي تذرَّعت بها فرنسا؛ حجَّة باطلة مائة في المائة، لا وجه لها بحال من الأحوال، إنَّها زعمت أنَّ الحجاب من الرموز الدِّينيَّة، شبهته بالصليب على صدر المسيحيَّة، وبالقلنسوة على رأس اليهودي، وهذا ليس بصحيح بالمرَّة.

أمران لا بدَّ منهما:

ولي على هذا الكلام أمران:

الأمر الأوَّل: الحجاب ليس رمزًا دينيًّا:

لا يوجد رمز ديني يُعتبر فرضًا من الفرائض، الرموز الدِّينيَّة هي الأشياء المستحبَّة في الأديان، تعلِّق شيئًا يعبِّر عن دينك، هذا ليس من الفروض.

قرأت الإنجيل كلَّه لم أجد فيه فقرة من الفقرات، ولا آية من الآيات، تقول: علِّقوا الصليب في صدوركم، لكن وجدنا في القرآن:

QaradawiBooks.com

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النُّور: ٣١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩].

هذا فرض من الله تعالى، ليس رمزًا، لا تفكِّر المسلمة أنَّها ترمز لدينها؛ بدليل أنَّها تخلعه أمام النِّساء وتلبسه أمام الرِّجال.

لو كان رمزًا لماذا لا تلبسه أمام النِّساء؟

إنَّها تخلعه أمام أبيها وأخيها، وابن أخيها وابن أختها، وعمِّها وخالها، ومحارمها، وتلبسه أمام الأجانب، هل هناك رمز بهذه الطريقة؟

هذا ليس رمزًا دينيًّا بأية حال.

هذا ما يجب أن يتمسَّك به المسلمون في أنحاء العالم، هذا ليس رمزًا، هذا لباس حشمة يفرضه الإسلام.

وقلت غير مرَّة: الرمز ما ليس له وظيفة إلَّا أنَّه يُعلن عن صاحبه، وهذا ليس مقصودًا بالحجاب قط.

الأمر الثاني: هذا القرار يتنافى مع العلمانية:

إنَّهم قالوا: إنَّ هذا يتنافى مع العلمانية، والعلمانية محايدة في أمر الدين، ونقول في هذه الحالة: منع الحجاب هو الَّذي يتنافى مع العلمانية؛ لأنَّه ينقل العلمانية من محايدة في أمر الدين إلى علمانية مضطهِدة لبعض المتدينين؛ لأنَّني إذا منعت المسلمة من أن تؤدِّي فرضًا من فرائض دينها؛ إذن أجبرتها أن تخالف أمر ربِّها، فقد اضطهدت المسلمة، خصصتها بالاضطهاد من دون الآخرين.

QaradawiBooks.com

المسيحيون يمكنهم ألَّا يضعوا الصليب على صدورهم، وهم بذلك لم يفرِّطوا في دينهم، واليهود يمكنهم ألَّا يلبسوا القلنسوة، وهم بذلك لم يمتنعوا عن واجب ديني.

لكنَّ المسلمة حينما تُقهر على هذا فإنَّها تُجبر على مخالفة الدين، تُجبر على أن ترتكب محرَّمًا، على أن تترك واجبًا أوجبه الله عليها، وهذا ينافي دستور فرنسا الَّذي يسوي بين المواطنين، ولا يجيز اضطهاد طائفة منهم لحساب أخرى.

هذا اضطهاد للمسلمة لحساب الأخريات، هذا تفريق بين المواطنين بسبب الدين، هذا ضد حقوق الإنسان.

كلام غريب من شيخ كبير:

ولذلك أنا أعجب لبعض مشايخ المسلمين الَّذين قالوا: إنَّ هذا من حقِّ فرنسا «هذا حقُّها، هذا حقُّها، هذا حقُّها»، هذا كلام ليس فيه أي أثرة من إدراك لحقيقة الموقف.

ليس من حقِّ أي بلد أن تصدر قانونًا يظلم بعض المواطنين.

هل من حقِّ فرعون أن يصدر قانونًا يذبح به أبناء بني إسرائيل ويستحيي نساءهم؟

هو أصدر قانونًا بهذا، والله تعالى جعل هذا من الطغيان والإفساد ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤].

QaradawiBooks.com

لماذا حاربوا طالبان إذن؟!

لقد حاربوا طالبان، وقالوا: إنَّها تظلم بعض المواطنين، وتُجبر المرأة على عدم التعلُّم، أو تعمل كذا، أو تنصر ابن لادن.

ولم يقولوا: إنَّها حرَّة في ديارها.

لا يمكن أن يكون لأيِّ دولة الحقُّ في أنَّها تقرِّر من القوانين ما يظلم بعض النَّاس، ويجور على حقوقهم، هذا ضد الدساتير، ضد ميثاق حقوق الإنسان، ضد مواثيق الأمم المتَّحدة، ضد الاتفاقات الدولية.

ولذلك نحن ننكر هـذا، ولا زلنا نأمل في عقلاء فرنسـا، وحُكماء فرنسـا في أن يراجعوا الأمر من جديد، ولا يعادوا المسلمين في العالم بالضغط على المسلمات، أن يستضعفوا المسلمات ليجبروهن على ترك الحجاب، أو يجبروهن على ترك التعلُّم، كلا الأمرين لا يُقبل أبدًا.

نحن نناشـد فرنسـا، ونناشـد الرئيس الفرنسي، ونناشـد العقلاء الفرنسـيين: أن يراجعوا هذا الأمر، ويراجعوا علاقتهم مع المسلمين في أنحاء العالم، إذا كانت فرنسـا تريد أن تفتح صفحة جديدة؛ وقد فتحت صفحة جديدة، ورحَّب بها المسلمون، وتحرَّرت من أسر القرار الأمريكي في كثير من الأحيان.

أسأل الله تعالى أن يسدِّد الخُطى وينير الطريق.

دعاء للمرابطين في أرض النُّبوات:

وأحب ـ أيُّهـا الإخوة ـ أن ندعو بحرقة وحـرارة لإخواننا في أرض النُّبوات في أرض الإسـراء والمعراج، فـي أرض البطولات، في أرض الشـهداء الَّتي تقدِّم كلَّ يوم عشرات الشـهداء، ولا زال شارون يتبجَّح

QaradawiBooks.com

ويستكبر في الأرض بغير الحقِّ، ويهدِّد ويتوعَّد، والأمَّة العربيَّة والإسلاميَّة تنام نومة أهل الكهف، تغطُّ في سُبات عميق، في صمت كأنَّه صمت أهل القبور.

أسأل الله تعالى أن يشدَّ أزر إخواننا الأبطال في جهادهم، أن يقوِّيهم في بطولاتهم، أن ينير الطريق أمامهم، أن يأخذ بأيديهم إلى مواطن النصر، أن يحرسهم بعينه الَّتي لا تنام، ويكلأهم في كنفه الَّذي لا يضام.

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

٨

تحرير النَّفس من سجن الغفلة[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

تزكية النَّفس نوعان:

تحدَّثنا في الجمعة الماضية عن تزكية الأنفس الَّتي بدونها لا يفلح الإنسان، ولا يحصل على ما يريد في الدُّنْيا ولا في الآخرة، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشَّمس: ٩، ١٠]، وأودُّ أن أنبِّه هنا على فائدة علمية: تزكية النَّفس في القرآن لها معنيان: معنى مذموم، ومعنى ممدوح.

التزكية المذمومة:

المعنى المذموم هو: تزكية النَّفس بمدحها والثناء عليها، وهذا أمرٌ مَنهيٌّ عنه كما قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النَّجم: ٣٢]، لا تقل: أنا فعلت كذا، وأنا «سويت» كذا.

النَّاس يقولون: لا يشكر نفسه إلَّا إبليس؛ لأنَّه هو الَّذي مدح نفسه، وقال عن آدم: أنا خير منه. واليهود مدحوا أنفسهم وقالوا: نحن شعب الله

(١) أُلقيت بمسجد عمر بن الخطَّاب بالدوحة في ٣٠ ذي الحجَّة ١٤٢٤هـ الموافق ٢٠ فبراير ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

المختار، وقال معهم النصارى: نحن أبناء الله وأحباؤه! فنزل القرآن يذمُّهم على ذلك ويقول: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النِّساء: ٤٩].

غير مرخصة للطباعة

التزكية الممدوحة:

أمَّا المعنى المحمود والممدوح؛ فهو الَّذي نتحدَّث عنه، تزكية النَّفس بمعنى العمل على طهارتها ونمائها، أن نطهِّرها من رذائل الشِّرك، ورذائل النِّفاق، وأن ننميها بفضائل التوحيد، وفضائل الإيمان والإخلاص، أن نأخذها بمنهج «التخلية والتحلية»، التخلية من الرذائل، والتحلية بالفضائل.

هذه التزكية هي المطلوبة، ولا يفلح الفرد ولا تصلح الأمَّة، إلَّا بهذه التزكية النَّفسية، الَّتي هي أساس كلِّ خير وصلاح في الدُّنْيا والآخرة للفرد والجماعة وللأمَّة وللدولة.

ولكن كيف نزكِّي أنفسنا؟

إخراج النَّفس من سجن الغفلة:

أول ما ينبغي أن نبدأ به في تزكية الأنفس: أن نخرجها من سجن الغفلة، شرُّ ما يُصاب به الإنسان هو الغفلة، أن يعيش غافلًا عن مهمَّته في هذه الحياة، يعيش غافلًا عمَّا هو مكلَّف به، غافلًا عن ربِّه، غافلًا عن ذِكره، غافلًا عن آخرته.

هذه هي المصيبة الكبرى.

النَّاس يعيشون في الدُّنْيا وكأنَّهم مخلَّدون، لا يدركون أنَّهم سينتقلون إلى دار آخرة، سيحاسبون على كلِّ كلمة قالوها؛ جهرًا كانت أم سرًّا،

QaradawiBooks.com

على كلِّ عمل فعلوه؛ خيرًا كان أم شـرًّا، على كلِّ خطوة مشوها؛ بحرًا كانت أم برًّا.

كلّ شيء ستسأل عنه.

غفلة في أمر الدين فقط!

المشـكلة أنَّ النَّاس في غفلة لاهـون، وفي غمرَّة سـاهون، النَّاس يجلسـون بعضهم إلى بعض، كلُّ حديثهم: عن الدنيـا، عن المال، عن النِّسـاء، عن الشـهوات، عن البورصة، عن الأسـهم، عـن الربح، عن الخسارة... ﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الرُّوم: ٧].

النَّاس يحفظون الأغاني، وموسيقى الأغاني، ويحفظ الشَّباب أسماء الممثِّلين والممثِّلات، والمطربين والمطربات، الأحياء منهم والأموات، ولو سـألتهم عن الصَّحابـة أو التابعيـن، أو العلمـاء أو الزاهدين، أو الصالحين، لا يعرف عنهم شيئًا!

الغفلة هي سرُّ الداء أيَّها الإخوة، نريد أن نخرج من سجن الغفلة، الله تعالى وصف أهل جهنَّم؛ النَّاس الَّذين جعلهم حطب جهنَّم، ووقود النَّار فماذا قال؟

قـال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

الله أعطاهم هذه الأدوات، ولكنهم خرَّبوها وعطَّلوها، فلم تعد تؤدِّي مهمَّتها؛ القلوب لا تفقه، والأعين لا تبصر، والآذان لا تسمع.

QaradawiBooks.com

ما قيمة الأذن إذا لم تستمع إلى الخير؟ ما قيمة العين إذا لم تَعتبر بما ترى؟ ما قيمة القلب والعقل إذا لم يفقه ما له، وماذا عليه، وماذا ينتظره؟

أبُنَيَّ إن من الرِّجال بهيمة ... في صورة الرجل السميع المبصر
فطِنٌ لكلِّ مصيبة في ماله ... وإذا أصيب بدينه لم يشعر[1]

لو خسر في شركة، أو في تجارة، يفهم ويفطن ويتحسَّر، ولكن إذا أصيب في دينه، إذا ترك صلاة لم يؤدِّها، إذا لم يؤدِّ حقًّا لله أو حقًّا للعباد لم يؤثِّر ذلك في نفسه، لم يورثه حسرة ولا أسفًا، لم يقل: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزُّمر: ٥٦].

هذا بهيمة في صورة الرجل السميع المبصر.

متى يفضل الحيوان الإنسان؟!

القرآن يكمل الآية الَّتي ذكرناها: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩] أضلُّ من الأنعام سبيلًا ﴿أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا ۝أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفُرقان: ٤٣، ٤٤].

---

(١) البيتان نسبهما ابن حمدون في التذكرة الحمدونية إلى أبي الأسود الدؤلي (٧٢/٥)، نشر دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ. ونسبهما بَهاء الدِّين في الكشكول إلى علي بن أبي طالب (١٢٥/١)، تحقيق محمد عبد الكريم النمري، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة ميزانة

البقرة أو الجاموسة أفضل منه، الجمل والناقة أفضل منه، الكبش والنعجة أفضل منه، البغل والحمار أفضل منه، البهائم أرقى منزلة وأهدى سبيلًا من هذا الإنسان الَّذي كرَّمه الله، ومنحه العقل، وأعطاه الإرادة، وأنزل عليه الكتب، وبعث له الرُّسل.

الأنعام والبهائم أفضل من هذا الإنسان، لماذا؟

أولًا: الأنعام معذورة، إنَّها لم تؤتَ ما أُوتي الإنسان من هذه المواهب العقلية والروحية، ليس لها عقل تفكِّر به، ولا إرادة ترجِّح بها، ولم ينزل لها كتاب، ولم يُبعث لها رسول.

ثانيًا: ومن ناحية أخرى الأنعام ـ أيُّها الإخوة ـ تؤدِّي مهمَّتها في الحياة، الحمار يحمل الأشياء، الإبل تقوم بدورها ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النَّحل: ٧].

هل رأيت بقرة تمرَّدت على أن تُحلب؟ هل رأيت حمارًا تمرَّد على أن يُركب؟

كلٌّ يؤدي رسالته في الحياة.

ولكن الإنسان المكرَّم، المستخلَف في الأرض، الَّذي سخَّر الله له ما في السماوات وما في الأرض جميعًا منه، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة.

هذا الإنسان لم يؤدِّ رسالته؛ لأنَّ رسالته: أن يعرف الله، ويعبد الله، ويعمر أرض الله، ويقوم بالخلافة في أرض الله ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذَّاريات: ٥٦ ـ ٥٨].

QaradawiBooks.com

لم تتمرَّد الأنعام على رسالتها، وقد تمرَّد الإنسان على رسالته؛ فلم يؤدِّ لربِّه حقَّه كما يجب، ولم يقم بخلافته في أرضه كما ينبغي، لهذا كان أضلَّ من الأنعام سبيلًا، ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

انظر إلى هذا التذييل؛ هذا هو مِفتاح القضيَّة كلِّها، أولئك هم الغافلون، ما سبب هذا التسفُّل والتنزُّل والهبوط إلى مستوى الحيوانية والأنعامية، أو أضلّ؟

ما سبب هذا؟

هي: الغفلة، ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.

فيم تكون الغفلة؟

١ ـ الغفلة عن ذِكر الله:

عمَّ غفل هؤلاء؟

أولًا: غفلوا عن الله تعالى، وعن حقِّه، وعن ذِكره، كما قال الله تعالى لرسوله: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، انفرط أمره، وأصبح سائبًا، غير مضبط ولا مرتبط، واتَّبع هواه وشهواته.

سبب هذا هو غفلة القلب عن ذِكر الله.

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾ نسي الله، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩]، أنساهم حقيقة ذواتهم،

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

نسوا ما هم ومن هم بنسيانهم لله، نسوا الله فنسيهم[١]، ونسوا الله فأنساهم أنفسهم، تركوا الله فتركهم، ولّاهم ما تولّوا.

هذه الغفلة عن ذكر الله.

٢ ـ الغفلة عن آيات الله:

ثانيًا: غفلوا عن آيات الله في الكون، وفي التاريخ، وهي تنطق بالعِبرة لمن يعقل ويعي، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يُونس: ٩٢]، ينظرون آيات الله من حولهم؛ عن أيمانهم وعن شمائلهم، ومن فوقهم ومن تحت أرجلهم، ومن أمامهم ومن خلفهم؛ ولكنهم لا يعتبرون بها، ليس لهم عين ترى، ليس لهم قلب يفقه، هؤلاء غفلوا عن آيات الله ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يُوسف: ١٠٥]، ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٦].

هذه هي الغفلة عن آيات الله تعالى.

٣ ـ الغفلة عن المصير:

ثالثًا: غفلوا عن مصيرهم، الغفلة عن المصير الَّذي ينتظر كلَّ إنسان، الله تعالى يقول عن قوم من النَّاس: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الرُّوم: ٧]، يعلمون كثيرًا من ظواهر الحياة

(١) قال ابن كثير: أي: عاملهم معاملة من نسيهم؛ لأنَّه تعالى لا يشذ عن علمه شيء، ولا ينساه. كما قال تعالى: ﴿فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢] وإنَّما قال تعالى هذا من باب المقابلة كقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [الجاثية: ٣٤]. وقال العوفي عن ابن عباس في قوله: ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ قال: نسيهم الله من الخير، ولم ينسهم من الشر. تفسير ابن كثير (٤٢٤/٣)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، نشر دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

الدنيا؛ مـــن قوانينها ومن أحوالها، ولكنَّهم أجهـــل النَّاس بالآخرة، أغفل النَّاس عن الآخرة، والآخرة هي القضيَّة المصيرية الأولى لكلِّ إنسان، مهما عِشـــت في هذه الدنيا، مهما عمَّرت، فنهايتك الآخرة، يقول أبو العتاهية:

نُـــح عـلـى نـفـسـك يا مسـ ـــكـيـن إن كـنـت تـنـوح
لـتـمـــوتـن وإن عُـمـ ـــرت مـا عُـمِّـر نـــوح[1]

ونوح عمّر طويلًا، أطول الأنبياء عمرًا، ولعلَّه أطول البشر عمرًا، بعثه الله على رأس الأربعين، وعاش في قومه يدعوهم ألف سنة إلَّا خمســين عامًا، ثمَّ أخذهم الطوفان وهم ظالمــون، ثمَّ عاش بعد الطوفان ما شاء الله، لا نعلم كم عاش، المهم أنَّه عاش أكثر من ألف عام، وجاءه ملك الموت ليتوفاه ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السَّـجدة: ١١] جـاء ليقبـض روحـه، تقول الحكايات: إنَّ ملك الموت سـأله: يا أطول رسـل الله عمرًا! كيف وجدت الدنيا؟

قال: وجدتها كـدار لها بابان، دخلت مـن أحدهما، وخرجت من الآخر[2].

هكذا الحياة، وفي الحديث «**عِش ما شئت فإنك ميت**»[3].

---

(١) ديوان أبي العتاهية صـ١١٧، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٦م.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في الزهد (٣٥٨)، نشر دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٤٢٧٨)، والحاكم في الرقائق (٣٢٤/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٦٤٤): رواه الطبراني في الأوسط، وإسناده حسن. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٣)، عن سهل بن سعد.

QaradawiBooks.com

ما دامت النهاية هي الموت، فيستوي الأمران، طال عمرك أم قصر، يقول الشاعر:

وَإِذَا كَانَ آخِرُ العُمْرِ مَوْتًا فسواءٌ قصيرُه والطَّوِيلُ[1]

السؤال المهمُّ: ماذا فعلت في هذا العمر؟ هل استفدت منه؟ هل عمرته بالخير؟ هل ملأته بالتقوى؟ أم هو عامر بالمعاصي والغفلات، وضياع الواجبات، وانتهاك المحرمات؟

«ربَّ عمر قصرت آماده، واتسعت أمداده»[2]؛ قد تعيش عمرًا قصيرًا ولكنَّ الله يبارك فيه، فإذا سنواته القصيرة كأنها آماد طويلة، المهمُّ البركة.

هذه هي الغفلة عن الآخرة ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الرُّوم: ٧].

الغفلة سمٌّ قاتل وداء عضال فابحث عن الدواء:

احذر من هذه الغفلة؛ إنَّها السمُّ القاتل، إنَّها الداء العضال، لا بدَّ أن تتداوى من هذه الغفلة، وأن تخرج منها.

ولهذا أسباب، يمكن أن تمارسها، وأن تبحث عن هذه الأسباب لتتداوى من داء الغفلة، لتتنبَّه بعد غفلة، لتصحو بعد سكرة، لتستيقظ بعد نوم، لابدَّ أن نبحث عن «المحرِّكات» للحياة الساكنة، عن «المذكِّرات» أو «المنبِّهات» الَّتي تذكِّر الإنسان إذا نسي، وتعينه إذا ذكر، وتقوِّيه إذا ضعف.

---

(١) هو الشاعر العراقي الصوفي بهاء الدين الرواس.

(٢) من كلام ابن عطاء الله السكندري في حكمه، انظر: حكم ابن عطاء الله بشرح الشيخ زروق صـ٤٣٨، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، نشر مكتبة دار الشعب، القاهرة، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.

QaradawiBooks.com

أدوية الغفلة:

١ ـ ذكر الموت: أوَّل هـذه المحرِّكات: ذِكر المـوت، أن تذكر هذه الحقيقة الحاضرة الغائبة، المذكورة المنسيَّة، الموت أصدق غائب يُنتظر، وهو بين أيدينا في كلِّ وقت، في كلِّ حين نودِّع قريبًا أو جارًا أو صديقًا، نوريه الثرى ونعود كأن لم نفعل شيئًا.

«**اذكروا هاذم اللذات**»[١].

الموت هو الَّذي يقطع لذَّة الملتذِّين، والذي يفرِّق بين الابن وأبيه، وبين الأب وبنيه، وبين الأخ وأخيه، وبين الحبيب وأحبائه.

اذكروا هذا الموت، اذكر أنَّك مهما عشت في هذه الدنيا، ومهما تقلَّبت بين جنباتها، ومهما كسبت من أموال، ومهما شيَّدت من قصور، ومهما تبوَّأت من مناصب، ومهما قلت، ومهما فعلت، ستنتهي إلى الموت، سيأتي يوم يقول النَّاس فيه: فلان مات، سيأتي يوم يقول النَّاس عنك: فلان مات.

الموت يأتي فجأة:

هل تذكر هذه الحقيقة؟

إنَّها تنتظر كلَّ واحد منَّا؛ فبعد أن كان يُخبر عن الموت أصبح هو خبرًا يُحكى:

حكم المنية في البرية جارِ ... ما هذه الدُّنْيا بدار قرار
بينا يرى الإنسان فيها مخبرًا ... حتى يُرى خبرًا من الأخبار[٢]

(١) رواه أحمد (٧٩٢٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والترمذي في الزهد (٢٣٠٧)، وقال: حسن غريب. والنسائي في الجنائز (١٨٢٤)، وابن ماجه في الزهد (٤٢٥٨)، عن أبي هريرة.

(٢) من شعر أبي الحسن التهامي. انظر: الحماسة المغربية (٨٦٧/٢)، تحقيق محمد رضوان الداية، نشر دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

QaradawiBooks.com

قضيَّة الموت قضيَّة هائلة، على النَّـاس أن يتذكَّروها، تذكَّر الموت ولا تنسه أبدًا؛ فإنَّه أمر لا بدَّ منه.

مشكلة النَّاس أنَّهم يستبعدون الموت، والموت لا يستأذن أحدًا حين يأتي، لا يطلب ترخيصًا.

كلُّ امـرئ مصبـح فـي أهلـه والموت أدنى من شـراك نعله[1]

إنَّك حين يصبح الصباح قـد لا يأتي عليك المسـاء، وحينما يأتي عليك المساء قد لا يرِد عليك الصباح.

إنَّ الموت يأتـي بغتة؛ ألم تسـمع بهؤلاء الَّذين يموتون بالسـكتة القلبية؟ بالذبحة الصدرية؟

الإنسـان يعيش قريبًا منك بطوله وعرضه، ثمَّ يفجعـك الخبر: أنَّه مات، كنت قريبًا منه، قد رأيتـه، أو صافحته، أو تكلَّمـت معه، ولكنَّه مات، بالذبحة، بالسكتة.

لا تظن أنَّ الذبحة أو السكتة بعيدة عليك.

ألم تسـمع بهؤلاء الشَّـباب الَّذين يموتون وهم فـي عمر الزهور، بحوادث السيارات، وهم أبناء السابعة عشرة والعشرين، وما دون ذلك، وما فوق ذلك؟

الحوادث في هذه الدُّنْيا كثيرة، كنت أعرف بعض النَّاس لا يحبُّ أن يركب السيارات خشية أن يحدث له حادث بالسيارة، ولكنَّه كان يمشي على الرصيف يومًا، فجاءت سـيارة ودهسته وصدمته ومات، لم يستطع أن ينجو بالحذر؛ لأنَّه لا يغني حذر من قدر.

---

(١) كان أبو بكر إذا أخذته الحمَّى ينشـد هذا البيت. رواه البخاري في فضائل المدينة (١٨٨٩)، عن عائشة؛ موقوفًا على أبي بكر.

QaradawiBooks.com

أصاب بعض البادية طاعون فهرب منها أحد الشَّباب، وذهب إلى بلد آخر، وقال له أبــوه: ابق معنا يجري عليك ما يجري علينا، والسُّــنة في الإسلام ألا يهرب الإنســان من الطاعون[١]؛ فقد يكون حاملًا له ويعدي آخرين، وفي الطريق نام تحت شجرة، فجاءت حية فلدغته فمات، وعرف أبوه ذلك فقال:

راح يــبــغــي نــجــوة ... مــن هــــلاك فهـلك
والــمــنــايــا راصـــدات ... للفتــى حيــث ســلك
كــــلُّ شـــيء قــاتـــل ... حيــن تلقى أجلــك[٢]

لا مفرَّ من الأجل إذا جاء، اذكروا الموت، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

من ألهاه ماله وولده عن ذكر الله، وحقِّ الله، ولقاء الله، وحساب الله، فأولئك هــم الخاســرون ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠].

أنفق واعمل صالحًا قبل أنْ تأتي ساعة الموت، ساعة الاحتضار؛ هنالك تتصاغر حياتك، ويتضاءل عمرك كلُّه، وتتمنَّى لو أُمهلت يومًا

(١) إشارة إلى حديث أسامة بن زيد: قال رسول الله ﷺ: «الطاعون رجس أرسل على طائفة من بني إســرائيل، أو على من كان قبلكم، فإذا ســمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منــه». متَّفق عليه: رواه البخاري فــي أحاديث الأنبياء (٣٤٧٣)، ومسلم في السَّلام (٢٢١٨).

(٢) الأبيات للسُّلكة، رثت بها ابنها السُّــليك. انظر: لباب الآداب (١٨٣/١)، نشر مكتبة السُّنة، القاهرة، ط٢، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

QaradawiBooks.com

أو بعض يوم، أو ساعة أو لحظة، لو أُمهلت حتَّى تصلي ركعتين، لو أُمهلت حتَّى تتصدَّق بما تستطيع من مال، لو أُمهلت حتَّى تقول: سبحان الله والحمد لله ولا إلٰه إلَّا الله والله أكبر، لو أُمهلت قليلًا، ولكن هيهات، يقول الله تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١١].

لن يؤخِّر الله نفسًا إذا جاء أجلها ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

وكلمة ساعة هنا ليست هي الساعة الفلكية؛ ستون دقيقة، والدقيقة ستون ثانية.

لا؛ الساعة بالمعنى اللغوي: اللحظة.

﴿لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً﴾، أي: لا يستأخرون لحظة، ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ لحظة؛ هو الأجل ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نوح: ٤].

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزُّمر: ٣٠].

ذكر الموت؛ «**إنَّ القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد**».

قيل: وما جلاؤها؟

قال: «**ذِكر الموت وتلاوة القرآن**»[(١)].

تذكَّر الموت.

لم ينج من الموت أحد، لا نبي مرسل، ولا ملك متوَّج.

---

(١) رواه أبو نُعيم في حلية الأولياء (١٩٧/٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٨٥٩)، وضعَّفه الألباني في الضعيفة (٦٠٩٦)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

كلُّ أنبياء الله ورسله ماتوا، وخاتمهم محمَّد ﷺ، الَّذي قال الله له: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۞ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزُّمر: ٣٠، ٣١].

مات محمَّد ﷺ، وحينما سمع الصَّحابة هاج هائجهم، وثار ثائرهم، ما كانوا يتوقَّعون أن يموت رسول الله ﷺ وهو في سن الثالثة والستين، وقال من قال: من قال: إنَّ محمَّدًا قد مات، ضربت عنقه[1]!

وقام أبو بكر رضي الله عنه يخطب في النَّاس، الرجل الأوَّل في الأمَّة بعد رسول الله قال: يا أيُّها النَّاس، من كان يعبد محمَّدًا فإن محمَّدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإنَّ الله حي لا يموت. ثمَّ تلا قول الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤][2].

الموت لم ينج منه الأنبياء، ولا الأولياء، ولا الصالحون ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٧]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

هذا هو الفائز حقيقة، ليس الفائز من كان رصيده بالملايين أو بالمليارات.

ليس الفائز من بنى الدور، وشيَّد القصور.

---

(١) القائل هو الفاروق عمر رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري في أصحاب النبي (٣٦٦٧، ٣٦٦٨)، عن عائشة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ليس الفائز من تبوَّأ المناصب ووصل إلى أعلى الدرجات في الدُّنْيا.

الفائز حقًّا: من زُحزح عن النَّار وأُدخل الجنَّة، هذا هو الفوز الحقيقي، ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾.

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [الدخان: ٢٩].

لم ينج من الموت نبي مرسل، ولا ولي صالح.

ولم ينج من الموت ـ أيضًا ـ ملك متوَّج، كلُّ الأباطرة والأكاسرة والقياصرة، والملوك والأمراء والأثرياء، وقارون وفرعون وهامان؛ كلُّ هؤلاء أهلكهم الموت، لم ينج أحد من الموت سواء كان خيرًا أم شريرًا.

حينما جاء مرض الموت إلى هارون الرشيد ـ أعظم ملوك الدُّنْيا في وقته ـ حينما مرض وفحص الأطباء بوله، قالوا: صاحب هذا البول في أيامه الأخيرة، فأنشد يقول:

إنَّ الطَّبِيبَ لَهُ عِلْمٌ يُدِلُّ به ... ما دام في أجَلِ الإنسانِ تَأْخِيرُ
حتَّى إذا ما انتهت أيامُ مُهْلَتِه ... حار الطبيبُ وخانته العقاقيرُ[1]

الطبيب لا يستطيع أنْ يؤجِّل موتك، أو يؤخِّر أجلك، إذا كان الداء من السماء بطل الدواء، وعجز الأطباء!

وكان الرشيد يعالج سكرات الموت وهو يقول: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ﴾ [الحاقَّة: ٢٨، ٢٩][2].

(١) انظر: مجمع الحكم والأمثال لأحمد قبش صـ٣٠٣، نشر دار الرشيد، ط ٣، ١٩٨٥م.

(٢) المحتضرون لابن أبي الدنيا (٩٦)، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، نشر دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ. ـ ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

الملـــك العريض، الَّذي كان أعظـــم مُلك في الدُّنْيا فـــي ذلك الوقت انتهى، لا مال ينفع، ولا سلطان يشفع، ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾.

وابنه عبد الله المأمون الَّذي ورثه، وبلغت الدولة ما بلغت في عهده من العزِّ والعلم، والحضارة والسبق على أمم الأرض، حينما جاءه الموت كان يقول: يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه، يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه[1]!

هل يتذكَّر هذا ملوك الأرض؟ هل يتذكَّر هذا الرؤساء والأمراء؟ هل يتذكَّر هذا الأغنياء والكبراء؟

إنَّ الموت آت لا ريب فيه.

الموت يقضي على الجميع، ثمَّ الحســـاب يوم الحساب، انظر إلى آثار هؤلاء، ﴿كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ۝ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ۝ وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ۝ كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ۝ فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٥ ـ ٢٩].

لم تبكِ عليهم السماء ولا أهلها، ولا الأرض ولا أهلها، استراح النَّاس من شرورهم وفجورهم، وباؤوا بلعنة الله والملائكة والنَّاس أجمعين.

ارفع لنفسك بعد موتك ذكرها:

الذي يبكي عليه النَّاس هو الَّذي يكون خيره للنَّاس، هو الَّذي يذكُر النَّاس منه قوله الطيب، وعمله الصالح، وخُلقه الكريم، وآثاره الحســـنة في الأرض، يذكره النَّاس بذلك.

(١) هذه الكلمة أُثرت عـــن أكثر من خليفة، ومنهم المأمون. انظـــر: البصائر والذخائر (٩٥/٨)، تحقيق وداد القاضي، نشر دار صادر، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

QaradawiBooks.com

يستطيع الإنسان أنْ يعيش بعد موته سنين طويلة، يستطيع أنْ يُعَمَّر بعد عمره أعمارًا؛ إذا ترك وراءه سِيرة طيبة، وذِكرًا حسنًا.

رحم الله أمير الشعراء أحمد شوقي حين قال[1]:

دقَّات قلب المرء قائلة له إنَّ الحياة دقائق وثوان

فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها فالذكر للإنسان عمر ثان

ارفع لنفسك ذِكرها بعمل الصالحات، واجتناب السيِّئات، واستباق الخيرات.

الموت لم يترك ملكًا، ولا أميرًا، ولا إمبراطورًا.

ذِكر الموت ـ أيُّها الإخوة ـ هو القضيَّة المهمِّة في علاج غفلة القلب، لا بدَّ أن نضع الموت نصب أعيننا، أن نتذكَّر هذه الحقيقة الكبيرة الَّتي يحاول النَّاس أن يغفلوا عنها، وأن ينسوها، وهيهات أن تنسى، هيهات أن تنسى، وأنت تشيع كلَّ يوم ناسًا، وتقرأ في الصحف نعيًا لفلان وفلان، كيف تنسى هذا، «**اذكروا هاذم اللذات**»[2]، اذكروا الموت، اجلوا صدأ القلوب بجلاء الموت.

أسأل الله تعالى أن يذكِّرنا من نسياننا، وأن ينفعنا إذا ذكرنا، وأن يقوِّينا إذا ضعفنا، وأن يبصِّرنا إذا عمينا، وأن ينبِّهنا إذا غفلنا، إنَّه سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

(١) انظر: الشوقيات صـ٦٠١، تعليق د. يحيى شاهين، نشر دار الفكر العربي، ط١، ١٩٩٦م.

(٢) سبق تخريجه صـ ١٥٢.

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

وقفة بين عامين:

وقفة على مستوى الفرد:

في هذا اليوم نختم عامًا هجريًّا ونستقبل في الغد عامًا هجريًّا جديدًا، والسعيد من انتفع بمرور الأيام، وحاول أن يحاسب نفسه.

كان بعض الصالحين وضع لنفسه جدول محاسبة، كلُّ يوم يحاسب نفسه، هل أديت الصلوات الخمس في أوقاتها؟ كم صلَّيت منها في جماعة؟ هل ذكرت الله تعالى؟ هل قرأت شيئًا من القرآن؟ هل وصلت رحمًا؟ هل أعنت ضعيفًا؟ هل فعلت كذا؟ هل فعلت كذا؟

وفي الجانب الآخر: هل اغتبت إنسانًا بغير حقٍّ؟ هل صدر منك نميمة؟ هل كذا؟ هل كذا؟...

ويضع لنفسه علامَة صح أو خطأ، ويعطي نفسه درجة؛ عشرة من عشرة، أو ثمانية من عشرة، أو خمسة من عشرة، أو ثلاثة، أو صفر...

هو حكَم على نفسه، وهو أمين على نفسه، ويرى نفسه هل ينجح بمقبول؟ أم لا ينجح أبدًا؟ أم بدرجة جيد؟ وهكذا.

حاسب نفسك كلَّ يوم، إذا لم تستطع ففي كلِّ أسبوع، إذا لم تستطع ففي كلِّ شهر، إذا لم تفعل ففي كلِّ سنة.

ليتك ـ يا أخي المسلم ـ تجلس هذه الليلة، وأنت تودِّع سنة

QaradawiBooks.com

كاملة لتحاسب نفسك؛ ماذا صنعت في هذه السَّنة من خير؟ ماذا تذكر من أعمال صالحة؟ ماذا سيرصد لك في الميزان؟ ماذا سيكتب في صحيفتك؟

واذكر في الجانب الآخر: ماذا قصَّرت فيه من واجبات؟ ماذا ضيَّعت من حقوق؟ ماذا جنى لسانك؟ وماذا جنت يدك؟ وماذا جنت بطنك؟ ماذا دخل فيها من حرام؟ وكم مشيت من خطوات في سبيل المعصية؟ وماذا... وماذا؟

حساب ختامي.

هذا الحساب الختامي في هذه السَّنة مطلوب منك ـ أيُّها المسلم، إذا كنت تريد أن تسير في طريق التزكية للنَّفس فابدأ بهذا، ابدأ بالحساب، حاسب نفسك قبل أن تحاسَب، واسأل نفسك قبل أن يصير السؤال إلى غيرك، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحِجر: ٩٢، ٩٣].

وزِن أعمالك، زنها قبل أن توزن عليك في يوم قال الله تعالى فيه: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقفة على مستوى الأمَّة:

هذا على مستوى الفرد، وعلى مستوى الأمَّة: ماذا نقول؟

هذه السَّنة مضت على الأمَّة وقد حدث ما حدث، لا تزال قضايانا الكبرى معلَّقة، لا تزال أم القضايا كما هي، قضيَّة أرض النُّبوات، أرض الإسراء والمعراج، أرض الأقصى الَّذي بارك الله حوله، لا تزال تدور في حلقة مفرغة، دماء تُسفك، وحُرمات تُنتهك، ومنازل تدمَّر، وأشجار

QaradawiBooks.com

تُقلع، ومـــزارع تجرف، إلخ، ونحـــن نتفرَّج كأنَّ الأمـــر لا يعنينا، كأنَّها ليست قضيَّة العرب والمسلمين الأولى.

كانوا يقولون: الصـــراع العربي الإســـرائيلي؛ ما عـــاد صراعًا عربيًّا إسرائيليًّا، أصبح صراعًا فلسطينيًّا إســـرائيليًّا، وإسرائيل تملك ما تملك، وماذا يملك الفلسطينيون؟

لا يملكون إلَّا أنفسهم، إلَّا أرواحهم يضعونها على أيديهم، ويفجِّرون أنفســـهم، مضحِّين بأرواحهم في ســـبيل دينهم ووطنهم، ومقدَّســـاتهم وقضيَّتهم، ومن أجل هذا يعتبرونهم إرهابيين، مجرمين.

يجب أن يقاتلوا، ويجب أن يقاوموا؛ لأنَّهم يدافعون دفاعًا مشـــروعًا عن حقِّهم، لا يملكون طائرات ولا دبَّابات، ولا صواريخ ولا ترسانات؛ كما تملك إسرائيل.

وإســـرائيل ليســـت وحدها؛ فهي مســـنودة مؤيَّدة بالمال الأمريكي، والسِّلاح الأمريكي، والتأييد الأمريكي، والفيتو الأمريكي.

مؤيدة بكلِّ هذا؛ فلماذا لا تفعل ما تفعل؟ لماذا لا تصول ولا تجول، ولا تعربِد ولا تسفِك، ولا تذبح، ولا تقتل؟

وعندها إشارة خضراء تفعل ما تشاء.

الأمَّة لا تزال كما هي، وللأسف لا توجد لأمَّتنا الكبرى ـ أمَّة الألف مليون والثلاثمائة مليون، أمَّة المليار والثلث ـ ليس لها قيادة سياســـية، وليس لها قيادة دينية، وليس لها قيادة فكرية.

فهذه حال أمَّتنا، لا نملك إلَّا أن ندعو لهذه الأمَّة أن يجمعها الله من شتات، وأن يوقظها من سبات، وأن يحييها من موات.

QaradawiBooks.com

اغتيال الرئيس الشيشاني السابق[١]:

وقد حدث ـ أيُّها الإخــوة ـ في هذا البلد الكريــم، في يوم الجمعة الماضية: حدث حدثٌ غريب حقًّا، لعلَّنا ونحن كنَّا على هذا المنبر حدث هذا الحدث، أن قُتل رجل نزل ضيفًا على قطر، ومما يذكر لقطر بالخير: أنَّها تستضيف كثيرًا من المضطهدين الَّذين يُطردون من بلادهم، أو الَّذين لا يستطيعون أن يعودوا إليها، فتفتح لهم ذراعها، وتفتح لهم صدرها.

وكان هذا الرجل الرئيس الشيشاني السابق سليم خان يندربايف كان من هؤلاء الَّذين اســتضافتهم قطر، وقد عرفته وزارنــي مرَّات ومرَّات، وعرفته رجلًا صالحًا، رجلًا مجاهدًا، وهو أديب وكاتب وشــاعر، ليس فقط من أهل السياسة؛ وإنَّما من أهل الأدب وأهل الفكر.

ولكن ـ للأسف ـ حدث ما حدث في الأسبوع الماضي، من تفجير سيارته، بعد أن خرج من الجمعة مصليًا طاهرًا، فحدث له هذا الحادث الغريب، الَّذي لم يحدث مثله في قطر.

ونسأل الله أن يوفِّق المحقِّقين من رجال الأمن في قطر أن يعثروا على قاتليه[٢]، ويأخذوا جزاءهم، وينكشف موقفهم أمام النَّاس جميعًا.

نسأل الله تعالى أن يغفر له ويرحمه، ويتقبَّله في الصالحين من عباده.

اللهمَّ آمين.

* * *

(١) كان ذلك في يوم الجمعة ١٣ فبراير ٢٠٠٤م.

(٢) كشفت التحقيقات عن قاتلي الرئيس الشيشاني وقبض عليهم؛ وكانت المخابرات الروسية وراء هذا الحدث الإجرامي البشع.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

٩

التحرُّر من حبِّ الدنيا(١)

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

طريق التزكية ليس بالسهل ولا بالمستحيل:

لا زال حديثنا موصولًا حول تزكية الأنفس، هذه التزكية الَّتي من نجح فيها فقد زُحزح عن النَّار وأُدخل الجنَّة، ومن زُحزح عن النَّار وأُدخل الجنَّة فقد فاز وقد أفلح ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشَّمس: ٩، ١٠].

تزكية النَّفس ليست بالأمر الهيِّن ولا بالأمر السهل، وليست ـ أيضًا ـ بالأمر المستحيل، إنَّها يسيرة على من يسَّرها الله عليه.

أيها الإخوة، من سار على الدرب وصل، ومن جدَّ وجد، ومن زرع حصد، ولا يضيع عملٌ عند الله تعالى ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، المهمُّ أن يشمِّر الإنسان عن ساعده، وأن يبدأ السير في الطريق؛ طريق التزكية، ولا يستسلم لأهواء نفسه، وشهوات غرائزه.

(١) أُلقيت بمسجد عمر بن الخطَّاب بالدوحة في ٧ محرم ١٤٢٥هـ الموافق ٢٧ فبراير ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

وهذا يحتاج إلى جهاد مرير، وكما قال البوصيري في بُردته:

والنَّفس كالطفل إن تهمله شبَّ على حبِّ الرضـــاع وإن تفطمه ينفطم
فاصرف هواها وحـــاذر أن تولِّيه إنَّ الهوى ما تولَّى يُصْم أو يَصِمِ[1]

إما يصميك: يقتلك، ويصيبك بســـهم قاتل، وإمـــا يصمك: يعيبك ويشينك، فاحذر الهوى؛ فالهوى شرُّ إلٰه عُبد في الأرض، ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

في الأســـبوع الماضي تحدَّثنا عن داء من أدواء النَّفس وأمراضها، ذلكم هو: داء الغفلة، مرض الغفلة، الغفلـــة: عن الله، عن ذِكر الله، عن آيات الله، عن لقاء الله وحسابه ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الـرُّوم: ٧]، ولذلك حذَّر الله رســـوله فقـــال: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

حبُّ الدُّنْيا رأس كلِّ خطيئة:

وهنـــاك داء آخر؛ مرض من أمـــراض القلب، وأمـــراض النَّفس هو: الشَّهوة، أو حبُّ الشَّـــهوة، أو كما قال القرآن: حبُّ الشَّهوات، ويعبِّرون عنه بحبِّ الدُّنيـــا ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: ١٤].

(١) انظر: البردة مع شـــرح الباجوري صـ٣٧، نشـــر مكتبة الصفا، درب الأتراك خلف الجامع الأزهر، القاهرة.

QaradawiBooks.com

الخطر هنا هو: حبُّ الدنيا، وليس ملك الدنيا، يمكن أن تملك الدُّنْيا ولا تملكك، وأن تسخِّر الدُّنْيا ولا تسخِّرك، وأن تستخدمها ولا تستخدمك، أن تضعها في يدك ولا تُسكنها في قلبك، أنْ تكون لك الدُّنْيا وسيلة لعمل الصالحات واستباق الخيرات، ولا تكون غاية لك تركض وراءها، وتعيش لها، وتقاتل من أجلها.

فرْقٌ بين هذا وذاك.

الخطر هو حبُّ الدنيا، وكما قال العابد الزاهد الصالح مالك بن دينار: حبُّ الدُّنْيا رأس كلِّ خطيئة(١).

الغفلة، وحبُّ الشَّهوة، أو حبُّ الدنيا: مرضان من أخطر الأمراض على النَّفس البشريَّة؛ على القلب الإنساني، فاحذر من هذين المرضين، حاول أن تخرج من سجن الغفلة إلى باحة اليقظة، يقظة القلب، وحاول أن تخرج من حبِّ الدُّنْيا إلى حبِّ الآخرة، إلى حبِّ الله.

العاقل هو الَّذي يؤثِر الباقي على الفاني:

بدل أن تجعل الدُّنْيا نصب عينيك لكلِّ شيء، تريد الدنيا، تؤثِر الدنيا؛ آثِر ما عند الله، آثِر الآخرة على الأولى، آثِر ما يبقى على ما يفنى ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۞ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٦، ١٧]، ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۞ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [القيامة: ٢٠، ٢١].

هذه مشكلة النَّاس أنَّهم يحبُّون العاجل، والنَّفس مولعة بحبِّ العاجل، الآخرة لا زال بيننا وبينها مراحل لا نعلمها، أمَّا الدُّنْيا فهي العاجلة، النَّاس يؤثِرون العاجل على الآجل.

(١) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا (٤١٦)، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، نشر مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

QaradawiBooks.com

وهذه آفة خطيرة.

العاقل هو الَّذي يؤثِر الباقي على الفاني، يقول أحد الزهَّاد: لو كانت الدُّنْيا ذهبًا يفنى والآخرة خزفًا يبقى لآثـــر العاقل خزفًا يبقى على ذهب يفنى، فكيف والدنيا أقلُّ من خزف، والآخرة أكثر من ذهب[١].

حبُّ الدُّنْيا هو الَّذي أهلك النَّاس، هو الَّذي جرَّهم إلى الهاوية، هو الَّذي جعلهم يقاتل بعضهم بعضًا، يعادي الابن أباه، ويعادي الأخ أخاه، ويعادي الأرحام بعضهم بعضًا، في سبيل عرَض يسير من الدنيا، «**يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمســـي الرجل مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعَرَض يسير من الدنيا**»[٢].

المذموم إرادة الدُّنْيا لا ملكها:

هذه الدُّنْيا هي الَّتي أبعدت النَّاس عـــن الله، كان في الصَّحابة أغنياء يملكون الآلاف المؤلَّفة، ولكن إذا طُلب منهم شـــيء قدَّموه لله رخيصًا، كان في الأنبياء ملوك، يوسف وداود وســـليمان، ولكنَّ الدُّنْيا لم تفتنهم عن آخرتهم.

الخطر هو الإرادة، الله جعل النَّاس صنفين: مريدًا للدنيا، ومريدًا للآخرة، فقال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨].

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾، الدُّنْيا وشـــهواتها وملذَّاتها، وما فيها من مال وبنين، وقناطير مقنطرة ونساء، وكذا وكذا.

---

(١) من قول الفضيل بن عياض، انظر: المســـتطرف في كل فن مستظرف لأبي الفتح الأبشيهي صـ٥١٢، نشر عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (١١٨)، وأحمد (٨٠٣٠)، عن أبي هريرة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ سيأخذ نصيبه الَّذي أراده الله له، يريد الله أن يعطي قدرًا معينًا لمن يشاء، وليس لكلِّ من أراد الدُّنْيا ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٨] من أراد الدُّنْيا فقط فهذا مصيره جهنَّم.

وفي مقابله ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩].

﴿أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ﴾، أي: جعلها أكبر همِّه، ومحور تفكيره، وجعلها نصب عينيه.

أمَّا الَّذي جعل الدُّنْيا أكبر همِّه، ومبلغ علمه، كالذين قال الله فيهم: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [النَّجم: ٢٩، ٣٠]، لم يرد إلَّا الحياة الدنيا، إذا عرض له أمران: أحدهما للدنيا، وأحدهما للآخرة، آثر أمر الدُّنْيا على أمر الآخرة، ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النَّازعات: ٣٧ ـ ٣٩].

هذا مأواه الجحيم.

الخطر هو حبُّ الدنيا، والدنيا لا تستحقُّ هذا كلَّه؛ لأنَّك مهما ملكت من الدُّنْيا ماذا لك منها؟ هل تستطيع أن تأكل أكثر من ملء معدتك؟

كلْ ما شئت من اللذائذ والطيبات، والله بعد أنْ يمرَّ من فمك إلى المريء والحلقوم؛ يستوي الرديء والطيب، يستوي الحلو والحامض، وكلٌّ سيخرج من مخرجه.

الدنيا لا تستحقُّ هذا كلَّه، ماذا تستطيع أن تأخذ من الدنيا، هل تستطيع أن تأخذ معك في القبر صندوقًا من ذهب؟ هل تأخذ معك دفتر شيكات؟ هل تتعامل بالنقود في القبر؟

QaradawiBooks.com

النَّاس يقولــون: الكفن ليس له جيوب. ليس هنــاك كفن به جيوب تضع فيه بعض الأموال، حتَّى لو عملت له جيوب؛ ماذا تفعل بها؟

لا يستطيع أحد أن يرشو «عزرائيل» ليؤخِّر أجله، ولا يستطيع أحد أن يرشو مُنكرًا ونكيرًا ليلقِّناه الإجابة في القبر.

الدنيا إما أن تفارقها، وإما أن تفارقك:

عِش ما شئت من الدُّنْيا ستأخذ نصيبك منها، وهي أرصدة متقاربة.

ثمَّ ما هي الدُّنْيا بالنسبة للإنسان؟

هي عمر محدَّد معلوم، أيام معدودة، وأنفاس محدودة، عِش ســبعين سنة، أو مائة سنة، أو مائة وعشرين سنة، ثمَّ ستخرج من الدُّنْيا لا محالة، عندها ستتضاءل هذه السنون والأيام، والأسابيع والساعات، وتصبح كأنَّها ســاعة واحدة، وتتمنَّى عند الموت لو رجعت إلــى الدُّنْيا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

يتمنَّى الإنســان عند الاحتضار لو أُمهل قدرًا قليلًا، ليعمل صالحًا، ليزيد في رصيده.

دخل أحد الوعَّاظ ـ ابن السماك ـ على أعظم ملوك الأرض في وقته ـ هارون الرشيد ـ فقال له هارون: عظني يا ابن السماك.

قال: يا أمير المؤمنين، هب أنَّك كنت تســير في صحــراء، ثمَّ نفد ما معك من زاد وماء، واشــتدَّ بك الظمأ حتَّــى احترق جوفك، وظللت تبحث عن ماء فلم تجد ماء، فجاء لك رجل بكأس من الماء، وقال لك: يا أمير المؤمنين، أســتطيع أن أســقيك من هذا الكأس على أن تعطيني نصف ملكك. فماذا تفعل؟!

QaradawiBooks.com

قال: أعطيه نصف ملكي، وأشرب وأرتوي، ولا أموت من العطش.

قال: هب أنك ـ يا أمير المؤمنين ـ بعد أن شربت هذا الماء احتبس في جوفك، وظلَّ يوجعك، ويؤرِّقك، ويتعبك، تريد أن تبول فلا تستطيع أن تبول، احتبس البول فيك وأنت تتلوَّى وتتوجَّع، فجاءك من قال لك: أنا أقدر أن أعالجك ـ يا أمير المؤمنين ـ وأخرج البول منك؛ على أن تعطيني نصف ملكك الآخر.

قال: أعطيه وأنقذ نفسي.

قال: فانظر ـ يا أمير المؤمنين ـ إلى هذا الملك الطويل العريض؛ الَّذي لا يساوي شربة وبولة، ونحن نشرب ونبول كما نريد بلا خوف ولا حرج.

هذا من نِعم الله تعالى علينا[١].

وقف سليمان بن عبد الملك؛ الخليفة الأموي الشاب أمام المرآة فراقه حسن صورته، وأعجبه نضرة شبابه، فقال في زهو وغرور: أنا الملك الفتى! وكان بجواره إحدى إمائه وجواريه، فنظر إليها، وقال لها: ماذا تقولين؟

فقالت له: يا أمير المؤمنين، أقول ما قال الشاعر:

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للإنسان
ليس فيما علمته فيك عيب كان في النَّاس غير أنك فان

ولم يلبث سليمان إلَّا أيامًا حتَّى توفي[٢].

(١) راجع القصة بتمامها في البداية والنهاية لابن كثير (٣٣/١٤).
(٢) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٦٢٦/١٨).

QaradawiBooks.com

جاءه الموت، الموت الَّذي يأخذ الشابَّ والشيخ، ويأكل الأخضر واليابس، هوَّن الموت من قيمة هذه الدنيا، «**عِش ما شئت فإنك ميت، وأحبب ما شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به ومسؤول عنه**»[١].

هذه هي الدُّنْيا الَّتي يتهافت النَّاس عليها تهافت الذباب، ويتهارشون على متاعها تهارش الذئاب.

قال بعض الصالحين: زهدت في الدُّنْيا لقلة غنائها، وكثرة عنائها، وسرعة فنائها، وخسة شركائها[٢]! أهل الدنيا، عشَّاق الدُّنْيا أخساء يقاتلون على الفلس، لا يقنعون بقليل، ولا يشبعون من كثير، هم كجهنم يقال لها: هل امتلأت؟ فتقول: هل من مزيد؟! يبيع أحدهم صاحبه من أجل درهم أو دينار، هذا معنى خسة شركائها، هذه هي الدُّنْيا.

جبِلت على كدر وأنت تريدها ... صفوًا من الآلام والأكدار
ومكلِّف الأيام ضد طباعها ... متطلِّب في الماء جذوة نار[٣]

لا قيمة للدنيا عند الله:

هذه الدُّنْيا الَّتي يتهافت النَّاس عليها ويتهاوشون، ليس لها عند الله قيمة.

قيمتها أنَّها مزرعة للآخرة، قيمتها أنَّها الفرصة الوحيدة لتعمل فيها للدار الباقية دار الخلود.

---

(١) سبق تخريجه صـ ١٥٠.

(٢) فيض القدير للمناوي (١٤٣/٦)، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

(٣) من شعر أبي الحسن التهامي. انظر: تاريخ دمشق (٢٢٢/٤٣)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

هذه قيمتها.

أمَّا هي في نفسها فليس لها عند الله قيمة، لو كان لها عند الله قيمة، ما ترك رسله وأنبياءه، وأولياءه وأحبَّاءه، يعذَّبون فيها، ويعانون البلاء بعد البلاء.

النَّبي ﷺ يقول: «**لو كانت الدُّنْيا تزِن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء**»[١]، ولكن الله يمتِّع الكفَّار وأعداء الله، والملاحدة والمشركين به، ترك لهم الدُّنْيا يتمتَّعون فيها وفق سننه، وشبكة الأسباب والمسببات؛ الَّتي وضعها في هذا الوجود؛ لأنَّ الدُّنْيا مجرد قنطرة إلى الآخرة.

إيَّاك وطول الأمل:

ولذلك جاء عن المسيح عليه السلام يقول: الدُّنْيا قنطرة فاعبروها، ولا تعمروها[٢].

اعبر القنطرة ولا تعمرها.

يعني: لا تعش فيها عيش الخالدين، بل عش عيش العابرين، كما جاء في الحديث الصحيح: «**كن في الدُّنْيا كأنك غريب، أو عابر سبيل**»[٣].

هكذا روى ابن عمر عن النَّبي ﷺ.

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٢٠)، وقال: صحيح غريب. وابن ماجه (٤١١٠)، كلاهما في الزهد، والحاكم في الرقاق (٣٠٦/٤)، وصحَّحه، وقال الذهبي: زكريا بن منظور ضعَّفوه. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩٤٣)، عن سهل بن سعد.

(٢) رواه أبو نُعيم في حلية الأولياء (١٤٥/٨)، عن وهيب المكي.

(٣) رواه البخاري في الرقاق (٦٤١٦)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

تعدُّ العدَّة للسفر إلى وطنك الأصلي، إلى الجنَّة الَّتي هي وطنك الأصلي:

فحـي على جنـات عـدن فإنَّها منازلـك الأولى وفيهـا المخيم!
ولكنَّنا أسـرى العـدو فهل ترى نعـاد إلـى أوطاننا ونسـلم[1]؟

مشكلة النَّاس طول الأمل، أن كلَّ واحد يطيل أمله في الدُّنْيا.

أصل الأمل مطلوب لتعمر الحياة، ليزرع الزارع، ويحصد الحاصد، ويجتهد الطالب، ويعمل كلُّ إنسان عمله، هذا لا بدَّ منه.

ولكن المشكلة طول الأمل، أن يظنَّ الإنسـان أنَّ الموت بعيد عنه، حتَّى ابن السـبعين، والثمانين، والتسـعين، والمائة؛ يسـتبعد الموت، والموت أقرب ما يكون إلى الإنسان.

كلُّ امـرئ مصبـح فـي أهلـه والموت أدنى من شراك نعله[2]!

ما نصيبك من جناح البعوضة؟

لا بدَّ ـ أيُّها الإخوة ـ أن ننظر إلى هذه الدُّنْيا أنَّها لا تزن عند الله جناح بعوضة، الدُّنْيا بأرضها وسمائها، بمحيطاتها وبحارها، ببحيراتها وأنهارها، بجبالها ووديانها وسهولها، بنباتها وأشجارها وزروعها، بفضتها وذهبها، بحيوانها وإنسانها؛ هذه الدُّنْيا لا تزن عند الله جناح بعوضة.

فانظر ـ أيُّها الإنسان الفرد ـ ماذا يكون نصيبك من جناح البعوضة؟

إذا كانت الدُّنْيا كلُّها لا تزن عند الله جناح بعوضة، فعلام تقاتل؟ عن أي شيء في جناح البعوضة؟ وعلى أي شيء؟

هذه هي الدُّنْيا.

---

(١) البيتان للإمام ابن القيم. انظر: حادي الأرواح صـ١١، نشر مطبعة المدني، القاهرة.

(٢) سبق تخريجه صـ ١٥٣.

QaradawiBooks.com

لا بدَّ من الإجابة عن الأسئلة الخالدة:

لا بدَّ أن تعرف للدنيا قدرها، أن تتخذها طريقًا إلى الآخرة، أن تنظر في غدك، في مصيرك.

وهذه هي الغفلة الَّتي أصيب بها النَّاس.

إنَّ النَّاس لا يتأمَّلون في مصيرهم، لا يجيبون عن هذه الأسئلة الخالدة الثابتة: من أين؟ وإلى أين؟ ولم؟ من أين جئت وجاء هذا العالم من حولي؟ وإلى أين أذهب بعد أن أموت؟ وما أنا ما حقيقتي؟ ولم أعيش في هذه الدنيا؟

هذه أسئلة يجب أن يسألها الإنسان لنفسه، ليخرج من نوم الغفلة إلى صحوة الفكرة.

يتفكَّر في خلق السماوات والأرض، ويقول ما قال أولو الألباب: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ﴾ [آل عمران: ١٩١]، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، إلام تنتهي هذه الدنيا؟ أتنتهي وقد انفض هذا السوق؟ وقد قُتل من قُتل، وظُلم من ظُلم، ونُهب من نُهب، ثمَّ لا يحاسَب الإنسان على ما عمل؟

لا يعقل هذا، هذا هو الباطل الَّذي يتنزَّه الله عنه، ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ۞ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٧، ٢٨].

لا يمكن أن يستوي المتقون والفجَّار، والمؤمنون والكفَّار، والأخيار والأشرار، لهذا كان لا بدَّ من آخرة ليجزي الله فيها كلَّ نفس ما كسبت،

QaradawiBooks.com

ويوفيها ما عملت ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

لا بدَّ من آخرة.

السؤال الأوَّل: من أين؟

لا بدَّ أن يجيب الإنسان عن سؤال: من أين؟

ليعلم أنَّه جاء من الله تعالى؛ الله هو الَّذي خلقه، كان عدمًا فأوجده الله من عدم، ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۞ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ١، ٢].

الله هو الَّذي خَلقه، وهو الَّذي صنعه، وهو الَّذي أعطاه السمع والبصر والفؤاد، ليبتليه ويبتلي به.

السؤال الثاني: إلى أين؟

أمَّا السؤال الثاني: فإلى أين؟

الجواب: إلى الآخرة، كلُّ إنسان سيموت، ولكن الموت ليس نهاية المطاف، الموت عبور إلى حياة أخرى.

هذه الحياة الأبدية المصيرية، قضيَّة المصير الأولى، هي قضيَّة الآخرة، هي قضيَّة الحساب، هي قضيَّة الثواب والعقاب، هي قضيَّة الجنَّة والنَّار، كلُّ قضيَّة قبل ذلك وبعد ذلك لا أهميَّة لها، إذا قيست بهذه القضيَّة.

المهمُّ أن تطمئن على قضيتك المصيرية الأولى: إلام تصير؟ إلى جنَّة أم إلى نار؟

غير مرخصة للطباعة

يقول أحد السلف: لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلودين: الخلود في الجنَّة، والخلود في النَّار[١]!

ليســت هذه قضيَّة هينة؛ أن تخلد في الجنَّة أو تخلد في النَّار. بماذا تبيع الجنَّة؟ بماذا تشتري النَّار؟

هذه قضيَّة أساسية مصيرية أن توقن بالآخرة ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤].

السؤال الثالث: ما أنا؟

ثمَّ أن تجيب عن الســؤال الثالث: ما أنا؟ ما أنت أيُّها الإنسان؟ هل أنت هو هذا الهيكل المنظور مــن العِظام واللحم، والأعصاب والدماء؟ هل أنت مجرد هذه الأجهزة والخلايا؟ هل أنت هذا الكيان المادي؟

إذن فالبهائم أفضل منك، مهما ضخم جسمك فلن تكون في ضخامَة الثور، أو ضخامَة الفيل، مهما كنت قويًّا فلن تكون في قوَّة الأسد.

هذا الكيــان المادي ليس له قيمة ذات بال، قيمتك في هذا الشــيء الَّذي أودعه الله في جوانحك، هذا السرُّ الإلٰهي، هذه الروح، إنَّ الله خلق الإنســان الأوَّل ﴿مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحِجر: ٢٦]، ثمَّ قال للملائكة: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحِجر: ٢٩].

سجدوا لهذه النفخة من رُوح الله، لا لهذه القبضة من الطين والحمأ المسنون.

فعلى الإنســان أن يعرف قيمته في هذه، الإنسان صغير في حجمه،

(١) روي هذا عن ابن السماك كما في إحياء علوم الدين (١٨٨/٤)، ويحيى بن أبي كثير كما في التخويف من النار لابن رجب صـ٤٤، تحقيق بشــير محمد عيون، نشر دار البيان، دمشق، ط٢، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

QaradawiBooks.com

ولكنَّه كبير بمـــا وهب الله له من مواهب، وما ســـخَّر الله له من طاقات، وما أسبغ عليه من نِعم ظاهرة وباطنة.

يقول عليٌّ رضي الله عنه يخاطب الإنسان:

داؤكَ فيـــكَ ومـــا تَشْـــعُرُ وداؤك منـــكَ ومـــا تُبْصِـــرُ!

وتحســـبُ أنَّكَ جِـــرْمٌ صَغَير وفيك انطوى العالمُ الأكبرُ[1]**!**

الإنسان بالنسبة لحجمه شيء بســـيط في هذه الكرة الأرضية، الَّتي هي ذرَّة في هذا الكون.

الكرة الأرضية كرة صغيـــرة في المجموعة الشمســـية، والمجموعة الشمســـية مجموعة من ملايين المجموعات في مجرَّتنا الَّتي نعيش فيها الَّتي يسمُّونها: سكة التبَّانة؛ لأنَّ النجوم تتناثر فيها كما يتناثر التبن لمن يذرو التبن في الفضاء، وهذه المجرَّة إحدى ملايين المجرَّات في كوننا، ماذا تكون أنت في هذه الأرض؟

ثمَّ عمرك؛ ما عمرك بالنسبة لعمر الأرض، أو عمر الكون؟

مائة سنة، مائتا سنة، ألف سنة كما عمِّر نوح؟

قيمة الإنسان بقيمة هدفه:

انظر إلى عمر الأرض، الحياة على الأرض ملايين وبلايين السنين، انظر إلى عمر الكون أكثر وأكثر، وأطول وأطول، فأنت من ناحية المكان حقير، ومن ناحية الزمان حقير، قيمتك إذن ليست بالمكان ولا بالزمان ولا بالحجم، قيمتك ـ أيُّها الإنســـان ـ ما أودع فيك ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

(١) ديوان الإمام علي بن أبي طالب صـ٤٥.

QaradawiBooks.com

السؤال الرابع: لِمَ:

بقي عليك ـ أيُّها الإنسان ـ أن تجيب عن السؤال الرابع: لِمَ؟

إذا أجبت عن أسئلة: من أين؟ وإلى أين؟ وما أنا؟ يلزمك أن تجيب عن سؤال: لِمَ؟ أي: لما خُلقت في هذه الدنيا؟ ألهدف ورسالة؟ أم لغير شيء؟

وهنا تظهر قيمتك حقًّا.

أنت ـ أيُّها الإنسان ـ كبير بهذا المعنى، كبير بما لك من هدف، كبير بما لك من رسالة في هذا الوجود.

أيُّها الإنسان ما أنت؟

لقد أجبت عن سؤال: «ما»، ما أنا؟ ما حقيقتي؟

والآن أجب عن سؤال آخر: «لم»؟ لماذا أعيش في هذه الدنيا؟

هناك أناس لا يعرفون لهم في الحياة هدفًا، ولا يتذوَّقون للحياة معنى، ويرون أنَّ الحياة تافهة، لا تستحقُّ أن تعاش، ولذلك يعجِّل بعضهم بالانتحار لأدنى سبب؛ لأنَّ الحياة لا تستحقُّ، هم لا يعرفون لهم هدفًا في هذه الحياة، لا يعرفون لهم رسالة في هذا الوجود، لماذا يعانون؟ يعترض أحدهم على أبيه: لماذا أنجبه أبوه؟

ويرفض أن يتزوج ويقول: هذا ما جناه أبي عليَّ وما أريد أن أجني على أحد[1]!

أبي جنى عليَّ لشهوة دفعته، وأنا لا أريد أن أجني على أجيال قادمة.

(١) قاله أبو العلاء، انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٢٠٩/٣٠)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

QaradawiBooks.com

المؤمن يعيش ليعبد الله تعالى:

هــؤلاء الَّذين ينظــرون إلى الحياة بهــذه الطريقة ليــس لهم هدف ولا رسالة، ولكن المؤمن حين يعيش في هذه الدنيا، يعلم أنَّ له رسالة، ما هي رسالة الإنسان المؤمن؟

يقولون في المثل: الأحمق يعيش ليأكل، والعاقل يأكل ليعيش.

هذا صحيح، ولكن هذه الحكمة لم تحل المشــكلة؛ لأنَّه ســيظلُّ الســؤال: إذا كان العاقل يأكل ليعيش فلماذا يعيش؟ هل العيش هدف في ذاته؟

لا، لا بدَّ أن يكون للعيش هدف آخر.

ما هو هدف هذا العيش؟

ولذلك نكمل هذه الحكمة فنقول: الأحمــق يعيش ليأكل، والعاقل يأكل ليعيش، والمؤمن يعيش ليعبد الله تعالى، ويقوم بخلافته في أرضه.

رسالة المسلم تتمثَّل في ثلاثة أشياء:

الأول: معرفة الله تعالى وعبادته:

المؤمن له هدف وله رسالة، ليست رســالته الأكل والشرب، بل له رســالة أكبر من هذا وأخطر، إنَّ رسالته تتمثَّل في ثلاثة أشياء: معرفة الله تعالى وعبادته.

الله خلق هذا الكون علويه وســفليه ليعرفه النَّاس، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [الطَّلاق: ١٢].

QaradawiBooks.com

خلق الله كلَّ هذا الكون لتعرفوا الله، لتعلموا الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، وبعلمه المحيط، وقدرته النافذة، ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.

هذا العلم يؤدِّي إلى عبادة الله، من عَرف الله حقَّ معرفته، عبده حقَّ عبادته ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذَّاريات: ٥٦ ـ ٥٨].

في بعض الآثار الإلٰهيَّة: «**يا عبادي، إنِّي ما خلقتكم لأستأنس بكم من وحشة، ولا لأستكثر بكم من قلَّة، ولا لأستعين بكم من وحدة على أمر عجزت عنه، ولا لجلب منفعة، ولا دفع مضرة، ولكن خلقتكم لتعبدوني طويلًا، وتذكروني كثيرًا، وتسبِّحوني بكرة وأصيلًا**»[1].

معرفة الله وعبادته الهدف الأوَّل من خلق الإنسان.

الثاني: عمارة الأرض:

والهدف الثاني من خلق الإنسان: عمارة الأرض ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١].

﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾، أي: طلب منكم عمارتها، ولهذا استخلفكم ولم يستخلف الملائكة، الَّتي تطلَّعت إلى هذا المنصب، وقالت لله تعالى: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

أنتم ـ أيُّها الملائكة ـ لا تصلحون لعمارة الأرض؛ لأنَّكم لا تأكلون

(١) لم أقف على تخريج له، ولكن معناه صحيح.

QaradawiBooks.com

ولا تشربون ولا تتناسلون، وليس لكم حاجات تربطكم بالأرض، هناك نوع آخر هو الجدير بالخلافة؛ وهو: آدم.

ولذلك حينما عقد امتحانًا لهم مع آدم، نجح آدم في العلم؛ لأنَّ الله علَّمه الأسماء كلَّها؛ ممَّا يتعلَّق بعمارة الأرض.

الثالث: الخلافة عن الله:

والهدف الثالث هو: الخلافة عن الله تعالى، أن يكون الإنسان خليفة لله في أرضه، يقيم فيها الحقَّ والعدل، وهذا هو هدف الرسالات السماوية كلِّها ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

الإنسان الَّذي يعيش لهذه الرسالة، لا يمكن أن تكون الحياة تافهة عنده، إنَّها حياة غالية، حياة لها معنى، يعيش لهذا المعنى، ويعمل لهذا المعنى، ويجاهد لهذا الهدف، وهذا هو الإنسان.

أيُّها الإخوة، من عرف هذه الأشياء، كانت هذه المعرفة ـ إذا تأصَّلت في عقله، وهيمنت على تفكيره ـ وسيلة من وسائل النجاح لتزكية نفسه.

ومن جهِل هذه الحقائق لم يفلح في تزكية نفسه، غلبته نفسه ولم يغلبها، غلبه هواه وانتصرت عليه غرائزه، وأصبح كالأنعام، أو أضلّ سبيلًا.

فعلينا ـ أيُّها الإخوة ـ لكي نزكِّي أنفسنا أن نستحضر هذه المعاني الأساسية، لنخرج من سجن الغفلة، وننتصر على داء الشَّهوة، وحبِّ الدنيا، ننتصر على حبِّ الدنيا، وإرادة الدُّنْيا بإرادة الآخرة، لنريد الآخرة ونسعى لها سعيها ونحن مؤمنون، ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩].

QaradawiBooks.com

أسأل الله أن يفقِّهنا في ديننا، وأن يبصِّرنا بحقائق دينه، وأن ينير قلوبنا بمعرفته، وأن يجعلنا من العارفين به، العابدين له، العاملين لآخرتهم، إنَّه سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

إسرائيل تسرق بالإكراه:

لا زالت دولة الكيان الصهيوني تستكبر في الأرض بغير الحقِّ، وتقول: من أشــدُّ منَّا قوَّة، تســتعرض عضلاتها، تعيث في الأرض فســادًا، تقتل وتذبح، وتخرِّب وتدمِّر، ولا يقول أحد لها: لم؟ فضلًا عن أن يقول لها: لا.

وآخر ما فعلته من طغيان؛ تلك الجريمة الهائلــة الَّتي لم نر لها في الدُّنْيا نظيرًا: أن تدخل على البنوك الفلســطينية، وتستولي على أموالها بقوة السِّلاح.

ماذا تقول عن هذه الجريمة؟

دولة تســتخدم السِّــلاح، لتدخل على بنوك رســمية، لتأخذ تسعة ملايين، أو نحو ذلك من أموال النَّاس، بقوة السِّلاح!

ماذا تسمِّي هذا؟ تسمِّيه قرصنة؟ تسمِّيه سرقة بالإكراه؟ تسمِّيه حرابة أو قطع طريق؟

هذا أولى ما تسمَّى به هذه الجريمة، أن تدخل المسمَّاة إسرائيل على بنوك فلسطين، وتستولي بالسِّلاح على ما فيها، ولا يقول لها أحد: كُفِّي؛ لأنَّها الطفلة المدلَّلــة، الدولة الَّتي لا يلومها أحــد، الَّتي تعطيها أمريكا الحقَّ في أن تفعل ما تشــاء، ومن أراد أن يلومها، أو يحاسبها، أو يوجِّه إليها لومًا، فهنــاك الفيتو الأمريكي، الَّذي يحمي إســرائيل، يحميها أن يوجَّه إليها مجرد لوم، أن يُقال لها: عيب يا أيَّتها الدولة المدلَّلة.

QaradawiBooks.com

أمريكا مشغولة بمشروع الشرق الأوسط الكبير:

ولكن أمريكا مشغولة بأمر آخر، مشغولة بما سمَّته: الشرق الأوسط الكبير، الشرق الأوسط الكبير لم يعد مقصورًا على العرب ودولة الكيان الصهيوني، بل ضمَّت إليها دولًا إسلاميَّة أخرى: باكستان وأفغانستان، وتركيا وإيران.

كلُّ هذا سمَّته: الشرق الأوسط الكبير.

أمريكا مشغولة بهذا الشرق الأوسط الكبير، تريد أن تصنعه صناعة جديدة، صناعة أمريكيَّة، صناعته القديمة لم تعد تصلح! تريد أن تصنع عقله ووجدانه، وضميره وعواطفه، وميوله وأذواقه.

تريد أن تبني له فلسفة جديدة في الحياة، تريد أن تبني له فكرة عن الإنسان، وعن الكون، وعن الوجود، غير الفكرة الَّتي تعلَّمها النَّاس من دينهم.

لن نسير في الركاب، ولن نتمسَّح بالأعتاب فنحن أمَّة لها حضارة:

تريد أمريكا أن تعلِّم المسلمين دينهم، أن يغيِّر النَّاس تعاليم الدين وفق ما تريد أمريكا، أن يغيِّروا تعليم أبنائهم وبناتهم وفق ما تريده أمريكا.

نحن لسنا ضد الإصلاح ولا ضد تغيير مناهج التعليم، وفلسفة التربية، نحن دائمًا ننادي بالإصلاح، ونرى الإصلاح فريضة وضرورة، فريضة يوجِبها الدين، وضرورة يحتِّمها الواقع، ننادي بهذا بملء أفواهنا من سنوات وسنوات، ولكنَّا لسنا أحجارًا على رقعة الشطرنج، لسنا تلاميذ تعلِّمنا أمريكا، لسنا أمَّة خاوية، أو أمَّة فارغة من المعنى؛ نحن أمَّة لها جذور، أمَّة لها تاريخ، أمَّة لها حضارة، أمَّة لها فلسفة، أمَّة لها رسالة عالميَّة، أقامت حضارة شامخة، تعلَّمت أوربا منها، وتعلَّم الغرب منها.

QaradawiBooks.com

عشـــرة قرون من الزمان كنَّا فيها الأمَّة الأولـــى، والعالم الأوَّل، لن نرضى لأنفســـنا أن تصبح أمريكا قيِّمةً علينا، وعلى تعليمنا، وتقول لنا: أبقوا هذا، واحذفوا هذا، وغيِّروا هذا، وعدِّلوا هذا!

لســـنا عبيدًا لأمريكا، نحن ســـادة أحرار، ولهذا رفض هـــذا العالم العربي كلُّـــه: الحـــكَّام والمحكومون، الساســـة والشـــعوب، اليمينيون واليساريون، التقدُّميون والرجعيون، القوميون والإسلاميون، كلُّ الفئات رفضت هذا، ويجب أن ترفض هذا.

نحن لا نقبل وصاية من أحد علينا.

نحن ننادي بوجوب الإصلاح، ولكن نصلح أنفسنا بأنفسنا لأنفسنا، نصلح أنفسنا بأنفسنا لأنفسنا، وليس لإرضاء أحد آخر، نحن إذا أصلحنا تعليمنا، وأصلحنا ثقافتنا، وأصلحنا تربيتنا، لو أصلحنا لحساب آخرين، فهذا لا يتَّفق مع مصلحتنا؛ لأنَّ مصلحتنا غير مصلحتهم، وفلسفتنا غير فلسفتهم، وهدفنا غير أهدافهم.

ولهذا نرفض هذا كلَّه، نرفض التدخُّل في تعليمنا وثقافتنا، يجب أن نرفض هذا بصراحة، لا ينبغي أن نستسلم.

هناك عبيد[1] يريدوننا أن نســـير في الركاب، وأن نتمسَّح بالأعتاب، وأن نقف على الأبواب؛ شحَّاذين سائلين.

(١) وتسميتهم الحقيقية: «عبيد الفكر الغربي»؛ فهم لا يرقون ليكونوا تلاميذ الفكر الغربي؛ فإنَّ التلميذ يناقش أســـتاذه، وقد يخالفه ويردُّ عليه، ولكن موقف هـــؤلاء من الفكر الغربي هو التبعية والعبودية، التي ترى أن كلَّ ما يؤمن به الغرب هو الحقُّ، وكلَّ ما يقوله فهو صدق، وكلَّ ما يفعله فهو جميل!

QaradawiBooks.com

هؤلاء عبيد لا قيمة لهـــم، الَّذين يريدون أن نحرق البخور بين أيدي الاستعمار الجديد.

هؤلاء لا مكان لهم في ديارنا، ولا في حياتنا، ليلحقوا بأســيادهم؛ فالعبد جدير بأن يلحق بســيده، ولكــن أمَّتنا كلَّها ترفض هــذه التبعية الذليلة، ترفض العبوديَّة الخاسرة.

نحن أحرار ولســنا عبيدًا، نحن سادة أعزَّاء، ولســنا أذلاء، نحن لنا رســالتنا وحضارتنا، نرفض أن يُفرض علينا الإصلاح، ونحن نرفض أن يُفرض علينا التعليم، أو يُفرض علينــا الإعلام، ولذلك ينبغي أن نقاطع الإعلام الاســتعماري، الَّذي يحاول أن يغزونا في عقر دارنا، ليغيرنا من داخلنا، هذا الَّذي يسمُّونه: «الحرَّة» أو قناة «الحرَّة».

هذا غزو جديد، يجب أن نقاطع هذا الإعلام، يكفينا إعلامنا، لا نريد أن نتعلَّم من هذا، إن كان ما عنده خيرًا فنحــن نرفض هذا الخير الَّذي يأتينا من عنده، عندنا الخير كلُّه، عندنا الخير في ديننا، في ثقافتنا، علينا أن نغربلها، ونتعلَّــم منها، ونأخذ خيرها، وندع شــرها، ونُعمل عقولنا، ونستفيد من وسائلهم وآلياتهم، لا من فلسفتهم وقيَمهم.

نحن لنا فلســفتنا وقيَمنا، وإنَّما تتميَّز الأمم بهذه الخصوصيات؛ كلُّ أمَّة لها فلسفتها، ولها قيَمتها، لا تستورد هذه الفلسفة وهذه القيَم من أمم أخرى، وإلَّا ضاعت شخصيَّتها، وذابت هويتها، وانتهى وجودها.

لا مبرِّر لوجود أمَّتنا إذا تنازلت عن رسالتها، ورسالتها هي: الإسلام، ورضي الله عن ابــن الخطَّاب الَّذي قــال: نحن كنَّا أذلَّ قــوم فأعزَّنا الله بالإسلام، فمهما نلتمس العزَّة بغيره أذلَّنا الله[1].

(١) سبق تخريجه صـ ١٠٥.

QaradawiBooks.com

﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النِّساء: ١٣٨، ١٣٩].

أسأل الله تعالى أن يسدِّد الخُطى، وينير الطريق.

وأحبُّ ـ أيُّها الإخوة ـ أن ندعو بحرقة وحرارة لإخواننا في أرض النُّبوات، في أرض الإسراء والمعراج، في أرض البطولات، في أرض الشهداء، الَّتي تقدِّم كلَّ يوم عشرات الشهداء، ولا زال شارون يتبجَّح ويستكبر في الأرض بغير الحقِّ، ويهدِّد ويتوعَّد، والأمَّة العربيَّة والإسلاميَّة تنام نومة أهل الكهف، تغطُّ في سبات عميق، في صمت كأنَّه صمت أهل القبور.

أسأل الله تعالى أن يشدَّ أزر إخواننا الأبطال في جهادهم، أن يقوِّيهم في بطولاتهم، أن ينير الطريق أمامهم، أن يأخذ بأيديهم إلى مواطن النصر، أن يحرسهم بعينه الَّتي لا تنام، ويكلأهم في كنفه الَّذي لا يُضام.

اللهمَّ افتح لهم فتحًا مبينًا، واهدهم صراطًا مستقيمًا، وانصرهم نصرًا عزيزًا، وأتمَّ عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك، وانشر عليهم فضلك ورحمتك.

عباد الله:

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارِك على عبدك ورسولك محمَّد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

١٠

محطَّة العلم[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لا زال حديثنا موصولًا حول تزكية النَّفس، نفس الإنسان الَّذي وصفه الله بأنَّه ﴿كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، وأنَّه ﴿لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وأنَّه ﴿لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: ٦]، وأنَّه ﴿خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ١٩ ـ ٢١].

هذا الإنسان الَّذي ألهم الله نفسه فجورها وتقواها، ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشَّمس: ٧، ٨].

هذا الإنسان الَّذي ابتلاه الله فهداه النجدين، وعرَّفه الطريقين: طريق الخير وطريق الشر، ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ٨ ـ ١٠].

لا يستطيع هذا الإنسان أن يتزكَّى ويتطهَّر؛ إلَّا إذا جاهد نفسه، ليحرِّرها من أهوائها وشهواتها، والاستسلام لغرائزها؛ حتَّى تترقى وترتفع عن مستوى الحيوانية إلى مستوى الإنسانية، أو مستوى الملائكية.

(١) أُلقيت بمسجد عمر بن الخطَّاب بالدوحة في ٢٨ محرم ١٤٢٥هـ الموافق ١٩ مارس ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

لا يتمُّ هذا إلَّا برياضة كما تُراض الأجسام، لتقوى وتسلم.

لا بدَّ أن تُراض النُّفوس، وأن تزكَّى وتجاهَد، ومن سار على الدرب وصل، والله تعالى يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

لا بدَّ أن تجاهد، وأن يكون جهادك في سبيل الله، لابتغاء مرضاة الله؛ حتَّى تصل إلى هدى الله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

طريق طويل مفروض على كلِّ مسلم:

تزكية النَّفس أمر مفروض على كلِّ مسلم ﴿**قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا**﴾ [الشَّمس: ٩، ١٠]، وهو طريق طويل لا بدَّ أن تجتاز فيه محطَّات، ولا بدَّ أن تقطع فيه مراحل؛ حتَّى تصل إلى نهايته.

هذه المحطات كثيرة ووفيرة، لا نستطيع أن نتحدَّث عن تفصيلاتها، ولكنَّنا نستطيع أن نتحدَّث عن المحطَّات المهمَّة والكبيرة والرئيسة في هذا الطريق إلى الله، الطريق إلى رضوان الله، الطريق إلى الجنَّة.

أول محطَّة في هذا الطريق هي: محطَّة العلم؛ محطَّة المعرفة، أن تقطع طريقك عن بيِّنة، على نور، على بصيرة. أن تعرف إلام تسير؟ وكيف تسير؟

لا تمضِ على عمى، ليس عندنا في الإسلام «اعتقد وأنت أعمى» أو «آمِن ثمَّ اعلم».

لا بدَّ أن تعلم طريقك أولًا.

الإمام البخاري رضي الله عنه يقول: «باب العلم قبل القول العمل»[١]، ويستدلُّ على ذلك بقول الله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ [محمد: ١٩]، اعلم واستغفر، أمَر الله بالعلم ثمَّ بالاستغفار، والاستغفار عمل، قدَّم العلم على العمل.

ومن أدلَّة ذلك: أنَّ أوَّل ما أنزل الله في القرآن: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، والقراءة مفتاح العلم والمعرفة، قبل أن ينزل الله أحكامًا وأوامر ونواهي أمر بالقراءة؛ أي: بالتعليم ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلَق: ٤، ٥]، ثمَّ أنزل الله بعد ذلك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ [المدثِّر: ١ ـ ٧]، أمره بأن يؤدِّي حقَّه لله، وحقَّه للنَّفس، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾، أن يفعل ويترك، ﴿وَٱلرُّجْزَ﴾ العذاب وأسباب العذاب وهي المعاصي ﴿فَٱهْجُرْ ۝ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾.

إنَّ الطريق طويل يحتاج إلى صبر طويل، بدأ الإسلام بالعلم قبل العمل، ولذلك على من يريد سلوك الطريق إلى الله؛ على من يريد تزكية النَّفس: عليه أن يتعلَّم؛ أن يتعلَّم ما هو فرض عليه في حقِّ ربِّه، وفي حقِّ نفسه، وفي حقِّ أسرته، وفي حقِّ جيرانه، وفي حقِّ مجتمعه، وفي حقِّ أمته، وفي حقِّ الإنسانية جمعاء، بل في حقِّ الحيوانات، وفي حقِّ الكون كلِّه.

يحتاج إلى أن يتعلَّم ليمضي في طريقه على نور، ولذلك كان طلب العلم فريضة على كلِّ مسلم ومسلمة.

(١) هو الباب العاشر من كتاب العلم، قبل الحديث (٦٨).

QaradawiBooks.com

الاكتفاء الذاتي في كلِّ علم فرض كفاية:

هناك من العلم ما هو فرض كفاية؛ يجب أن يتعلَّمه بعض النَّاس، ليغني بعضهم عن بعض، ليس من الضروري أن يكون كلُّ النَّاس متبحِّرين في علم الفقه، أو علم التفسير، أو علم الحديث.

وليس من الضروري أن يكون كلُّ النَّاس كيميائيين، أو فيزيائيين، أو مهندسين، أو أطباء.

العلم سواء أكان دينيًّا أم دنيويًّا منه ما هو فرض كفاية؛ بمعنى أنَّه: يجب على الأمَّة أن يكون فيها عدد كاف من أهل العلم، بحيث تكتفي اكتفاء ذاتيًّا في هذا الأمر، ولا تحتاج إلى غيرها، هذا ما يسميه العلماء: فرض الكفاية؛ إذا قام به بعض أو عددٌ كاف سقط الإثمُ عن باقي الأمَّة، وإلَّا أثمت الأمَّة جميعها.

يجب على الأمَّة أن يكون فيها من العلماء والخبراء في كلِّ علم من علوم الدين أو علوم الدنيا، من يسدُّ حاجتها ويلبِّي مطالبها، ويغنيها أن تكون عالة على غيرها.

ما لا يجوز الجهل به:

ولكن هناك علم هو فرض عين على كلِّ مسلم ومسلمة، كلُّ مسلم ومسلمة عليه أن يتعلَّم من دينه ما يصحِّح به عقيدته: في الألوهيَّات والنُّبوات والسمعيَّات، يعرف من أسماء الله تعالى وصفاته، ويعرف من حقائق النُّبوة، وخصوصًا النُّبوة الخاتمة؛ نبوة محمَّد ﷺ.

ويعرف من أمور الآخرة ما يصل به إلى اليقين، وحقِّ اليقين.

QaradawiBooks.com

عليه أن يعرف من أمور الحلال والحرام ما يضبط به سلوكه، فلا يقع في الحرام وهو لا يدري.

لا بدَّ أن يتعلَّم وخصوصًا ما يتعلَّق به، ويحتاج هو إليه؛ إن كان تاجرًا عليه أن يعرف أصول أحكام التجارة وأصول المعاملات، إن كان غنيًّا يجب أن يتعلَّم ما يجب عليه في أمور الزَّكاة، إن كان يريد أن يحجَّ عليه أن يتعلَّم أحكام الحجِّ.

وهناك أشياء على كلِّ إنسان أن يعرفها، ممَّا لا بدَّ منها: من أحكام الطهارة، والصلاة، والصيام... وهكذا.

لا بدَّ أن يتعلَّم دينه، وأهم شيء أن يتعلَّم علم طريق الآخرة، علم طريق الله، قد يعرف الإنسان كتب الفقه، وقد يحفظ الألوف من الأحاديث، وقد يقرأ من كتب التفاسير، ولكنَّه لا يعلم في طريق الآخرة شيئًا، فيقع في مهاوي المعصية، ويسير في ركب الشيطان، ويتبع الهوى المضلَّ عن سبيل الله، وهو لا يدري.

المهم أن تتعلَّم طريق الآخرة، وتتعلَّمه من أهله؛ من العلماء الربَّانيين الَّذين يدلونك على الله، ويأخذون بيدك إلى طريق الله، تتعلَّمه بالسمع والقراءة، من الكتب الَّتي تنير قلبك للإيمان، وتشرح صدرك للإسلام، وتحثُّك على عمل الصالحات، واستباق الخيرات، واجتناب السيِّئات، يمكن أن تتعلَّم.

وفي عصرنا أصبحت أدوات العلم ميسورة، تستطيع أن تتعلَّم بالقراءة، وتستطيع أن تتعلَّم بالسماع من الأشرطة، وتستطيع أن تتعلَّم من الفضائيات، وتستطيع أن تضع الشريط وأنت سائر في سيارتك

QaradawiBooks.com

لتستمع إليه، المهم أن تُحسن القراءة وتُحسن السماع، تُحسن اختيار ما تقرأ، وتُحسن اختيار ما تسمع.

قال أحد الحكماء: أخبِرني ماذا تقرأ أخبرك من أنت.

أستطيع أن أعرف شخصيَّتك من نوع ما تقرأ، وكذلك من نوع ما تسمع.

إذا كنت مولعًا بالمبالغات والتهاويل الَّتي يقولها بعض الوعاظ فأنت إنسان سطحي، أنت إنسان لا تريد أن تعرف حقائق العلم، تريد أن تعيش على السطح، في هذه التهاويل الَّتي لا تعرف منها حقيقة، حاول أن تسبر الأغوار، وأن تدرِك الحقائق، وأن تغوص في الأعماق.

لا تقف عند السطوح، ولذلك اختر عالِمَك، واختر كتبك، واختر من تستمع إليه.

احذروا هؤلاء:

١ ـ ضيِّق الأفق:

هناك أناس راجت في هذه الأيام كتبهم، وراجت أشرطتهم، وكلَّما سمعتها أمسكت قلبي، إن هؤلاء يضلِّلون المسلمين، يكبِّرون الأمور الصغيرة، ويصغِّرون الأمور الكبيرة، ويهوِّنون الأمور العظيمة، ويعظِّمون الأمور الهيِّنة، هذه مشكلة كبيرة، وتحتاج إلى إدراك، تحتاج إلى حسن فهم؛ حتَّى نفهم عن الله وعن رسوله.

ولذلك اختر العالم الواسع الأفق، لا العالم الضيِّق الأفق، اختر العالم الَّذي اتسع إدراكه، واتسعت معرفته، وعاش في هذا العصر بعينين؛ يرى فيها العصر من ناحية؛ ويرى فيها التراث الإسلامي والعلم من ناحية أخرى، أو بعين أخرى.

QaradawiBooks.com

٢ ـ الَّذي يتبع الهوى:

ثمَّ من ناحية ثانية: احذر العالم الَّذي يتبع الهوى، الَّذي يبيع دينه بدنياه، أو يبيع دينه بدنيا الحكَّام والأمراء، أو يبيع دينه بدنيا العامَّة، هناك علماء يبيعون دينهم للسلاطين، وهناك آخرون يبيعون دينهم للعوام، يبحث عمَّا يرضي العامَّة ويرضي شهواتهم ومبالغاتهم.

وهؤلاء أخطر من علماء السلاطين؛ لأنَّ علماء السلاطين يُكشفون، وهؤلاء قلَّما يُكشفون.

احذر هؤلاء.

احذر الهوى، العالم الَّذي يتبع الأهواء؛ أهواء السلاطين، أو أهواء العوام.

ثمَّ ابحث عن العالم المعتدل، الَّذي لا يفْرِط ولا يفَرِّط، لا يغلو ولا يقصِّر ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۞ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۞ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧ ـ ٩].

تستطيع أن تنتقي كتبك وأن تقرأ، فإذا أشكلَ عليك أمر سألت فيه العالم الثقة.

أحبُّ أن أنبِّه هنا: أن كثيرًا من النَّاس يحسبون أن كلَّ واعظ جيد مفتٍ جيد!

يحسبون أنَّ الخطيب الَّذي يهز أعواد المنابر قادر على أن يحسن الفتوى للنَّاس!

ولكن هذا فن وهذا فن، هذا علم وهذا علم، قد يكون خطيبًا من أعظم الخطباء، وليس أهلًا لأن يفتي، فاحذر أن تأخذ دينك من كلِّ صاحب عمامَة، وكلِّ صاحب لحية كبيرة.

QaradawiBooks.com

إن هذا العلم دين، فانظروا عمَّن تأخذون دينكم[١]، إذا أشكلَ عليك أمر فاسأل به خبيرًا، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النِّساء: ٨٣].

هؤلاء ضلُّوا وأضلُّوا:

وإنَّ أخطر ما يصاب به المسلمون ما حذَّر منه النَّبي ﷺ: أن يأتي زمان يُفقد فيه العلماء الأصلاء، ويتَّخذ النَّاس رؤوسًا جهَّالًا، فإذا سُئلوا أفتوا بغير علم، فضلُّوا وأضلُّوا[٢].

في عصر النَّبي ﷺ أصيب أحد الصَّحابة بجراح، ثمَّ أصابته جنابة، فاستفتى بعض إخوانه، فأفتوه أن يغتسل، وبه هذه الجراحة، فاغتسل الرجل، فتفاقم الجرح عليه فمات.

فلما بلغ النَّبي ﷺ هذه الفتوى الجاهلة قال: «**قتلوه قتلهم الله**» أخبر أنَّهم قتلوه بهذه الفتوى.

من الفتاوى ما يقتل، ويسفك الدماء، «**قتلوه**» ودعا عليهم، فقال: «**قتلوه قتلهم الله، هلا سألوا إذ لم يعلموا؛ فإنما شفاء العي السؤال**» الجهل مرض يشفى بسؤال العالم، «**إنَّما يكفيه أن يعصب على جرحه ويتيمم**»[٣].

---

(١) رواه مسلم في المقدمة (١٤/١)، من كلام محمد بن سيرين.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣)، كلاهما في العلم، عن عبد الله بن عمرو.

(٣) رواه أبو داود (٣٣٦، ٣٣٧)، والدارقطني (٧٢٩)، كلاهما في الطهارة؛ ونقل عن شيخه فيه أبي بكر ابن أبي داود قوله: هذه سُنَّة تفرد بها أهل مكة، وحملها أهلُ الجزيرة، لم يروه عن عطاء، عن جابر، غيرُ الزُّبير بن خريق، وليس بالقوي، وخالفه الأوزاعي فرواه عن عطاء، عن ابن عباس، وهو الصواب؛ وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٣٦٤)، دون قوله: إنَّما كان يكفيه...

«**قتلوه قتلهم الله**» هكذا قال الرسول ﷺ.

حاول أن تتعلَّم دينك.

أول محطَّة في الطريق إلى الله، في طريق تزكية الأنفس: العلم والمعرفة، أن تبني طريقك على علم، وإنَّما العلم بالتعلُّم؛ الله تعالى يقول: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [النَّحل: ٧٨].

هذه أدوات المعرفة: السمع، البصر، الفؤاد، أي: العقل ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٦].

لا تعتقد في شيء بغير حجَّة من العلم.

بعض النَّاس يروون حديثًا عن النَّبي عليه الصلاة والسلام أنَّه قال: «**أكثر أهل الجنَّة البُله**»[1] هذا حديث لا قيمة له في ميزان العلم، بل أهل الجنَّة هم أولو الألباب؛ كما ذكر القرآن الكريم عن أولي الألباب ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١]، هؤلاء هم الَّذين لهم الجنَّة، ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، ﴿أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الرعد: ١٩].

وذكر أوصافًا لأولي الألباب ثمَّ قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ۝ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ۝ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢ ـ ٢٤].

---

(١) رواه البزار (٦٣٣٩)، وضعفه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٠٥٠): فيه سلامة بن روح؛ وثقه ابن حبان وغيره، وضعَّفه أحمد بن صالح وغيره، وروايته عن عقيل وجادة. عن أنس.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

أصناف النَّاس في الحياة:

وأول ما يجب تعلُّمه هنا: أن يعرف المسلم الهدف، ويعرف الطريق، يعرف غايته، ويعرف طريقه؛ فالنَّاس أصناف شتَّى:

الصنف الأوَّل: هناك من يعيش في هذه الحياة لا يعرف له هدفًا، ليس له غاية يعيش لها، ويموت عليها، هو حي كميت، وموجود كمفقود، لا يعرف لماذا يعيش، ولا يعرف لماذا يموت، ولا ماذا بعد الموت، هو الَّذي يقول فيه الشاعر:

فَهَذَا الَّذِي إنْ عَاشَ لَمْ يُنْتَفَعْ بِهِ وإِنْ مَاتَ لَمْ تَحْزَنْ عَلَيْهِ أَقَارِبُهْ[1]

هذا صنف من النَّاس.

الصنف الثاني: وصنف من النَّاس يعيش لغاية، ولكن غايته هي شهواته ولذائذه، يعيش لبطنه ولفرجه؛ كما قال الله تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ**﴾ [محمَّد: ١٢]، يعيش لبطنه ولفرجه، وقد قال أحد الحكماء: من كان همُّه بطنه وفرجه، فقيمته ما يخرج منهما!

ويروى عن أبي نواس أنَّه قال:

إنَّمَا الدُّنْيا طعام وشَرابٌ ومَنام
فإذا فاتك هذا فعلى الدُّنْيا السَّلام[2]

(١) ذكره عبد الرزاق البيطار في حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر صـ١٣٧٧، ضمن خطاب أرسله الشيخ محمد العطار إلى الشيخ محمد التافلاتي قاضي القدس، تحقيق محمد بهجة البيطار، نشر دار صادر، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

(٢) ذكره الراغب الأصبهاني من غير نسبة في محاضرات الأدباء (٧٨٤/١، ٧٨٥)، مع تغيير وفحش في بعض ألفاظه، نشر دار الأرقم، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

QaradawiBooks.com

الدنيا أنَّك تأكل وتشرب، وتنادم رفقاءك على الكأس، فإذا فاتك هذا فعلى الدُّنْيا السَّلام، أي: لا معنى للدنيا يومئذ.

هذا صنف من النَّاس، صنف يعيش لشهواته، ولبطنه ولفرجه.

الصنف الثالث: وهناك صنف آخر، همُّه شيء آخر، همُّه الجاه، همُّه أن يكون له شأن في النَّاس، أن يأمر وينهى؛ كما سئل بعضهم: ما سعادتك؟

قال: سعادتي في إعزاز الأصدقاء، وإذلال الأعداء، وقال الشاعر:

إن أنـــت لم تنفـــع فضـــر فإنَّما يعيش الفتى كي ما يضرُّ وينفع[1]

هذا صنف مهمَّتـــه الجاه في الدنيا، أن يُذكر اســـمه، أن يُشـــار إليه بالبنان، أن يقف النَّاس له قيامًا، إذا استأذن أُذن له، وإذا شَفع شُفِّع، وإذا قال استُمع.

هذا صنف.

الصنف الرابع: وصنف آخر غايته أن يجمـــع القناطير المقنطرة من الذهب والفضَّة، أن يكون له غنى قارون، أو من شاء من أولئك الأثرياء، ومهما أوتي فلن يشبع؛ إن لعابه يسيل دائمًا إلى الزيادة، لا يقنع بقليل، ولا يشبع من كثير، شأنه شـــأن جهنَّم يقال لها: ﴿هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠].

هذا يعيش في الدُّنْيا يجمع ولا يشبع، هو يعيش عيشة المحروم؛ لأنَّه لا يحس بالرضا، ولا يحس بالقناعة، ولا يحس بالسكينة، «**لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلَّا التراب**»[2].

---

(١) هو قيس بن الخطيم. انظر: الصناعتين صـ٣١٥، نشر المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٣٦)، ومسلم في الزكاة (١٠٤٩)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

الصنف الخامس: وهناك صنف من النَّاس يعيش لغاية أسمى، لغاية عُظمى، لهدف أكبر وأعلى من هذا كلِّه؛ إنَّه يعيش للآخرة، يعيش للحياة الباقية، يعيش لربِّه لا لنفسه، لقد تحرَّر من ذاتيته، وعبَّد نفسه لله، تحرَّر من عبوديته للبشر، ومن العبوديَّة للحجر؛ وما الذهب والفضَّة إلَّا حجران.

تحرَّر من العبوديَّة للذات، من العبوديَّة للأشياء، من العبوديَّة للأشخاص، وجعل نفسه عبدًا لله وحده ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

الإنسان الحقيقي:

هذا هو الإنسان الحقيقي، الإنسان العظيم الَّذي أصبح يعيش لرسالة، ويعيش لهدف في الحياة، إنَّه هو الَّذي أجاب عن الأسئلة الخالدة، إجابة تشفي الصدور وتملأ النُّفوس، الأسئلة الخالدة هي: «من أين؟ وإلى أين؟ ولم؟ وما أنا؟» من أين جئت؟ هل جئت بغير شيء، أم خلقني خالق، ودبَّرني مدبِّر؟

إنَّ المؤمن استراح وأراح حينما قال: إنَّما جاء بي إلى هذا العالم خالق عظيم، وربٌّ حكيم، خلقني لغاية، وخلقني لرسالة، ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۞ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۞ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۞ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ۞ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشُّعراء: ٧٨ ـ ٨٢].

هكذا عرف الإنسان المؤمن من أين جاء، ومن الَّذي جاء به، وإلى أين يذهب.

أيعيش هذه المدة من الزمن سنين تقصر أو تطول ثمَّ ينتهي ولا شيء بعد ذلك؟ يمشي على التراب ويأكل من التراب، ثمَّ يدفن في التراب، ويأكله التراب، وقد انتهى كلُّ شيء؟

QaradawiBooks.com

لا؛ بل كما قال الله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]، هذه التارة الأخرى هي المهمَّة؛ لأنَّها الدار الباقية، ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ۝ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٣٩، ٤٠].

هذا الإنسان عرف غايته وعاقبته بأنَّها الدار الآخرة، الحياة الباقية، والحياة الباقية فيها جنَّة ونار، فيها ثواب وعقاب، هو حريص على أن يكون من أهل الجنَّة، الجنَّة تهون أمامها كلُّ مغريات الدنيا، كلُّ ما يلهث النَّاس من أجله من هذه الشَّهوات؛ كما قال الله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الحياة السفلى ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ۝ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٤، ١٥].

لا بدَّ من الإجابة عن الأسئلة المحيِّرة:

لا بدَّ للإنسان أن يعرف غايته، ما هي هذه الغاية؟

ولا بدَّ أن يجيب عن هذه الأسئلة: من أين؟ وإلى أين؟ ولم؟ لماذا خلقت؟

أخُلقت عبثًا، وأعيش في هذه الدُّنْيا عبثًا، ثمَّ تنتهي بالموت؟

كما قال بعض النَّاس: الدُّنْيا أشغال شاقَّة، وآخرها الإعدام.

هل هو إعدام وانتهى الأمر؟

QaradawiBooks.com

لا والله، لا؛ إنَّ الموت ليس نهاية المطـــاف، إنَّ الموت رحلة إلى حياة أخرى.

وما المـــوت إلَّا رحلـــةٌ غير أنَّها من المنزل الفاني إلى المنزل الباقي[1]

لا معنى لهذه الحياة لو كنَّا خُلقنا لهذه الأيـــام، ثمَّ تُطوى صفحاتنا وتنتهي، ويطوينا العدم.

لا؛ بل هناك حياة خالدة، توفَّى فيها كلُّ نفس ما كسبت، وتخلد في ما عملت، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

إنَّ هناك أناسًا مساكين؛ يعيشون في هذه الدُّنْيا لا يعرفون لهم هدفًا، لا يتذوَّقون لحياتهم معنى، يحسون بالضياع والتفاهة، أولئك الغربيون، أكثر الغربيين الَّذين نراهم اليوم، الَّذين وصلوا إلى الفضاء، ووصلوا إلى الكواكب البعيدة، وســـخَّروا ما ســـخَّروا من هذه الطبيعـــة، أكثر هؤلاء يعيشون ولا يعرفون لحياتهم معنى، يحسون بالتفاهة، يشعرون بالضياع، ولذلك ترى كثيرًا منهم يلجؤون إلى الانتحار لأوهى الأســـباب، لأدنى الأشياء؛ لأنَّ حياته لا قيمة لها.

الإسلام أعطانا الشـــعور بنفاســـة هذه الحياة؛ هذه الأيام المعدودة، والأنفاس المحدودة، والسنين المعدودة، هذه لها قيمة كبيرة؛ لأنَّنا نزرع فيها اليوم، لنحصد غدًا، نغرس اليوم لنجني الثمار في الآخرة.

فهذه الدُّنْيا رغم قلَّة أيامها نفيسة جدًّا؛ لأنَّه لا شيء غيرها، هذا العمر عمر واحد، ليس لنا عمران، ولا ثلاثة، ولذلك كان عمرك نفيسًا، وكانت

(١) البيت لأبي العتاهية. انظر: الإعجاز والإيجاز للثعالبي صـ١٥١، نشر مكتبة القرآن، القاهرة.

QaradawiBooks.com

حياتك نفيسة، لا بدَّ أن تستغلَّ أيامها ولياليها، وساعاتها ودقائقها وثوانيها، ولا تضيِّع شيئًا منها عبثًا ولا غفلة.

هذه هي الحياة الَّتي نشعر بها، نحن نعيش في دنيانا لنبني لآخرتنا، نحن لا نعيش للخلود، وإنَّما نحن ضيوف هنا، سنغادر هذه الدار إلى دارنا الحقيقيَّة، لا بدَّ أن نجيب على هذه الأسئلة: من أين؟ وإلى أين؟ ولم؟

هذا ما يجب أن يعرفه كلُّ سائر في هذه الطريق؛ يعرف غايته، لماذا يعيش؟ ما هي رسالته؟

ويعرف طريقه، وهو الطريق المستقيم؛ الصراط الَّذي علَّمنا الله أن نسأله أن يهدينا إياه كلَّ يوم في صلواتنا، ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۞ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾: الَّذين عرفوا طريق الحقِّ وتركوه؛ اتباعًا لأهوائهم، وعصبيَّة لأنفسهم.

و﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾: الَّذين تاهوا عن طريق الحقِّ ولم يعرفوه.

لا تسلك طريق هؤلاء ولا طريق هؤلاء، اسلك الصراط المستقيم، الَّذي بعث الله به آخر رسله، وأنزل به آخر كتبه، وفصَّل فيه الأحكام، وبيَّن فيه الحلال والحرام، وأرشدك إلى طريق الهدى، وميَّز الرشد من الغي، والهدى من الضلال.

عليك بهذا الطريق، وامض وراء صاحب هذا الطريق، محمَّد ﷺ؛ فهو الهادي إلى هذا الصراط ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۞ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [الشُّورى: ٥٢، ٥٣].

غير مرخصة للطباعة

علَّم النَّبـــي ﷺ أصحابه هذا الطريق، فخطَّ لهم خطًّا مســـتقيمًا على الرمل ـ وســـيلة الإيضاح عنده كانت الرمل ـ خطَّ لهم خطًّا وقال: «**هذا صراط الله مستقيمًا أو سبيل الله مستقيمًا**»، ثمَّ خطَّ عن يمينه وعن شماله خطوطًا متعرِّجة ـ منحرفة ملتوية ـ وقال: «**هذه سبل على رأس كلٍّ منها شـــيطان يدعو إليه**»، ثمَّ تلا قول الله تعالـــى: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [الأنعام: ١٥٣][1].

الطريق الوســـط، الصراط المســـتقيم، اتبعوه، إيَّاكـــم والمنعرجات، والملتويـــات، والطرق المنحرفة هنـــا وهناك؛ فإن علـــى رأس كلٍّ منها شيطانًا يدعو إليه، سيروا وراء محمَّد ﷺ، اعرفوا الغاية.

أيها المسلم:

اعرف غايتك، وحـــدِّد هدفك، ثمَّ اعـــرف طريقك، وسِـــر في هذا الطريق، ولا تمِلْ عنه يمينًا ولا شمالًا تهتدي، ﴿**وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [آل عمران: ١٠١].

أقول قولي هذا، وأســـتغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

(١) رواه أحمد (٤١٤٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والنسائي في الكبرى في التفسير (١١١٧٤)، وابن حبان في المقدمة (٦)، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن. والحاكم في التفسير (٢/٢٣٩)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي. عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها:

في الأسبوعين الماضيين حيث لم يقدِّر لي أن أعتلي هذا المنبر حدثت أحداث تدمي القلب، وتُدمع العين، حدثت تفجيرات هائلة سقط من ورائها مئات من النَّاس من الضحايا الأبرياء؛ الَّذين لا ناقة لهم في السياسة ولا جمل، «ولا هم في العير، ولا في النفير»، حدثت أحداث وتفجيرات في كربلاء، وفي الكاظمية[1]، في بغداد، في موسم عاشوراء، سقط المئات من ورائها.

مَن الَّذي فعل هذه الأحداث؟ مَن الَّذي سفك هذه الدماء؟ مَن الَّذي صنع هذه التفجيرات؟

تتضارب الأقوال، وتتشابك الأعمال، ولا يستطيع أحد أن يجزم مَن وراء هذه الأشياء.

مَن المستفيد؟ مَن وراء هذا كلِّه؟ مَن وراء إشعال النَّار؟ مَن الَّذي يوقظ الفتنة النائمة؟

والفتنة نائمة لعن الله من أيقظها.

مَن الَّذي يريد أن يمزِّق أوصال الشَّعب العراقي، ويضرب بعض أبنائه ببعض؟

(١) وقعت تفجيرات كربلاء والكاظمية في ١ مارس ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

الأصل في الدماء الحُرمة:

لا يمكن أن يقدِم على هذا إنسان مسلم يعرف ربَّه، ويعرف دينه، ويعرف قومه، ويعرف المصلحة، ويعرف المفسدة.

تشير الأصابع أحيانًا إلى الموساد، وتشير إلى جهات مختلفة، وتشير أحيانًا إلى بعض المسلمين.

هل بلغت الغفلة بالمسلمين أن يفعلوا هذا؟

إنَّ الأصل في الدماء هو الحُرمة.

مَن الَّذي فعل هذا؟

ثمَّ مَن الَّذي فعل الأحداث الهائلة الَّتي حدثت في إسبانيا[1]، تفجير القطارات، قطارات الركَّاب المدنيِّين؟

هذه القطارات لا تحمل جنودًا عسكريين، إنَّها تحمل أناسًا يذهبون إلى أعمالهم غادين رائحين، مصبحين ممسين، يأكلون رزقهم بكدِّ يمينهم، وعرق جبينهم.

هل هؤلاء أعداء للمسلمين؟

يقال: إنَّ القاعدة هي الَّتي فعلت ذلك، ويقال كذا، ويقال كذا...

أنا أستغرب من هذه الدماء الَّتي تُسفك، هؤلاء الَّذين قُتلوا في القطارات، لعلَّهم كانوا في المسيرات المليونية الَّتي اجتاحت مدن إسبانيا تعترض على حرب العراق، تقف ضد أمريكا، وتقف ضد حكوماتها.

(١) كانت أحداث إسبانيا في ١١ مارس ٢٠٠٤م، حيث وقعت أربعة تفجيرات، وكانت حصيلة هذه التفجيرات قرابة (٢٠٠) قتيلًا، وقرابة (٢٠٠٠) جريحًا.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

كيف نستبيح دماء هؤلاء؟

منذ يومين دمِّر فندق في بغداد، فندق جبل لبنان، ورأيت في التلفزيون بعيني الفندق، وهو ينهار على مَن فيه، هُدم على كلِّ من فيه، تنشل الجثث ليس فيهم جندي من جنود الاحتلال، من الَّذي وراء هذا كلِّه؟ مَن الَّذي يستبيح الدماء المعصومة؟

الأصل في الدماء عندنا ـ نحن المسلمين ـ أنَّها شديدة الحرمة، لها حرمة هائلة، حتَّى إنَّ القرآن مع كتب السماء يجرِّمها تجريمًا، ويحرِّمها تحريمًا، ويقرِّر أنَّه ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

لا يجوز أن تمتد يد لقتل نفس إلَّا بسبب معلوم، بغير هذا لا يجوز.

وللحيوان حُرمة:

حتى إنَّ الإسلام لم يقف عند حُرمة الأمم البشريَّة، بل حرَّم الأمم الحيوانية، جعل لها حُرمتها؛ النَّبي عليه الصلاة والسلام قال عن الكلاب، وقد آذتهم الكلاب الضالة، ورأى من إيذائها ما رأى فقال: «**لولا أنَّ الكلاب أمَّة من الأمم، لأمرت بقتلها**»[(١)].

الكلاب أمَّة، يشير إلى قول الله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨].

وأعلم النَّبي ﷺ: أنَّ امرأة دخلت النَّار في هرَّة حبستها حتَّى ماتت[(٢)].

(١) رواه أحمد (١٦٧٨٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين. وأبو داود في الصيد (٢٨٤٥)، والترمذي في الأحكام (١٤٨٦)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في الصيد (٣٢٠٥)، عن عبد الله بن مغفل.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في المساقاة (٢٣٦٥)، ومسلم في السلام (٢٢٤٢)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

أخلاقنا الحربيَّة:

هكذا الإسلام، حتَّى في الحروب الرسمية الَّتي تواجه فيها الجيوش الإسلاميَّة جيوش الأعداء، الَّذين يقاتلون المسلمين، ويعتدون عليهم، حرَّم الله تعالى أن يُقتل إلَّا المقاتل ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]، ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤].

ولذلك نهى رسول الله ﷺ عن قتل النِّساء والصبيان والشيوخ، ورأى في إحدى الغزوات امرأة مقتولة فغضب وأنكر على أصحابه وقال: «**ما كانت هذه لتقاتل**»[(١)]، وشدَّد بعدها في النهي عن قتل النِّساء والصبيان.

وهكذا كان الصَّحابة والخلفاء الراشدون يوصون قوادهم؛ فهذا أبو بكر يوصي يزيد وجنده: أن لا يقتلوا امرأة، ولا يقتلوا وليدًا، ولا يقتلوا شيخًا، ولا يهدموا بناء، وقال: ستجدون رجالًا فرَّغوا أنفسهم في الصوامع «الرهبان» فدعوهم وما فرَّغوا أنفسهم له[(٢)].

وقال عمر: لا تقتلوا الحرَّاثين ـ الزرَّاع الفلاحين ـ الَّذين لا ينصبون لكم الحرب، ونهى أن يُعتدى على التجار في متاجرهم[(٣)].

كلُّ المدنيِّين الَّذين لا شأن لهم في الحرب لا يجوز أن يُمسوا بسوء، هذا في الحروب الرسمية، الَّتي تتواجه فيها الجيوش وتلتقي فيها الصفوف، فكيف في غير هذا؟

---

(١) رواه أحمد (١٥٩٩٢)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الجهاد (٢٦٦٩)، عن رباح بن ربيع.

(٢) رواه الطبري في تاريخه (٣/٢٢٥، ٢٢٦)، من وصية أبي بكر الصديق.

(٣) رواه سعيد بن منصور في الجهاد (٢٦٢٥)، وابن أبي شيبة في السير (٣٣٧٩٢).

QaradawiBooks.com

لا بدَّ من رعاية الأخلاق في الغايات وفي الوسائل:

أنا أعجب من مسلمين يفعلون هذه الأشياء ويستحلُّون الدماء.

بعض النَّاس يعتذرون لهؤلاء بأنَّ نواياهم حسنة، وأهدافهم نبيلة، وأنَّهم يريدون خدمة الإسلام، والدفاع عن المسلمين، والوقوف في وجوه الطغاة.

ولكن أيُّها الإخوة ـ نحن المسلمين ـ لا بدَّ عندنا من رعاية الأخلاق في الغايات وفي الوسائل، نحن لا نقرُّ أخلاقية الغايات ولا أخلاقية الوسائل.

لا، ليس عندنا مبدأ ميكافيللي: الغاية تبرِّر الوسيلة، بل نحن ندعو إلى شرف الغاية، وطهر الوسيلة.

لا بدَّ من الغاية الشريفة والوسيلة النظيفة.

لا نقبل أبدًا ما يقوله هؤلاء: إنَّ غايتنا طيبة وشريفة، فنحن نستبيح كلَّ شيء.

لا، نحن مقيَّدون بشرع الله، بأحكام الله، وأحكام الله تلزمنا بأن نصون الدماء، ونرعى الحرمات، ولا نتجاوز فيها، وإلَّا كنَّا مسؤولين أمام الله.

هؤلاء الَّذين فعلوا ما فعلوا في إسبانيا، ألا يظن هؤلاء أنَّهم اعتدوا على حرمات، وعلى أناس لا ذنب لهم.

ثمَّ إنهم آذوا إخوانهم، هناك المسلمون الَّذين يعيشون في إسبانيا ويحاولون أن يندمجوا في المجتمع، وقد رأيتهم بنفسي، ما ذنب هؤلاء؟

QaradawiBooks.com

حتى قال قائلهم: إنَّنا لـــم نعد قادرين على الخـــروج إلى المجتمع لنشتري ما نأكله، هذا الخوف نتيجة هذا العمل؛ عمل أحمق؛ لأنَّ صاحبه لا ينظر إلى العواقب.

ثمَّ إنَّ هؤلاء يضرُّون بإخوانهم المسلمين في أوربا جميعًا، ويضرُّون الإسلام نفسه؛ حيث ألصقوا بالإســـلام تهمة الإرهاب، وتهمة استباحة الدماء، والإسلام لا يرى ذلك، الإسلام يشدِّد كلَّ التشديد في أمر الدماء، ولا يجوز أن تســـتباح نفس إلَّا بحقِّها، ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴾ [الإسراء: ٣٣].

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

١١

التَّوبة إلى الله[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

محطَّات سابقة:

لا زال حديثنا موصولًا عن تزكية الأنفس، تزكيتها بالإيمان والاستقامَة، وعمل الصالحات، واجتناب السيِّئات.

تزكيتها بتقوى الله تعالى حتَّى تتأهَّل لمجاورة الله تعالى في ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

تحدَّثنا عن هذه التزكية، وأنَّ هذه التزكية محطَّات، أوَّل محطَّة فيها: محطَّة العلم، لكي تسلك الطريق إلى الله لا بدَّ أن تسلكه على بصيرة، وعن بيِّنة ومعرفة، لا يقبل الله تعالى من يخلط في طريقه، لا يعرف الحقَّ من الباطل، ولا الهدى من الضلال، ولا الحلال من الحرام، ولا الرشد من الغي.

لا بدَّ أن تسلك طريقك على بيِّنة، ولهذا كان «**طلب العلم فريضة على كلِّ مسلم ومسلمة**»[٢].

(١) ألقيت بمسجد عمر بن الخطَّاب بالدوحة في ١١ ربيع الأول ١٤٢٥هـ الموافق ٣٠ أبريل ٢٠٠٤م.

(٢) رواه ابن ماجه في المقدمة (٢٢٤)، وأبو يعلى (٢٨٣٧)، والطبراني في الأوسط (٩)، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٨٣)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

قبل كلِّ شـــيء لا بدَّ أن تتفقَّه في دينك، لا بدَّ أن تتعلَّم، أن تعرف الربَّ الَّذي تعبده، كيف تعبد ربًّا لا تعرفه؟!

لعلَّك تعبد صنمًا وأنت لا تدري، لعلَّك تعبد عدمًا وأنت لا تدري، اعرف ربَّـــك ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾ [محمَّد: ١٩]، ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة: ٩٨]، ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

تعرَّف على ربِّك وصفاته من خلال كتابه وسُنَّة نبيِّه:

اعرف ربَّك، اعرفه بصفاته وأسمائه الحسنى، لترجوه وتخافه، لتحذر منه وتكون راجيًا لرحمتـــه ـ أيضًا، وهذا المطلوب من كلِّ مســـلم؛ أن يعرف أوَّل ما يعرف ربَّه، ويصحِّح عقيدتـــه، ويعرف ما يجوز على ربِّه، وما يستحيل عليه.

تعرَّف على الله؛ وذلك من كتاب ربِّك، ومن سُنَّة نبيك ﷺ.

إذا عرفت الله، عليك أن تعرف ما يُرضيه وما يُســـخطه، لتعمل على مرضاته، وتتجنَّب ما يســـخطه تعالى، وبذلك تقترب منه تعالى، وتبتعد عن النَّار وتقترب من الجنَّة ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

لا بدَّ أن تتفقَّه وتعلم ماذا يجب عليك لربِّك؟ ماذا يجب عليك من فرائض فتؤدِّيها؟ مـــاذا هناك من مســـتحبَّات فتحرص علـــى تحصيلها ما استطعت وإن لم تكن فرضًا؟

تعرف الحـــرام فتتجنبه، تعرف الشـــبهات فتتقيها؛ اســـتبراء لدينك

وعِرضك، «**فإنَّ من وقع في الشُّبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أنْ يرتع فيه**»(١).

اعرف الحرام، اعرف الكبائر من الصغائر، اعرف الحرام المقطوع من المشتبه فيه، واعرف المكروه من غير المكروه.

أمَّا الحرام فتجنَّبه أبدًا، وأمَّا المكروه فاحرص على أن تبتعد عنه، وإن لم يكن لازمًا مثل لزوم اجتناب الحرام.

اطلب العلم من المهد إلى اللحد:

لا بدَّ أن تعرف العبادات والفرائض المطلوبة منك.

هذه محطَّة العلم؛ وهي محطَّة دائمة، ليس العلم مطلوبًا في وقت من الأوقات، ثمَّ تقول: تعلَّمت كلَّ شيء، الله تعالى قال لرسوله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، ازدد علمًا لتزداد هدى ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمَّد: ١٧].

اطلب العلم من المهد إلى اللحد.

لا يزال المرء عالمًا ما طلب العلم؛ فإذا ظنَّ أنَّه علم فقد جهل.

إذا قال: قد عرفت كلَّ شيء، فهذا هو دلالة جهله؛ لأنَّ العلم لا يحيط به أحد ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

فاطلب العلم باستمرار، ولا تستحي أنْ تطلب العلم ممَّن كان أصغر منك؛ فقد تعلَّم ابن آدم من الغراب، وتعلَّم سليمان من الهدهد.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المساقاة (١٥٩٩)، عن النعمان بن بشير.

QaradawiBooks.com

اطلب العلم ولا تستحي أن تطلبه من أي إنسان كان، «**الحكمة ضالَّة المؤمن**»؛ قد تعلَّم سيِّدنا أبو هريرة من الشيطان، من إبليس، علَّمه آية الكرسي، وذكر أبو هريرة ذلك للنَّبي فقال: «**صدقك وهو كذوب**»[1]، ما علَّمك هو حقٌّ فعلًا، وإن كان هو كذَّاب، ولكنَّه صادق في هذه القضيَّة.

تعلَّم ما استطعت، خذ العلم من أي وعاء خرج، وأضف إلى علمك جديدًا باستمرار.

هكذا ينبغي للإنسان أنْ يستمرَّ في تعلُّمه عن طريق القراءة، اختر كتب العلماء الثقات، واقرأها واحرص على قراءتها، واستمع إلى دروس العلماء، دروس العلماء موجودة في المساجد، وموجودة على الأشرطة، وموجودة في الإذاعات، وموجودة في الفضائيات.

احرص على أن تتعلَّم، ولا تكن أسيرًا لأحد، خذ الأشياء وزِنها بمنطقك العقلي الشرعي، هل تتَّفق مع قواعد الشرع ومع مقاصده؟ ومع القواطع من كتاب الله وسُنَّة رسول الله؟

وما اشتبهت فيه واشتبه عليك فاسأل عنه عالمًا ثقة، ليس هناك في العلم كبير ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يُوسف: ٧٦].

فإذا عرفت هذا، فعليك أن تنتقل إلى المحطَّة الثانية، اخرج من محطَّة الجهل.

---

(١) رواه البخاري معلقًا في بدء الخلق (٣٢٧٥)، بصيغة الجزم، كما نبَّه على ذلك الحافظ ابن كثير (٦٧٥/١) عند تفسير آية الكرسي. ووصله النسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٧٢٩)، من طريق عثمان بن الهيثم الذي علق عنه البخاري. ورواه ابن خزيمة في الزكاة (٢٤٢٤).

QaradawiBooks.com

الجهل المركَّب: ألَّا يعلم الجاهل أنَّه جاهل:

كان سهل بن عبد الله التستري ـ وهو أحد رجال التربية والسلوك الكبار ـ كان يقول: ما عُصِي الله بمعصية أشدّ من الجهل.

قيل له: يا أبا عبد الله، وهل هناك معصية أخرى أشدُّ من الجهل؟

قال: نعم الجهل بالجهل[1].

أن يجهل ويجهل أنَّه يجهل، يسمُّونه: بالجهل المركَّب، هو جاهل ولا يعلم أنَّه جاهل، بل يخيل إليه أنَّه عالم، وأنَّه شيخ العارفين.

وهذه هي المصيبة الكبرى، الجهل بالجهل، وهؤلاء أشبه بالمنافقين الَّذين ذكرهم الله في سورة البقرة ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣].

هؤلاء هم السُّفهاء والجهلاء والأغبياء حقًّا، ولكن لا يعلمون.

هذا هو الجهل بالجهل.. فإذا عرفت هذا، فعليك أن تنتقل إلى المحطَّة التالية.

نظِّف نفسك بالتَّوبة:

ثمَّ هناك محطَّة بعد هذه المحطَّة، هي محطَّة التَّوبة إلى الله، لكي تبدأ الطريق على سلامَة واستقامَة، فابدأه بتوبة نصوح، إذا أردت أن تبني بناء متينًا فلا بدَّ أن تزيل الأنقاض، وأن يكون بناؤك على أساس سليم.

لكي تستمرَّ في طريق الحقِّ والخير والطاعة لا بدَّ أن تتطهَّر، لا بدَّ أن تغسل نفسك حتَّى تلبس ثيابك على طهارة ونظافة.

---

(١) إحياء علوم الدين (٣٦٩/٤).

QaradawiBooks.com

كذلك إذا أردت المسير في طريق الله، تسير في طريق نظيف، نظِّف طريقك، وإنَّما تنظيف الطريق بالتَّوبة.

ما معنى التَّوبة؟

كلمة التَّوبة معناها: الرجعة، الرجوع، العودة، وكأنَّ الأصل في الإنسان أنْ يكون مع الله، وأنْ يكون بين يـدي الله، وأنْ يكون في حضانة الله، فإذا أبعدته المعصية عن الله فلا بدَّ أن يرجع إلى أصله، لا بدَّ أن يرجع إلى ربِّه.

إذا شـرد الشـاردون، وغفل الغافلون، وبعُد البعداء عن الله تعالى، جاءت التَّوبة تردُّهم إلى الله.

ارجع إلى دارك، ارجع إلى مأواك، ارجع إلى منزلك الأصلي.

منزلك الأصلي عند الله وليس عند الشيطان.

إذا اختطفك الشَّـيْطان يومًا من الأيام فحـاول أن تتخلَّص منه، وأن تتحرَّر من إساره، وأن تعود إلى منزلك الأصلي عند ربِّك.

هذا معنى التَّوبة إلى الله.

المعاصي والذنوب والشرور والسيِّئات تأخذك من الله، تخطفك من الله، وتبعدك عن الطريق، تبعدك عن منزلك، عن أهلك، بعيدًا بعيدًا.

التَّوبة رجوع، رجوع إلى الله، ﴿تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [التَّحريم: ٨].

التَّوبة إلى الله وليست لأحد من خلقه:

التَّوبة في الإسلام إلى الله، ليسـت إلى أحد من النَّاس، ليست إلى شـيخ، ولا إلى كاهن، ولا إلى قسـيس تجلس بين يديه على كرسـي

QaradawiBooks.com

الاعتراف، وتكشف نفسك، وتشرح نفسك أمام هذا المخلوق، وتنبئ عمَّا في ضميرك، وعمَّا تخبئه نفسك، وعمَّا فعلت من خطايا لا يعلمها إلَّا الله، ليس مطلوبًا هذا في الإسلام، ليس من حقِّ مخلوق أن يكشف عن خبايا المخلوق، «**كلُّ أمَّتي معافى إلَّا المجاهرين**»(١).

إذا كنت قد فعلت ذنبًا وستره الله عليك، فلا تكشفه لأحد، تب فيما بينك وبين ربِّك، واستغفر الله تعالى، ولستَ مطالبًا أبدًا بأن تقف أمام أحد، وتقول له: فعلت كذا، وفعلت كذا، وفعلت كذا، كما يحدث في بعض الأديان.

لا؛ التَّوبة عندنا توبة إلى الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ [التَّحريم: ٨].

﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾.

﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النُّور: ٣١].

انظروا إلى هذا الأمر: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ عسى أن تحصل الفلاح، أن تنجو ممَّا تكره، وأن تظفر بما تحبُّ.

وما الَّذي يكرهه الإنسان؟

دخول النَّار.

وما الَّذي يحبُّه الإنسان؟

دخول الجنَّة ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، فمن أراد النَّجاة من النَّار، والفوز بالجنَّة: فعليه بالتَّوبة، ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٦٩)، ومسلم في الزهد والرقائق (٢٩٩٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الخطر: أن تعتقد أنَّك مطهَّر من الذنوب:

لا تقل: مم أتوب؟!

الحمد لله أنا بخير؛ أصلِّي الصلوات الخمس، وأؤدِّي الزَّكاة، وأصوم رمضان، وأحجُّ البيت، ما عندي ذنوب أتوب منها.

هذا أوَّل الخطر، أن تعتقد أنك مطهَّر من الخطايا، سليم من الذنوب، هذا هو الغرور بعينه.

نعم هذا هو الغرور؛ إذا كان محمَّد ﷺ، سيِّد البشر، وصفوة الله من خلقه الَّذي أنزل عليه خاتم كتبه، وجعله آخر رسله، وبعثه بالبيِّنات، وجعله رحمة للعالمين، محمَّد عليه الصلاة والسلام؛ الَّذي لم يكن يغفل عن ربِّه طرفة عين، وكانت تنام عيناه وقلبه لا ينام[١]، الَّذي جاهد في الله حقَّ جهاده، وعبد ربَّه حتَّى آتاه اليقين، محمَّد ﷺ يقول: «**يا أيُّها النَّاس، توبوا إلى الله؛ فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرَّة**»[٢].

يا عجبًا! محمَّد عليه الصلاة والسلام يتوب في اليوم مائة مرَّة؛ فكيف لا نتوب نحن؟!

قال ابن عمر: إن كنَّا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرَّة: «**ربِّ اغفر لي وتب عليَّ؛ إنَّك أنت التواب الرحيم**»[٣]، يتأوَّل

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الوضوء (١٣٨)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٦٣) عن ابن عباس. وفيه: قال سفيان بلغنا: أنَّ النَّبي ﷺ تنام عيناه ولا ينام قلبه.

(٢) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٠٢)، وأحمد (١٧٨٤٧)، عن الأغر بن يسار المزني.

(٣) رواه أحمد (٤٧٢٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود في الصلاة (١٥١٦)، والترمذي في الدعوات (٣٤٣٤)، وقال: حسن صحيح غريب. وابن ماجه في الأدب (٣٨١٤)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

القرآن، أي: يتأوَّل قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۞ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۞ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النَّصر: ١ ـ ٣].

استغفارات الأنبياء في القرآن:

هكذا كان محمَّد عليه الصلاة والسلام.

والأنبياء جميعًا استغفروا الله، رويت عنهم استغفارات، ابتداء من آدم حينما قال هو وزوجه: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وجاء عن سيِّدنا نوح ﴿رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هُود: ٤٧].

وإبراهيم عليه السلام يقول: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١].

سيدنا موسى عليه السلام حينما وكز الرجل فقتله خطأ قال: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٦].

كلُّ الأنبياء طلبوا المغفرة.

والرسول عليه الصلاة والسلام وردت عنه صيغ كثيرة لطلب المغفرة، لم ترد عن نبي من الأنبياء، وأعظمها الصيغة الَّتي سمَّاها الرسول: سيِّد الاستغفار؛ أنْ تقول: «**اللهمَّ أنت ربي، لا إله إلَّا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شرِّ ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلَّا أنت**»[1].

(١) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٠٦)، عن شداد بن أوس.

QaradawiBooks.com

هكذا علَّمنا النَّبي ﷺ أن نقول بهذه الصيغة، الَّتي تُعتبر سيدة صيغ الاستغفار.

كلُّنا معرَّضون للذنوب ومأمورون بالتَّوبة:

هكذا ينبغي أن نسأل الله تعالى، فربَّما كانت هناك خطايا لا نعلمها، كان عليه الصلاة والسلام يقول: «**اللهمَّ اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني. اللهمَّ اغفر لي جدِّي وهزلي، وخطئي وعمدي، وكلُّ ذلك عندي. اللهمَّ اغفر لي ما قدَّمت وما أخَّرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدِّم، وأنت المؤخِّر، وأنت على كلِّ شيء قدير**»[(١)].

إيَّاك واستصغار الذنب:

هكذا كان محمَّد ﷺ، فلا تدَّعِ ـ أيُّها المسلم ـ أنَّك مطهَّر من كلِّ ذنب، وأنَّك لا تحتاج إلى توبة، هذا الشُّعور نفسه ذنب يحتاج إلى توبة.

كم من الذنوب ترتكبها كلَّ يوم؟ كم من نظرة عين لا تحلُّ لك؟ كم من كلمة تقولها وأنت لا تدري أنَّها خطيئة؟

إحدى زوجات النَّبي ﷺ قالت له يومًا: وما يعجبك يا رسولَ الله من فلانة؟! وهي وأشارت بيدها تعني قصيرة، «إيه اللي عاجبك فيها هذه القصيرة».

فقال لها: «**يا عائشة، لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته**»[(٢)].

قلتِ كلمة؛ حقرت ضرتك، وصاحبتك، لو مزجت بماء البحر لمزجته.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٩٨)، ومسلم في الذِّكر والدعاء (٢٧١٩)، عن أبي موسى.

(٢) رواه أحمد (٢٥٥٦٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في الأدب (٤٨٧٥)، والترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥٠٢)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٤٢٧)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

كلمة تعكِّر ماء البحر، وهي لم تقل سوى نصف جملة؛ فقالت: وهي، ثمَّ أشارت بيدها، بمعنى: قصير. هذه صفيَّة بنت حيي.

«**يا عائشة، لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته**».

كم من الكلمات يقولها النَّاس في كلِّ يوم عشرات المرَّات وهم لا يدرون؟

لأنَّ هذه الكلمات أصبحت سهلة على الألسن، يخرجها النَّاس دون أنْ يحسُّوا بأنَّها تعكِّر بحرًا أو بحورًا.

النَّبي ﷺ يقول: «**إنَّ الرجل ليتكلَّم بالكلمة لا يرى لها بأسًا يهوي بها سبعين خريفًا في النَّار**»[1]، سبعين خريفًا من كلمة لا يلقي لها بالاً، لا يهتمُّ بها.

لا تقعد في مجلس يُعصى الله فيه:

وليس من الضروري أنْ تقول الكلمة؛ قد يقولها إنسان في مجلس، وأنت تسمعها، والسامع شريك المغتاب، السامع شريك المتكلِّم، إذا جلست في مجلس فيه غيبة، وفيه نميمة، وفيه سبٌّ، وفيه شتْم، فأنت شريك أهله، أنْت شريك أهله، الله تعالى يقول: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النِّساء: ١٤٠].

ما دمتم شركاء في المجلس، فأنتم إذن مثلهم إلى هذا الحدِّ!

---

(١) رواه أحمد (٧٩٥٨)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. والترمذي في الزهد (٢٣١٤)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه في الفتن (٣٩٧٠)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١٧٧/٤): في إسناده محمد بن إسحق وهو مدلس. عن أبي هريرة.
ورواه البخاري في الرقاق (٦٤٧٨) بدون ذكر السبعين خريفًا.

QaradawiBooks.com

التَّوبة فريضة على كلِّ النَّاس:

التَّوبة ـ أيُّها الإخوة ـ فريضة، قال سهل بن عبد الله: من قال بأنَّ التَّوبة ليست بفرض على كلِّ مسلم، فهو كافر[1]؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

حينما ذكر القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

لماذا تكره النَّاس؟ وكم تحقد على فلان؟ وكم في قلبك من كبر وغلٍّ وحسد؟ وكم تقسو على عباد الله الضعفاء وتظلمهم، وأنت لا تدري؟ كم يصدر منك من ظلم للآخرين؟

فلا تظن أيُّها الأخ المسلم؛ أيَّتها الأخت المسلمة، لا تظن بأنَّك بمنأى عن الذنوب والمعاصي، كلُّنا معرَّضون للذنوب، لو أنَّ إنسانًا أمسك بكشكول، أو دفتر، أو سِجل، وحاول أنْ يسجِّل سيِّئاته من أوَّل النَّهار لآخره، وكان دقيقًا وأمينًا، سيسجِّل آلاف المعاصي ـ إذا كان يقظًا ـ المعاصي كثيرة جدًّا، معاصي العين، ومعاصي اللسان، ومعاصي الأذن، ومعاصي اليد، ومعاصي الرِّجل، ومعاصي البطن، ومعاصي القلوب...

توبة من الشِّرك:

هناك توبة من الشِّرك والكفر ـ والعياذ بالله ـ، كما قال الله تعالى عن المشركين ﴿فَإِن تَابُواْ﴾ أي: تابوا عن الشِّرك ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التّوبة: ٥]

(١) ذكره أبو طالب المكِّي في قوت القلوب (٣٠٣/١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

QaradawiBooks.com

﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [التَّوبة: ١١] ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

كلُّ الذنوب تُغفر بالتَّوبة، يقول الله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزُّمر: ٥٣].

حتى الكفر؛ بالتَّوبة يذهب الكفر، ويُمحى الكفر، التَّوبة تجبُّ ما قبلها، والدخول في الإسلام هو توبة من الشِّرك[1].

هناك توبة من الشِّرك والكفر.

توبة من النِّفاق:

هناك توبة من النِّفاق قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ [النِّساء: ١٤٥، ١٤٦].

هؤلاء المنافقون الَّذين هم في الدرك الأسفل من النَّار، إذا تابوا وأصلحوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين.

التَّوبة مفتوحة للمنافقين كما هي مفتوحة للمشركين.

(١) إشارة إلى حديث عمرو بن العاص، وفيه: «أمَّا علمت يا عمرو، أنَّ الإسلام يهدم ما كان قبله، وأنَّ الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأنَّ الحجَّ يهدم ما كان قبله؟». رواه مسلم في الإيمان (١٢١).

QaradawiBooks.com

التَّوبة من الكبائر:

التَّوبــة مفتوحة لأصحــاب الكبائر، قال الله تعالــى في وصف عباد الرحمــن ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ من يشرك بالله أو يقتل نفسًا أو يزني من يفعل ذلك يلق أثامًا ﴿يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ۝ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفُرقان: ٦٨ ـ ٧٠].

التَّوبة تجُبُّ الكبائر، كما تجبُّ الشِّرك، كما تجبُّ النِّفاق، و«**التائب من الذنب كمن لا ذنب لــه**»[1]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

التَّوبة من الصغائر:

والتَّوبة كما تكون من الكبائر، تكون من الصغائر، مَن ارتكب صغيرة من الصغائــر عليه أن يتوب إلــى الله ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هــود: ١١٤]، تُــب من الحرام كلِّه، الكبائر والصغائر والشُّبهات فتب منها، تطهَّر؛ ادخل على الله طاهرًا، اغسل نفسك من الذنوب الماضية.

كلُّ الذنوب قابلة للمغفرة بالتَّوبة، ليــس هناك ذنب مهما عَظُم أكبر من عفــو الله، عفو الله أكبــر من كلِّ الذنــوب، وأعظم من كلِّ الخطايا.

(١) رواه ابن ماجه في الزهــد (٤٢٥٠)، والطبراني (١٥٠/١٠)، البيهقي في الشــهادات (١٥٤/١٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٠٨)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

الفقيه الحقيقي من لا يقنِّط النَّاس من رحمة الله ولا يؤمِّنهم من مكر الله:

لا تيئس من روح الله تعالى، إيَّاك أن ييئسك بعض العلماء ويقول لك: هذا ذنب لا توبة منه. فلا يقول هذا عالم أبدًا، وقد قال سيِّدنا عليٌّ رضي الله عنه: ألا أنبئكم بالفقيه كلِّ الفقيه؟!

من لم يوئِس عباد الله من روح الله، ولم يؤمِّنهم من مكره[1].

الفقيه حقًّا هو الَّذي يقف هذا الموقف الوسط، وينهج المنهج الوسط، لا يوئِس النَّاس من روح الله، لا يذكر المرهبات والمخوفات، حتَّى ييئس النَّاس من روح الله تعالى، كما يفعل كثير من الوعاظ؛ حين يتحدَّثون عن النَّار وعن عذاب القبر، بحيث يخوف النَّاس فييئسوا من روح الله.

وليس الفقيه ـ أيضًا ـ هو الَّذي يفتح للنَّاس أبواب الترجية حتَّى يأمنوا من مكر الله.

المؤمن حقًّا: هو المتوازن في رجائه وخوفه، في حذره وأمله، ﴿يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزُّمر: ٩]، ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧]، ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠].

توبة الخواص من الغفلات:

على الإنسان أنْ يتوب، وأنْ يسارع بالتَّوبة، إمَّا أنْ يتوب من الذنوب، أو يتوب من الغفلات.

قالوا: توبة العوام من الذنوب، وتوبة الخواص من الغفلات.

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٧٧/١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخواص حينما يشعر أحدهم بأنَّ قلبه قد قسا، وأنَّ عينه قد جمدت، فلم يعد قلبه يخشع، ولم تعد عينه تدمع، وأصبح يسمع القرآن فلا يلين له قلبه، ولا تبك له عين؛ هنالك يشعر أنَّ هناك غفلة قد أصابته، وهنالك يسارع بالتَّوبة.

هؤلاء النَّاس؛ الأيقاظ بقلوبهم، الحرَّاص على بواطنهم، لا يريدون لباطنهم أن يخرب، وهم لا يدرون، وهم عنه غافلون.

كثير من النَّاس تخرب أفئدتهم، تخرب بواطنهم بالغفلة عن الله تعالى، بنسيان الآخرة، يعيش في الدُّنْيا كأنَّه مخلَّد، لا يذكر الموت، ولا يذكر القبر، ولا يذكر الجنَّة والنَّار.

هذه الغفلة ـ أيُّها الإخوة ـ هي داء وبيل، كثير من النَّاس يحتاجون إلى التَّوبة من هذه الغفلة، هو لم يشرب خمرًا، ولم يزْن، ولم يفعل معصية، ولكنَّه أصيب بهذه الغفلة، وكلُّنا نصاب بهذه الغفلة.

من منَّا يشعر بيقظة القلب كما كان يشعر بها أولئك المؤمنون الجدد؟!

مرَّ أبو بكر رضي الله عنه بجماعة أسلموا جديدًا فكانوا يقرؤون القرآن، وأعينهم تذرف الدمع، فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : هكذا كنَّا حتَّى قست القلوب[1].

انظروا: سيِّد الأمَّة بعد رسول الله أبو بكر، ينظر إلى هؤلاء المؤمنين الجدد؛ الَّذين رقَّت قلوبهم، وذرفت أعينهم الدموع حينما تلوا القرآن، يقول: هكذا كنَّا حتَّى قست القلوب. كنَّا مثل هؤلاء إذا قرأنا القرآن بكينا، الآن أصبحنا نقرأ القرآن ولا نبكي، قست قلوبنا.

(١) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٦٦٧٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣٣/١).

QaradawiBooks.com

إذا كان هذا ما يقوله أبو بكر؛ فماذا نقول نحن عن أنفسنا؟ ماذا يقول النَّاس في هـذه الدنيا؟ وهم غارقون في شـهواتها، قلَّمـا يفكِّرون في مصيرهم، قلَّما يفكِّرون في آخرتهم، قلَّما يراجعون رصيدهم، يراجعون حساباتهم ماذا كسبوا وماذا خسروا؟ ماذا قدَّموا لأنفسهم؟ من منَّا حاسب نفسه هذا الحساب؟ ماذا قدَّمت لآخرتك؟

ما أسرع ما نحاسب أنفسـنا في أمور الدنيا، كم كسـبنا في الشيء الفلاني في شركة الصناعات؟ وفي شركة المواشي، وفي شركة الإجارة، وفي شركة كذا. وكم ثمن البورصة اليوم؟

النَّاس مشـغولون بالدنيا؛ بالأرقام، بالحسـابات، ولكنَّهم ليسـوا مشغولين بالآخرة، لم يُشـغلوا بآخرتهم، ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ٧].

عندهـم علم بظاهـر الحيـاة الدنيـا، ربمـا كان أحدهـم يحمل البكالوريوس أو يحمل الدكتوراه، أو يحمل الشـهادات العليا الكبرى، ويتبوأ المناصب المرموقة؛ ولكنَّه لا يعلم الآخرة، ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾.

الغفلة، الغفلة عن الآخرة، والغفلة عن الله، والغفلة عن المصير؛ هي الَّتي أوردت النَّاس المهالك، هي الَّتي جعلت النَّاس يأكل بعضهم بعضًا، يفترس بعضهم بعضًا، جعلت القوي يأكل الضعيف، جعلت العالم غابة، لا مكان فيها للضعيف، أو بحرًا يأكل فيه السمكُ الكبير السمكَ الصغير.

هـذا كلُّه نتيجة الغفلـة عن الآخـرة، ولا نجاة لهـذا ـ أيُّها الإخوة والأخوات ـ إلَّا بالتَّوبة إلى الله، بالرجوع إلى الله.

QaradawiBooks.com

الركن الركين، والحصن الحصين، والحبل المتين: هو الرجوع إلى الله.

ارجع إلى ربِّك، استمسك بعروته الوثقى الَّتي لا انفصام لها، تمسَّك بحبله المتين، ولا تنفصل عنه أبدًا، ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

السعادة ها هنا:

ثِق أنَّ هذا سعادة الدُّنْيا وسعادة الآخرة، لا تظنَّ أن سعادة الدُّنْيا في كسب المال وحده، أو في الأولاد وحدهم، قد يكون عندك من المال والولد، وقد يكون لك من المنصب والجاه، وقد يكون عندك من القصور والمباني، وقد يكون عندك من الرصيد بالملايين؛ ولكنَّك لست سعيدًا، السعادة هاهنا، السعادة لا تُستورد، ولا تُشترى من الخارج، لا تُشترى بالملايين ولا بالمليارات، كم من أناس عندهم ملايين وعندهم مليارات.

بالأمس قال لي أحد النَّاس: تعرف فلانًا الَّذي يملك كذا وكذا مليارًا؟

قلت: نعم.

قال إنَّه مصاب بالاكتئاب، ملياراته وهي بالعشرات لم تغنِ عنه شيئًا، مصاب بالاكتئاب، بالهمِّ، بالغمِّ، بالقلق، بالحزن، باليأس، ماذا صنعت ملياراته؟

لم تصنع له شيئًا، المليارات لا تصنع السعادة، السعادة إنَّما تُصنع من داخل القلب، السعادة منك من داخلك، ليست مستوردة من هنا ولا من هناك، وإنَّما يصنعها الإيمان، يصنع السعادة الإيمان الحقُّ، التقوى

QaradawiBooks.com

والاعتصام بالله، ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرَّعد: ٢٨]، ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح: ٤].

قد تضيق الدُّنْيا عليك، وتدْلهمُّ من حولك الكروب، وتتراكم الظلمات عن يمين وشمال، ولكنَّك إذا اعتصمت بالله تعالى وجدت نورًا في الظلمات، وجدت روحًا تطمئن إليه، وجدت السَّعة بعد الضيق، وجدت الانشراح والانفراج، كما رأينا النَّبي وهو في الغار، والمشركون قد وصلوا إلى الغار، وأحاطوا به، وقال له أبو بكر: يا رسولَ الله! والله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، فقال رسول الله ﷺ: «**يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما**»[1].

هذه السكينة هي سكينة الإيمان، الإيمان هو المعتصَم، عودوا ـ أيُّها الإخوة ـ إلى الإيمان، عودوا إلى ربِّكم، توبوا إلى ربِّكم، التَّوبة، التَّوبة، ارجعوا إلى الله، وتوبوا إلى الله، وقولوا: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١)، كلاهما في فضائل الصحابة، عن أبي بكر الصديق.

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لي كلمتان أيُّها الإخوة:

الكلمة الأولى: مظلمة رفع إيجارات المنازل:

إنَّ كثيرًا من النَّاس اتصل بي هاتفيًّا، وأرسلوا لي رسائل عن طريق الفاكس، وبعضهم جاءني إلى المكتب، وبعضهم كتب في الصحف يستنجدون بي؛ من مظلمة وقعت وشاعت في هذا البلد الطيب.

هذه المظلمة الَّتي ظهرت فجأة، ودون مقدِّمات، ودون مبرِّر، هي: رفع إيجارات المنازل على الساكنين المستضعفين.

وهذا أمر من القسوة بمكان، والقسوة من أعمال القلوب، ومن ذنوب القلوب، الَّتي تحدَّثنا عنها، ولا يدري النَّاس بها.

القسوة ذنب ينبغي أنْ يتوب النَّاس منه، النَّاس يظنون أنَّ الذنوب فقط هي شرب الخمر، وهي الزنى!

لا؛ القسوة ظلم عظيم، أن تقسو على المسكين والضعيف، ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۞ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۞ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: ١ ـ ٣].

إذا كنت تريد أنْ تعرف الكافر، الَّذي يكذِّب بالدين، وبالجزاء، وبالآخرة، فهو الإنسان القاسي الَّذي يدعُّ اليتيم ويقهره، ولا يحضُّ على طعام المسكين، ولا يهتم بأمره.

QaradawiBooks.com

أرى كثيرًا من النَّاس قد جاروا على المساكين، وجاروا على الموظفين المستضعفين.

العجيب أنَّ الَّذين يستأجرون البيوت من أصحابها هم صغار الموظفين، المحدودي الدخل، الَّذين رواتبهم لا تكاد تكفيهم، أو يفيض منها القليل، فإذا رفعت الألف إلى ألفين، أو الألف ومائتين إلى ألفين، فكأنَّك رفعت سبعين في المائة، أو خمسين في المائة.

هذا ظلم كبير على النَّاس.

يا أخي:

هذه من الصدقة الخفية، إذا خفَّفت عن هذا الإنسان الضعيف كان لك صدقة عند الله، بعض النَّاس يقول: يا أخي، أنا لم أجبره.

هو لا يستطيع أن يقول: لا؛ فهو مقهور، مظلوم، هذه عقود إذعان، الإنسان يقهر الضعيف المستضعف، ويفرض عليه ما لا يريد، فلا يملك أن يقول: لا.

هل يجلس في الشارع؟

هؤلاء النَّاس يستحقُّون الرحمة.

والعجيب أنَّ كثيرًا من أصحاب المنازل يصلُّون، ويصومون، ويتصدَّقون، وبعضهم يذهبون إلى العُمْرة في كلِّ رمضان، خير من أنْ تذهب إلى العُمْرة أنْ تخفِّف عن عميلك هذا، ولا تزيد عليه في الأجرة، ويكفيك القليل المبارك فيه.

والله لأن تأخذ إيجارًا قليلًا، ومعه دعوة من المستأجر يقول لك: ربنا يبارك لك في نفسك ومالك، وأهلك وصحَّتك، وعيالك، وولدك... هذه الدعوة خير من الدُّنْيا وما فيها.

QaradawiBooks.com

وما تخفِّف عنه هو صدقة خفية، صدقة غير معروفة، صدقة مكتوبة عند الله تعالى ممَّن «**يتصدَّق بيمينه، فلا تعلم شماله ما تنفق يمينه**»[١].

أنا أدعو الإخوة في قطر إلى أنْ يتقوا الله في أنفسهم، ويتقوا الله في إخوانهم، ويرحموا الضعفاء من المستأجرين، الَّذين لا حول لهم ولا طول.

الرواتب كما هي لم تزد، بل كثير من النَّاس ضعفت وخففت رواتبهم في الأعوام الماضية، ونزلت إلى الحد الأدنى، تأتي أنت وتزيدها؟ تزيد عليهم؟

ارحم إخوانك يا أخي، «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**»[٢]، حتَّى لو كان لك الحقُّ في هذا، ليس العدل هو كلَّ شيء، حتَّى لو كان هذا عدلًا؛ وما هو بعدل.

هناك الرحمة فوق العدل، رحمة الضعفاء من النَّاس، ارحم إخوانك الضعفاء لله تعالى، لا أحد يجبرك على أحد، لا أحد يجبرك على هذا، إذا فعلت هذا مبتغيًا وجه الله فثق أنَّ هذا في ميزان الحسنات والدرجات عند الله.

وقد وصف الله الأبرار بقوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۞ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۞ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۞ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ٨ ـ ١٢].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١)، كلاهما في الزَّكاة، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٦٤٩٤)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الأدب (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، وقال: حسن صحيح. والحاكم (١٥٩/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي؛ كلاهما في البر والصلة، عن عبد الله بن عمرو.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مرخصة
QaradawiBooks.com

أسأل الله أنْ يشـــرح صدور إخواننا أصحاب المباني والمساكن إلى الرحمة بإخوانهم، والرفق بإخوانهـــم، وأنْ يعوِّضهم الله عمَّا يخفِّضونه، يعوِّضهم الله خيرًا في الدُّنْيا وفي الآخرة.

الكلمة الثانية: قضيَّة فلسطين والعراق:

أمَّا الكلمة الثانية، فهي ما يجري في بلادنا نحن العرب والمسلمين، القضيَّة القديمة الجديدة، قضيَّة فلسطين، وقضيَّة العراق.

قضيَّة فلســطين الَّتي يقدِّم أهلهــا كلَّ يوم من دمائهــم، وأرواحهم، وتضحياتهم ما يبهر الأبصار.

هؤلاء القوم الَّذين نعتزُّ بهم ونباهي.

والله! نباهي بالطفل قبــل الأب، بالمرأة قبل الرجــل، هؤلاء الَّذين يقاومون الســفَّاح شــارون بصدورهم، ومعه ترســانته الجبَّارة المؤيَّدة بالترســانة الأمريكيَّة، نحيي هذا الشَّــعب الَّذي يقــدِّم كلَّ يوم ضحايا وشــهداء، ليس فقط الشــهيد أحمد ياسين، وليس الشــهيد عبد العزيز الرنتيسي، ولكن كلّ يوم يقدِّم شهداء وراء شهداء.

مستر بوش راعي السَّلام أكلَ السَّلام «ولحسه»!

نحيي هذا الشــعب، ونقف مشــدوهين أمــام بيان بــوش الأخير، تصريحاته الأخيرة الَّتي ســلبت الفلســطينيين كلَّ حقٍّ لهم، بوش راعي السَّــلام ـ كما يزعمون، راعي السَّــلام، أكلَ السَّــلام، وأكل كلَّ شيء، و«لحس» كلَّ شيء.

هذا ما قرأناه أخيرًا، حقُّ العودة لملايين الفلسطينيين؛ الَّذين أُخرجوا

QaradawiBooks.com

من ديارهم بغير حقٍّ، وشرِّدوا في آفاق الأرض، حقُّ العودة يرفضه السيِّد بوش، ليس لملايين الفلسطينيين حقُّ العودة إلى أرضهم، أرضهم الَّتي اغتصبها مَن اغتصبها؛ الَّذين جاءوا من روسيا ومن أمريكا، ومن بلاد العالم وأخذوها، هؤلاء أصبحوا هم أصحاب الأرض! وأصحاب الأرض الحقيقيون ـ الَّذين لا يزال بعضهم يملك مفتاح داره على أمل أن يعود إليه يومًا ـ هؤلاء لا حقَّ لهم في العودة.

بل زعم بوش أنَّ إسرائيل دولة يهوديَّة، ومعنى أنَّها دولة يهوديَّة: أنَّه لا حقَّ لغير اليهود في البقاء فيها.

ومعنى هذا: أنَّ الفلسطينيين العرب في الداخل الإسرائيلي، والذين يزيدون عن المليون، ويتوالدون أكثر فأكثر كلَّ يوم، هؤلاء لا حقَّ لهم في البقاء داخل إسرائيل.

وزعم بوش ـ فيما زعم ـ أنَّ المستوطنات الَّتي أقيمت في الضفة الغربيَّة، وفي غيرها يجب أنْ تبقى.

هكذا منطق القوي على الضعيف، هذا ما زعمه بوش.

وزعم بوش ـ فيما زعمه أيضًا ـ أن حدود يونيو ٦٧ ليس من الضروري الرجوع إليها، أي أنَّ حدود إسرائيل حدود مفتوحة، هي تزيد في حدودها ما تشاء، وتتوسَّع ما تشاء.

وبالأمس سمعت شارون يقول: إن غزَّة ليست واردة في أن تدخل ضمن الدولة العبرية.

غزَّة فقط، يعني كأنَّ الضفة الغربيَّة وأريحا وغيرها، هذه كلُّها تدخل ضمن الدولة.

QaradawiBooks.com

هكذا السيِّد بوش، وأمَّا خريطته المزعومة، فلم يعد لها وجود، على ما فيها من سيِّئات وسلبيات وهنات.

هذا هــو منطق أمريكا أيُّها الإخــوة، أمريكا هي الَّتي تســاند الظلم الصهيوني، والطغيان الصهيوني، والســفَّاح الصهيونــي، هي الَّتي تقف بالمرصاد وراء هــؤلاء، ولا تبالي لا بالعرب، ولا بالمســلمين أصدقاء أمريكا، ليقل لنا أصدقاء أمريكا: ما موقفهم أمام هذا الحديث، وأمام هذا البيان، وأمام هذه التصريحات؟

يا أصدقاء أمريكا! ماذا تقولون وأمريكا هي الَّتي تحاول أن تدمِّر العراق؟

احتلته بأكذوبة لا أساس لها ـ أســلحة الدمار ـ والآن تريد أن تفعل بالعراق ما تفعل، ولكنَّ الله هيَّأ لها إخواننا الأشــاوس العراقيين، هؤلاء الأشاوس لهم بالمرصاد، ونسأل الله أن يشدَّ أزرهم، وأن يردَّ كيد أعدائهم في نحورهم.

إنَّنا لســنا أعداء لأحد؛ نحن الَّذين نُعادى في عقر دارنا، نحن الَّذين نُغزى في قلب أوطاننا، نحن الَّذين تُؤخذ منَّا ديارنا بغير حقٍّ، نحن الَّذين تُسفك دماؤنا صباح مســاء، نحن الَّذين تدمَّر منازلنا، نحن الَّذين تُهدم مساجدنا، نحن الَّذين تُنتهك حُرماتنا، نحن المعتدى عليهم في كلِّ حين.

يا قوم، ارفعوا أيديكم عنَّا، كفُّوا أيديكــم عنَّا، نحن نريد أن نتعامل معكم معاملة الند للند؛ فلمــاذا لا تعاملوننا هكذا؟ لماذا تعاملوننا كأنَّنا عبيد وأنتم سادة؟!

بــل تعاملوننا كأنَّكــم آلهة في الأرض، لا تُســألون عمَّــا تفعلون، ولا تُحاسبون على ما تقولون.

QaradawiBooks.com

قرَّر بوش ما قرَّر دون أن يشـــاور أحدًا من أصدقائه العرب المقرَّبين هنا وهناك!

بوش لا يشاور أحدًا، يظن أنَّه إذا قال للشيء: كن؛ فيكون!

ولكن لن نستســـلم أبدًا أيُّها الإخوة؛ هذه الأمَّة لن تركع إلَّا لله، لن تُعفِّر جباهها إلَّا ســـاجدة لله، لن تحني ظهورها إلَّا لله، ســـنقاوم وليس أمامنا إلَّا المقاومة.

وأظن أنَّ دعاة السَّـــلام، ومفاوضات السَّلام، ومسيرة السَّلام، أحسبهم قد يئسوا، إنَّهم لم يجدوا شيئًا يمسكون به، إنَّهم وجدوا السراب؛ ظنُّوه ماء حتَّى إذا جاؤوا عنده لم يجدوا شيئًا، آن لنا أن نتمسَّك بخيار المقاومة، هو الخيار الوحيد، مهما نكن ضعفاء، فهذا هو خيارنا الوحيد، والله لن يتخلى عنَّا، والله ناصرنا ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الـرُّوم: ٤٧]، ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

أســـأل الله تعالى أن يهيئ لهـــذه الأمَّة من أمرها رشـــدًا، وأن يجمع كلمتها على الهُدى، وقلوبها على التُّقى، ونفوسها على المحبَّة، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل.

اللهمَّ عليك بأعدائك أعداء الإسلام.

إن شاء الله، سنصلي صلاة الغائب على الشهيد: عبد العزيز الرنتيسي[1]، وإخوانه في فلسطين، والعراق، وغيرها من بلاد الإسلام إن شاء الله.

* * *

(١) كان اغتيال الشهيد عبد العزيز الرنتيسي في ١٧ إبريل ٢٠٠٤م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

١٢

التَّوبة النَّصوح وعناصرها[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

التَّوبة لا تكون إلَّا لله تعالى:

لا زلنا نتحدَّث عن تزكية الأنفس، ولا زال حديثنا موصولًا عن محطَّة التَّوبة.

التَّوبة: محطَّة من محطَّات الطريق إلى الله تعالى.

قلنا: إنَّ الطريق إلى الله مراحل، مرحلة تتبعها مرحلة، لا بدَّ أن يجتازها الإنسان.

وذكرنا أوَّل مرحلة؛ أو أوَّل محطَّة في هذا الطريق: هي محطَّة العلم؛ العلم الَّذي يعرِّف الإنسان الهدى من الضلال، ويعرِّفه الحلال من الحرام، ويعرِّفه الصواب من الخطأ، فيمضي في طريقه على بصيرة، ويمشي على بيِّنة؛ حتَّى لا تلتبس عليه المسالك، ولا يضلُّه شيطان من الجن، أو شيطان من الإنس.

(١) أُلقيت بمسجد عمر بن الخطَّاب بالدوحة في ٢٥ ربيع الأول ١٤٢٥هـ الموافق ١٤ مايو ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

والمحطَّة الثانية الَّتي تحدَّثنا عنها في الخُطبة الماضية، هي محطَّة التَّوبة؛ التَّوبة إلى الله تعالى، وليست إلى أحد سواه، ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [النُّور: ٣١]، ليس مطلوبًا منك أنْ تتوب إلى شيخ أو كاهن، إنَّما مطلوب منك أنْ تتوب إلى الله، أن ترجع إلى الله بعد شرودك، أن تضع يدك في يد الله، أن تصالح الله تعالى، أن تستغفر من ذنبك، أن تقول: ربِّ اغفر لي، وارحمني، وتب عليَّ.

التَّوبة إلى الله؛ وليست إلى أحد من خلقه، هناك بعض النَّاس يذهب إلى الشيخ ويقول له: يا سيِّدنا الشيخ توِّبني.

فيقول له: ردِّد معي: تبت إلى الله، ورجعت إلى الله، وندمت على معصية الله، وعزمت على طاعة الله، وبرئت من كلِّ دين يخالف دين الإسلام.

ويخرج من عنده ويظنُّ أنَّه قد تاب.

لا، ليست هذه التَّوبة.

التَّوبة ليست كلامًا يلاك باللسان، التَّوبة عمل كبير؛ التَّوبة تغيير لحياة الإنسان، واتجاه الإنسان.

التائب يحاول أن ينشئ من نفسه خَلقًا آخر؛ يريد أن يغيِّر حياته، يغيِّر تفكيره، يغيِّر نيته، يغيِّر سلوكه، يغيِّر علاقاته.

هذه هي التَّوبة، التَّوبة عمل جليل، ليست كلامًا يعترف به الإنسان أمام الشيخ، كما يعترف النَّصراني أمام القسيس.

لا، ليس مطلوبًا منك أن تعترف أمام أحد، ولا أن تفضح نفسك عند أحد، «**كلُّ أمَّتي معافى إلَّا المجاهرين**»[1]، لا تجاهر بذنبك لأحد، إلَّا فيما بينك وبين ربِّك تعالى.

---

(١) سبق تخريجه صـ ٢١٦.

QaradawiBooks.com

التَّوبة واجبة على كلِّ مسلم، الله تعالى يقول: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النُّور: ٣١]، جميعًا، ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾.

كلُّ بني آدم خطَّاء:

وقد ذكرتُ في الخُطبة الماضية: أنَّ من ظنَّ أنَّه ليس لديه ذنب يتوب منه، وأنَّه ليس في حاجة إلى التَّوبة، فهـذا هو: الغرور المهلِك، وهذا هو العُجب القاتل؛ فالنَّبي ﷺ يقول: «**كلُّ ابن آدم خطَّاء، وخير الخطائين التوَّابون**»(١).

كلّ بني آدم خطَّاء؛ الإنسان بحكْم تكوينه، بحكْم العنصر الطيني في طبيعته لا بدَّ أن يُخطئ، ولا بـدَّ أن يُذنب، وإذا كان أبوه الأوَّل آدم عليه السلام قد أخطأ وأذنب، وأمُّه الأولى حواء قد أخطأت وأذنبت، فلماذا يستكثر على نفسه أن يخطئ؟

إذا كان الأب قد عصى وأخطأ، كما قال تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢]، أبوك قد أخطأ، فليس عجيبًا أن يُخطئ الابن؛ إذا كان قد سبقه الأب.

ولكنَّ آدم حينما أخطأ، حينما عصى، أعطاه الله هذه الممحاة، هذه المغسلة؛ الَّتي يغتسل فيها فيخرج طاهرًا مطهَّرًا؛ إنَّها التَّوبة، ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ﴾، ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].

(١) رواه أحمد (١٣٠٤٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والترمذي في صفة القيامة (٢٤٩٩)، وقال: حديث غريب. وابن ماجه في الزهد (٤٢٥١)، وحسنه الألباني في المشكاة (٢٣٤١)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

إيَّاك أن تقول: أنا إنسان طيب، طاهر، طهور، لا معصية عندي، ولا ذنب عليَّ، فلستُ في حاجة إلى التَّوبة، فإنَّ أكرم خلق الله على الله، وأفضل رسل الله؛ محمَّدًا ﷺ قال: «**يا أيُّها النَّاس، توبوا إلى الله؛ فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرَّة**»[1]، وكان يقول: «**إنَّه ليغان على قلبي** ـ ما يشغل القلب من الغفلة عن الذكر ـ **فأستغفر الله في اليوم مائة مرَّة**»[2] يشعر بالتقصير، يشعر بالتفريط، بأنَّه كان يمكن أن يكون أفضل، أو أنَّه كان في حالة تترقى إلى حالة أحسن منها، فيشعر في هذه الحالة بأنَّه كان مقصرًا من قبل، وهو يزداد تقرُّبًا إلى الله تعالى، «**أستغفر الله في اليوم مائة مرَّة**».

هذا هو رسول الله ﷺ، فإيَّاك أن تقول: ليس عندي معاص ولا ذنوب.

معاصي القلوب أشدُّ من معاصي الجوارح:

ما أكثر الذنوب والمعاصي الَّتي يقع فيها الإنسان في كلِّ يوم، معاصي العين، ومعاصي الأذن، ومعاصي اللسان، ومعاصي اليد، ومعاصي الرِّجل، ومعاصي شهوة البطن، ومعاصي شهوة الفرج.

وكلُّ هذه معاصي الجوارح من المعاصي الظاهرة، وهناك وراء ذلك معاصي القلوب، المعاصي الباطنة: وهي أشدُّ خطرًا من معاصي الجوارح.

معصية الجوارح: هي معصية آدم عليه السلام حينما أكلَ من الشجرة، ونسي النهي الإلٰهي، وضعُفت عزيمته، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥].

(١) سبق تخريجه صـ ٢١٧.

(٢) رواه مسلم في الذِّكر والدعاء (٢٧٠٢)، وأحمد (١٧٨٤٨)، عن الأغر المزني.

QaradawiBooks.com

أمَّا معاصي القلــوب فهي: من جنس معصية إبليــس، إبليس لم تكن معصيته من المعاصي الظاهرة، ولكنَّها كانت الكبر والغرور، أُمِرَ بأن يسجد لآدم فأبى، واســتكبر، وكان من الكافرين، تمرَّد على أمــر الله، وقال في غرور وصلــف: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف: ١٢، ص: ٧٦]، تحدَّى أمر ربِّه.

هذه هي معاصي القلوب، كم عند الإنسان من معاصي القلوب وهو لا يشعر؟!

يقول ابن عطاء الله في «حِكمه»: ربما كتب الله لك الطاعة وما كتب لك القبول، وربما قدَّر عليك المعصية فكانت سببًا في الوصول، معصية أورثت ذلًّا وانكسارًا، خير من طاعة أورثت عجبًا واستكبارًا[1].

هذه نظرة الصالحين إلى أنفسهم، انظر إلى نفسك؛ فتجد الكثير من المعاصي، إن كنت مرهف الحسِّ، يقظ العقل.

أمَّا إن كنت بليد الحسِّ، أو مغــرورًا أو معجبًا؛ فتظن أنَّك مبرأ من كلِّ عيب.

التسويف جند من جنود إبليس:

التَّوبة واجبــة على الجميــع، ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النُّور: ٣١]، وهي واجبة على الفور.

إذا أذنبت وجب عليك أن تتوب لا تؤخِّر ولا تسوِّف؛ فقد قيل: أكثر أهل النَّار المســوِّفون، الَّذين يقولون: سوف أتوب، إذا كان في العشرين

(١) حكم ابن عطاء الله شرح الشيخ زروق صـ٢٢٤.

QaradawiBooks.com

يقول: حينما أبلغ الثلاثين، وابن الثلاثين يقول: في الأربعين، وابن الأربعين يقول: في الخمسين. وهكذا كلُّ إنسان يقول: سوف، وقد قال السلف رضي الله عنهم: «سوف» جند من جنود إبليس[١].

كلمة «سوف»، التأخير والتسويف هذه من جنود إبليس، إيَّاك و«سوف»، أسرع بالتَّوبة من الذنب قبل أن يتفاقم، وقبل أن يستفحل، وقبل أن يضاف إليه ذنب آخر.

النَّبي ﷺ يقول: «**إنَّ العبد إذا أذنب الذنب نكت في قلبه نكتة** ـ نقطة سوداء جعلت في قلبه ـ **فإن تاب ونزع صقلت** ـ مسحت ومحيت ـ **فإن عاد إلى ذنب آخر نكت نكتة أخرى، فإن عاد إلى ثالث نكت نكتة ثالثة، ثمَّ رابعة، حتَّى يسودَّ قلبه** ـ من كثرة النقط السوداء في قلبه اسودَّ قلبه ـ **فذاك الران الَّذي قال الله فيه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** [المطففين: ١٤]»[٢]. اسودَّ القلب، فسارع بالتَّوبة.

الحزم أن تسارع بالتَّوبة ولا تؤجِّل، سارع بالتَّوبة فهذا من استباق الخيرات، قد أمرنا الله باستباق الخيرات، وأمرنا بالمسارعة إلى المغفرة والجنَّة، وبالمسابقة إلى المغفرة والجنَّة، فقال: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الحديد: ٢١].

---

(١) انظر: قوت القلوب لأبي طالب المكي (٦/٢).

(٢) رواه أحمد (٧٩٥٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي. والترمذي في التفسير (٣٣٣٤)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في الزهد (٤٢٤٤)، والحاكم في التفسير (٥١٧/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، عن أبي هريرة.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

فإذا أخَّر التَّوبة؛ كان هذا ذنبًا آخر.

يقول الإمام ابن القيم: إذا تاب من ذنب؛ وكان قد أجَّل التَّوبة منه، فعليه أنْ يتوب مرَّتين: مرَّة عن الذنب، ومرَّة عن التأخير؛ فإنَّ تأخير التَّوبة من الذنب ذنب آخر[١].

التَّوبة واجبة على الفور، وواجبة على النَّاس جميعًا، كلٌّ يتوب على حسب حاله، هذا يتوب من النِّفاق، وذاك يتوب من الكبائر، وذاك يتوب من الصغائر، وهذا يتوب من الشبهات، وآخر يتوب من الغفلات، مجرد الغفلة عن الله، غفلات القلوب يعتبرونها موجِبة للتوبة.

قيل: توبة العوام من الذنوب، وتوبة الخواص من الغفلات، ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

التَّوبة النَّصوح وعناصرها:

أمرنا الله بالتَّوبة جميعًا، وأمرنا الله بالتَّوبة النصوح، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التَّحريم: ٨].

ما التَّوبة النَّصوح؟

النصح في اللغة العربيَّة: الخلوص، قالوا: نصح العسل، أي: خلا من الغش، والشوائب الغريبة، فأصبح صافيًا[٢].

(١) انظر: مدارج السالكين لابن القيم (٢٨٣/١)، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

(٢) انظر: لسان العرب مادة (ن. ص. ح).

QaradawiBooks.com

فالتَّوبة النَّصـــوح: هي التَّوبة الخالصة، التَّوبـــة الصادقة، التَّوبة الَّتي يطابق فيها اللسان القلب، ويطابق فيها القول العمل.

التَّوبة النصوح تحدَّث عنها علماء السلوك[١] وشرحوها شرحًا وافيًا، وهي كما ذكر الإمام الغزالـــي وغيره[٢]: دواء مركَّب مـــن عدَّة عناصر؛ عنصر معرفي، وعنصر وجداني، وعنصر عملي.

العنصر الأوَّل: المعرفي الإدراكي:

العنصر المعرفي الإدراكي؛ الَّذي يتعلَّق بعقل الإنسان.

إنَّ الإنســـان لكي يتوب لا بدَّ أن ينظر في نفســـه، ويتأمَّل في حاله، ويعرف ما له وما عليه، يعرف نفسه، فيعرف ربَّه، ويعرف حقَّ ربِّه عليه، وما يطالبه به من واجبات، وما ينهـــاه عنه من محرَّمات، وما موقفه أمام الواجب عليه، وأمام المحظور عليه؛ هـــل أدَّى الواجب كما ينبغي؟ هل ترك المنهيَّات كما ينبغي؟

لا بدَّ أن ينظر الإنسان في نفسه نظرة أُولي الألباب، لا نظرة الغافلين، ولا الجاهلين، ولا السطحيين.

ومن نظر إلى نفســـه، ونظر إلى نِعم الله عليه تغمره من رأســـه إلى قدمه، وتحيطه من كلِّ جوانبه ﴿وَإِن تَعُـدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤، النَّحل: ١٨]، ثم هو يقابل هذه النِّعم بالمعصية!

---

(١) ذكر القرطبي في تعريفها ثلاثة وعشرين قولًا لأهل السلوك. انظر: تفسير القرطبي (١٩٧/١٨)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

(٢) إحياء علوم الدين (٣/٤، ٤).

QaradawiBooks.com

خير الله إليه نازل باستمرار، وشرُّه إلى الله صاعد!

يتحبَّب الله إلى النَّاس بنعمه وهو الغني عنهم، فيتبغَّضون إليه بالمعاصي وهم أفقر شيء إليه!

هنا يعرف جلال ربه، وعزة مقامه، وعظيم حقِّه، ويعرف تفريط نفسه في جنب الله تعالى، وطاعته لعدوه الشيطان، وخسرانه المبين في الآخرة والأولى، إن استمر سائرًا في ركاب إبليس وجنوده.

لا بدَّ للإنسان أن ينظر في أمره، وأمر ربِّه معه، وماذا قدَّم من طاعات؟ وماذا قصَّر فيه من واجبات؟ وماذا وقع فيه من معاصي؟

هذا ما ينبغي للمؤمن.

هذا الجانب المعرفي.

المعرفة في الإسلام قبل العمل، الله تعالى يقول: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحجُّ: ٥٤]، ليعلموا فيؤمنوا فتخبت القلوب، العلم هو دليل الإيمان، يدفع إلى الإيمان، والإيمان يدفع إلى إخبات القلوب، وخشوعها، ورقَّتها لله تعالى؛ فالعلم هو السابق، ولذلك لا بدَّ للإنسان أن يتعلَّم، وأن يتفقَّه في دينه؛ حتَّى يعرف مقام الله تعالى، وما يقتضيه هذا المقام من عظيم الحقوق، ويعلم تقصيره في جنب الله تعالى.

هذا العنصر المعرفي هو الأساس، إذا غاب هذا العنصر لم تحدث توبة، ولم يحدث شيء؛ لأنَّه يعيش في بلادة، ويعيش في ظلمة، ولا يحسُّ بأيِّ شيء ممَّا يجب عليه، وكلَّما يذكره هو نفسه، أنانيته، شهواته، أمَّا حقوق الله عليه، وحقوق النَّاس عليه، فهي في غيبة عنه.

العنصر الأوَّل في التَّوبة إذن: هو العنصر المعرفي.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

العنصر الثاني: النَّفسي الوجداني:

هذا العنصر يدفع إلى عنصر آخر، عنصر نفسي عنصر وجداني.

هذا العنصر النَّفسي يتكوَّن من أمرين:

١ ـ الندم اللاذع:

أمر انفعالي؛ وهو ما يسمِّيه العلماء: الندم، الندم على ما فرَّط فيه من معصية، سواء كانت هذه المعصية: ترك مأمور، أو فعل محظور.

المعاصي تنقسم إلى: ترك المأمور مثل: ترك الصلاة، ترك الزَّكاة، ترك برِّ الوالدين، ترك صلة الأرحام، ترك الإحسان إلى الجيران، ترك إتقان العمل.

أو كانت فعل محظور من المحظورات، وكثير من النَّاس يظن المحظورات: هي الزنى، وشرب الخمر... أو الكبائر المعروفة فقط، وينسون كثيرًا من المعاصي الَّتي يقع فيها النَّاس باستمرار، قد تكون هذه المعصية احتقار الآخرين؛ النَّبي ﷺ يقول: «**بحسب امرئ من الشرِّ أنْ يحقر أخاه المسلم**»[(١)].

قد تكون هذه المعصية استكبارًا على النَّاس، وقد قال النَّبي ﷺ: «**لا يدخل الجنَّة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»[(٢)].

قد تكون هذه المعصية ظلم الضعفاء من النَّاس، أنْ تظلم الضعيف وأن تقهره، وأن تدعَّ اليتيم، وتقهر اليتيم، أو تترك الحضَّ على طعام المسكين

(١) رواه مسلم في البرِّ والصِّلة (٢٥٦٤)، وأحمد (٧٧٢٧)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٩١)، وأحمد (٣٧٨٩)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ الكافر الَّذي يكذِّب بالدين والقيامَة والجزاء ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۞ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: ١ ـ ٣].

الذي يدفع اليتيم بعنف، ولا يحافظ على شعوره، ولا على نفسيته؛ لأنَّه حساس باعتباره يتيمًا، ولا يحضُّ على طعام المسكين، لا يحرِّض النَّاس على رعاية حاجات المسكين، وضروراته ـ والإطعام في أوَّلها ـ هذا إنسان قاس، القسوة إذن على خلق الله من أعظم الذنوب.

قد يكون ذنبه أنَّه يمشي في ركاب الظالمين، ويروِّج لهم.

قد يكون ذنبه أنَّه يروِّج الباطل في النَّاس، ويزيِّن المعاصي: الخلاعة والفجور والانحراف.

ما أكثر الذنوب الَّتي يقع فيها النَّاس، لذلك لا بدَّ للإنسان إذا وقعت منه معصية من هذه المعاصي، أن يشعر بالندم.

الندم: حسرة في القلب، حزن في القلب، نار تلسع القلب لسعًا، بل لربما تكويه كيًّا، على حسب رهافة الشعور عند النَّاس.

هناك من يلسعه الندم، وهناك من يكويه الندم على ما فرَّط فيه، في جنب الله، أو حقوق النَّاس.

هذا العنصر هو أهم العناصر في التَّوبة، حتَّى إنَّ النَّبي ﷺ قال: «**الندم توبة**»[(١)]، أي: هو أعظم أركان التَّوبة؛ كما قال: «**الحجُّ عرفة**»[(٢)]، أي: هو أعظم أركان الحجِّ.

(١) رواه أحمد (٤٠١٢)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وابن ماجه في الزهد (٤٢٥٢)، وابن حبان في الرقائق (٦١٤)، والحاكم في التوبة والإنابة (٤/٢٤٣)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، عن ابن مسعود.

(٢) رواه أحمد (١٨٧٧٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (١٩٤٩)، والترمذي (٨٨٩)، والنسائي (٣٠١٦)، وابن ماجه (٣٠١٥)، جميعهم في مناسك الحج، عن عبد الرحمن بن يعمر.

QaradawiBooks.com

النَّدم هو: الحسـرة؛ هذه النَّار الَّتي تعمل عملها في قلوب من صحا من نومه، أو مِن سكرته، وأحسَّ بذنبه وبحقِّ ربِّه.

نفسيَّة التائبين في القرآن الكريم:

هذا عنصر مهمٌّ في التَّوبة.

ذكر الله لنا في القرآن نفسيَّة بعض التائبين؛ الثلاثة من الصَّحابة الَّذين خلِّفوا في غزوة العسـرة ـ غزوة تبوك ـ عن رسول الله ﷺ، ولم يلحقوا بالركب المجاهد، ولم يجدوا لأنفسهم عذرًا، فبقوا في المدينة، وصفهم الله بقولـه: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التَّوبة: ١١٨].

قال ذو النون المصري: التائب هو من يشعر بهذا، أن تضيق عليه الأرض بما رحبت، وتضيق عليه نفسه، ويظن أن لا ملجأ من الله إلَّا إلى الله[1].

سيدنا آدم وسيدتنا حواء، حينما أكلا من الشجرة شعرا بأنَّهما أخطآ وأذنبا، فأحسَّا بهذا الندم، فناجيا ربَّهما بقولهما: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

هذا الندم هو الَّذي دفع إلى هذا الاستغفار.

سيدنا نوح عليه السلام شيخ المرسلين حينما قال لربِّه: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٥، ٤٦].

(١) الرسالة القشيرية (٢١٣/١)، نشر دار المعارف، القاهرة.

QaradawiBooks.com

هذا الردُّ الإلٰهي الحاسم؛ جعل نوحًا ينتفض أمام مقام الله تعالى، ويقول في حالة من الندم واليقظة: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [هُود: ٤٧].

موسى عليه السلام حينما وكز الرجل القبطي، قضى عليه، قتله قتل خطأ، فرجع إلى الله وندم على ما فعل ﴿قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٥، ١٦].

﴿هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ .... رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي﴾ هذا هو الندم.

سيدنا يونس؛ ذو النون صاحب الحوت، حينما التقمه الحوت بعد أن حدث ما حدث مع قومه، شعر بالندم فقال مناديًا ربَّه في الظلمات: ظلمة البحر، وظلمة الليل، وظلمة بطن الحوت، ماذا قال؟

قال بعد شعوره بالندم: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

هذه الكلمات الثلاث الَّتي تتضمن التوحيد: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾، والتنزيه من كلِّ نقص ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾، والاعتراف ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ هذا هو الندم.

النَّدم هو العنصر المهم في التَّوبة، مَن لم يشعر بهذا الندم يكويه فليس بتائب؛ مهما قال: إنِّي تبت.

أول مظاهر التَّوبة، ودلائل التَّوبة: هو هذا الشعور الَّذي يكوي الإنسان من داخله، يحترق من داخله، يغسل نفسه بدموعه؛ هذا هو الندم.

٢ ـ العزم الجازم:

وهناك عنصر نفسي آخر.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

النَّدم يتعلَّق بالماضي، والعنصر الآخر يتعلَّق بالمستقبل، أن يعزم على ألا يعود إلى المعصية الَّتي تاب منها أبدًا.

ساعة التَّوبة يكون مصممًا ألا يرجع إلى هذه المعصية، طلّقها ثلاثًا، لا وصل بينها وبينه أبدًا، لا بدَّ من هذا التصميم.

يقول العلماء: كما لا يعود اللبن إلى الضرع إذا خرج منه[1]، لا يعود إلى المعصية أبدًا.

هكذا تكون نيته، وإن حدث بعد ذلك أنَّه ضعف وزلَّت قدمه، وعاد إلى المعصية، لا يضر بالتَّوبة، المهم ساعة التَّوبة أن يكون عنده هذا العزم المصمِّم على أن يغيِّر حياته، وأن يبدأ صفحة جديدة مع الله، وينتهي من الصفحات السوداء القديمة هذه.

التَّوبة ترمِّم بناء الإيمان الَّذي تهدَّم بالمعاصي:

هذا العزم المصمِّم حين يتوب إلى الله: يندم على ما فات، ويعزم على إصلاح ما هو آت، يعزم على أن يرمِّم البناء الَّذي تهدَّم، أن يعيد هذا الإيمان إلى أصله، الإيمان يُخدش بالمعاصي؛ خصوصًا بالكبائر، وفي الحديث الشريف: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن**»[2].

عندما يفعل هذا يُنزع الإيمان منه، فإمَّا أن يعود الإيمان مرَّة أخرى

(١) قال القرطبي: روي عن عمر وابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل ﷺ، ورفعه معاذ إلى النَّبي ﷺ. انظر: تفسير القرطبي (١٩٧/١٨).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأشربة (٥٥٧٨)، ومسلم في الإيمان (٥٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

بالتَّوبة، وإمَّا أن يظلَّ الإيمان الحقيقـي، أو الإيمان الكامل، أو الإيمان الصادق ناقصًا مخدوشًا.

لا بدَّ للإنسان أن يعزم هذا العزم الصادق؛ حتَّى يجدِّد إيمانه، ويرمِّم إيمانه ويعود كما كان من قبل.

وبهذا وجد في التَّوبة: عنصر معرفي، وعنصر نفسي، بشطريه: الندم على الماضي، والعزم على إصلاح المستقبل.

العنصر الثالث: العنصر العملي للتَّوبة «الإقلاع عن المعصية»:

وهناك عنصر عملي؛ العنصر العملي: أن يُقلع بالفعل عن المعصية، هذا معنى التَّوبة، وإلَّا ما معنى أن يتوب وهو مقيم على ما كان عليه؟!

التَّوبة: أن يُقلع عن المعصية بالفعل، أن يتركها؛ يتركها من قلبه، ويتركها من جوارحه، ويتركها من حياته، هذا أمر لا بدَّ منه، الأمر العملي؛ الله تعالى يقول في وصف عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ۞ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ۞ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الفُرقان: ٦٨ ـ ٧٠]، ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾؛ لأنَّه كما قلنا: المعاصي تخدش الإيمان، فيعيد الإيمان، ﴿وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾، لا بدَّ من عمل صالح.

هذا هو شأن التَّوبة النَّصوح، التَّوبة الصادقة، أن تدفع الإنسان إلى عمل صالح، بعد عمل السيِّئات يعمل الصالحات، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾، ويقول تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [طـه: ٨٢] هكذا ﴿لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾، بلغ الهداية الكاملة.

QaradawiBooks.com

هـذه التَّوبة درجـات يرتقي فيها الإنسـان حتَّى يصبح مـن الأئمَّة ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣] هناك أئمَّة يدعون إلى النَّار، وهناك أئمَّة يهدون بأمر الله.

غير مرخصة للطباعة

فروع لهذا الأصل:

العمل هو العنصر الثالث بعد العنصر المعرفي والإدراكي، والعنصر النَّفسي والوجداني، وهذا العنصر العملي وهو أصل يترتَّب عليه فروع، أصله هو ترك المعصية.

محو السيِّئة بالحسنة:

وهناك فروع لهـذا الأصل، من هذه الفـروع: ما قاله النَّبي ﷺ لأبي ذرٍّ[١] ومعاذ بـن جبل[٢] قال لهمـا: «**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السـيِّئة الحسنة تمحها**» إذا كنت تعمل السيِّئات من قبل؛ فأتبع السيِّئات حسنات تمحها تزيل أثرها، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هُود: ١١٤].

قال العلماء: إنَّ الله جعل للمسـلم أنهارًا يغتسـل فيهـا من معاصيه وذنوبه؛ هناك نهر التَّوبة، ونهر الاسـتغفار، ونهر الحسنات، الحسنات: الوضوء حسنة، والصَّلاة حسنة، والصيام حسـنة، والصدقة حسنة، وبرُّ الوالدين حسنة، وصلة الأرحام حسنة، والإحسان إلى النَّاس حسنة.

---

(١) رواه أحمد (٢١٥٣٦)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. والترمذي في البر والصلة (١٩٨٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) رواه أحمد (٢١٩٨٨)، وقال مخرِّجوه: حسن. والترمذي في البر والصلة (١٩٨٧)، وقال: حسن صحيح. والحاكم في الإيمان (٥٤/١)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (٩٧).

QaradawiBooks.com

ما أكثر الحسنات، الحسـنات كثيرة جدًّا، ولكن النَّاس لا يستفيدون منها، «**أتبع السيِّئة الحسنة تمحها**».

اجعل الحسنة من جنس السيِّئة:

وحاول أن تكون الحسـنة من جنس السـيِّئة؛ إذا كانت سيئتك هي الغيبة؛ اغتبت فلانًا؛ فحاول أن تكون حسنتك أن تمدحه أمام من اغتبته، هذه حسنة من جنس السيِّئة.

إذا كانت سيئتك قطع الرحم؛ فاجعل حسنتك أن تصل الأرحام، وأن تدعو النَّاس إلى صلة الأرحام.

إذا كانت سيئتك أنَّك تشـيع الخلاعة أو المعصية في النَّاس؛ مثل: القصاصين، والممثِّلين، والمطربين، وهؤلاء الَّذيـن يزعمون أنَّهم أهل الفن، وهم يعيثون في الأرض فسادًا؛ بترويج المعاصي وتجريء النَّاس على الشـهوات المحرَّمة، إذا كانت سـيئتك من هذا النوع؛ فحاول أن تكون حسنتك مضادة لها.

قلت للتائبات من الفنانات المصريات: حاولن أنْ تعملن ضد ما كنتنَّ تعملْن، كنتن قبل ذلك تنشرن التكشُّف؛ الآن عليكن أنْ تنشرن الحشمة، كوِّن جمعيات لنشر الفضيلة، اعملن في الاتجاه المضاد للاتجاه السابق؛ وهكذا.

إذا كان عمل الإنسـان أن يكتب كتبًا تدعو إلـى الضلالة؛ فعليه أن يكتب كتبًا تدعو إلى الهداية وإلى الحقِّ، حاول أنْ تعمل حسـنة مضادة للسـيئة الَّتي كنت تعملها، وبهذا تمحو السـيِّئة القديمة، «**وأتبع السيِّئة الحسنة تمحها**».

QaradawiBooks.com

غيِّر البيئة الَّتي كنت تعيش فيها:

ومن المهمِّ ـ أيضًا ـ في هذا الجانب العملي؛ أن يغيِّر الإنسان البيئة الَّتي كان يعيش فيها، إنَّه يريد أن يحيا حياة جديدة؛ فلا بدَّ أن تتخلَّص من حياتك القديمة بشخوصها وأصحابها.

كلُّ ما يذكِّرك بالقديم ابتعد عنه، ولذلك جاء في الحديث الصحيح؛ حديث الرجل الَّذي قتل مائة نفس، وسأل عن أعلم أهل الأرض، وقال له الرجل حينما سأله: هل تجوز لي التَّوبة؟ قال: ومن يحول بينك وبين التَّوبة؟ ثمَّ قال له: عليك أن تهجر القرية الَّتي كنت فيها، وتذهب إلى قرية كذا؛ فأهلها صالحون، ولا ترجع إلى قريتك؛ فإنَّها قرية سوء[(١)].

طلب منه أن يغيِّر البيئة، وقد قال بعض علماء السلوك: التَّوبة ندم بالجنان، وعزم على ترك العصيان، واستغفار باللسان، وإقلاع عن المعصية بالأبدان، وهجر سيئ الخلان[(٢)].

اهجر خلان السوء الَّذين يقودونك إلى النَّار، الَّذين مثَّلهم النَّبي ﷺ بنافخ الكير[(٣)]، الحدَّاد إذا لم يحرقك بناره أصابك دخانه، احذر من خلان السوء ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفُرقان: ٢٧ ـ ٢٩].

---

(١) إشارة إلى الحديث المتَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٧٠)، ومسلم في التوبة (٢٧٦٦)، عن أبي سعيد الخدري.

(٢) تفسير القرطبي (١٩٨/١٨).

(٣) إشارة إلى حديث أبي موسى الأشعري، وفيه: «ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحًا خبيثة». متَّفق عليه: رواه البخاري في الذبائح (٥٥٣٤)، ومسلم في البرِّ والصِّلة (٢٦٢٨).

QaradawiBooks.com

احذر أصدقاء السوء، الله تعالى يقول: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

كلُّ الخلان والأصدقاء يوم القيامَة أعداء، بعضهم لبعض، كلُّ واحد يقول: أنت الَّذي أضللتني، أنت الَّذي أغريتني، أنت الَّذي حرَّضتني على كذا؛ إلَّا المتقين.

الأصدقاء كلُّهم يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضًا يوم القيامَة ﴿إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾، أهل التقوى الَّذين تحابُّوا في الله تعالى، وتجالسوا في الله تعالى، وتعاونوا على البرِّ والتقوى، فهؤلاء يظلُّهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلَّا ظلُّه[1].

احذر من خلان السوء، هذه كلُّها من الجوانب العمليَّة للتوبة، وبهذه العناصر كلُّها تتمُّ التَّوبة الحقُّ، العنصر المعرفي، والعنصر الوجداني النَّفسي، والعنصر العملي، بهذا تكتمل توبة الإنسان، ويُقبل على الله تعالى؛ راغبًا في مثوبته، محبًّا لطاعته، هذا شأن النَّاس المؤمنين، أنَّهم يُقبلون على الله تعالى، ويشعرون بلذَّة الطاعة، وبحلاوة الرجوع إلى الله، التائب يشعر كأنَّه قد كسب مغنمًا عظيمًا، أعظم ممَّا يحصل عليه النَّاس من كنوز الدنيا، وشهوات الدنيا، أعظم من هذا كلِّه أن تشعر أنَّك اقتربت من الله خطوة، وكلَّما اقتربت من الله اقترب الله منك، «**من تقرَّب إليَّ شبرًا تقرَّبت إليه ذراعًا، ومن تقرَّب إليَّ ذراعًا تقرَّبت إليه باعا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة**»[2]، أقبِل على الله يُقبل الله عليك.

---

(١) إشارة إلى حديث أبي هريرة: «سبعة يظلُّهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلَّا ظلُّه... ورجلان تحابَّا في الله». متَّفق عليه: رواه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١)، كلاهما في الزَّكاة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٤٠٥)، ومسلم في الذِّكر والدعاء (٢٦٧٥)، عن أبي هريرة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة عليه
QaradawiBooks.com

فيا أيَّها المؤمنون، توبوا إلـــى الله تعالى، لا تؤخِّـــروا التَّوبة؛ فإنك لا تدري هل تعيش غدًا أو لا تعيش؟ لا تدري إذا أصبح عليك الصباح؛ هل يأتي عليك المســـاء أو لا يأتي؟ لا تدري حينما تلبس ثوبك أتنزعه بيدك أم تنزعه عنك يد غاسلك بعد موتك؟

لا تدري!

تزوَّد من التَّقْـــوى فإنَّكَ لا تدري ... إذا جنَّ ليلٌ هل تعيشُ إلى الفَجْرِ؟
فكم من سليمٍ مات من غير علَّة ... وكم من سقيمٍ عاش حينًا من الدَّهْرِ
وكم من فتًى يُمسي ويُصبح لاهيًا ... وقد نُسِجَتْ أكفانُه وهْوَ لا يَدْرِي[1]

توبوا إلى الله جميعًا أيُّها المؤمنون لعلكم تفلحون، واستغفروا يغفر الله لكم، وادعوا ربَّكم يستجب لكم.

* * *

(١) ذكر الفاكهاني البيتين الأولين ولم ينســبهما في رياض الأفهام (١٧٠/٣)، تحقيق نور الدين طالب، نشر دار النوادر، ســوريا، ط١، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م، والبيت الأخير ذكره من غير نسبة الآلوسي في تفسيره روح البيان (٤٨٢/١٠)، نشر دار الفكر، بيروت.

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

ذكرى إعلان الدولة الصهيونيَّة:

في الغد الخامس عشر من شهر أيار أو مايو حدث ـ بالنسبة للمسلمين ـ أخطر حادث في القرن الماضي؛ القرن العشرين.

هذا الحدث: هو إعلان قيام الدولة الصهيونيَّة، الَّتي سمّوها: إسرائيل.

أُعلن عن قيام هذه الدولة في غفلة من العرب، وغفلة من المسلمين.

ظلَّ اليهود يعملون ويخطِّطون منذ عقود من السنين، والأمَّة عن هذا لاهية، لا تدري ما يبيَّت لها، لا تدري المكايد الَّتي يكيد لها بها أعداؤها.

ومَنْ رَعَى غَنَمًا في أرضِ مَسْبَعَةٍ ونام عنها تولَّى رعيَها الأَسَدُ[1]!

نمنا واستيقظ الآخرون، وغفلنا وتنبَّه الآخرون، منذ سنة ١٨٩٧م، في أواخر القرن التاسع عشر؛ اجتمع اليهود برئاسة هرتزل في مدينة بازل في سويسرا، في مؤتمرهم التاريخي، وأعلنوا في هذا المؤتمر: عن قيام دولة إسرائيل، أو دولة اليهود، أنَّها ستقوم بعد خمسين سنة، ولم يقولوا هذا مجرد كلام، ولكنَّهم قالوا وفعلوا، خطَّطوا ونفَّذوا، كان لهم رجال يشعرون بأنَّ عليهم مهمَّة تاريخية، عليهم أن ينجزوها، ولم يكن عندنا رجال يشعرون بهذا الشعور؛ بل كان عندنا رجال يفكِّرون تفكيرًا آخر؛

(١) من شعر أبي مسلم صاحب الدولة. انظر: المحاسن والأضداد (٤٥/١)، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

QaradawiBooks.com

يفكِّرون في هدم الخلافة الإسلاميَّة، وهدم هذه المظلَّة التاريخية، وتحطيم هذه القلعة؛ الَّتي أظلَّت المسلمين تحت ظلالها عدَّة قرون.

إسرائيل قامت على أساس ديني:

عمل اليهود، وبعد خمسين سنة، أو واحد وخمسين سنة قامت دولتهم، دولتهم الَّتي سمّوها اسمًا تاريخيًّا دينيًّا: اسم إسرائيل، إسرائيل هو: يعقوب عليه السلام، وهم بنو إسرائيل، لم يسمّوها اسمًا حديثًا: اتحاد الجمهوريات الاشتراكيَّة، ولكن سمّوها: إسرائيل، هم قد اجتمعوا على أحلام توراتية، وتعاليم دينية وتلمودية، وجمَّعوا اليهود من المشرق والمغرب، والشمال والجنوب، تحت هذا العنوان الديني، جمَّعوهم في أرض الميعاد.

وكان إخوتنا في فلسطين يقاومون هذا الغزو الجديد، قاوموه سنوات وسنوات، ولكن كان هناك الانتداب البريطاني، الَّذي فُرض على فلسطين منذ سنة ١٩١٧م، ودخل القائد الإنجليزي اللنبي الشهير، وقال كلمته التاريخية: اليوم انتهت الحروب الصليبية!

كما قال زميله الفرنسي حينما دخل دمشق، ووقف أمام قبر صلاح الدين، وقال بشماتة: ها قد عدنا يا صلاح الدين[١]!

اليوم انتهت الحروب الصليبية، هكذا قال اللنبي[٢].

(١) دور نور الدين محمود في نهضة الأمة لعبد القادر أحمد أبو صيني صـ٢٢٢، رسالة دكتوراه، نشر معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا.

(٢) دروس وتأملات في الحروب الصليبية لمحمد أبو فارس صـ٣٥، نشر دار جهينة، الأردن، ط١، ٢٠٠٢م.

QaradawiBooks.com

وفي الحقيقة في هذا اليوم لم تنتــه الحروب الصليبية، بل بدأت حرب صليبية جديــدة، لا زال أوارها يعمل ويشــتعل من ذلك اليوم وإلى اليوم.

دخل الانتداب البريطاني، وكان غطاء مهمَّــا لإقامَة الوطن القومي؛ الَّذي وعد به وزير خارجيَّة بريطانيًا «بلفور» الشهير، وعد به اليهود، وهو إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين، كأنَّ فلسطين وطن بغير شعب حتَّى تستقبل شعبًا بغير وطن، وهنا قالوا: إنَّ من لا يملك وعد من لا يستحقُّ.

كاد المشروع الصهيوني أن يفشل لولا حكَّام العرب:

المهم ـ أيُّها الإخوة! ظلَّ إخوتنا في فلســطين يقاومون، وفي ســنة ١٩٣٦م أقاموا إضرابًا وعصيانًا مدنيًّا، وعطَّلوا الحياة كلَّها، وكاد المشروع الصهيوني يخفق ويفشل، لولا أنَّ بريطانيا ضغطت على الزعماء العرب، ليتدخلوا ويضغطوا على أبناء فلســطين أن يفكُّوا الإضراب، ووعدوهم أنَّهم سيحلُّون مشكلتهم.

وفُك الإضراب، ولم تُحل المشــكلة، ولم تزل المشــكلة قائمة إلى اليوم، لم تُحل المشــكلة، بل تعقَّدت وتضاعــف إثمها وخطرها، حتَّى قامت دولة الكيان الصهيوني.

رأينا ـ أيُّها الإخوة ـ مدن فلسطين وهي تسقط مدينة مدينة، كنَّا طلابًا ونبكي هذه المدن، سلام عليك يا حيفا، سلام عليك يا يافا، سلام عليك يا عكا، رأينا هذه المدن وهذه البلاد تســقط، ولا نملك في ذلك الوقت إلَّا أن نســيِّر المظاهرات، وننشــد القصائد، ونخطب الخطــب النَّارية، ونبعث بالمتطوِّعين.

QaradawiBooks.com

ذهب المتطوِّعون إلى فلسطين من أبناء الإسلام؛ من مصر، وسوريا، وبلاد شـتَّى، ولو تَركت الدول العربيَّـة الأمر للمتطوِّعيـن، وأمدُّوهم بالسِّلاح وبالخبرات، وبعض الضباط، لكان الأمر غير ما نرى.

ولكن ـ للأسـف ـ دخلت الجيوش العربيَّة السـبعة، وبعضها قاتل وأبلى بعض البلاء الحسن، وبعضها كان قواده من الإنجليز وبعضها...

المهم أنَّ الدولة الَّتي رفضها الفلسطينيون، ورفضها العرب في أوَّل الأمر قامت، قامت بمسـاعدة الإنجليز ثلاثين عامًا، كانوا يحرِّمون على الفلسطيني أن يملك أدنى سلاح، واليهود وعصاباتهم يجمعون السِّلاح، ويحشدون السِّلاح من كلِّ مكان، ويقيمون المستوطنات، مستوطنة بعد مستوطنة، بعد أن كان اليهود أقلَّ من القليل، خمسة في المائة، ثمَّ صاروا عشـرة في المائة، ثمَّ صاروا أكثر وأكثر، تكاثروا وتكاثروا، وقامت هذه الدولة، دولة إسرائيل.

كنَّا في ذلك الوقت ـ نحن العرب ـ نسمِّيها: إسرائيل المزعومة، كنتَ تقرأ في الصحف كلمة إسرائيل وبعدها «المزعومة» بين قوسين، وتسمع في الإذاعات «إسـرائيل المزعومة»، ظللنا على ذلك عدَّة سـنوات، ثمَّ خجلنا من أنفسنا وحذفنا هذه الكلمة.

كانت هذه المزعومـة تضرب هـذه الجبهة، وتركل هـذه الجبهة، وتصفع هذه الجبهة، ولا نملك نحن إلَّا الشجب والاستنكار، والشكوى إلى مجلس الأمـن، مئات الشـكاوى إلى مجلس الأمن.. تشـكو من لا يُشـكيك ولا يسمع شـكواك، ولذلك اسـتحيينا وخجلنا من أنفسنا فحذفنا كلمة: «المزعومة»، بعد أن أوشكنا أن نكون نحن المزعومين!

QaradawiBooks.com

الغرب سارع إلى الاعتراف بإسرائيل:

وفي وقت من الأوقات كان يمكن حتَّى بعد قيام إسرائيل أن ينتصر العرب عليها، ولكن ـ أيضًا ـ بضغوط بريطانية وأمريكيَّة، بريطانيا هي الَّتي خطَّطت لقيام هذا الكيان، وأمريكا هي الَّتي اعترفت به بعد دقائق، في اللحظة الأولى اعترفت أمريكا، واعترفت بريطانيا، واعترفت دول الغرب، وقالت روسيا: خُلقت إسرائيل لتبقى، الكلُّ اعترف بهذا الكيان.

ومع هذا كان يمكن الانتصار عليه في أوَّل الأمر قبل أن تتمكَّن، ولكن فَرض الغرب أن يقبل العرب الهدنة الَّتي عُرفت بهدنة «رودس»، وكانت فرصة لتلتقط إسرائيل أنفاسها، وتعيد حساباتها، وتجمع أسلحتها، وترتِّب قوتها من جديد، ويأتيها الضبّاط والجنود الَّذين كانوا يحاربون مع الحلفاء، وهم بالألوف، وكان هذا آخر فرصة للعرب في ذلك الوقت.

قامت إسرائيل منذ ذلك اليوم، وكان العرب جميعًا يقولون: إنَّ إسرائيل كيان غاصب، أخذ أرضًا لا تحلُّ له، وشرَّد شعبًا من دياره، وشتَّته في الآفاق، وإنَّ إسرائيل قامت على باطل وظلم واغتصاب؛ فلا بقاء لها في المنطقة، ولا بدَّ لهذا الكيان المغتصب أن يزول، ويعود الَّذين جاؤوا من بلاد شتَّى إلى بلادهم.

كانت هذه فلسفة العرب، وسياسة العرب إلى ما يسمَّى نكسة (١٩٦٧ حزيران يونيو ٦٧)، فتغيَّرت فلسفة العرب، وتغيَّرت سياسة العرب، وأصبحت الأهداف تنحصر في هذا الهدف: «إزالة آثار العدوان»، أي عدوان؟

QaradawiBooks.com

عدوان (٥ يونيو ٦٧)، أمَّا عدوان (سنة ٤٨)، العدوان الَّذي اغتصب أرض فلسطين، وأقام فيها الدولة الظالمة الباغية الطاغية الدخيلة؛ فسُكِت عنه.

كأنَّ العدوان الجديد أضفى الشرعية على العدوان القديم.

هذا ما حدث، لا نتكلَّم عن العدوانات القديمة، وإنَّما على الأخير في ذلك الوقت: عدوان (٦٧)، على العرب أن يزيلوا آثار العدوان.

أمَّا إسرائيل فقد أصبحت كيانًا مشروعًا في نظر العرب، وقادة العرب، في ذلك الوقت، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله.

وليت الأمر وقف عند هذا الحدِّ، إنَّ الَّذي يتنازل لا يقف عند حدٍّ؛ إنَّه يتنازل اليوم عن شبر، ثمَّ يتنازل غدًا عن ذراع، ثمَّ يتنازل غدًا عن باع، ثمَّ يتنازل ويتنازل، إلى أن لا يبقى له شيء، حتَّى حدود (٦٧) لم يعودوا يعترفون بها، لا يريدون أن يعطوا للفلسطينيين شيئًا يُذكر.

يريد شارون أن يتخلَّص من متاعبه في غزَّة فينسحب منها، أمَّا الضفة الغربيَّة، فهي جزء من دولة إسرائيل في نظره، دولة إسرائيل الكبرى، هذه الدولة الَّتي تمتدُّ من الفرات إلى النيل، وكما قال بعضهم: ومن الأرز إلى النخيل، من الأرز في لبنان إلى النخيل في المملكة السعودية.

ولا تقولوا: هذه أحلام؛ فقد كنَّا نقول عن إسرائيل في أوَّل الأمر: هذه كلُّها أحلام، ولن تستطيع أن تقيم جزيرة في بحر من العرب والمسلمين.

من جرائم شارون:

لقد أقامت دولتها، وما دام العرب والمسلمون في هذه الغفلة فلن يقف شيء أمام ما تريده إسرائيل.

QaradawiBooks.com

وأكبر شـــاهد على هـــذا وأصدق دليل علـــى ذلك: ما نـــراه اليوم، وما رأيناه بالأمس، وما نراه في كلِّ يوم ممَّا تصنعه إسرائيل.

إســـرائيل تقتل، وتدمِّر وتذبح، تَسفك الدم الحرام، وتنتهك العِرض الحرام، وتدوس المقدَّسات، وتجرف الأراضي، وتقتلع أشجار الزيتون، وتدمِّر البيوت على أهلها، وتقتل النِّساء والأطفال والشيوخ.

هذا ما تفعله إســـرائيل، ما حدث في رفح بالأمس، وما يحدث كلُّ يوم؛ وأين العرب؟ وأين المسلمون؟ وأين الأمم المتَّحدة؟ وأين مجلس الأمن؟ وأين الجامعة العربيَّة؟ وأين منظَّمة المؤتمر الإسلامي؟

إنَّهم يصمتون صمت القبور! إنَّ الشعوب العربيَّة والإسلاميَّة تتحرَّق للجهاد.

والله! كلَّما ذهبت إلى بلد يقولون: نريـــد أن نقاتل لتحرير الأقصى، لتحرير القدس، لتحرير فلسطين؛ أرض الإسراء والمعراج.

ماذا نقول لهم؟

إنهم لن يستطيعوا أن يفعلوا شيئًا.

أحد الشَّـــباب هنا في قطر جاءني وقال: أريد أن أكوِّن كتيبة لنذهب لتأييد الانتفاضة، ونقاتل في فلسطين، وهيَّأ الراية، قلت له: ومن يسمح لك بذلك؟

قال: سأكلِّم الأمير في قطر، وأكلِّم السعودية، وأكلِّم كذا.

قلت له: حتَّى لو ســـمحت لك قطر، هل تســـمح لك السعودية أن تدخل أرضها؟ هل تسمح لك الأردن أن تدخل أرضها رافعًا راية: لا إلٰه إلَّا الله محمَّدًا رسول الله، وحاملًا السيف والمدفع؟

QaradawiBooks.com

هيهات هيهات، للأسف لا تسمح دول الطوق لأحد بأن يقتحمها ويجتازها، ويذهب إلى المقاتلة مع إخوانهم في فلسطين.

وقد جرَّب الشابُّ حظَّه، وعرف أن ما قلته هو الحقُّ.

الجهاد أصبح فرض عين على الأمَّة.

أهل فلسطين الجهاد فرض عين عليهم من أوَّل الأمر، ولكن إذا عجزوا فعلى من يليهم، ثمَّ على من يليهم، ثمَّ على من يليهم، حتَّى يشمل الأمَّة كلَّها، هذا هو حُكم الفقه، وحُكم الشرع بإجماع الأمَّة؛ فالجهاد أصبح واجبًا على الأمَّة، ولكن ماذا قدَّمت الأمَّة، ونحن نرى كلَّ يوم ما نرى؟

إنَّنا نحيي إخوتنا في فلسطين، نحيي هذه البطولة الفارعة الرائعة الَّتي نراها كلَّ يوم بأعيننا، تقدَّم الشَّباب وتقدَّم الشيوخ، رأينا الشيخ أحمد ياسين والرنتيسي، والشَّباب الَّذين يُقتلون كلَّ يوم.

ونحيي شباب الجهاد، وشباب كتائب الأقصى؛ الَّذين عملوا عمليات نوعية أزعجت اليهود، وجعلت لليهود عند الفلسطينيين أشلاء يطلبونها، اليهود حريصون على ضمِّ أشلاء قتلاهم، وعلى أسراهم، والقتلى قبل الأسرى؛ هذه نظريتهم، أو عقيدتهم الدِّينيَّة، لا بدَّ أن يَدفنوا موتاهم بأيديهم.

خاب فألك يا بوش:

حيَّا الله هؤلاء الشَّباب في فلسطين، وحيَّا الله إخوانهم في العراق، حيَّا الله أبطال العراق، كما حيَّا الله أبطال فلسطين.

غير مرخصة للطباعة

العراق الَّتي كان بوش يظن أنَّها نُزهة، أنَّ الجيوش ستذهب إليها في رحلة نزهة، وأنَّ الشَّعب العراقي سيقابلهم بالأحضان، وسينثر عليهم الزهور والورود، خاب فألك يا بوش، لم تُستقبل إلَّا بالرصاص في كلِّ مكان، الشَّعب العراقي يأبى الاحتلال، ويرفض الاحتلال، إنَّه شعب عريق، شعب أبيٌّ، شعب الحضارة منذ سبعة آلاف سنة.

هذا الشَّعب يرفض أن تُداس كرامته، يرفض أن تُحتل أرضه، يرفض أن يُدنَّس عِرضه، ولذلك رفض الاحتلال، وقاوم المقاومون، قاوم الأبطال في الفلوجة، وبغداد، وبعقوبة، ومدينة الصدر، وغيرها.

قاوم هؤلاء جميعًا، وقدَّموا أروع الأمثلة، على أن إرادة الشُّعوب لا تُقهر، وأن عزيمة الجماهير لا تُقتل، وأنَّ الشَّعب كما قال الشاعر:

إذا الشَّعْبُ يومًا أرادَ الحياةَ فلا بدَّ أن يستجيبَ القَدَرْ
ولا بدَّ لليلِ أن يَنْجَلِي ولا بدَّ للقَيْدِ أن يَنْكَسِرْ[1]

لقد باء بوش بالخسران المبين، باء بالخسران حينما لم يستجب له الشَّعب العراقي؛ بل قاومه بما يستطيع من أسلحة يقدر عليها، يعلن رفض الاحتلال.

وباء بالخسران مرَّة أخرى حينما ارتكب جنوده ما ارتكبوا من فظائع مروِّعة، من شناعات يندى لها جبين الإنسان، بوش الَّذي جاء ينشر الحضارة والحرية للشعب العراقي! جاء بهؤلاء الوحوش الَّذين ارتكبوا هذه الموبقات، الَّتي يستحيي ويخجل الإنسان من مجرد النظر إليها.

(١) انظر: ديوان أبي القاسم الشابِّي صـ٧٠، قصيدة: إرادة الحياة، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط٤، ٢٠٠٥م.

QaradawiBooks.com

أين الحضارة يا بوش؟ أين التحرير الَّذي جئت به لشعب العراق؟

جئت بالدمـــار والخراب لهذا الشَّـــعب، وجئت بالخـــزي والنكال لشعبك الَّذي فعل هذه الأفعال.

يقولون: إنَّها أحداث فردية، هـــذا ما ظهر في الصحف، وما ظهر في الإعلام، وما خفي أعظم.

هذه الأشـــياء الَّتي ظهرت، وليس كلُّ من أخذ صورة بعث بها إلى الصحف، وليســـت كلُّ الحوادث أُخذت لها صور، فـــإذا كان هذا الَّذي أُخذ فماذا حدث؟

الذي حدث شـــيء فظيع، ولم يحدث للرجال فقـــط، ولكن حدث للرجال والنِّســـاء، ولكن المرأة العربيَّة المسلمة يهون عليها أن تدفن في التراب ولا تتكلَّم بهذا الكلام، وقد قالت إحدى النِّساء لأهلها وقبيلتها: اغسلوا عاركم، اضربونا بالرصاص، واقذفونا بالصواريخ، لتغسلوا عاركم.

هكذا قالت المرأة لأهلها.

تنكيس الرؤوس واجب على بوش ومساعديه:

إنَّ بوش يجب أن ينكِّس رأسه، ورامسيـــفيلد الَّذي ذهب إلى العراق ليهنئ جنوده، يجب أن ينكِّس رأسه، يجب أن يشعر بالخزي أمام هذا العار الَّذي صنعوه؛ جنود الحضارة، جنود المدنية، جنود التحرير، يفعلون هذا.

إنَّ الإســـلام يأمر بالأســـرى خيرًا؛ النَّبي ﷺ في غزوة بدر وقد أسر ســـبعين منهم فكان يوصي **بالأســـرى خيرًا**[1]؛ فكان الآسرون يخصُّون

(١) كما في حديث أبي عزيز بن عمير ـ وكان أسيرًا ـ قال: كنت في نفر من الأنصار، فكانوا إذا قدَّموا غداءهم أو عشـــاءهم: أكلوا التمـــر، وأطعموني الخبز بوصية رســـول الله ﷺ. رواه =

QaradawiBooks.com

الأسرى بأفضل الطعام، يأخذون هم لأنفسهم الطعام الأدنى، ويعطونهم الطعام الأفضل؛ عملًا بوصية رسول الله ﷺ.

القرآن يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأنفال: ٧٠]، يعني: أمره أن يتلطَّف في الكلام معهم، ويعدهم بالخير ويبشِّرهم إن أحسنوا نياتهم.

هكذا كان الإسلام، لم يرتكب المسلمون في فتوحاتهم الَّتي شرَّقت وغرَّبت أي موبقة من هذه الموبقات.

كلَّا والله، لم يعتدوا على امرأة قط، كانت النِّساء حينما تدخل الجيوش الإسلاميَّة في المدن الكبرى يقفن في الشرفات يتفرجن على هؤلاء الفاتحين؛ الَّذين لم يقف أمامهم أحد، ما فكَّر فاتح مسلم أن يعتدي على امرأة، وما كتب التاريخ ولا سجَّل التاريخ أي حادثة من هذه الحوادث.

هذه هي الحضارة، هذه هي الإنسانية، ولكنَّنا نقول: إن هذا نذير بأنَّ هذا الاحتلال لن يدوم، إنَّ هذا نذير بأنَّه زائل ـ إن شاء الله؛ لأنَّ الظلم والبغي والطغيان إذا تفاقم وتعاظم فإنَّ سُنة الله أن يأخذه أخذ عزيز مقتدر، وقد قال ﷺ: «**إنَّ الله ليملي للظالم**» يمهله «**حتى إذا أخذه لم يفلته**»[1]، ثمَّ تلا قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾ [هُود: ١٠٢].

= الطبراني في الصغير (٤٠٩)، وفي الكبير (٣٩٣/٢٢)، وحسن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٠٠٧).

(١) سبق تخريجه صـ ٨٠.

لن يضيع عند الله هؤلاء المظلومون، هذه الدماء الَّتي سُفكت، وهذه الأعراض الَّتي هُتكت، وهذه الحرمات الَّتي انتُهكت، لن تضيع، لن يضيع دعاء المظلومين، ولا دموع الباكين، لن تضيع عند الله.

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرًا فالظلم ترجع عقباه إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم[1]

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

أسأل الله تعالى أن يوفِّقنا إلى ما يحبُّ ويرضى، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدًا، وأن يجعل يومنا خيرًا من أمسنا، وغدنا خيرًا من يومنا، وأن يحسِن عاقبتنا في الأمور كلِّها.

* * *

(١) ديوان الإمام علي بن أبي طالب صـ١٨٤.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

١٣

مم يتوب الإنسان[١]؟

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

المحطَّات السابقة:

لا زال حديثنا موصولًا عن محطَّات الطريق إلى الله، تحدَّثنا عن محطَّة الفقه في الدين، محطَّة العلم والمعرفة، وهي المحطَّة الأولى في الطريق إلى الله، وتحدَّثنا في المحطَّة الثانية: محطَّة التَّوبة إلى الله تعالى، تحدَّثنا عن وجوب التَّوبة وضرورة التَّوبة، وفورية التَّوبة، وحقيقة التَّوبة وأركانها، كما تحدَّثنا أنَّ التَّوبة إنَّما تكون إلى الله، ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [النُّور: ٣١]، التَّوبة ليست إلى أحد من المخلوقين، لا إلى عالم ولا كاهن، وإنَّما توبتك فيما بينك وبين ربِّك.

التَّوبة: هي الرجعة إلى الله بعد الشرود، والتَّوبة كما أنَّها إلى الله؛ هي لله، يجب أن تكون التَّوبة لله.

ما هو باعثك الأوَّل على التَّوبة؟

لماذا تتوب؟ لتغتني من فقر؟ لتصحَّ من سقم؟ لتحقِّق هدفًا دنيويًّا؟

(١) أُلقيت بمسجد عمر بن الخطَّاب بالدوحة في ٢ ربيع الثاني ١٤٢٥هـ الموافق ٢١ مايو ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

لا؛ ينبغي أنْ يكون هدفك ربانيًّا، هذا هو باعثك الأوَّل على التَّوبة «أن تكون التَّوبة لله».

لا ينبغي أنْ تكون غايات ولا بواعث ماديَّة، يجب أنْ يكون باعثك الأوَّل: ابتغاء مرضاة الله، الرغبة في مثوبة الله، الخوف من عقوبة الله.

التَّوبة عبادة، والعبادات يجب أن تخلص لله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البيِّنة: ٥].

مم يتوب الإنسان؟

عرفنا ـ فيما سبق ـ إلى من يتوب الإنسان! يتوب إلى الله، ولكن مم يتوب؟

الإنسان يتوب من الخطايا والذنوب، الإنسان يتوب من خطاياه وذنوبه، يريد أن يتطهَّر، من وقَع في الذنوب كأنَّما تمرَّغ في الطين والأوحال؛ فهو يريد أن يغتسل من أوساخه، ويتطهَّر من أدرانه، ولا يكون ذلك إلَّا بالتَّوبة.

فليحذر الإنسان الذنوب؛ فهي السمُّ القاتل، وهي النَّار المحرقة، وهي الخطر المحيط بالإنسان.

الذنوب، إيَّاك أن تستصغر الذنوب أو تستقلَّها، إيَّاك ثمَّ إيَّاك.

إنَّ الله تعالى لم يسامح آدم عليه السلام؛ آدم الَّذي خلقه بيديه، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، لم يسامحه في لقمة أكلَها من شجرة نُهي عنها. يقول الشاعر الصالح[1].

(١) هو الشاعر: محمود الورَّاق. انظر: العقوبات لابن أبي الدنيا (١١٠)، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، نشر دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

يـــا ناظـــرًا يرنـــو بعينـــي راقد ومشـــاهدًا للأمـــر غير مشـــاهد!
تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي درك الجنـــان بها وفـــوز العابد!
أنســـيت أنَّ الله أخـــرج آدمًـــا منهـــا إلى الدُّنْيـــا بذنب واحد؟!

بذنب واحد خرج آدم من الجنَّة، وهبط إلى الأرض، لم يســـامح الله آدم في لُقمة.

ولم يسامح نوحًا ـ شيخ المرسلين، من أولي العزم ـ لم يسامحه في كلمة حين أراد أن يشـــفع لابنه الكافـــر ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ [هُود: ٤٥]، فكان الردُّ الإلٰهي الحاسم ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [٤٦، ٤٧].

أنواع الذنوب ومراتبها:

احـــذر الذنوب، وتفقَّه فـــي حقيقة الذنـــوب، ومراتب الذنوب، وأنواع الذنوب.

الذنوب تتنوع إلى أنواع كثيرة من حيث حقيقتها، ومن حيث مكانها، ومن حيـــث زمانها، ومن حيث هـــي ظاهرة أو باطنـــة، ومن حيث هي حقوق للنَّاس، أو حقوق لله، ومن حيث هي قاصرة أو متعدية، منتهية أو ممتدة، ومن حيث هي صغائر أو كبائر.

لا بدَّ أن تتفقَّه في هذه الذنوب، وتعـــزم إذا كنت تائبًا حقًّا وأوابًا لله حقًّا؛ تعزم أن تتخلَّى عن الذنوب كلِّها، ولكن لا بدَّ أن تتعلَّم أيُّها أشـــدُّ خطرًا، وأيُّها أقلُّ خطرًا.

QaradawiBooks.com

ترك المأمور أشدُّ من فعل المحظور:

الذنوب تنقسم إلى أقسام كثيرة؛ فمن الذنوب ما يُعتبر من باب ترك المأمور، وما يُعتبر من باب فعل المحظور، وأكثر النَّاس لا يعرفون إلَّا أنَّ الذنب هو فعل المحرَّم، وينسون أنَّ أهمَّ وأخطر من فعل المحرَّم: ترك ما أمر الله به، وما أوجبه الله، وألزم به عباده.

فإنَّما خلق الله النَّاس ليعبدوه، وليقوموا بأمره، فإذا تركوا ما أُمروا به؛ فقد ألغوا مهمَّتهم، ونسوا غايتهم الأولى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذَّاريات: ٥٦ ـ ٥٨].

كانت معصية آدم فعل محظور، وكانت معصية إبليس ترك مأمور؛ لأنَّ الله لما أمره أن يسجد لآدم ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾ [البقرة: ٣٤]، وقال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]، ترْك المأمور أخطر من فِعل المحظور.

تفاوت المتروك في الخطورة:

وترْك المأمور يتفاوت؛ فترك الفرائض الركنية أشدُّ وأخطر ممَّن ترك الواجبات العادية، ولذلك كان ترك الصَّلاة، ومنع الزَّكاة، وترْك صوم رمضان، وترْك حجِّ البيت لمن استطاع إليه سبيلًا، من أخطر الذنوب والمعاصي.

حكم ترك الصَّلاة:

حتَّى إنَّ هناك من العلماء من كفَّر تارك الصلاة.

الجميع يكفِّرون تارك الصلاة إذا تركها منكرًا لوجوبها وفرضيتها، أو مستخفًّا بمكانتها وحُرمتها، أو مستهزئًا بها كالذين قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ٥٨].

QaradawiBooks.com

هؤلاء كفَّار بالإجماع.

أمَّا من تركها تهاونًا وكسلًا، وانشغالًا بعمل الدنيا، وحبّ الدنيا؛ فهذا الَّذي اختلف فيه العلماء: أهو كافر أم فاسق؟

والمشـــهور عن الإمام أحمد، وعن عدد من علماء السلف: أنَّه كافر، خارج من الملَّة.

ولكن جمهور الأئمَّة يقولون: إنَّه فاســق، وهل كلمة فاسق هذه هيِّنة ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ [السَّـجدة: ١٨]، ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات: ١١].

فاسق، ما عقوبته؟

الإمام مالك والإمام الشافعي يقولان: عقوبته أن يُقتل.

والإمام أبو حنيفة يقول: عقوبته أن يُحبس، ويُضرب ضربًا شـــديدًا؛ حتَّى يسيل منه الدم إلى أن يصلي، أو يعِد بالصَّلاة[1].

ترْك الصَّلاة من الكبائر؛ ولذلك القــرآن اعتبر أنَّ التثاقل عن الصَّلاة من صفات المنافقين الَّذين وصفهم بأنَّهم ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النِّساء: ١٤٢].

واعتبر تأخير الصَّلاة والسهو عنها حتَّى يفوت وقتها من أسباب الويل والعذاب ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤، ٥]، أي: يسهون ويتشاغلون عنها، حتَّى يمضي وقتها.

(١) لنا فتوى نتحدَّث فيها بالتفصيل عن حكم تارك الصــلاة وأقوال العلماء فيه، راجع: فتاوى معاصرة (٢٠٥/١) وما بعدها، نشر دار القلم، الكويت، ط ٥، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

QaradawiBooks.com

أيُّها الإخوة، ترْك الصَّلاة ومثله: منْع الــزَّكاة ـ الصَّلاة عمود الدين، والزَّكاة قنطرة الإســلام ـ وتــرْك صيام رمضان، وترْك حــجِّ البيت لمن استطاع إليه سبيلًا، هذا الترْك من أعظم الكبائر، وأخطر الخطايا، فلا بدَّ للإنســان الَّذي يريد الرجعة إلى الله، والتَّوبة إلى الله، أن يحذر من ترْك ما أمر الله تعالى، أخطر المعاصي تُعتبر من باب ترْك المأمور.

عقوق الوالدين ما هو؟

هو عبارة عن ترْك ما أمر الله به من برٍّ للوالدين.

قطيعة الأرحام ما هي؟

هي ترْك ما أمر الله به من صِلة الأرحام، والإحسان بذوي القربى.

المعاصي: ترك مأمور أو فعل محظور.

فعل المحظورات ارتكاب ما نهى الله تعالى عنه، وقد بيَّن لنا الشارع الحكيم ما حرَّمــه علينا، وقال النَّبــي ﷺ: «**الحلال بيِّــن والحرام بيِّن وبينهما مشــتبهات، لا يعلمهن كثير من النَّاس، فمن اتقى الشُّبهات فقد استبرأ لدينه وعِرضه، ومن وقع في الشُّــبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى، يوشك أن يرتع فيه**»[1].

هكذا ـ أيُّها الإخوة ـ الحلال بيَّنــه الله لنا، والحرام بيَّنه الله لنا، ومن نعمة الله علينا: أنَّ الحلال لا يُحصر؛ كلُّ ما خلق الله حلال، ولكن الحرام هو المحدود والمعدود؛ يمكن أن نعــدَّ المحرَّمات، ولكن لا يمكن أن نعدَّ الحلال؛ لأنَّ الأصل في الأشياء والتصرُّفات الحلُّ، ﴿**هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا**﴾ [البقرة: ٢٩].

(١) سبق تخريجه صـ ٢١٢.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخطايا الظاهرة والباطنة:

تنقسم الذنوب والخطايا إلى: فِعل محظور وترْك مأمور، وتنقسم الذنوب والخطايا ـ أيضًا ـ إلى: خطايا ظاهرة وخطايا باطنة، إلى معاصي جوارح ومعاصي قلوب.

١ ـ خطايا الجوارح:

وأكثر النَّاس يهتمُّ بالمعاصي الظاهرة، بمعاصي البدن والجوارح، ولا يلتفت إلى معاصي القلوب، وخطايا القلوب، وهي الأشدُّ خطرًا، والأبعد أثرًا.

خطايا الجوارح ما نؤدِّيه بجوارحنا.

خطايا العين: أن تنظر إلى العورات، أو تنظر بشهوة إلى امرأة لا تحلُّ لك.

خطايا الأذن: أن تستمع إلى ما حرَّم الله ممَّا لا يجوز أن يُسمع من: الغيبة، أو النميمة، أو الأغاني الخليعة، أو غير ذلك.

خطايا اللسان: أن تتكلَّم بما يُغضب الله من: الكذب، والنميمة، والغيبة، والسخرية بخلق الله، وهذه الأشياء الكثيرة، الَّتي أوصلها الإمام الغزالي إلى عشرين آفة.

خطايا اليد: أن تمدَّ يديك لتأخذ ما ليس لك، أو تضرب إنسانًا بغير حقٍّ، أو تعتدي على غيرك.

خطايا الرِّجل: أن تمشي إلى معصية الله، أو تسافر إلى معصية الله.

خطايا البطن والفرْج: أن تأكل ما لا يحلُّ لك، تأكل ممَّا حرَّم الله، أو

QaradawiBooks.com

تشـــرب الخمر، أو تُدخل بطنك لُقمة لا تحلُّ لك، فتنبت من جســـدك قليلًا أو كثيرًا، و«**كلُّ لحم نبت من سُحت فالنَّار أولى به**»[١].

خطايا شـــهوة الفـــرج أن تشـــتهي ما لا يحلُّ لـــك ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: ٥، ٦]، الزنى، وفِعل الفاحشة: اللواط، والشذوذ الجنسي.

كلُّ هذه معاصي الجوارح.

٢ ـ خطايا القلوب:

وهناك المعاصـــي الأخرى؛ الَّتي تـــودي بالقلب، وهـــي المعاصي الخطيرة: الكِبر، الحقد، الحســـد، الغرور، الإعجاب بالنَّفس، الاحتقار للغير، العداوة والبغضاء، الرياء، حبُّ الدنيا، حبُّ المال.

كلُّ هذه من أعمال القلوب المهلكة.

النَّبي ﷺ يقول: «**بحسب امرئ من الشـــرِّ أنْ يحقر أخاه المسلم**»[٢] تنظر إليه باحتقار.

هذه معصية من معاصي القلوب.

ويقول ﷺ: «**لا يدخـــل الجنَّة من كان في قلبه مثقـــال ذرَّة من كِبر**»[٣] لا يدخل الجنَّـــة؛ لأنَّ الجنَّة لا يدخلها إلَّا الطيبـــون، وهذا الخبيث خبثت نفسه بالكِبر، نازع الله في ردائه؛ رداء الكبرياء، وأراد أن يتألَّه على خلْق الله.

---

(١) رواه أحمد (١٤٤٤١)، وقال مخرِّجوه: إســناده قوي على شرط مســلم. والترمذي في السفر (٦١٤)، وقال: حسن غريب. وابن حبان في الصلاة (١٧٢٣)، عن جابر بن عبد الله.

(٢) سبق تخريجه صـ ٢٤٥.

(٣) سبق تخريجه صـ ٢٤٥.

QaradawiBooks.com

الرياء، إذا أدَّى الإنسان صلاة، أو صيامًا، أو عتقًا، أو غير ذلك من الصالحات، ولم يكن يريد بها وجه الله؛ إنَّما يريد أنْ يراه النَّاس، ويقولوا عنه: إنَّه من الصالحين. هنالك أُحبط عمله، هنالك يقول الله له: ليس عندي لك أجر؛ فإنَّك لم تعمل لي، عملت للنَّاس، اذهب فخذ أجرك ممَّن عملت له[1].

هذه أعمال القلوب ومعاصي القلوب الَّتي تعشِّش في صدور النَّاس، ولا يهتمُّ النَّاس بها.

قد ترى الإنسان مصليًا وصائمًا وحاجًّا ومعتمرًا كلَّ رمضان، ولكنَّه يمشي بين النَّاس وقلبه مشحون بخطايا القلوب؛ بالغرور، بالعُجب، بالرياء، بالكِبر، باحتقار خلق الله... هذا هو الخطر الأكبر.

خطايا القلوب أشدُّ خطرًا لأسباب ثلاثة:

معاصي القلوب ـ أيُّها الإخوة ـ أشدُّ خطرًا من معاصي الجوارح والأبدان، لماذا؟

السبب الأوَّل:

لأنَّ القلب هو حقيقة الإنسان، الإنسان ليس هو هذا الغلاف الطيني، حقيقة الإنسان هو كيانه الروحي، الَّذي لا تراه العين، وإنَّما هو بشيء يعرفه أولو البصائر، لا أولو الأبصار.

(١) إشارة إلى الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشِّرك؛ فمن عمل لي عملاً أشرك فيه غيري، فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك». رواه أحمد (٧٩٩٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وابن ماجه في الزهد (٤٢٠٢)، وابن خزيمة في الصلاة (٩٣٨)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

حقيقة الإنسان هو هذا القلب، أو هذه النَّفس الإنسانية، أو هذا الفؤاد ـ سمِّه ما تسمِّيه ـ هو الَّذي جاء فيه الحديث: «**ألا إنَّ في الجسد مضغة إذا صلَحت صلَح الجسد كلُّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلُّه، ألا: وهي القلب**»[(١)]، ويقول النَّبي ﷺ: «**إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»[(٢)]، ويقول القرآن على لسان سيِّدنا إبراهيم في دعائه: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٧ ـ ٨٩].

ما هو القلب السليم؟

القلب السليم هو: القلب السليم من الشِّرك، والقلب السليم من النِّفاق، والقلب السليم من الأمراض الخطيرة، من: الكِبر، والحسد، والرياء، والعُجب، والغرور، هذا القلب السليم هو الناجي يوم القيامَة، ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشُّعراء: ٨٩]، لا ينفعك مال ولا ينفعك بنون؛ ولكن تنفعك هذه العدة، قلبك السليم.

فاحذر على قلبك، وتحرَّ دائمًا أن تفتِّش عن هذا القلب، وتعرف ما أصابه ليبقى طاهرًا غير ملوَّث، مستقيمًا غير منحرف، هذا هو الأمر الأوَّل في خطورة الأعمال الباطنة، معاصي القلوب.

السبب الثاني:

والأمر الثاني: أنَّ كلَّ المعاصي الظاهرة وراءها مُحرِّك من أعمال القلوب؛ كما أنَّ الطاعات لا تقبل إلَّا بعمل قلبي؛ هو النية الخالصة، فإنَّ

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المساقاة (١٥٩٩)، عن النعمان بن بشير.
(٢) رواه مسلم في البرِّ والصِّلة (٢٥٦٤)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وراء المعاصي محـــرِّكًا قلبيًّا، الَّـــذي يغتاب النَّاس، أو ينـــمُّ عليهم، أو يحتقرهم، أو يسخر منهم، أو يســـبُّهم؛ وراء ذلك محرِّكات من بواعث النَّفس، واتباع الهوى.

هذه هي الخطيرة الَّتي سمَّاها الإمام الغزالي في «إحيائه»: المهلكات، أخذ هذا من الحديث الشريف: «**ثلاث مهلكات: شحٌّ مطاع، وهوًى متَّبع، وإعجاب المرء بنفسه**»[1].

كلُّ هذه من معاصي القلوب الخطيرة، الَّـــذي يدفع كثيرًا من النَّاس إلى المعاصي الظاهرة، معاصي قلبية: حسد، كِبر، غرور.

الاســـتكبار على النَّاس؛ يتحدث عنهم، يغتابهم، يتكلَّم عنهم كأنَّما هم ليسوا بشـــرًا، كأنَّه من مِســـك وهم من طين، أو كأنَّه خُلق من ذهب وهم خُلقوا من تراب! الكِبر.

وهكذا كثير مـــن المعاصي ما يكـــون وراءها محرِّكات نفســـيَّة من معاصي القلوب.

السبب الثالث:

وهناك أمر ثالث: أنَّ المعاصي الظاهرة ســـرعان ما يتوب الإنســـان منها؛ لأنَّها واضحة له.

أمَّا معاصي القلوب فكثيرًا ما لا تبين لأصحابها، ولا تنكشـــف لهم بوضـــوح، فيســـتمرُّون فـــي غلوائهـــم، ويســـتمرئون ذنوبهـــم الباطنة،

(١) رواه البزار (٦٤٩١)، والطبراني في الأوســـط (٥٤٥٢)، وحسَّـــنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٠٣٩)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

ولا يستجيبون لقول الله تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٠].

ولهذا نرى كثيرًا ممَّن يُبتلون بالمعاصي الظاهرة يتوبون منها، أمَّا الَّذين يُبتلون بالمعاصي الباطنة فقلَّما يتوبون منها.

وهكذا رأينا آدم عليه السلام الَّذي ارتكب معصية ظاهرة؛ بالأكل من الشجرة، سرعان ما قرع باب ربِّه تائبًا، وقال هو وزوجه: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وسرعان ما جاءه الردُّ الإلٰهي ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].

أمَّا إبليس الَّذي كان وراء معصيته الحسد والكبر، حسد آدم على ما آتاه الله على فضله، فأبى أن يسجد له، واستكبر وتمرَّد على ربِّه، هذا إبليس ظلَّ في سوئه ومعصيته، وقلَّة أدبه مع ربِّه، وتحدَّى الألوهية، وقال لربِّه حينما سأله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ [صٓ: ٧٥] قال بكلِّ كبر: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [صٓ: ٧٦]، فكان الردُّ الحاسم: ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [صٓ: ٧٧، ٧٨].

ولذلك إذا كانت عاقبة آدم ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]، فإنَّ عاقبة إبليس ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [صٓ: ٧٧، ٧٨].

علينا ـ أيُّها الإخوة ـ أن نتطهَّر من الذنوب كلِّها، ظاهرها وباطنها، ما كان منها من ذنوب الجوارح، وما كان منها من ذنوب القلوب، على أن نتفطَّن ونتنبَّه دائمًا أنَّ معاصي القلوب هي الأشدُّ خطرًا، والأبعد أثرًا.

QaradawiBooks.com

المعاصي كالطاعات: منها القاصر والمتعدي:

والمعاصي ـ أيُّها الإخوة ـ تنقسم إلى نوعين: نوع قاصر، ونوع متعد.

هناك معاصي قاصرة على أصحابها، مثل: الطاعات.

هناك طاعة يفعلها الإنسان لنفسه؛ يسبِّح الله، ويحمده، ويكبِّره، ويستغفره، ويتلو كتابه، ويقيم صلاته، ويتابع صيامه.

هذه طاعة قاصرة.

وهناك طاعة متعدِّية؛ كأن تفعل الخير، وتنفق مالك في سبيل الله، وتؤدِّي خدمات للنَّاس؛ تُغيث الملهوف، تمسح دمعة المحزون، تفرِّج كربة المكروب، تعين على خير.

كذلك المعاصي؛ هناك معاصي قاصرة، كأن يشرب الإنسان خمرًا إذا كان ماله يحتمل هذا؛ ولا يتسبَّب ذلك في ضياع حقٍّ لأولاده، أو لأسرته.

هناك من يرتكب أشياء؛ آذى نفسه، آذى حيوانًا، هذه كلُّها من حقوق الله تعالى لم تتعلَّق بحقِّ مخلوق، والتَّوبة من هذه سهلة.

حقوق الله مبنيَّة على المُسامحة، وحقوق العباد مبنيَّة على المُشَاححة:

نعم أيُّها الإخوة: التَّوبة من هذه المعاصي سهلة؛ لأنَّك تتوب فيما بينك وبين الله تعالى، فيقبل توبتك.

المشكلة فيما كان بينك وبين عباد الله، بين إخوانك من البشر، هؤلاء ليس من السهل أن يتنازلوا عن حقوقهم، لذلك قال العلماء: حقوق الله مبنيَّة على المسامحة وحقوق العباد مبنيَّة على المشاححة، كلُّ إنسان شحيح بحقِّه ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٠]، ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ [النساء: ١٢٨].

QaradawiBooks.com

الإنسان وخصوصًا يوم القيامَة لا يتنازل لأحد عن حسنة واحدة؛ ولا لأمِّه، وأبيه، ولا لصاحبته وبنيه ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧]، ﴿يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [لقمان: ٣٣]، يوم الأنانية والفردية المطلقة؛ لأنَّ كلَّ إنسان يقول: نفسي نفسي، ربَّما نقص ميزان حسناتي حسنة واحدة، فمن أين آتي بها؟

لا يستطيع أحد أن يسلِّفك حسنة، ولذلك كلُّ إنسان حريص على ما عنده.

ومن هنا كانت أهميَّة حقوق العباد، إيَّاك وحقوق العباد، أن تعتدي عليهم في نفس أو مال، أن تعتدي عليهم بلسان أو يد، ولو كانت كلمة صغيرة؛ رأينا أنَّ النَّبيَّ ﷺ حينما قالت عائشة عن ضرَّتها صفيَّة بنت حُيَي: ما يُعْجِبُكَ منها يا رسولَ الله وإنَّها... ولم تكمل الجملة، ولكن أشارت بيديها إلى أنَّها قصيرة القامَة. فماذا قال النَّبيُّ ﷺ؟!

قال: «**يا عائشة، لقد قلتِ كلمةً لو مُزِجَتْ بماء البحر لمزجته**»[(١)].

كلمة تُعَكِّر بحرًا، وهي نصف جملة مكملة بالإشارة.

كم منَّا يتكلَّم بمئات الكلمات، وآلاف الكلمات كلَّ يوم، ويدع لسانه كالمنشار؛ «يقطع وهو طالع، ويقطع وهو نازل» يتكلَّم عن النَّاس ولا يبالي، ولا يعرف أنَّ هذا اسمه في الشرع الغِيبَة، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**الغِيبَة أن تذكر أخاك بما يكره**» سواء كان هذا في جسمه، في ملبسه، في مأكله، في شيء يخصُّه، بحيث إذا سمعه يستاء منه ويكرهه. قالوا: يا رسولَ الله، أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ ـ أنا أقول: هو أعور وهو أعور، قصير وهو قصير، جاهل وهو جاهل ـ قال:

(١) سبق تخريجه صـ ٢١٩.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

«**إن كان في أخيك ما تقول فقد اغتبتُه**» ـ تكلَّمت بما يسوؤه همَزته ولمزته ـ «**وإن لم يكن في أخيكَ ما تقول فقد بهتَّه**»[(١)] ارتكبت عليه بهتانًا، قد بهتَّه، انظروا...

ومن المعروف أنَّ السامع شريك المغتاب، قد لا تكون أنت المغتاب، ولكنَّك تجلس في مجلس جعلوا الغَيْبة فاكهتهم، الحديث عن فلانة وفلان، هذه فاكهة المجالس، السامع فيها شريك المغتاب:

وسمْعَكَ صُنْ عن سَمَاعِ القَبِيحِ كصونِ اللِّسَانِ عن النُّطْقِ بِهْ
فإنَّكَ عند سَمَاعِ القَبِيحِ شريكٌ لقائله فانْتَبِهْ[(٢)]

يا أيُّها الإخوة، حقوق العباد الَّتي تتعلَّق بالعِرض، بالكرامَة، إذا مسست كرامَة إنسان، أو تكلَّمت عنه بسوء، أو بمجرد سوء الظن، لم تتحقَّق من الواقعة، ولكن بما تزعم لنفسك من ذكاء، وما تدَّعيه من أنَّك سيِّد العارفين، وأنَّك وأنَّك... تتهم النَّاس بغير بيِّنة، والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، وهذه أشياء يترتَّب بعضها على بعض، الإنسان يسيء الظن بالآخرين، فيتجسَّس عليهم، ثمَّ يترتَّب على ذلك أن يغتابهم، ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾.

حقوق العباد ـ أيُّها لإخوة؛ وخصوصًا الحقوق الماليَّة، التَّوبة ممَّا بينك وبين الله سهلة، إذا صحَّ ندمك، وصدق عزمك، ولكنَّ الخطر كلَّ

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٨٩)، وأحمد (٨٩٨٥)، عن أبي هريرة.
(٢) من شعر محمود الورَّاق. انظر: محاضرات الأدباء (٩٧/١).

QaradawiBooks.com

الخطر، فيما بينك وبين عباد الله، فيما لهم من حقوقٍ وحُرمات، إنَّها مصونة في شرع الله.

ماذا تفعل إذا أردت التَّوبة وللنَّاس عندك حقوقٌ كثيرة؟

آذيتَهم بلسانك، وآذيتَهم بيدَيْك، وآذيتَهم بأخذ أموالهم، وأكل حقوقهم، دون أن تردَّها، ماذا تفعل في هذا كلِّه؟

ما أخيبَ هذا الإنسان!

إنَّ النَّبيَّ ﷺ يحثُّنا على أن نتحرَّر من هذه الأوزار قبل يوم القيامَة قال: «**إذا كان لأحدكم عند أخيه مَظْلَمة، فليتحلَّلْ منها قبل أن يأتي يومٌ لا درهم فيه ولا دينار**»[(١)]، وإنَّما يتعامل النَّاس بالحسنات والسيِّئات.

العُملة الوحيدة يوم القيامَة هي: الحسنات والسَّيِّئات، ليس عند أحد لا ريالات، ولا جنيهات، ولا دولارات، إنَّما يتعامل النَّاس بالحسنات والسيِّئات، فمن كان له حقٌّ على أحدٍ يأخذ من حسناته حتَّى يستوفي؛ فإذا لم تكفَّ حسناته، وبقي له حقٌّ، يطرح من سيِّئاتهم عليه، حتَّى يَرْدى في النَّار، وبئس القرار.

وهذا هو الَّذي سمَّاه النَّبي ﷺ المُفْلِس، «**أتدرون من المفلس؟**»

فقالوا: المفلس فينا يا رسولَ الله من لا درهمَ له ولا متاع.

قال: «**المُفْلِس من يأتي يوم القيامَة بصلاة، وصيام، وزكاة، وحجٍّ، ولكنَّه ضرب هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، فيأخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناته حتَّى لا يبقى له شيء، ثمَّ يطرحون من سيَّئاتهم عليه؛ حتَّى يلقى في النَّار**»[(٢)].

(١) رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٩)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في البرِّ والصِّلة (٢٥٨١)، وأحمد (٨٠٢٩)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

كان لهذا الرجل رصيد كبير من الطاعات والحسنات، ضاع هذا الرصيد كلُّه، وبقي صفرًا، وليته بقي عند الصفر؛ أصبح دون الصفر؛ لأنَّه بعد أن انتهت حسناته، أضافوا من سيِّئاتهم عليه.

ما أخيب هذا الإنسان؛ ما أحمقه، ما أضلَّ سعيه! تعمل الحسنات، وتضيِّعها بجنايتك على حقوق النَّاس، حتَّى إنَّ النَّبيَّ ﷺ يقول: «**يُغفر للشهيد كلُّ ذنب إلَّا الدَّيْن**»[١].

إذا كان على الشهيد دَيْن لأحد؛ فإنَّ الشهادة تُطَهِّره من كلِّ شيء إلَّا الدَّيْن؛ لأنَّه حقٌّ يتعلَّق بالبشر، لذا قال رسول الله ﷺ حين سئل: أرأيتُ إن قُتِلْتُ في سبيل الله؛ تُكَفَّر عنِّي خطاياي؟

قال: «**نعم تُكَفَّر عنكَ خطاياك**».

ثمَّ ولَّى الرجل، ومشى خطوات، فاستدعاه النَّبيُّ ﷺ وقال: «**عُدْ، ماذا قلتَ آنفًا؟**» قال: قلت: لك كذا وكذا يا رسولَ الله. وقلتُ: تُكَفَّر عنِّي خطاياي؟ قال: «**تُكَفَّر عنك خطاياك، إلَّا الدَّين، أخبرني جبريل بذلك**»[٢]، يعني: جبريل عليه السلام نزل يصحِّح للنَّبي الفتوى الَّتي أفتى بها هذا الرجل: أنَّ الشهادة في سبيل الله وهي أعلى ما يتمنَّاه الإنسان. الشهادة في سبيل الله تكفِّر كلَّ الخطايا صغائر وكبائر؛ إلَّا ديون العباد.

جاء في الحديث أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان مع أصحابه يومًا، فقال: «**سبحان الله! سبحان الله، ماذا أُنزل من التشديد؟**» فسألوه بعد ذلك: يا رسولَ الله، لماذا قلت: ماذا أنزل الله من التشديد، في أيِّ شيء؟

---

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٨٨٦)، وأحمد (٧٠٥١)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه مسلم في الإمارة (١٨٨٥)، وأحمد (٢٢٥٨٥)، عن أبي قتادة الأنصاري.

غير مرخصة للطباعة
نسخة عليه
QaradawiBooks.com

قال: «**التشـــديد في الدَّيْن؛ فوالَّذي نَفْســـي بيده لو أنَّ رجلًا قُتل في سبيل الله، ثمَّ أُحْيِي، ثمَّ قُتل في ســـبيل الله، ثمَّ أُحْيِي، ثمَّ قُتل في سبيل الله، لن يدخل الجنَّة حتَّى يقضي دَيْنَه**»[(١)].

انظر إلى أيِّ حدٍّ، حتَّى لو قُتل في سبيل الله مرَّات.

هذا يدلُّ على أهميَّة حقوق العباد وخطرها.

معنى: «تستحلُّهم»:

فيا أخي المســـلم، انظر في أمرك، انظر في حساباتك، في سجلاتك، ماذا عليك من حقوق للعباد؟ هذه الحقوق هل يمكن أن تستحلَّ أصحابها؟

معنى تســـتحلُّهم، أي: تطلب منهم أن يحلُّوك منها، أن يسامحوك، وأجرهم علـــى الله تعالى، وكثير من النَّاس ســـيقول: ســـامحناك ابتغاء ما عند الله تعالى، إذا اســـتطعت ذلك فافعل، فإن لم تستطع فحاولْ أن تردَّ هذه الحقوق.

يأكلون في بطونهم نارًا:

إيَّاك أن تكون ظلمت أجيرًا، ظلمتَ عامـــلًا عندك، أخذت ما ليس لك، أمَّا الَّذين ينهبون أموال النَّاس بالباطل باســـم العمولات، والهدايا، ويأكلون الملايين، ويبنون القصور؛ فهؤلاء لهم أمر آخر ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النِّســـاء: ١٠]، حاول ألَّا يدخل جيبك إلَّا درهم حلال، وألَّا يدخل بطنك إلَّا لقمة حلال.

الحلال هو سبيلك إلى الجنَّة، والحرام هو سبيلك إلى النَّار.

---

(١) رواه النسائي في البيوع (٤٦٨٤)، والحاكم (٢٤/٢)، وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٨٠٤)، عن محمد بن جحش.

QaradawiBooks.com

فيا أيُّها الإخوة المؤمنون، تفقَّهوا في أمر الذنوب والخطايا، لا تتركوا الأمر على عواهنه.

الأمر يحتاج منَّا إلى بصيرة ويقظة، لا تعتبر هذا أمرًا هينًا، يصبح الصباح عليك كلّ يوم فتهتمّ بأمر دنياك، وماذا ستكسب وماذا ستخسر؟ وماذا ستأكل؟ وماذا ستشرب؟ وماذا ستلبس؟ وستقابل فلانًا وستقابل علانًا.

تهتمُّ بأمر دنياك، ولا تهتمُّ بأمر آخرتك! ولا تدري هل تبقى إلى المساء أو لا تبقى؟ هل يُصبح عليك صباح اليوم التالي أو لا يُصبح؟

فبادر بالتَّوبة؛ التَّوبة الحقيقيَّة الَّتي تغتسل منها ذنوبك، وتتطهَّر من خطاياك، وتلقى الله تعالى مفلحًا كما قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النُّور: ٣١].

أقول قولي هذا، وأستغفر اللهَ تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

عصر المآسي:

لا زلنا نعيش في عصر المآسي، مآسي المسلمين، ولكلِّ أمَّة عصر، وهذا ليس عصر الأمَّة الإسلاميَّة، هذا هو عصر المظالم والمآسي على الأمَّة الإسلاميَّة، العصر الَّذي استأسد فيه علينا من استأسد، وتعزَّز علينا من تعزَّز، تجرَّأ علينا الجبان، وتعزَّز علينا الذليل.

أصبحنا نواجه كلَّ يوم مأساة بعد مأساة، وكارثة بعد كارثة، لا نكاد نشيِّع الشهداء؛ إلَّا استقبلنا شهداء آخرين، بالعشرات في فلسطين الحبيبة العزيزة، وفي رفح الغالية، وفي العراق؛ في بغداد، في كربلاء، في الفلوجة، أربعون قتيلًا في مدينة القائم، قُتلوا وهم يقيمون عرسًا؛ تحوَّل العرس إلى مأتم، وزعم الأمريكان أنَّهم لم يكونوا في عرس، والنَّاس يشهدون أنَّ العرس كان قائمًا، قالوا: إنَّهم متسلِّلون جاؤوا من الخارج، وقد عرفنا الكذب عند هؤلاء، إنَّهم يواجهون مأساة في العراق.

أبو زيد «الأمريكاني» يعترف:

العراق الَّذي استبسل في مقاومتهم، وشهد جنرالهم: «أبو زيد الأمريكاني» وليس «أبو زيد الهلالي»، قال أمام الكونجرس: إنَّ القوَّة العالميَّة العظمى تواجه معركة صعبة ومريرة؛ ضد عدو صبور ومقيت.

هكذا اعترف هذا الجنرال: أنَّهم يواجهون معركة صعبة ومُرَّة، أمام عدو مرابط مصابر صبور.

QaradawiBooks.com

وستزداد المعركة ضدهم يومًا بعد يوم، ولذلك يشفون غليلهم في مثل هذا؛ في ضرب هؤلاء المدنيِّين الَّذين يقيمون الأعراس.

دم المسلم بثلاثمائة دينار!

يفعلون هذا في العراق، كما ضربوا قبل ذلك في أفغانستان، وعوَّضوا المقتولين في العرس كلَّ واحد بثلاثمائة دينار، كأنَّه خروف أو أرنب أو دجاجة، ثلاثمائة دينار!

هؤلاء الَّذين يفعلون ذلك هم الَّذين ارتكبوا الفضائح؛ الَّتي هزَّت ضمير العالم كلِّه، الفضائح الَّتي يندى لها جبين أي إنسان عنده ذرَّة من حياء، أو مسكة من ضمير[١].

هؤلاء الَّذين حاكموا أحدهم فحكموا عليه باثني عشر شهرًا، كأنه ارتكب مخالفة مرور، أو جُنحة بسيطة.

هذه الفضائح الَّتي رأيناها ولم نستطع أن نمعن النظر فيها؛ لأنَّها مناظر تقزِّز الأنفس، يخجل منها الكريم، هذه المناظر الَّتي رأينا ليست هي كلَّ ما حدث، فليس كلُّ ما حدث صُوِّر، وليس كلُّ ما صوِّر نشر.

يحكمون في محكمتهم باثني عشر شهرًا على جندي، المسألة ليست مسألة جندي انحرف؛ إنَّ الجندي إنَّما يفعل بأمر قادته، ولو لم يعلم أنَّه بهذا يرضي قادته ما فعل هذا.

هل يكون الخصم حكَمًا؟

إنَّ انتشار هذا بهذه الصورة المزرية؛ يدلُّ على أنَّ الأمر مخطَّط، ولكن الله كشف سترهم، وفضح أمرهم، هؤلاء يحكمون كما حكمت

(١) إشارة إلى ما حدث في سجن أبي غريب، والتي انتُهكت فيه كل الحقوق والحرمات.

QaradawiBooks.com

محكمة إسـرائيلية من قبل، حكمت لصالح شـارون وعصابته: أنَّ لهم الحقَّ أن يدمِّروا المنازل في رفح.

ومـاذا ننتظر من محكمـة إسـرائيلية؟! وكيف نلجأ إلـى محكمة إسرائيلية؟! هل يلجأ الإنسان إلى خصمه؟ هل يكون الخصم حكَمًا؟ هل يكون الذئب راعيًا للشاة؟

هذا مستحيل.

هؤلاء لا يُنتظر منهم إذا حكموا إلَّا أن يظلموا، والآن يحاكَم مروان البرغوثـي، فبماذا سـيحكمون عليه، وهو يدافع عن وطنـه، يدافع عن حُرماته، يدافع عن مقدَّساته[1]؟

بلغ الصهاينة المدى:

إنَّ العصابـة الصهيونيَّة قـد تجـاوزت كلَّ حدٍّ فـي عدوانها على فلسـطين، وعلى قطاع غزَّة، وعلى رفح خاصَّة، تجـاوزت كلَّ حدٍّ في سفك الدماء، وإزهاق الأرواح، وهدم المنازل بالعشرات. حتَّى إنَّ أمريكا الحليف والشريك الإسـتراتيجي؛ خرجت عن خطِّها الأبدي هذه المرَّة، ولم تسـتخدم حقَّ الفيتو في مجلس الأمن، فأصدر مجلس الأمن قرارًا يدين فيه إسرائيل.

لقد تجـاوزت الدولـة الصهيونيَّـة الطاغية حدَّهـا، قتلت وذبحت ودمَّرت؛ بزعم أنَّ هناك أنفاقًا ما بين رفح المصرية ورفح الفلسـطينية، وقد ظلُّوا زمنًا ولم نر لهذا النفق أثرًا، ولم نسمع له خبرًا، ولم يرونا في صورة واحدة أنَّهم اكتشفوا نفقًا من الأنفاق، إنَّها أكذوبة كأكذوبة أسلحة

(١) تم الحكم في ٧ يونيو ٢٠٠٤م على مروان البرغوثي بالحكم المؤبَّد خمس مرات.

QaradawiBooks.com

الدمار في العراق، إنَّهم يختلقون أسبابًا، فإذا لم يجدوا سببًا؛ فعلوا ما يريدون بلا سبب.

لمثل هذا يذوب القلب من كمد:

إنَّها القوَّة الغاشمة الطاغية، هذا ما تفعله دولة البطش والإرهاب والظلم والطغيان، دولة بني إسرائيل، ما تفعله في فلسطين، وفي غزَّة، وفي رفح خاصَّة، إنَّ عيني لتبكي، وإنَّ قلبي ليدمي؛ ممَّا أرى كلَّ يوم من هذه المآسي المتكرِّرة.

أرى إخواني وأخواتي، أرى أبنائي وبناتي؛ في رفح حينما تدمَّر منازلهم، بما فيها من أثاث ومتاع، وكلِّ أسباب الحياة، ثمَّ يجرون مذعورين؛ حتَّى لا تهدم هذه المنازل فوق رؤوسهم، وقد تركوا كلَّ شيء وراءهم، وبقوا في العراء، يفترشون الأرض، ويلتحفون السماء، كنَّا نقول ذلك في مواضيع الإنشاء قديمًا.

هذه هي الحقيقة، لا يجدون إلَّا الأرض فراشًا، والسماء لحافًا.

هل نسكت على هذا الضيم؟

هل نجد أحدًا يحمي لنا ويتحمَّس ويغار؟

هل نجد من يقول: أدافع عن هؤلاء؟

ومَنْ؟ العرب؟! زعماء العرب؟! قادة العرب؟!

حكَّام العرب الَّذين سيجتمعون غدًا في تونس؛ هل هؤلاء الَّذين سيحمون فلسطين ويحمون رفح؟!

إنَّنا لم نر أحدًا احتجَّ بقوة، لم نجد من صرخ في وجه إسرائيل، بل رأينا الصمت، رأينا الشياطين الخرس، رأيناهم في صمت القبور

QaradawiBooks.com

الوحشة، هذا ما رأيناه عند العرب للأسف، ولا ندري ماذا سيفعلون غدًا في قمَّتهم؟

هل ستكون مثل القمم الأخرى؟ أم سيقولون شيئًا جديدًا؟

أغلب الظن أنَّ العهد بهم هو هو.

هل يحيون من موات؟ هل يجتمعون من فرقة؟ هل يستيقظون من نومة أهل الكهف؟

هيهات هيهات.

قدَّموا أرواحهم فلنقدِّمْ أموالنا:

إنَّنا ندعو الإخوة المؤمنين في كلِّ مكان؛ أن يمدُّوا يد العون لإخوانهم في رفح، لا يجوز أن يظلَّ هؤلاء في العراء ولا مأوى لهم، لا بدَّ أن نسعفهم، أن نغيث لهفتهم، أن نفرِّج كربتهم، ألسنا أمَّة واحدة «**يسعى بذِمَّتهم أدناهم، وهم يد على مَن سواهم**»[(١)]؟

ألسنا «**مثل الجسد؛ إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[(٢)]؟

ألسنا «**كالبنيان المرصوص يشدُّ بعضه بعضًا**»[(٣)]؟

أين هذه المعاني؟ نقولها كلامًا، ولا نراها فعلًا.

---

(١) رواه أحمد (٦٧٩٧)، وقال: حديث صحيح. وأبو داود في الجهاد (٢٧٥١)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) سبق تخريجه صـ ٥٦.

(٣) سبق تخريجه صـ ٥٦.

QaradawiBooks.com

نحن نريد من الأمَّة أن تثبت وجودهـــا، وتثبت وحدتها، إخوتنا في موقع إســـلام أون لاين طلبوا مني نداء؛ فطالبت المســـلمين أن يبذلوا لهؤلاء، ويستطيعون أن يبذلوا من زكوات أموالهم، إخوانكم في فلسطين، وفي رفح خاصَّة؛ يستحقُّون الزَّكاة، هم أبناء سبيل مشرَّدون، هم فقراء، ومســـاكين، وغارمون، وهـــم فـــي ســـبيل الله؛ لأنَّهم ما فعلـــوا ذلك، وما أصابهم ذلك؛ إلَّا لأنَّهم حملوا السِّـــلاح دفاعًا عن أنفسهم، وضعوا رؤوســـهم على أكفِّهم، قدَّموا أرواحهم، وقدَّموا أبناءهم وشـــبابهم فداء لوطنهم ومقدَّساتهم.

هم في سبيل الله، هم يســـتحقُّون الزَّكاة من أكثر من وجه، فأعطهم ـ يا أخي ـ من زكاتك، أعطهم كلَّ زكاتك، نصف زكاتك، ربع زكاتك، يســـتحقُّون أن يُعانوا من الزَّكاة، ويســـتحقُّون أن يُعانـــوا من الصدقات التطوعية الاختيارية.

وكلُّ هذا فـــي ميزانك، ويضاعفه الله، الحســـنة بعشـــر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة.

ويمكن أن تعطيهم من وصايا الأموال، من وصايا أبيك أو جدِّك، الثلث أو مـــا دون الثلث، من الوصايـــا المعروفة في بـــلاد الخليج، تســـتطيع أن تعطيهم من هذا، تســـتطيع أنْ تعطيهم من ريع الأوقاف، ومن ثمرات الصدقات الجارية، وتســـتطيع أنْ تعطيهم من أي مال فيه شُبهة؛ فوائد جاءت لك، أو أي شيء تجد فيه شُبهة الحرام، هو حرام عليك، حلال لهم.

تســـتطيع ـ أيُّهـــا الأخ المســـلم ـ أنْ تمـــدَّ إخوانـــك ولا تتركهم ولا تتخلَّى عنهم.

QaradawiBooks.com

حرام عليكم ـ أيُّها المسلمون ـ أنْ تناموا على فراشكم الوثير، وإخوانكم لا يجدون أي شيء يضطجعون عليه.

حرام عليكم أن تستمتعوا بما لذَّ وطاب؛ من الطعام والشراب، وهم لا يجدون القوت، لا يجدون ما يسدُّ الرمق، أو يطفئ الحرق.

حرام عليكم أيُّها المسلمون، هناك أرقام تليفونات؛ وضعها الإخوة في موقع إسلام أون لاين، تستطيعون أنْ تتصلوا بهم، الشركات التجارية الكبيرة، والمتوسطة، والصغيرة، وأصحاب المال، وحتى من كان معه القليل، يبارك الله في القليل.

حاولوا أن تتصلوا بهؤلاء، وأن تقيموا بينهم وبينكم جسورًا، قدِّموا ما تستطيعون لـ«ائتلاف الخير»[1] الَّذي يجمع ما يجمع من الأموال ومن التبرعات.

وأنا لا أحبُّ أن أسمِّيها تبرعات؛ لأنَّ التبرُّع فيه معنى الإحسان والتطوُّع، وهذه فريضة علينا، «**ليس منَّا من بات شبعان وجاره إلى جنبه جائع**»[2].

هذه إغاثة واجبة، وهذا جزء من الجهاد بالمال، وهو فريضة على الأمَّة في هذه الآونة، ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [التَّوبة: ٤١]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾ [التَّوبة: ١١١].

---

(١) يتكوَّن ائتلاف الخير من أكثر من مائة من الجمعيات والهيئات الخيرية، التي تتعاون فيما بينها للتخفيف من معاناة وآلام المجتمع الفلسطيني بجميع طبقاته، وإعادة رسم أولويات العمل الخيري.

(٢) رواه البزار (٧٤٢٩)، والطبراني (٢٥٩/١)، وحسَّن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٣٨٧٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٥٥٤)، وابن حجر في القول المسدد (٢١/١)، عن أنس بن مالك.

QaradawiBooks.com

يا أيُّها الإخوة، ساعدوا إخوانكم، مدُّوا إليهم يد العون، ولن يضيع ما تقدِّمونه لا في الدُّنْيا ولا في الآخرة، في الدُّنْيا يخلف الله عليكم، ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، وفي الآخرة يثيبكم الله جنَّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [الصَّف: ١٠ ـ ١٢].

أسأل الله تعالى أن ينصر إخواننا في فلسطين، وينصر إخواننا في العراق، وينصر إخواننا في أفغانستان، وينصر إخواننا المجاهدين في كلِّ مكان.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

١٤

موانع التَّوبة[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لا زال حديثنا موصولًا عن تزكية الأنفس، ولا زال حديثنا عن التَّوبة، وقد تحدَّثنا في جملة خطب سابقة عن: التَّوبة، وحقيقتها، وشروطها، وعن الذنوب الَّتي يتوب الإنسان منها.

ونتحدَّث اليوم عن الموانع من التَّوبة، إذا كانت التَّوبة فريضة على النَّاس جميعًا ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النُّور: ٣١]، وكانت الفريضة فورية لا يجوز تأخيرها، ولا التسويف فيها، فلماذا يؤخِّر النَّاس التَّوبة؟

لماذا لا يسارع الإنسان بأن يغتسل من ذنوبه؟

كلَّما دنسته المعصية سارع بالتطهُّر منها، ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد: ٢١].

(١) أُلقيت بمسجد عمر بن الخطَّاب بالدوحة، في ٩ ربيع الثاني ١٤٢٥هـ الموافق ٢٨ مايو ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

الإنسان مأمور باستباق الخيرات، والمسارعة إليها، وفي مقدِّمة هذه الخيرات: التَّوبة من الذنوب والخطايا.

لماذا لا يتوب الإنسان من ذنوبه وخطاياه، كلَّما سقط في أوحالها؟

هناك موانع عدَّة:

المانع الأوَّل: الاستهانة بالذنوب:

المانع الأوَّل: هو الاستهانة بالذنوب، أحيانًا لا يعرف الإنسان أنَّه مذنب، كثير من النَّاس يظنون: أنَّ الذنوب هي الزنى، وشرب الخمر، وهناك ذنوب لا تحصى يقع النَّاس فيها كلَّ يوم، وهم لا يحسون بها؛ من كثرة ما تعوَّدها النَّاس واستمرُّوا فيها واستمرؤوها، ذنوب اللسان، والأذن، والعين، والجوارح المختلفة، وأخطر منها ذنوب القلوب: الكِبر والغرور، والعُجب والرياء، والحقد والحسد، والعداوة والبغضاء، الَّتي سمَّاها النَّبيُّ ﷺ **الحالقة**، «**لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدِّين**»[(١)]، ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النُّور: ١٥].

هناك من يرتكب ذنوبًا كبيرة، ولا يبالي بها، خصوصًا الذنوب الَّتي تتعلَّق بالشعوب، الَّذين يسيرون في ركاب الحكَّام الظلمة، ويوسوسون في صدورهم، ويزيِّنون لهم ظلم الشعوب، الَّذين يزوِّرون الانتخابات، الَّذين يعملون هذه الكبائر، لا يحسون بأنَّهم يرتكبون كبائر، وخصوصًا الذنوب الممتدة.

---

(١) رواه أحمد (١٤١٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والترمذي في صفة القيامة (٢٥١٠)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢١٢٢)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦١/٣): حسن لغيره. عن الزبير بن العوام.

QaradawiBooks.com

هناك ذنوب قاصرة وذنوب ممتدة متعديــة، وهذه هي الخطر، هناك ذنب يقع في حدود مكان الإنسان، وذنب يتسع فيملأ الدنيا، مثل الرجل الَّذي قال عنه النَّبي ﷺ: «**يكذب الكذبة تبلغ الآفاق**»[١].

مثل: ذنوب الإعلاميِّيــن والصحفيِّين، الَّذين ينشــرون الخبر كاذبًا، فيطير في الآفــاق، أو يكتب أحدهم مقالة ســاقطة فتُضَلِّل الملايين، أو ما نرى من هذه الذنوب.

طوبى لمن إذا مات ماتت ذنوبه معه:

ذنوب الفنانين وأمثال هــؤلاء، الرقصة الداعــرة، والأغنية الهابطة، والمسرحيَّة الفاجرة، وهذه الأشياء، هذه ذنوب تمتدُّ مكانًا، وتمتدُّ زمانًا؛ لأنَّها تبقى بعد موت أصحابها.

الســلف يقولون: طوبى لمن إذا مات ماتت ذنوبــه معه، وويلٌ لمن يموت وتظلُّ ذنوبُه من بعده[٢].

كما أنَّ هناك حسنات وطاعات تبقى بعد الإنسان، صدقة جارية: «**إذا مات ابن آدم انقطع عنه عمله إلَّا من ثلاث: صدقة جارية، أو علمٌ يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[٣]، تلاميذ علَّمهم، وقفٌ وقفه للخير.

يضيف عمرًا أو أعمارًا إلى عمره.

هناك ـ أيضًا ـ في جانب السيِّئات من تبقى ذنوبه من بعده.

ترى أناسًــا ألَّفوا كتبًا تضلِّل عباد الله، وتدعوهم إلى الشرِّ؛ ماتوا من

(١) جزء من حديث طويل رواه البخاري في التعبير (٧٠٤٧)، عن سمرة بن جندب.
(٢) ذكره أبو طالب المكي في قوت القلوب (٣٠٩/١).
(٣) رواه مسلم في الوصية (١٦٣١)، وأحمد (٨٨٤٤)، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

سـنين، ولا زالت كتبهم تعمل، هناك ممثِّلات ومطربات سكنَّ القبور، ولا يزال النَّاس يشاهدون صورهن الكاسـية العارية، وأغانيهن الهابطة، ورقصاتهن الفاجرة.

هذه ذنوب خطيرة، إحدى الممثِّلات هداها الله وتاب عليها، فدفعت ألوف الجنيهات، لتشتري أشرطتها السابقة؛ حتَّى لا يراها النَّاس، دفعت الكثير، ومع هذا ظلَّت أشياء، وترى نفسها في بعض الأفلام وهي تُعرض وهي شبه عارية وهي الآن منقَّبة.

هكذا الذنوب أيُّها الإخوة.

لا بدَّ من الإحساس بالذنب:

هناك أناس يعملون ذنوبًا، ولا يهتمُّون بها، ولا يحسُّون بخطورتها.

أول ما يدعو إلـى التَّوبة أن تحسَّ بالذنـب، أن يعكِّر الذنب عليك صفوك، أن ينكِّد عليك عيشك، أن تحترق في داخلك، أن تضيق عليك الأرض بما رحُبت، وتضيق عليك نفسك.

أمَّا أن تستهين بالذنب وتقول: هذا ذنب بسيط، ليت كلَّ ذنب فعلته مثل هذا. قال بعض السلف: الذنب الَّذي يُخشى ألَّا يُغفر؛ هو الَّذي يقول فيه صاحبه: ليت كلَّ ذنب فعلته مثله[1].

بعض الصالحين من سـلف الأمَّة مرض، وخشـي أنْ يكون مرض المـوت فزاره بعـض تلاميذه، فوجـدوه يبكي بـكاء مـرًّا، فقالوا له: يا أبا فلان، ما الَّذي يبكيك؟ ما رأينا عليـك في حياتك فريضة تركتها،

(١) إحياء علوم الدين (٣٢/٤).

QaradawiBooks.com

ولا حُرمة انتهكتها، ولا حقًّا ضيعته؛ بل رأيناك صالحًا مصلحًا تعلِّم وتدعو إلى الخير، وكذا وكذا.

فقال لهم: والله ما أبكي على فريضة تركتها، ولا على حُرمة انتهكتها، ولا على حقٍّ ضيعته، ولكنَّي أبكي لأنِّي أخشى أن أكون قد أتيت ذنبًا أحسبه هينًا، وهو عند الله عظيم، أحسبه هينًا، وهو عند الله عظيم[1].

ذكر القرآن لنا ذلك في معرض حديث الإفك، حديث الَّذين افتروا على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الصدِّيقة بنت الصدِّيق، أشاعوا عنها السوء وظلُّوا يلوكون هذا الإفك بألسنتهم مستهينين بهذا الأمر، وأنزل الله في ذلك قرآنًا، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ۞ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ۞ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النُّور: ١١ ـ ١٥]، ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾.

وجاء في الحديث: «**إنَّ الرجل ليتكلَّم بالكلمة لا يلقي لها بالًا يهوي بها في جهنَّم سبعين خريفًا**»[2].

كلمة لا يهتمُّ بها، ولا يعيرها التفاته، يهوي بها في جهنَّم سبعين عامًا، إنَّها قد تمسُّ عِرض إنسان، أو كرامَة إنسان، أو تسيء إلى إنسان، المؤمن يخاف من ذنوبه.

(١) رواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين (٣٦٥)، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.
(٢) سبق تخريجه صـ ٢٢٠.

QaradawiBooks.com

روى البخاري عن ابن مسعود: «**المؤمنُ يرى ذَنْبَه كالجبل يخاف أن يقع عليه، والمنافق يرى ذَنْبَه كذبابٍ وقع على أنفه فقال به هكذا وهكذا**»[١]، ذبابة وقعت على أنفه، طيَّرها بيديه، وانتهى الأمر.

أمَّا المؤمن فهو يرى ذنبه كالجبل يخاف أن يقع عليه، الصغائر يحسبها كبائر، والكبائر يزيدها تكبيرًا، حتَّى قال بعض السلف: كلُّ ما عُصي الله به فهو كبيرة[٢].

لا تنظر إلى صغر المعصية، ولكن انظر إلى كبرياء من عصيته، ما دامت في حقِّ الله؛ فلا يُعتبر شيئًا صغيرًا.

هكذا بلغت حساسيتهم ويقظة ضمائرهم.

احذر أن تستهين بالمعصية، المعاصي كلُّها خطر، حتَّى إن كانت صغيرة؛ فالصغيرة تجرُّ إلى الكبيرة، الألف تجرُّ إلى الياء:

كلُّ الحوادثِ مبداها من النَّظَرِ ومعظم النَّار من مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ[٣]

الاستهانة بالذنوب هي الخطر الأوَّل الَّذي يمنع من التَّوبة، ويجعل الإنسان يؤخِّر التَّوبة.

لا تستهن بالمعصية أبدًا، شأن المؤمن غير شأن المنافق، المؤمن يعمل الحسنات ويقول: أخشى ألَّا تُقبل منِّي؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، وما يدريني أنَّني من المتقين؟

---

(١) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٠٨)، عن ابن مسعود.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢٨٩)، عن عبيدة السلماني.

(٣) ذكره ابن القيم في روضة المحبين صـ٩٧، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

QaradawiBooks.com

أمَّا المنافق فيرتكب السيِّئات، ويقول: أطمع أنْ يغفر لي! كما قال الله عن اليهود: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ [الأعراف: ١٦٩]، يأكلون الدُّنْيا بحلالها وحرامها، ويقولون: سيغفر الله لنا.

الاستهانة بالذنوب: هي المانع الأوَّل.

المانع الثاني: الاتِّكال على عفو الله تعالى:

أيُّها الإخوة، المانع الثاني هو: الاتِّكال على عفو الله تعالى، على سَعة المغفرة والرحمة، ولا شكَّ أنَّ الله غفور رحيم، وأنَّ رحمته وسعت كلَّ شيء، ولكن هذه الرحمة الَّتي قال الله تعالى فيها: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] من يستحقُّها؟

يقول الله تعالى في نفس السياق: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وفي سياق آخر: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

نَعم، الله غفور رحيم؛ بل هو ﴿أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١، يُوسف: ٦٤، ٩٢، الأنبياء: ٨٣]، و﴿خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩، ١١٨]، ولكن لا يوزِّع رحمته على من يستحقُّ، ومن لا يستحقُّ، ومن يتحداه ومن يرفض أحكامه، ومن لا يبالي بأمره ونهيه.

لا.

إيَّاك والاتِّكال على الأماني:

النَّبيُّ ﷺ يقول: «**الكَيِّس** ـ أي: الإنسان العاقل الحكيم الفطِن ـ **من دان نفسه** ـ من حاسب نفسه ـ **وعمل لما بعد الموت، والعاجز** ـ الأحمق الغبي ـ **من أتبع نفْسَه هواها، وتمنَّى على الله الأماني**»[1].

(١) سبق تخريجه صـ ١٢٨.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

عاش في الأماني والأحلام.

جاء رجل إلى ابن سيرين؛ وقال: رأيت في منامي أنِّي أسبح في غير ماء، وأطير بغير جناح. فقال له: أنت رجل كثير الأماني والأحلام[١]، عايش في الأماني والأوهام، تُتبع نفسك هواها، تتَّبع الشَّهوات، ترتكب الموبقات، وتتمنَّى على الله الأماني، أن يعطيك المغفرة مجانًا، هيهات هيهات.

ما بالُ قَلْبِكَ تَرْضَى أن تُدَنِّسه ... وثوبُك الدَّهْرَ مَغْسُولٌ من الدَّنَسِ؟
ترجو النَّجاة ولم تَسْلُكْ مَسَالِكَها ... إنَّ السفينةَ لا تجري على اليَبَسِ[٢]!

السفينة لا تجري على الأرض اليابسة، إنَّما تجري في الماء، وأنت تريد أن تجري سفينتك على اليابس، هيهات هيهات، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: ٢١٨].

لم يجعل لهم الرجاء إلَّا بعد الإيمان والهجرة والجهاد؛ فهؤلاء هم الَّذين يرجون رحمة الله.

وفي بعض الأحاديث الإلٰهيَّة: «**ما أقلَّ حياءَ من يطلب جنَّتي بغير عمل، كيف أجود برحمتي على من بَخِلَ بطاعتي**»[٣].

تريد أن تأخذ جنَّة عرضها السماوات والأرض بدون أن تدفع ثمنها،

(١) انظر: محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني (٥٣٤/١).
(٢) من شعر أبي العتاهية. انظر: زهر الآداب وثمر الألباب (٨٧١/٣)، نشر دار الجيل، بيروت.
(٣) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٣٥٠/٣، ٣٥١) في تفسير قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ [آل عمران: ١٣٦]، تحقيق صدقي محمد جميل، نشر دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

QaradawiBooks.com

والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾ [التَّوبة: ١١١] ادفع الثمن تتسلَّم الصفقة، الجنَّة لا تُعطى مجانًا بغير عمل، ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [النِّساء: ١٢٣].

جلس جماعة من المسلمين واليهود والنَّصارى، وكلٌّ منهم زعم أنَّه أحقُّ بالجنَّة من غيره، فنزل قوله تعالى قولًا فصلًا وحكمًا عدلًا، يخاطب المسلمين: ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ۝ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا﴾ [النِّساء: ١٢٣، ١٢٤][1].

هذا هو الإسلام؛ أن تبذر وتزرع وتغرس لتحصد، من جدَّ وجد، ومن زرع حصد، ومن توانى لم يزرع ولم يحصد ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [النِّساء: ١٢٣].

حكى القرآن عن اليهود والنَّصارى قال: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡ﴾ [البقرة: ١١١]، أماني فارغة لا تقوم على أساس ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝ بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١١، ١١٢].

هذه الجنَّة لمن؟

لمن ﴿أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾، هذا الَّذي له أجره عند ربِّه، وهو الَّذي يستحقُّ الجنَّة يدخلها ولا خوف عليه ولا حزن.

(١) قال قتادة والسدي: تفاخر المؤمنون وأهل الكتاب؛ فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبيكم، وكتابنا قبل كتابكم، ونحن أحقُّ بالله منكم. وقال المؤمنون: نبينا خاتم الأنبياء، وكتابنا يقضي على سائر الكتب، فنزلت الآية. انظر: تفسير القرطبي (٣٩٦/٥).

QaradawiBooks.com

الاتِّكال على عفو الله دون عمل هذا هــو الغرور، وهذه هي الأماني الباطلة، الَّتي لا تحقِّق رجاء.

يقول ابن عطــاء الله في «حِكمــه»: الرجاء ما قارنه عمــل وإلَّا فهو أُمْنِية[1]، أي: أمنية من الأماني الَّتي لا تُحَقِّق لصاحبها شيئًا.

فهذا مانع آخر من موانع التَّوبة.

المانع الثالث: طول الأمل:

أيُّها الإخوة، المانع الثالث هو: طول الأمل.

ما معنى طول الأمل؟

الأمل مطلوب للإنســان، لولا الأمل ما بنى بــان بنيانًا، ولا غرس غارس غرسًا. ولكن المشكلة طول الأمل، يعني: أنْ يطول أمل الإنسان، بحيث يستبعد الموت، كأنَّ الموت غائب عنه، فهو دائمًا يسوِّف؛ يقع في المعصية ولا يتوب، ســيتوب بعد ذلك، وإن كان ابن العشــرين يقول: حينما أبلغ الأربعين أتوب، ويبلــغ الأربعين، ومع هذا لا يتوب، يقول: حينما أبلغ الســتين أتوب، ويبلغ الســتين فلا يتوب؛ يقول: حينما أبلغ الثمانين، هل أعطاك «ملك الموت» مَوْثِقًا أو صكًّا بأنَّه لن يأتيك بغتة؟

الموت يأتي بغتة.

كلُّ امْــرِئٍ مُصَبَّــحٌ فــي أهلــه والموتُ أدنى من شِــرَاكِ نَعْلِهِ[2]

﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّـاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَـرِ أَوۡ هُوَ أَقۡـرَبُۚ﴾ [النَّحل: ٧٧].

(١) حكم ابن عطاء الله بشرح الشيخ زروق صـ١٩٧.

(٢) كان أبو بكر إذا أخذته الحمَّى ينشد هذا البيت. سبق تخريجه صـ ١٥٣.

QaradawiBooks.com

الموت يأتي فجأة:

ولذلك أمرنا النَّبي ﷺ أن نعيش في الدُّنْيا برُوح الغرباء المسافرين[١]، أنت في هذه الدُّنْيا مسافر، ولكنَّك لا تعلم متى يأتي القطار، الموعد ليس عندك، ربما تفاجأ به، فلا بدَّ أن تكون متهيئًا بزادك، وحقيبة سفرك، في أي وقت.

تزوَّدْ للَّذي لا بدَّ منه ... فإنَّ الموتَ ميقاتُ العبادِ
أترضى أن تكون رفيقَ قَوْمٍ ... لهم زادٌ وأنت بغَيْرِ زَادِ[٢]

لا سيَّما أنَّ الآخرة غير الدُّنْيا، في الدُّنْيا ربما لم يكن معك زاد، ولكن رفقاءك يعطونك من زادهم، أو أزوادهم.

أمَّا في الآخرة فلا يعطيك أحد من زاده مثقال حبَّة خردل، ولو كان أمُّك أو أباك، أو أختك أو أخاك، أو ابنك أو حبيبك، لا يستطيع أحدٌ أن يعطيك شيئًا، يوم القيامَة يوم الفردية والأنانية المطلقة، كلُّ إنسان يقول: نفسي نفسي، يوم ﴿لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [لُقمان: ٣٣].

عصر موت السرعة:

لذلك لا بدَّ أن تتزوَّد لهذا اليوم الَّذي قد يفاجئك.

من قال: إنَّ الشَّباب لا يموت؟ هل لا يموت إلَّا الشيوخ؟

كم من شباب رأيناهم ماتوا وهم في عمر الزهور، وفي مقتبل الشَّباب.

---

(١) إشارة إلى حديث: «كن في الدنيا كأنك غريب»، وقد سبق تخريجه صـ ١٧٢.

(٢) ذكرهما ابن الجوزي في بستان العارفين صـ١٤٦، نشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

QaradawiBooks.com

من قال: إنَّ الصحيح السليم لا يموت؟

كم رأينا أناسًا ماتوا وهم في عزِّ صحَّتهم! أَمَا سمعتم بموت البَغْتة؟! موت الفجأة، الَّذي روي أنَّ النَّبي ﷺ استعاذ منه[1]، أَمَا سمعتم بمن يموت بالسكتة القلبيَّة، بالذبحة الصدريَّة، بالجلطة المُخِّيّة؟!

أَمَا سمعتم بمن يموت في الحوادث؟! هذا يموت في سيارة، وهذا يموت في قطار، وهذا يموت في طائرة.

أَمَا سمعتم بالأحداث الَّتي كثرت في عصرنا؟! لأنَّها ثمن الحضارة الآلية.

من قال: إنَّ الموت يستأذن قبل أن يأتي؟

إنَّك معرَّض للموت في أيِّ لحظة، وليست المسألة هيِّنة.

طيِّب، وماذا يحصل عندما يأتي الموت؟

هي مشكلة، إنَّها قضيَّة المصير، أخطر قضيَّة في الدُّنْيا هي هذه القضيَّة، أأنت من أهل الجنَّة أم من أهل النَّار؟ أأنت مرضي عنك من الله أم مسخوط عليه؟ من أي أصحاب الدارين أنت؟

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۞ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤].

ولذلك لا يجوز أن تؤخِّر، وأن تطيل أملك إلى حدٍّ يجعلك تتمرَّغ في المعاصي يومًا بعد يوم، ولا تتوب منها، السلف كانوا يقولون:

(١) رواه أحمد (٦٥٩٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والطبراني في الأوسط (١٧٣)، وفي الكبير (٦٨/١٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٨٨٤): فيه ابن لهيعة، وفيه كلام.

QaradawiBooks.com

«سوف» من جنود إبليس[١]، كلمة «سوف»، سوف أتوب، سوف أعمل صالحًا فيما بعد، هذه من جنود إبليس، يستخدمها إبليس لإغراء النَّاس بالاستمرار في عمل السيِّئات، وتأخير الطاعات.

ويقال: أكثر أهل النَّار المُسَوِّفون، الَّذين يقولون: سوف نفعل فيما بعد، ولا يأتي ما بعد هذا.

الدنيا مزرعة الآخرة:

يقول النَّبيُّ ﷺ: «**كنْ في الدُّنْيا كأنَّك غريبٌ أو عابر سبيل، وعدَّ نَفْسَكَ من أهل القبور**»[٢].

هكذا ينبغي أن يعيش الإنسان المؤمن، الدُّنْيا دار مَمَرٍّ لا دار مَقَرٍّ، هي قنطرة إلى الآخرة.

ليس معنى هذا أن نُهْمِل أمر الدنيا، ألَّا نعمر الدُّنْيا.

كلَّا؛ إنَّ الله خلقنا لنعمر الأرض ونُصْلِحها ولا نفسدها، ﴿**وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا**﴾ [الأعراف: ٥٦]، ولكن لا نعيش فيها بشعور المخلَّدين.

لا بدَّ أن نشعر أننا في هذه الدُّنْيا لمرحلة معينة، نزرع في الدُّنْيا لنحصد في الآخرة؛ فالدنيا مزرعة الآخرة، والدنيا مهمَّة جدًّا، وأيامها غالية جدًّا؛ لأنَّها الفرصة الوحيدة لتبني فيها مستقبلك، وتقرِّر فيها مصيرك، ولذلك كانت في منتهى النَّفاسة، ليس لك عمران، بحيث إذا ضاع منك أحدهما عوَّضته بالآخر، هو عمر واحد، وإذا جاءك الموت انتهى كلُّ شيء.

---

(١) سبق تخريجه صـ ٢٤١.

(٢) سبق تخريجه صـ ١٧٢.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولا يعرف هذه الحقيقة إلَّا الإنسان حينما يحتضر، ساعة الاحتضار يعرف قيمة هذه الأيام الَّتي قضاها ويقول: ﴿رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠] أعطني أسبوعًا يا رب، يومًا، ساعة، نصف ساعة، دقائق أصلي فيها ركعتين، هيهات هيهات، ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١١].

إيَّاك والتسويف يا أخي؛ التسويف خطر على الإنسان؛ لأنَّ المعاصي إذا تراكمت اسودَّ بها القلب؛ كلَّما أذنب الإنسان ذنبًا نُكت في قلبه نكتة سوداء، فإذا تاب منها صقلت ومُحيت، فإذا لم يتب، وعمل ذنبًا آخر نُكتت نكتة أخرى بجانب النكتة الأولى، ثمَّ ثالثة، ثمَّ رابعة، ثمَّ خامسة، حتَّى يسودَّ قلبه كلُّه، والعياذ بالله، وهذا هو الَّذي قال الله فيه: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤][1].

هنا يشعر الإنسان بالرين على قلبه، بالختم على قلبه، بالطبع على سمعه وبصره، فلا يكاد يجد نافذة يصل إليها شعاع من ضوء يبعثه ليتوب.

هذا هو الخطر، فحاول أنْ تتفادى هذا الخطر، وأنْ تبادر بالتَّوبة، بادر بالتَّوبة ولا تؤخِّر، وانظر إلى من ودَّعته من إخوانك وأحبابك، وأقربائك وأصدقائك ومعارفك.

كم شيَّعت من قريبٍ؟ وكم ودَّعت من حبيبٍ؟ وكم عزَّيت في صديقٍ؟ وكم دفنت من رفيقٍ؟

(١) سبق تخريجه صـ ٢٤١.

QaradawiBooks.com

انظر إلى القائمة ستجدها قائمة طويلة هائلة، من أوَّل حياتك إلى الآن، النَّاس الَّذين ماتوا، أنت مثلهم، أنت واحد منهم، الدور عليك، ولا تدري متى يأتي هذا الدور؟!

المانع الرابع: اليأس من رَوح الله:

وهناك مانع آخر ـ أيُّها الإخوة ـ هو أن تستحكم الذنوب، وتهيمن على الإنسان؛ فيقول: ليس لي من توبة، ييئس من روح الله، ويقنط من رحمة الله، ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحِجر: ٥٦]، ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

المسلم الحقيقي يجب أن يكون بين الرجاء في رحمة الله والخوف من عذاب الله.

والخطر هنا أن ييئس من رَوْح الله، أو يأمن من مكر الله، أنْ يسرف في الرجاء، في العفو والرحمة، حتَّى يأمن من مكر الله، أو يسرف في الخوف والخشية؛ حتَّى ييئس من روح الله.

لا؛ كن راجيًا في رحمته، خائفًا من عذابه، ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزُّمر: ٩]، الحذر والرجاء.

هذا ينبغي للمسلم، ومهما بلغت ذنوبك، ومهما اتسعت؛ فإنَّ عفو الله أوسع، وإنَّ مغفرة الله أعظم، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزُّمر: ٥٣].

وانظر إلى هذا التعبير ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟﴾ هم أسرفوا على أنفسهم بمعصية الله، بظلم أنفسهم، ومع هذا لم يحرمهم شرف الانتساب

غير مرخصة للطباعة

إلى عبوديته، يناديهم بهذا اللفظ الَّذي يؤنسهم ويقرِّبهم ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ﴾.

هم مهما عملوا هم عباده، هو الَّذي خلقهم، وهو الَّذي رزقهم، وهو الَّذي أنعم عليهم بنعمه، أسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنه، فهو يناديهم أن يرجعوا إلى بابه، ويقفوا على أعتابه ﴿لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

أبو نواس الشاعر الماجن المعروف، صاحب الخمريَّات، والقصائد الخمرية، في مدح الخمر إذ قال:

دعْ عنكَ لومي فإنَّ اللَّـوْمَ إغراءُ وداوني بالَّتـي كانت هي الداءُ[1]

في أواخر حياته روي عنه شعر جميل يقول:

يا ربِّ إن عظُمَـتْ ذنوبي كثرةً فلقـد علمتُ بأنَّ عفـوَكَ أعظمُ!
إن كان لا يدعـوك إلَّا مُحْسِـنٌ فبمن يلـوذ ويسـتعيذُ المجرم؟
ما لـي إليـك وسـيلةً إلَّا الرجا وجميع عفوك ثمَّ أنِّي مُسْـلِمُ[2]**!**

عفو الله ومغفرته ورحمته يجب أن تكون هي رجاء كلِّ مسلم، لا ييئس من رُوح الله أبدًا.

هكذا علَّمنا الإسلام، ليس هناك كبيرة من الكبائر ولا ذنب من الذنوب يستعصي على عفو الله؛ إذا صدقت النية، وصحَّت العزيمة في الرجعة إلى الله.

---

(١) انظر: الوافي بالوفيات (١٧٨/١٢)، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، نشر دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

(٢) انظر: تاريخ دمشق (٤٦١/١٣).

QaradawiBooks.com

روى البخاري ومسلم قصَّة عن النَّبي ﷺ قصَّة صحيحة ليست «حدوتة»، إنَّ رجلًا ممَّن كان قبلنا قتل تسعة وتسعين نفسًا[١]، ثمَّ قال: دلُّوني على أعلم أهل الأرض لأسأله، صحا ضميره، وكلُّ إنسان مهما بلغ من المعصية لا بدَّ أن يأتي يوم يستيقظ فيه هذا الشيء الَّذي في داخله، هذه المضغة الَّتي إذا صلَحت صلَح الجسد كلُّه، ألا وهي القلب[٢]، صحا قلبه واستيقظ ضميره، فأراد أنْ يتوب، قال: دلُّوني على أعلم أهل الأرض لأسأله.

فدلوه على رجل عابد، من أعبد أهل الأرض، فذهب إليه وقال له: يا شيخ، قد قتلت تسعة وتسعين نفسًا، فهل لي من توبة؟

قال: أعوذ بالله! لا توبة لك.

قال: إذن أكمل بك المائة، ما دام الإنسان يئس فيعمل ما يشاء، إذا كانت جهنَّم هي جهنَّم «خسرانة خسرانة»، قتل الرجلَ، وأكمل به المائة، ومع هذا ظلَّ هذا الشيء الَّذي بين حناياه يقلقه ويؤرِّقه، ويقول: هل معقول لا توبة لي؟ يا قوم دلوني على أعلم أهل الأرض؟

فدلوه هذه المرَّة على رجل عالم، فذهب إليه وقال له: أيُّها الشيخ، قتلت تسعة وتسعين هل لي من توبة؟

قال: ومن يحول بينك وبين التَّوبة، نَعم لك توبة، انشرح صدر الرجل، وابتسم ثغره، قال: ولكنِّي أنصحك أنْ تدع القرية الَّتي أنت فيها؛ فأهلها أهل سوء، وأن تذهب إلى القرية الفلانية؛ فأهلها أهل خير وصلاح، وأن تعيش هناك.

(١) سبق تخريجه صـ ٢٥٣.

(٢) سبق تخريجه صـ ٢٥٣.

QaradawiBooks.com

أخذ الرجل كلام هذا العالم، وذهب وحمل متاعه، ليصل إلى القرية الصالحة، وترك القرية الظالمة العاصية، وفي أثناء الطريق وافاه الأجل، جاءه الموت، وجاءت ملائكة الرحمة وملائكة العذاب تختصم فيه، من الَّذي يقبض روحه؟

ملائكة العذاب تقول: هذا الرجل لم يعمل خيرًا قط، قتل مائة نفس، ولا زال في طريقه إلى القرية الصالحة، لم يذهب إليها.

وملائكة الرحمة تقول: لا؛ هذا الرجل خرج بنية التَّوبة، يحمل قلبًا جديـدًا، ونية جديدة، وعزمًا جديـدًا، و«**الأعمال بالنيَّـات ولكلِّ امرئ ما نوى**»[(١)]؛ نحن أحقُّ بأن نقبض رُوحه منكم.

وأرسـل الله ملكًا يحكم بيـن الفريقين المختصميـن، فقال: نقيس المسـافة الَّتي بين القرية الَّتي خرج منها، والقرية الَّتي ذهب إليها، إلى أيُّهما كان أقرب يحسب عليه، فحسبوا المسـافتين، فوجدوه أقرب إلى القرية الصالحة بذراع، فقبضت روحه ملائكة الرحمة.

أي أنَّ الله تعالى قَبِلَه؛ حتَّى ولو قتل مائة نفس، باب الله مفتوح، ليس عليه حاجب ولا بواب، «**إنَّ الله يبسـط يده بالليل ليتوب مسيء النَّهار، ويبسط يده بالنَّهار ليتوب مسيء الليل حتَّى تطلع الشمس من مغربها**»[(٢)].

الله يناديكم: توبوا، ارجعوا إلى الله، «**يا عبادي، إنَّكم تذنبون بالليل والنَّهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم**»[(٣)].

(١) سبق تخريجه صـ ٣٢.

(٢) رواه مسلم في التوبة (٢٧٥٩)، وأحمد (١٩٥٢٩)، عن أبي موسى.

(٣) رواه مسلم في البرِّ والصِّلة (٢٥٧٧)، عن أبي ذر.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أسأل الله تعالى أن يغفر لنا خطايانا، وإسرافنا في أمرنا، ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، ربنا إنَّنا سمعنا مناديًا ينادي للإيمان؛ أن آمنوا بربِّكم فآمنَّا، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا، وكفِّر عنَّا سيِّئاتنا، وتوفَّنا مع الأبرار.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

نُرَحِّب بالحوار بين الإسلام والمسيحيَّة بشروط:

عُقدت بالأمس ندوة للحوار الإسلامي المسيحي في هذه المدينة الطيِّبة ـ إن شاء الله ـ مدينة الدوحة، ونحن المسلمين نُرَحِّب بالحوار بين الإسلام والمسيحيَّة، بل نرحِّب بالحوار بين الأديان جميعًا إلَّا الَّذين ظلموا.

الحوار نحن مأمورون به؛ لأنَّه جزء من منهج الدعوة الَّتي حدَّدها القرآن، ورسم معالمها في قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النَّحل: ١٢٥]، وهذا خطاب للرسول ﷺ، وخطاب للأمَّة جميعًا.

الجدال هو الحوار:

الدعوة إلى الله مع الموافقين بأسلوبَيْن: أسلوب الحكمة الَّتي تخاطب العقول فتقنعها، وأسلوب الموعظة الحسنة الَّتي تخاطب القلوب فتُحَرِّكها، تُحَرِّك المشاعر.

أمَّا المخالفون فيجادَلون بالَّتي هي أحسن، ولذلك الجدال هو الحوار.

بعض النَّاس قالوا: لا، الجدال غير الحوار.

نقول: لا؛ الجدال هو الحوار؛ الله تعالى يقول في كتابه: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١].

QaradawiBooks.com

فالجدال هو الحوار، فنحن مأمورون أمرًا بأن نجادل المخالفين بالَّتي هي أحسن، بأحسن الطرق، وأخف الأساليب وأرقها، لنقرِّبهم منَّا، ونقترب منهم.

هكذا يأمر الإسلام، وخصوصًا مع أهل الكتاب، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، يعني: هنا لم يكتف بالأمر بالجدال، بل نهى عن الجدال إلَّا بالَّتي هي أحسن، لا يجوز أن تجادلوهم بأي طريقة، إلَّا بالَّتي هي أحسن، أحسن الطرق.

ولذلك يقول: «يا أهل الكتاب»، لا يجوز أن تقول: يا أيُّها الكفَّار.

لا، هذا ليس مشروعًا، لم يخاطب القرآن النَّاس بـ «أيُّها الكفَّار» إلَّا في آيتين؛ آية يوم القيامَة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [التَّحريم: ٧]، والآية في السورة المعروفة ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] إلى آخر السورة؛ لأنَّه كان يريد أن يقطع المفاوضات الجارية في أمر لا معنى له، فخاطبهم بهذا وهم الوثنيون، ومع هذا فقد قال في نهاية السورة: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].

الطريق مُغْلَق مع الَّذين ظلموا:

أمَّا الَّذين ظلموا منهم فلا حوار معهم، الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، فلا جدال بينكم وبينهم.

ولهذا حينما سألني رئيس الوزراء على الغداء أمس: هل توافق على أن يدخل اليهود في هذا الحوار؟

QaradawiBooks.com

قلت: لا، لا أوافق؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، واليهود ظلمونا ظلمًا كبيرًا؛ بل ظلمًا أكبر، شرَّدوا أهلنا، واغتصبوا أرضنا، وسفكوا دماء إخواننا، ولا زالوا يسفكون الدماء، فلا لقاء بيننا وبينهم.

كيف ألقاهم؟ قتلوا إخواننا في رفح، وهدموا منازلهم، ويأتون اليوم أصافحهم؟

لا بدَّ أن تحلَّ هذه المشكلة بيننا وبينهم، أنا لا يمكن أن أشارك، ولا أوافق على مسلم ملتزم أن يشارك في حوار فيه هؤلاء اليهود، حتَّى تحلَّ مشكلتنا معهم.

صحيح هناك يهود قليلون لا يوافقون، ولكن هؤلاء قليلون، وعلماء الإسلام يقولون: للأكثر حكم الكلِّ، والنادر لا حكم له.

نحن نحاكمهم على أساس الأغلبيَّة.

أعرف أنَّ هناك بعض اليهود الَّذين يرفضون قيام إسرائيل، ويرون أن هذا ضد حكم الله، وضد قدر الله، إلى آخره.

وهؤلاء نرحِّب بلقائهم، وحوارهم، والتفاهم معهم، لكن هؤلاء نقطة في بحر، اليهود عامَّة في كلِّ أنحاء العالم مع إسرائيل، مؤيدون لإسرائيل، هذا معروف؛ ولذلك لا نقبل اللقاء معهم؛ حتَّى تنحلَّ مشكلتنا مع الكيان الصهيوني، ومن يؤيده من الغربيين والمسيحيين أنفسهم.

نحن نعترف بالمسيحيَّة لكنهم لا يعترفون بالإسلام:

ثمَّ هناك مسألة أثرتها بالأمس؛ وهي أنَّنا ـ نحن المسلمين ـ نعترف

QaradawiBooks.com

بالمسيحيَّة والمسيحيين، ونعترف أن ﴿أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ [المائدة: ٨٢] كما هو شأن القرآن، وأجاز لنا القرآن أن نؤاكلهم، وأن نصاهرهم، واعتبر الإنجيل كتابًا من عند الله، فيه هدى ونور، والمسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأمّه صدِّيقة، مريم بنة عمران، وهناك سورة في القرآن اسمها: «سورة مريم»، وسورة أخرى اسمها: «سورة آل عمران»، وعمران هذا هو جدُّ المسيح عليه السلام.

فاهتمَّ القرآن بهذا، فنحن ليس هناك مشكلة معهم، المشكلة مشكلتهم معنا؛ أنَّهم لا يعترفون بنا، هذا المليار والثلث من البشر أتباع نبي كذَّاب، وأتباع كتاب مختلَق هو القرآن.

هذه مشكلة لا بدَّ أن يبحثوا فيها، لا بدَّ أن يبحثوا: ما هي العلاقة بين هذا المجموع البشري الهائل؟

هذه القضيَّة أثرناها.

لا بدَّ أن يكون الحوار حوار النِّد للنِّد:

ثمَّ أريد أن أقول بصراحة ـ وأنا دائمًا أصارحكم على هذا المنبر، وهذا من فضل الله عليَّ، ومن فضل الله على هذا البلد؛ أنَّ أحدًا لا يقول لي: لا تقل: كذا. وقل: كذا.

لا، نحن نريد أن نتحاور مع المسيحيين حوار النِّد للنِّد، أمَّا أن يفرضوا علينا حوارهم، هم الَّذين يختارون الموضوع، وهم الَّذين يفسِّرونه كما يحلو لهم!

QaradawiBooks.com

من حقِّنا أن نختار الموضوع:

قالوا: موضوع الحوار هو الحرية الدِّينيَّة.

طيب، قبلنا الحرية الدِّينيَّة، ولكنَّهم يفسِّرونها كما يريدون، الحرية عندهم حرية الكفر بالإسلام، حرية الرِّدة، أن يكون من حقِّ النَّاس أن يرتدُّوا، وأن نحمي المرتدِّين، نحميهم ليدعوا إلى الفتنة في المجتمع، وأن يدمِّروا المجتمع، كلُّ مجتمع له أسس يُبنى عليها، وله خصائص تحميه، كلُّ مجتمع يحمي نظامه؛ النظام الجمهوري يحمي الجمهوريَّة، والنظام الملكي يحمي المَلَكيَّة، والنظام الاشتراكي يحمي الاشتراكيَّة، ولا يسمحون لأحد أن يهدِّد المجتمع في أسس نظامه.

نحن مجتمع أساسه الإسلام، فلا نسمح لمن يُهَدِّد الوجود الإسلامي، العقيدة الإسلاميَّة، إذا كان الإنسان يكفر في نفسه؛ فليكفر هو حرٌّ، فهو مصيره إلى جهنَّم كما يقول القرآن: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

ولكن إذا بدأ يدعو إلى الرِّدة، يدعو الآخرين، يريد أن يكوِّن مجموعة لتهدِّد نظام المجتمع، وأسسه العقائدية.

لا، هناك خطر على المجتمع والدولة، ولذلك حينما كانت الرِّدَّة جماعيَّة في عهد الصَّحابة حاربهم أبو بكر رضي الله عنه ومن معه من الصَّحابة، وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

هناك فئة ربُّنا ادَّخرها لتقاوم الرِّدَّة والمُرْتَدِّين.

QaradawiBooks.com

يقولون: القرآن ليس فيه حكم الرِّدَّة!

بل فيه؛ حتَّى قال بعض السلف: إنَّ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [المائدة: ٣٣] قالوا: هذه نزلت في المُرْتَدِّين[١]، فلا بـــدَّ أن نبحث معًا الموضوع الَّذي نختاره ونُحَدِّد مفهومه.

الحُرِيَّة الدِّينيَّة لهـــا مفهوم كبير، حاولتُ أن أشـــرحه[٢] بالأمس في كلمتي، وشرحته بإيجاز في ورقتي الَّتي قدَّمتها.

ثمَّ لا بدَّ أن نشـــترك في اختيار الأشخاص الَّذين يُمَثِّلون المسلمين، من يختارهم؟

أفاجأ بأناس يمثِّلون المسلمين لا يعرفهم أحد، فهذا أمر غريب، بل هناك مـــن يعرفهم الكثيـــرون بالانحـــراف ضد الإســـلام، والعمل ضد الإسلام، ومع هذا هم محسوبون ممَّن يمثِّلون الجانب الإسلامي.

هذه أمور لا بدَّ منها ـ إذا كان لهذه النـــدوة أن تجتمع مرَّة أخرى ـ فلا بدَّ أن تجتمع على هذه الأســـس، لا بدَّ أن يشـــترك المســـلمون مع إخواننا في الفاتيكان، في اختيـــار الموضوع، وتحديد مفهوم الموضوع، واختيار الَّذين يمثِّلون الجانب الإسلامي، كما يختارون هم الَّذين يمثِّلون الجانب النصراني.

---

(١) جامع العلوم والحكم لابـــن رجب (٣٢٠/١)، عـــن أبي قلابة، تحقيق شـــعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٧، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

(٢) راجع كتابنا: الحرية الدينية والتعددية في نظر الإسلام، نشر المكتب الإسلامي، بيروت.

QaradawiBooks.com

هذه هي العدالة، وهذه هي المساواة بين الطرفين.

أمَّا أن يُفرض علينا من يمثِّلنا، وأن تدار الندوة بلغة غير لغتنا، وفي بلد عربي إسلامي!

فلا.

هذه كلُّها أمور ينبغي النظر فيها؛ حتَّى يكون الحوار مثمرًا ومجديًا، وحتى يخرج النَّاس منه بنتائج.

أمَّا أن نستمع وننصرف، وكلُّ إنسان يضمر ما في نفسه، وباق على ما هو عليه، فلا قيمة لهذا الحوار، ولا معنى له ولا نتيجة منه، إنَّما هي مضيعة أوقات، ومسألة مظهرية، لا تؤتي أكلًا، ولا تحقِّق هدفها.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١٥

مُكَفِّرات الذنوب(١)

غير مرخصة للطباعة

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لا زال حديثنا موصولًا عن تزكية الأنفس، وعن التَّوبة إلى الله، وأركان التَّوبة إلى الله، وشروط التَّوبة إلى الله، وآثار التَّوبة إلى الله، ومعوِّقات التَّوبة إلى الله.

التَّوبة ـ أيُّها الإخوة ـ فريضة؛ فريضة فوريَّة، وهي واجبة على النَّاس كلِّ النَّاس، على المؤمنين كلِّ المؤمنين، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النُّور: ٣١].

لا بدَّ للإنسان أن يقع في الذنوب:

تحدَّثنا في الخُطبة الماضية عن الذنوب، وآثار الذنوب في النَّفس وفي الحياة، واليوم نتحدَّث عن مكفِّرات الذنوب.

الذنوب من خصائص الإنسان، لا بدَّ للإنسان أنْ يُذنب؛ فإنَّ الله تعالى لم يخلق الإنسان مَلكًا مطهَّرًا، وإنَّما خلقه بشرًا، والبشر جزء من

(١) أُلقيت بمسجد عمر بن الخطَّاب بالدوحة في ١٦ ربيع الثاني ١٤٢٥هـ الموافق ٤ يونيو ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

خلقه من طين، وجزء من نفخة الروح، كما ذكر الله لنا في خلق آدم: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [ص: ٧١، ٧٢].

فالإنسان تجتمع فيه هاتان الصفتان، أو هذان العنصران: العنصر الأرضي الطيني، والعنصر الربَّاني الروحي، فكثيرًا ما يغلب أحد العنصرين على الآخر، ولكن لا بدَّ لكلِّ عنصر منهما أن يكون له أثره في سلوك الإنسان.

هذا أمر لا بدَّ منه.

ولا عجب أن يُذنب أبو البشر ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١]، وإذا كان أبو البشر قد أذنب؛ فلا عجب أن يذنب أبناؤه؛ فالولد صنو أبيه، ومن يشابه أبَه فما ظلم[1]، ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣٤]، الإنسان بطبيعته لا بدَّ أن يقع في الذنوب والمعاصي.

لا بدَّ لأسماء الله الحسنى أن تعمل عملها:

وهناك أمر آخر؛ من شأن أسماء الله الحسنى أن تعمل عملها، يعصي النَّاس ويذنبون، ثمَّ يستغفرون الله، ويتوبون إليه؛ فيعفو عنهم، ويتوب عليهم؛ فإنَّ من أسماء الله تعالى: الغفَّار والعفو والتوَّاب، فإذا كان الإنسان متطهِّرًا لا يُذنب، فعمَّن يعفو الله؟ وعلى من يتوب الله؟ ولمن يغفر الله؟

ولهذا جاء في الحديث الصحيح: «**والَّذي نَفْسي بيَدِه! لو لم تُذنبوا فتستغفروا، لذهب الله بكم ولجاء بقوم يُذْنِبُون فيستغفرون فيغفر لهم**»[2].

(١) يُقال ذلك: للولد إذا كبر وقد تعلَّم من أوصاف أبيه، وأخذ من طباعه.

بأبِهِ اقتدى عديٌّ في الكرم ومن يشابه أبَهُ فما ظلم

(٢) رواه مسلم في التوبة (٢٧٤٩)، وأحمد (٨٠٨٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

لا بدَّ لهذه الأسماء أن تعمل عملها، ولا تكون عاطلة، أن يغفر الغفَّار، ويعفو العفو، ويتوب التوَّاب، ولهذا كانت الذنوب طبيعية من الإنسان.

غير الطبيعي أن يستمرئ الإنسان المعاصي، وأن يفجر في غلوائه، وأن يستمرَّ في طريق الذنوب، ولا يرجع إلى الله، هذا هو الخطر.

الخطر هو: الاستمرار في الخروج عن صراط الله، الخطر في عدم اليقظة؛ الَّتي تردُّ الإنسان إلى الله بعد شروده.

من أنواع مُكَفِّرات الذنوب:

ولهذا كان هناك أشياء جعلها الله مُطَهِّرات، ومُكَفِّرات للذنوب الَّتي تقع من الإنسان.

أوَّلًا: التَّوبة:

أوَّل هذه المطهِّرات: هو التَّوبة، الَّتي تحدَّثنا عنها في الجُمع الماضية.

والتَّوبة تغسل الإنسان من الذنب كما يغسل الماء الجسم من الوسخ، إذا صحَّت بأركانها وشروطها، فمن تاب تاب الله عليه، و«**التائبُ من الذنبِ كمَنْ لا ذنبَ له**»[1].

وقد ذكر الله تعالى عن المشركين، والزناة، والقتلة، بأنَّ من تاب منهم وآمن، وعمل عملًا صالحًا؛ فأولئك يبدِّل الله سيِّئاتهم حسنات ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ۝ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ

(١) سبق تخريجه صـ ٢٢٣.

فِيهِۦ مُهَانًا ۝ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفُرقان: ٦٨ ـ ٧٠].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

لا بدَّ للتوبة من أثر:

التَّوبة لا بدَّ أن يكون لها أثرها حسب سُنن الله، وحسب أحكام الله، ولذلك سُـئلت المرأة الصالحة رابعة العدوية؛ سألها سائل: هل إذا تبت تاب الله عليَّ؟

قالت: يا جاهل، بلى! إذا تاب الله عليك تبت.

أي أنَّ توبة الله عليك أسبق من توبتك إليه.

معنى توبة الله عليك: أن يوفِّقك إلى التَّوبة، أن يحرِّكك إلى التَّوبة، ما دام قد حرَّكك، لتتوب وتندم وترجع إليه، فهذا دليل على أنَّه قد تاب عليك، قالت له: أَمَا قـرأت قول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التَّوبة: ١١٨].

﴿ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ﴾ توبته عليهم أسبق.

فأوَّل المكفِّرات هي التَّوبة.

ثانيًا: الاستغفار:

الاسـتغفار ثاني المكفرات، كثيرًا ما يجمع القرآن بين الاسـتغفار والتَّوبة ﴿ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ﴾ [هُود: ٣].

وليس الاستغفار دائمًا مقارنًا للتوبة؛ قد يكون الاستغفار مع التَّوبة، وقد يكون الاستغفار مفردًا، كما تكون التَّوبة مفردة؛ قد يستغفر الإنسان

QaradawiBooks.com

ولا يتوب، لا زال مستمرًّا في طريق المعصية؛ ولكنَّه يسأل الله أن يغفر له ما وقع فيه، هذا لا يضيع عبثًا.

الاستغفار معناه أن تطلب المغفرة من الله.

علماء اللغة يقولون: السين والتاء دليل على الطلب، أستغفر، أي: أطلب المغفرة. أستفهم، أي: أطلب الفهم. أستأذن، أي: أطلب الإذن.

فالاستغفار: طلب المغفرة من الله.

ولماذا لا يطلب الإنسان المغفرة من الله؛ وهو الغفَّار الرحيم العَفُوُّ التوَّاب؟!

وهو واسع المغفرة، وهو خير الغافرين، وقد قال لعباده في الحديث القدسي: «**يا عبادي، إنَّكم تذنبون بالليل والنَّهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا؛ فاستغفروني أغفر لكم**»[1]، وقال: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النِّساء: ١١٠].

وجاء في أوصاف المُتَّقين: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ ـ ١٣٦].

هذا في أوصاف المُتَّقين.

---

(١) سبق تخريجه صـ ٣١٢.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

المُتَّقون ليسوا معصومين:

المُتَّقون ليسوا أنبياء معصومين، ولا ملائكة مُطَهَّرين، يمكن أن يسقطوا في المعصية، ولكن مَزِيَّتهم على غيرهم: أنَّهم سرعان ما يقفون على باب الله، ويقرعون هذا الباب مستغفرين، ذكروا الله، ذكروا عظمة الله، وجلال الله، وحساب الله؛ فرجعوا إلى أنفسهم، ذكروا مغفرة الله ورحمته الَّذي قال: ﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزُّمر: ٥٣]، ذكروا هذا فاستغفروا الله.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً﴾ كبيرة من الكبائر ﴿أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بارتكاب المعاصي ﴿ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾؟

هل هناك أحد يغفر الذنوب غيره؟

الله وحده هو الَّذي يغفر الذنوب جميعًا، استغفره يغفر لك.

الأنبياء استغفروا:

الأنبياء جميعًا استغفروا الله من ذنوبهم، آدم وحواء حينما أكلا من الشجرة قالا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

نوح حينما شفع في ابنه وردَّ عليه ردًّا حاسمًا: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هُود: ٤٦، ٤٧]، وقال: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨].

QaradawiBooks.com

وإبراهيم دعا ربَّه أن يغفر لـــه ولوالديه فقال: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١].

وموسى عليه السلام قال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٦]، وقال: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾ [الأعـــراف: ١٥٥]، و﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١].

وداود عليه السلام لما حكم بما حكـــم وظنَّ أنَّها فتنة من الله، ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤].

وســـليمان ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

والربَّانيون استغفروا:

كلُّ الأنبياء استغفروا، وكلُّ الصالحين والربَّانيين دعوا الله أن يغفر لهم.

أولو الألباب دعوا ربَّهم أدعية، عـــدَّة دعوات؛ كان منها: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾ [آل عمران: ١٩٣] يستشفعون إلى الله بإيمانهم، يتوســـلون إلى الله بالإيمان، لا بفلان ولا بفلان ﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

والربَّانيون الَّذين قاتلوا مع الأنبياء استغفروا ربَّهم بعد أن قُتل منهم من قُتل: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

أعظم المســـتغفرين هو محمَّد عليه الصلاة والسلام، الَّذي أمره الله أن يستغفر لنفسه:

QaradawiBooks.com

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ [محمَّد: ١٩]، أمره في القرآن المكي، وفي القرآن المدني أن يستغفر لذنبه، وهو الَّذي أخبره الله بعد غزوة الحديبية أنَّه غُفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، ومع هذا ظلَّ يستغفر الله، وهو الَّذي لا يغفل عن ربِّه طرفة عين، ويرقب ربَّه في غدواته وروحاته، في حركاته وسكناته، ومع هذا قال ابن عمر: كنَّا نعدُّ له في المجلس الواحد: مائة مرَّة: «**ربِّ اغفر لي وتب عليَّ؛ إنَّك أنت التواب الغفور**»[(١)]، يعمل بقول الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر: ١ ـ ٣].

كان أكثر النَّاس استغفارًا لربِّه، من قرأ صيغ الاستغفار الَّتي جاءت عن محمَّد ﷺ يعجب، يقول: «**اللهمَّ اغفرْ لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به منِّي. اللهمَّ اغفرْ لي جِدِّي وهزلي، وخطئي وعمدي، وكلُّ ذلك عندي. اللهمَّ اغفرْ لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ، وما أسررتُ وما أعلنتُ، أنت المُقَدِّم، وأنت المُؤَخِّر، وأنت على كلِّ شيءٍ قدير**»[(٢)].

وبعضنا لأنَّه يُصَلِّي ركعات، أو يذهب إلى العُمْرة في رمضان؛ يظنُّ أنَّه أصبح من أولياء الله الصالحين، وإذا قلت له: استغفر الله. يقول: ممَّا أستغفر؟! كأنَّه لا ذنب له. ومُحَمَّد يقول هذا الكلام، ويقول سيِّد الاستغفار، أعظم صيغة للاستغفار؛ أن تقول: «**اللهمَّ أنت ربِّي، لا إله إلَّا أنت، خلقتني وأنا عبدُك، وأنا على عَهْدِك ووعدك ما استطعتَ، أعوذ بك**

(١) سبق تخريجه صـ ٢١٧.

(٢) سبق تخريجه صـ ٢١٩.

QaradawiBooks.com

من شَرِّ ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي فاغفرْ لي؛ فإنَّه لا يغفر الذنوبَ إلَّا أنت»[١].

الإنسان عليه أن يديم الاستغفار، قال بعض السلف: القرآن علَّمكم الداء وعلَّمكم الدواء.

الداء في الذنوب والدواء في الاستغفار، فاستغفر الله كثيرًا، لا تملَّ من الاستغفار أبدًا.

أفضل الاستغفار ما كان بالقلب واللسان:

أفضل أنواع الاستغفار أن يوافق قلبك لسانك، استغفر الله بلسانك وبقلبك؛ معناها: أن تشعر بحرارة الذنب، وخطورة الذنب عليك في دنياك وآخرتك، وتبتهل إلى الله أن يغفر لك ما وقعت فيه من خطايا.

حتى العلماء قالوا: لو قال بلسانه، وقلبه ليس بحاضر؛ فإنَّ هذا لن يضيع عند الله؛ لأنَّ الله ﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، ولأن يعوِّد لسانه الاستغفار أفضل من أن يتحدَّث بغيبة، أو نميمة، أو كذب، أو سخرية بالنَّاس؛ فالاستغفار نافع دائمًا.

أفضل أوقات الاستغفار وحالاته:

وينبغي عليك ـ أيُّها الأخ ـ أن تتخير الأوقات الَّتي تستغفر فيها:

إذا عفَّرت جبهتك ساجدًا لله؛ فـ«**أقرب ما يكون العَبْدُ من ربِّه وهو ساجد**»[٢].

---

(١) سبق تخريجه صـ ٢١٨.

(٢) رواه مسلم في الصَّلاة (٤٨٢)، وأحمد (٩٤٦١)، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وسل الله أن يغفر لك قبل السَّلام؛ بعد أنْ تنتهي من التشهُّد، استغفر الله بما علَّمه النَّبي ﷺ لأبي بكر أن يقول قبل السَّلام: «**اللهمَّ إنِّي ظلمتُ نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفرُ الذنوبَ إلَّا أنت، فاغفرْ لي مغفرةً من عندك، وارحمْني إنَّكَ أنتَ الغفور الرحيم**»(١).

واستغفر الله بعد السَّلام: قل: **أستغفرُ الله، أستغفر الله، أستغفر الله**(٢).

واستغفر الله في السَّحر شأن المُحْسِنين الَّذين وصفهم الله بقوله: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذَّاريات: ١٧، ١٨] في الليل قُوَّام مُصَلُّون، قُرَّاء للقرآن؛ ومع هذا كأنَّهم كانوا مُذْنِبين، فيستغفرون، لا يشعرون بأنَّهم أدَّوا لله كلَّ حقِّه.

المؤمن دائمًا يشعر بالتقصير في حقِّ مولاه؛ لأنَّك مهما قدَّمت من طاعات وحسنات؛ فحقُّ الله عليك أكبر وأعظم، ولذلك يشعر المؤمن دائمًا بأنَّه مقصِّر فيستغفر الله، إذا كان محمَّد عليه الصلاة والسلام يقول: «**إنَّه ليُغَانُ على قلبي، فأستغفر الله في اليوم سبعين مرَّة**»(٣)، يشعر بشيء يغشى قلبه، وهذا يشعره بأنَّه مُقَصِّر في حقِّ الله، فيستغفر الله فما بالنا نحن؟

الاستغفار ـ أيُّها الإخوة ـ من مُطَهِّرات الذنوب، من مُكَفِّرات الذنوب.

الإمام ابن القيِّم سمَّاها أنهارًا؛ الأنهار الَّتي يغتسل فيها الإنسان من ذنوبه، ليخرج طاهرًا مطهَّرًا.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٨٣٤)، ومسلم في الذِّكر والدعاء (٢٧٠٥)، عن أبي بكر الصديق.

(٢) إشارة إلى حديث ثوبان، أنَّه ﷺ كان إذا سلَّم من الصلاة استغفر ثلاثًا، ثم قال: «اللهمَّ أنت السَّلام ومنك السَّلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام». رواه مسلم في المساجد ومواضع الصَّلاة (٥٩١)، وأحمد (٢٢٣٦٥).

(٣) سبق تخريجه صـ ٢٣٩.

QaradawiBooks.com

ولكنِّي أسـمِّيها: حمامات، الأنهار في عصرنا أصبحت ملوَّثة، فلم تعد مجالًا للتطهير، يحذِّرون كثيرًا من الاستحمام في الأنهار، لما يُصَبُّ فيها من نفايات، وقاذورات، وكيماويات وغيرها، هناك حمامات يدخلها الإنسان ليتطهَّر، حمام التَّوبة، حمام الاستغفار.

ثالثًا: اجتناب كبائر الذنوب يُكَفِّر صغائرها:

هناك شـيء آخر ذكره القرآن وهـو اجتناب الكبائـر، اجتناب كبائر الذنوب يكفِّر صغائرهـا، عجيب هـذا والله، اجتنب الكبائـر الموبقات المهلكة، الله تعالـى يغفر لك الصغائـر، هذا نصُّ القـرآن الكريم يقول مخاطبًا للمؤمنين: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النِّساء: ٣١]، ﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾، أي: الصغائر، اجتنبوا الكبائر ربنا يكفِّر عنكم.

إذا كنت تقدر على أن تزني، ولكنَّك تركـت الزنى لوجه الله؛ رجاء فيما عنـد الله، وخوفًا من عقوبة الله، بعد أن وقعـت فيما دون ذلك من النظر واللمس؛ فإنَّ الله يغفر لك هذه المقدمـات الَّتي فعلتها، وهذا أمر مهم جدًّا في سياسة النَّفس، وفي سياسـة الآخرين؛ في نفسك أن تعتبر بعظيم فضل الله عليك، وواسـع كرمه، وواسـع رحمته، حيث غفر لك ما دون الكبائر، كما قال سـيِّدنا أنس رضي الله عنه: إنَّ الله تعالى غفر لنا ما دون الكبائر، فما لنا ولها[1]؟

نستطيع أن نستغني عن الكبائر، الله لا يطلب منها أن نترك كلَّ شيء؛ لأنَّه يعلم أن هذا ليس في إمكاننا، وأن ضعفنا البشري يوقعنا في اللمم.

(١) تفسير ابن كثير (٢٢٨٢).

QaradawiBooks.com

معنى اللمم:

يقول الله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧]، يجتنبون الكبائر، لم يقل: يجتنبون الكبائر والصغائر، ووصف الَّذين أحسنوا من عباده فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢].

اللمم: يفسَّر بأمرين: الأوَّل: أن يلم الإنسان بالمعصية في طريقه، ولا يعاوده، يغلبه الشَّيْطان مرَّة؛ فيقع في الزنى، أو في شيء من هذا، ولا يعاود، هذه سقطة سقطت في حياته، هذا من اللمم.

والأمر الآخر: هو صغائر الذنوب، كما جاء في الحديث أنَّ النَّبي ﷺ كان يناجي ربَّه ويقول:

«**إنْ تغفر اللهمَّ تغفر جمًّا وأيُّ عبدٍ لك لا ألمَّا؟!**»[1]

من الَّذي لم يصب اللمم من الذنوب؟

﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النَّجم: ٣٢]، الله أعلم بنا حينما أنشأنا من الأرض، ومن طين الأرض، والطين لا يخلو من الكدر، لم يخلقنا من النُّور كما خلق الملائكة، إنَّما خلقنا من الطين، ولذلك لا بدَّ للإنسان أن ينزع إلى الأرض، ويخلد إلى الطين، ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾، فلا عجب أن يغفر لنا ما دون الكبائر،

(١) رواه الترمذي في التفسير (٣٢٨٤)، وقال: حسن صحيح غريب. والحاكم في التفسير (٤٦٩/٢)، وصحَّحه على شرطهما ووافقه الذهبي. وقال ابن كثير في التفسير (٤٦١/٧): في صحته مرفوعًا نظر. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٧٩)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [النِّساء: ٣١]، هذا في معاملة الإنسان مع نفسه، ومع ربِّه.

غير مرخصة للطباعة

لا تُشَدِّد على النَّاس إذا ارتكبوا الصغائر وتركوا الكبائر:

وهذا ـ أيضًا ـ في معاملة الإنسان مع الآخرين، ألَّا يُشَدِّد على النَّاس إذا ارتكبوا الصغائر وتركوا الكبائر، بحسْبنا أن يُؤَدِّي الإنسان الفرائض، ويجتنب الكبائر، لنَعُدَّه في صفوف المؤمنين، بعض النَّاس يُحَاسِبُ النَّاس على صغائر الأمور، بل على الشبهات من الأمور المختلَف فيها، ويقيم المعارك بينه وبين خلق الله على هذه الأمور.

لا، ليس هذا هو المهمَّ، المهمُّ هو الكبائر، الكبائر: أنْ يترك الصلاة، أن يمنع الزَّكاة، أن يفطر في رمضان، أن يشرب الخمر، أن يرتكب الزنى، أن ينهب أموال النَّاس، أن يظلم عباد الله، وخصوصًا الضعفاء منهم، هذه هي الكبائر، فإذا أدَّى الإنسان الفرائض، واجتنب الكبائر؛ فضمه إلى صفِّك، واقترب منه.

سيدنا عمر جاءه جماعة من أهل مصر يشكون عمرو بن العاص، وكان معهم عبد الله بن عمرو نفسه، قال: ما الَّذي جاء بك يا عبد الله؟

قال: هؤلاء القوم قالوا: نريد أن نشكو إلى أمير المؤمنين أشياء نراها ليست في كتاب الله ـ يعني: يريدون أن يشكوا أباه الوالي على مصر، عمرو بن العاص ـ قال: هل عَلِمَ بكم أحد؟

قال: لا.

قال: فاجمعهم لي. فجمعهم في بهو ـ ساحة ـ ثمَّ سألهم عمر ـ أمسك بهم واحدًا واحدًا وسألهم ـ ماذا تأخذ على الأمير؟

QaradawiBooks.com

قال: إنَّه لا يقيم كلَّ كتاب الله.

فسأله: هل قرأتَ كتاب الله؟

قال: نعم.

قال: هل أحصيتَه في نفسك؟ يعني: استقصيتَ العمل به في نفسك، في نيَّتك، في قلبك؟

قال: اللهمَّ لا.

قال: هل أحصيته في لسانك؟ تجنبت كلَّ معاصي اللسان.

قال: اللهمَّ لا.

في عينك؟ في سمعك؟

وظلَّ بهم واحدًا واحدًا، قال لهم: إذا كنتم لم تُحْصوا هذا في أنفسكم؛ فلماذا تريدون من الرجل أنْ يكون كاملًا في كلِّ شيء؟ عودوا من حيث جئتم، لو سمع النَّاس بكم لوعَّظت بكم[1].

أراد عمر أن يسُدَّ هذا الباب؛ المبالغة واستقصاء الصغائر؛ هذا من أبواب الفتنة، وعمر كان سياسيًّا، وكان مربيًّا، فسدَّ هذا الباب الَّذي فتح بعد ذلك في عهد عثمان ولم يُسد، وكان من وراءه فتنة عظيمة.

أيها الإخوة، اجتناب الكبائر يكفِّر الصغائر.

رابعًا: الحسنات والطاعات:

ثمَّ هناك شيء آخر، الحسنات، من حمامات الذنوب ومطهِّراتها: الحسنات، فعل الحسنات والطاعات، كلُّ حسنة تعملها تُذهب سيِّئة، كما

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٢٥٤/٨، ٢٥٥)، تحقيق محمود وأحمد شاكر، نشر دار التربية والتراث، مكة المكرمة. وقال ابن كثير في تفسيره (٢٨١/٢): إسناد حسن، ومتن حسن.

QaradawiBooks.com

قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هُود: ١١٤]، وكما قال النَّبيُّ ﷺ لأبي ذرٍّ: «**اتَّقِ الله حيثما كنت، وأتبع السيِّئة الحسنة تمحها**»[(١)]، نور الحسنة يطارد ظلام المعصية، فيذهبها ويمحوها، والحسنات كثيرة.

ذكر النَّبي ﷺ أنواعًا من الحسنات، منها:

١ ـ **الوضوء**: الإنسان إذا أذنب ذنبًا ـ كما روى سيِّدنا عثمان ـ ثمَّ تطهَّر، وصلَّى ركعتين لله، هذا الوضوء يُكَفِّر عنه ما مضى من سيِّئاته[(٢)].

٢ ـ **الصَّلاة**: الصَّلوات الخمس شبَّهها النَّبيُّ ﷺ بنهرٍ يغتسل فيه الإنسان كلَّ يومٍ خمسَ مرَّات، قال: «**هل يبقى على بدنه من دَرَنِه شيء؟**» قالوا: لا. قال: «**فذلك مثل الصَّلوات الخمس يمحو الله بهنَّ الخطايا**»[(٣)].

٣ ـ **صلاة الجمعة**: إذا كان هناك حمام يومي للمسلم يتطهَّر فيه، ويغتسل خمس مرَّات، فهناك ـ أيضًا ـ حمام أسبوعي: صلاة الجمعة، هذه ـ أيضًا ـ مكفِّرة من مكفِّرات الذنوب.

٤ ـ **شهر رمضان**: هناك حمام سنوي: شهر رمضان وما فيه من صيام وقيام، «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدَّم من ذنبه، ومن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه**»[(٤)].

---

(١) سبق تخريجه صـ ٢٥١.

(٢) إشارة إلى حديث النَّبي ﷺ: «من توضأ نحو وضوئي هذا، ثمَّ صلى ركعتين لا يحدِّث فيهما نفسه، غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه». متَّفق عليه: رواه البخاري في الوضوء (١٥٩)، ومسلم في الطهارة (٢٢٦).

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في مواقيت الصَّلاة (٥٢٨)، ومسلم في المساجد (٦٦٧)، عن أبي هريرة.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصَّوم (١٩٠١)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٦٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

ولكن هذه الحسنات تكفِّر الصغائر لا الكبائر، جاء في صحيح مسلم أنَّ النَّبي ﷺ يقول: «**الصَّلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان؛ مُكَفِّرات لِمَا بينهنَّ إذا اجتُنبت الكبائر**»[١].

الكبائر مَهْلكة، احذر من الكبائر، رمضان مَغْسَلة من الذنوب، الإنسان يخرج من رمضان إذا أحسن الصيام، والقيام، وقد تطهَّر من سيِّئات العام الَّتي يقع الإنسان فيها يوميًّا، سيِّئات العين، وسيِّئات اللسان، وسيِّئات الأذن... وهي كثيرة جدًّا، إلَّا الكبائر فإنَّها تحتاج إلى توبة نصوح.

٥ ـ **الصَّدقة من مُطَهِّرات الذنوب**: هناك الصَّدقة مُطَهِّرة من المُطَهِّرات، خصوصًا إذا كانت في السِّرِّ، «**والصَّدقة تطفئ الخطيئةَ كما يُطْفِئ الماء النَّار**»[٢].

٦ ـ **صنائع المعروف**: وصنائع المعروف إلى خلق الله؛ كلّها تمحو السيِّئات. كلُّ إحسان إلى خلق الله، ذكر لنا النَّبي ﷺ أنَّ امرأة بغيًّا تتكسَّب بالزنى غفر الله لها؛ لأنَّها سقت كلبًا[٣]؛ امرأة بَغِيٌّ، يعني: عاشت عمرها في هذه المهنة الدنيئة، ولكنَّها رحمت كلبًا يلهث من العطش، فبذلت جهدًا في سقيه، فشكر الله لها فغفر لها.

---

(١) رواه مسلم في الطهارة (٢٣٣)، وأحمد (٩١٩٧)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٢٢١٣٣)، وقال مخرِّجوه: صحيح بطرقه وشواهده. والترمذي في الإيمان (٢٦١٦)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٧٣)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٥١٣٦)، عن معاذ بن جبل.

(٣) إشارة إلى حديث أبي هريرة، عن النَّبي ﷺ: «أنَّ امرأة بغيًّا رأت كلبًا في يوم حارٍّ يطيف ببئر، قد أدلع لسانه من العطش، فنزعت له بموقها فغفر لها». متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٦٧)، ومسلم في السَّلام (٢٢٤٥).

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

على حين دخلت امرأة النَّار في هِرَّة حبستها[١].

٧ ـ **العُمْرة**: الحسنات كثيرة جدًّا، كلُّ حسنة تُقَدِّمها تُكَفِّر عنك ذنبًا، ومن ذلك العُمْرة، يقول النَّبيُّ ﷺ فيها: «**العُمْرة إلى العُمْرة مُكَفِّرات لما بينهما**»[٢].

٨ ـ **الحجّ**: النَّبيُّ ﷺ يقول: «**من حجَّ فلم يَرْفُثْ ولم يَفْسُقْ رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمُّه**»[٣].

٩ ـ **برُّ الوالدَيْن وصلة الأرحام**: جاء رجل إلى النَّبيِّ ﷺ يقول: يا رسولَ الله، أذنبتُ ذنبًا فهل لي من توبة؟ قال: «**ألك أمٌّ؟**» قال: لا. قال: «**ألك خالة؟**» قال: نعم. قال: «**اذهبْ فبَرَّها**»[٤]. برُّ الأمَّهات وبرُّ الخالات وصلة الأرحام تُخَفِّف من ذنوب الإنسان.

خامسًا: الصبر على المصائب:

بعد حمامات الحسنات هناك حمام المصائب الَّتي تنزل بالإنسان، وهي ليست باختياره، ولكن مع هذا إذا صبر عليها، واحتسبها، كانت كفَّارة لخطاياه.

لما نزل قول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النِّساء: ١٢٣]

(١) سبق تخريجه صـ ٢٠٦.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩)، كلاهما في الحجِّ، عن أبي هريرة.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٥٢١)، ومسلم (١٣٥٠)، كلاهما في الحجِّ، عن أبي هريرة.

(٤) رواه أحمد (٤٦٢٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. والترمذي في البر والصلة (١٩٠٤) مرفوعًا ومرسلًا، ورجَّح المرسل، وابن حبان في البر والإحسان (٤٣٥)، والحاكم في البر والصلة (١٥٥/٤)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب (٢٥٠٤)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

بكى سيِّدنا أبو بكر حينما سمع الآية، وقال له النَّبيُّ ﷺ: ما يُبْكيكَ يا أبا بكر؟ قال: يا رسولَ الله، كيف الصَّلاح بعد هذه الآية؟! ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النِّساء: ١٢٣] أكلَّما عملنا من سوء يا رسولَ الله جُزِينَا به؟!

فقال له: «**غَفْرَ اللهُ لك يا أبا بكر، ألستَ تمرض؟ ألستَ تنصب؟ ألستَ تحزن؟ ألستَ تصيبُكَ اللأواء؟**» قال: بلى. قال: «**فهو ما تُجْزَون به**»[(١)].

هذا من فضل الله تعالى، وقال النَّبيُّ ﷺ: «**ما يُصِيبُ المسلمَ من نصبٍ ولا وصب، ولا همٍّ ولا حزن، ولا أذى ولا غَمٍّ؛ حتَّى الشوكة يُشَاكُها إلَّا كفَّر الله بها من خطاياه**»[(٢)].

كلُّ ما يصيبك من آلام مادِّيَّة، أو آلام نفسيَّة، حتَّى الهمّ والغمّ والحزن، ومهما كانت صغيرة، حتَّى الشوكة تُشَاكُها، تصاب بشوكة في رِجْلك؛ هذا يُكَفِّر الله بها من خطاياك، ولذلك كان «**أشدّ النَّاس بلاء الأنبياء، ثمَّ الأولياء فالأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على قَدْرِ دِينِه، فإن كان دِينُه صُلْبًا اشتدَّ بلاؤه، وإن كان في دِينِه رقَّة ابتلي على قَدْرِ دِينِه**»[(٣)] حتَّى يمشي المؤمن على الأرض وليس عليه خطيئة، من كثرة ما أصابه من بلاء، ومن أذى، ومن أشياء، نُفِضَتْ عنه ذنوبُه كلُّها.

---

(١) رواه أحمد (٦٨)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح بطرقه وشواهده. وابن حبان (٢٩١٠)، والحاكم (٧٤/٣)، وصحح إسناده ووافقه الذهبي، كلاهما في الجنائز.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في المرضى (٥٦٤١)، ومسلم في البرِّ والصِّلة (٢٥٧٣)، عن أبي سعيد وأبي هريرة.

(٣) رواه أحمد (١٤٨١)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والترمذي في الزهد (٢٣٩٨)، وقال: حسن صحيح. والنسائي في الكبرى في الطب (٧٤٨١)، عن سعد بن أبي وقاص.

QaradawiBooks.com

هذه كلُّها من فضل الله تعالى.

هناك حمامات ومُطَهِّرات كثيرة أيُّها الإخوة، على الإنسان أن يستفيد منها، ولا يبقي ذنوبه متراكمة عليه؛ حتَّى تُثْقِل ظهره، وحتَّى تُرْدِيه في النَّار، وأمامه هذه الفرص متاحة.

فيا أيُّها الإخوة، لا تيئسوا من رحمة الله، لا تيئسوا من فضل الله أبدًا؛ فإنَّ الله تعالى لم يجعل الإنسان معصومًا؛ ولكن قدَّر له أن يذنب، وأعطاه فرصًا كثيرة، ليغتسل من ذنوبه، والسعيد من وفِّق لاغتنام هذه الفرص، وتطهَّر من هذه الذنوب أولًا بأوَّل، لا تسوِّف، لا تؤخِّر إلى الغد؛ فإنَّك لا تدري أيأتي عليك الغد أم لا؟

الذنوب خطر على البشريَّة:

هذا ما أنصح به إخواني المؤمنين وأخواتي المؤمنات، الذنوب خطر على الفرد، خطر على الأسرة، خطر على المجتمع، خطر على الأمَّة، خطر على البشريَّة كلِّها، الذنوب خطر على البشريَّة.

ما نسمعه الآن من تلوث البيئة، وفساد البيئة، واختلال التوازن في الكون، ثقب الأوزون وهذه الأشياء كلُّها من المعاصي، من إسراف الإنسان، ومن خروج الإنسان عن نهج الاستقامَة والاعتدال الَّذي رسمه الله له، وليس هناك أولى من الاستقامَة على أمر الله، ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هُود: ١١٢].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

مؤتمر الديمقراطيَّة والإصلاح في الوطن العربي[١]:

افتتح أمير البلاد الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني بالأمس مؤتمرًا، وألقى فيه خطابًا هامًّا، هذا المؤتمر عن الديمقراطيَّة والإصلاح في الوطن العربي، وذكر الأمير في خطابه أمورًا لو أنَّ العرب اهتمُّوا بها، وعملوا على ضوء هذه الأمور لاستقام حالهم، وأنا أريد أن أُرَكِّز على أمرين من الأشياء الَّتي جاءت في هذا الخطاب.

الأمر الأوَّل: حاجة الأمَّة إلى الإصلاح:

هو أنَّ أُمَّتنا جميعًا في حاجة إلى إصلاح، قد سبق أن تحدَّثت عن الإصلاح في خطبتين سابقتين من فوق هذا المنبر، ولا يدَّعي أحد أنَّه في غنًى عن الإصلاح! كلُّ أنظمتنا ملكيَّة أو جمهوريَّة، يمينيَّة أو يساريَّة، مشرقيَّة أو مغربيَّة، في حاجة إلى الإصلاح.

الإصلاح ضروري، والشعوب كلُّها تنادي بالإصلاح، ولذلك أنا أرى أنَّ الإصلاح فريضة وضرورة؛ فريضة يُوجِبُها الدِّين، وضرورة يُحَتِّمها الواقع.

على أمَّتنا أن تستيقظ من سباتها، وأن تعلم أنَّه لا مكان في هذا المجتمع العالمي لأُمَّة تعيش منعزلة عن نفسها، لشعب يقول: أنا ما لي والنَّاس، أو لحاكم يسوق شعبه كأنَّما هو قطيع من الأغنام، يسوقهم بعصاه أو بهراوته.

---

(١) أقيم المؤتمر في الدوحة بتاريخ ٤ يونيو ٢٠٠٤م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة معاينة

لا، العالم كلُّه يتنادى بالإصلاح والديمقراطيَّة، لا بدَّ لأمَّتنا أن تقدِّر هذه الحقيقة؛ أنَّ الجميع في حاجة إلى الإصلاح، والإصلاح ليس عيبًا؛ لأنَّ أحدًا لا يدَّعي أنَّه كامل مائة في المائة.

الكلُّ يقول: هناك نقص، لماذا لا نستكمل هذا النقص؟

المُتَنَبِّي قال قديمًا:

ولم أرَ في عيوبِ النَّاسِ عَيْبًا كنَقْصِ القَادِرينَ على التَّمَامِ[1]

إذا كنَّا نقدر على أن نتمِّم نقصنا، ونصلح ما فسد من حياتنا، فلماذا نؤجِّل هذا؟ ولماذا ندع الآخرين أن يطالبونا بالإصلاح؟

ونحن أولى النَّاس بأن نصلح أنفسنا، نصلح أنفسنا بأيدينا، ولأهدافنا لا لأهداف غيرنا، ومن منطلقاتنا الخاصَّة بنا، لنراعي خصوصيتنا الدِّينيَّة، وخصوصيتنا الثقافيَّة، وخصوصيتنا الحضاريَّة.

هذا ما لا بدَّ منه.

الأمر الثاني: الديمقراطيَّة الحقيقيَّة من رُوح الإسلام:

الأمر الثاني: أنَّ الديمقراطيَّة الحقيقيَّة ـ غير الزائفة ـ مقتبسة من روح الإسلام.

بعض النَّاس يرى أنَّ الديمقراطيَّة ضد الإسلام، وقد ذكر الأمير في خطابه أن هؤلاء النَّاس يضادون الإسلام نفسه، وأنا شخصيًّا سمعت، ورأيت، وناقشت هؤلاء النَّاس في مصر، وفي الجزائر، وفي أفغانستان، بعضهم يقولون: إنَّ الديمقراطيَّة ليست من الإسلام،

(١) البيت للمتنبي. انظر: شرح ديوان المتنبي لأبي العلاء المعري صـ٣٣٦، تحقيق محمد سعيد المولوي، نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

QaradawiBooks.com

وبعضهم يقول: الديمقراطيَّة كفر. وناقشت هذا في إحدى فتاواي، ورددت على هذا الباطل[١].

الحكم الفرعوني مرفوض:

بعض النَّاس يقول: الديمقراطيَّة حكم الشعب، ونحن نريد حكم الله!

وأحبُّ أن أقول أيُّها الإخوة: إنَّ كلمة حكم الشَّعب ليست في مقابلة حكم الله؛ إنَّما حكم الشَّعب في مقابلة حكم الفرد المطلق المستبد.

ولذلك قال الأمير في كلامه: نحن نريد ثقافة جديدة، لا نريد عمليَّة تجميلية، أو إجراءات شكلية، نريد ثقافة تطرد ثقافة الهيمنة، والاستبداد، والجبروت بالشعوب، الإسلام لا يقبل حكم الجبابرة ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥]، ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥]، الَّذين يستبدُّون بالشعوب، هذا شأن فرعون الَّذي لعنه الله، ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾ [الزُّخرف: ٥٤]، ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ [هُود: ٩٨]، ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤].

هذا حكم فرعوني مرفوض؛ الإسلام يريد أن تُحكم الشعوب بحاكم يحبُّونه ويختارونه «**خير أمرائكم الَّذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلُّون عليهم ويصلون عليكم** ـ أي: تدعون لهم ويدعون لكم ـ **وشرار أمرائكم الَّذين تُبْغِضونهم ويُبْغِضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**»[٢]، ليس هناك أي

(١) انظر كتابنا: فتاوى معاصرة (٧٠٤/٢ ـ ٧٢١)، نشر المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

(٢) رواه مسلم في الإمارة (١٨٥٥)، وأحمد (٢٣٩٨١)، عن عوف بن مالك.

QaradawiBooks.com

ثقة بين الطرفين، يجب أن يكون الحاكم محبوبًا من شعبه، مختارًا منهم، مبايَعًا مبايعة عامَّة.

ليس كلُّ جديد مرفوضًا:

هذا ما يريده الإسلام، أمَّا أن يدَّعى أنَّ الديمقراطيَّة ضد الإسلام!

من قال هذا؟!

قال بعضهم: إنَّ الديمقراطيَّة بدعة مستوردة، و«**كلُّ بدعةٍ ضلالة، وكلُّ ضلالةٍ في النَّار**»[1].

قلت لهم: لا؛ جوهر الديمقراطيَّة ليس مستوردًا؛ جوهر الديمقراطيَّة: هي الشورى، هي النصيحة في الدين، هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هي حرية النقد والتعبير.

هذه كلُّها قضايا إسلاميَّة، وتعاليم إسلاميَّة واضحة.

الجديد هو الآليات والأساليب والضمانات.

ما المانع أن نأخذ أسلوب الانتخاب من الديمقراطيَّة الغربيَّة؟ هل هناك مانع من هذا؟

أن تكون هناك هذه الصناديق، وكلُّ شخص يُدْلِي برأيه، ما المانع من هذا؟

المسلمون استوردوا بعض الأشياء، سيِّدنا عمر أخذ نظام الدواوين

(١) رواه مسلم في الجمعة (٨٦٧)، وأحمد (١٤٣٣٤)، بدون ذكر: «وكل ضلالة في النار»، والنسائي في صلاة العيدين (١٥٧٨)، وابن خزيمة في الجمعة (١٧٨٥)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (١٣٥٣)، عن جابر بن عبد الله.

غير مرخصة للطباعة
نسخة محدثة

من الروم، وأخذ نظام الخراج من الفرس، والنَّبيُّ ﷺ أخذ حفر الخندق من الفرس؛ أشار به سلمان الفارسي.

لا مانع أن تقتبس من غيرك ما ينفعك إذا كنت محتفظًا بشخصيَّتك وهويَّتك، ورُوحك، وخصوصيَّتك.

الأخذ برأي الأغلبيَّة له أصل في الإسلام:

ناقشني كثير من الإخوة السَّلَفِيِّين، والإخوة التحريريِّين، الَّذين يرفضون هذا كلَّه، ولم يكن لهم حُجَّة فيما يقولون.

قالوا: نظام التصويت هذا، والأخذ بالأغلبيَّة ليس من الإسلام.

قلت لهم: لا؛ بل هو نظام إسلامي صميم؛ الأخذ بالأكثريَّة، برأي الجمهور؛ كما يقول الفقهاء؛ النَّبي أخذ برأي الأكثريَّة في غزوة أحد[1]، ونزل على رأيهم، وكان خلاف رأيه.

سيدنا عمر قال في قضيَّة الستة أصحاب الشورى: إذا اتفق خمسة وواحد خالف، فإمَّا أن يتبع لرأي الخمسة أو اضربوا عنقه؛ حتَّى لا يحدث فتنة، أربعة واثنين يجب أن يخضع الاثنين للأربعة، ثلاثة وثلاثة فيأخذون مرجِّحًا من الخارج؛ عبدَ الله بن عمر، فإن لم ترضوا به فالثلاثة الَّذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، اعتبر له ميزة ترجيحية كأنَّما اعتبر صوته هذا بالمرجِّح.

من قال: إنَّ التصويت بالأغلبيَّة ليس من الإسلام؟

(١) قصة مشاورة النَّبي ﷺ لأصحابه في أُحد؛ راجع: السيرة النَّبوية لابن هشام (٦٣/٢)، وغيرها من كتب السِّيرة.

QaradawiBooks.com

النَّبي ﷺ جاء عنه أحاديث يقول فيها: «**اتَّبعوا السواد الأعظم**»[١]، الأغلبيَّة، وقال لأبي بكر وعمر: «**لو اتَّفقتما على رأيٍ ما خالفتكما**»[٢]. لأنَّه سيكون رأيَيْن ضدَّ واحد، أمَّا إذا اختلفتما فمن حقِّي أن آخذ برأي أي واحد منكما.

هذا هو الإسلام.

لماذا يقولون: إنَّ الإسلام يرفض الديمقراطيَّة؟ وهل يريد الإسلام الاستبداد؟ أن يوجد حاكم يتحكَّم في رقاب النَّاس، وفي أموال النَّاس، وفي حقوق النَّاس، وفي حريات النَّاس؟

هذا هو الفرعون المُتَأَلِّه في الأرض الَّذي يرفضه الإسلام.

المهمُّ هو حقيقة الديمقراطيَّة وجوهرها:

ولكنِّي ـ أيُّها الإخوة ـ أريد أمرًا آخر مُهِمًّا، ليس المهمُّ هو شكل الديمقراطيَّة، المهم هو حقيقة الديمقراطيَّة، جوهر الديمقراطيَّة، هناك

---

(١) من ذلك حديث أبي أمامة الباهلي وفيه: «إن بني إسرائيل تفرقت إحدى وسبعين فرقة ـ أو قال: اثنتين وسبعين فرقة ـ وإن هذه الأمة ستزيد عليهم فرقة، كلها في النار، إلَّا السواد الأعظم». رواه ابن أبي شيبة في الجمل (٣٩٠٤٧)، وابن أبي عاصم في السنة (٦٩)، والطبراني في المعجم الأوسط (٧٢٠٢)، والكبير (٢٦٨/٨، ٢٧٣، ٢٧٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٤٣٦): رواه الطبراني ورجاله ثقات.
ويشهد لمعنى السواد الأعظم الحديث الموقوف على عبد الله بن أبي أوفى، وفيه: «يا ابن جهمان، عليك بالسواد الأعظم». رواه أحمد (١٩٤١٥)، وقال مخرِّجوه: رجاله ثقات؛ غير حشرج بن نباتة، فقد وثقه أحمد ويحيى بن معين، وأبو داود، والعباس بن عبد العظيم العنبري. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩١٦٣، ١٠٤٢٩): رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات.

(٢) رواه أحمد (١٧٩٩٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٣٥٥): رواه أحمد، ورجاله ثقات؛ إلَّا أن ابن غنم لم يسمع من النبي ﷺ.

QaradawiBooks.com

ديمقراطيَّات كثيرة في بلادنا العربيَّة والإسلاميَّة؛ ولكنَّها ـ للأسف ـ ديمقراطيَّات زائفة، ديمقراطيَّات التسعات الأربع (٩٩,٩٩) هل هذا كلام معقول؟ هل هناك بشر يأخذ هذه النسبة كأنَّه لا يعارضه أحد؟

هذا ما نجده في بلادنا، وأخذنا عن الاشتراكيين: أنَّ الانتخابات أو الاستفتاءات الَّتي قال فيها أحد الكتاب الماركسيِّين: إنَّها سباق يعدو فيه حصان واحد.

السباق المفروض أنَّه لعدَّة أحصنة، ولكن هنا حصان واحد فقط فمن سيسابق؟ يعني تنتخب فلانًا أم لا؟

ليس هذا نظامًا ديمقراطيًّا؛ بل تنتخب فلانًا أم فلانًا أم فلانًا؟

هذه هي الديمقراطيَّة؛ أن تخيَّر بين عدَّة أشخاص، هذا ـ للأسف ـ ما نجده في كثير من البلاد.

بدعة جديدة هي: الجمهوريات الدائمة:

ثمَّ أصبحت هناك بدعة، هذه البدعة الحقيقيَّة الَّتي حدثت في بلادنا العربيَّة والإسلاميَّة، الجمهوريات الدائمة، الأنظمة الملكيَّة والأميرية لها نظامها الخاص المتوارث المعروف، وله حدوده وقيوده وضوابطه.

ولكن الجمهوريَّة، والأخذ بالنظام الجمهوري هو: تداول السلطات والرؤساء، ولكن عندنا الرئيس مخلَّد لا يزول عن ملكه أبدًا.

في كثير من البلاد يوجد في حفل واحد عدة رؤساء سابقين؛ في أمريكا في أحد المحافل كان يوجد بوش الحالي، وكلينتون، وبوش الأب، وريجان، وكارتر، أربعة أو خمسة من الرؤساء السابقين، هاتوا لي فيما عدا لبنان أي بلد جمهوري فيه رئيس سابق؟

QaradawiBooks.com

لا يوجد، لا بدَّ أن يموت الرئيس، أو يتمّ الانقلاب عليه.

ثمَّ هناك بدعة جديدة في بلادنا العربيَّة والإسلاميَّة هو توريث الرئاسة الجمهوريَّة، أن تورَّث الرئاسة من الآباء إلى الأبناء، كأنَّها «عِزبة» يرثها الخلف عن السلف، والابن عن الأب، والحفيد عن الجدِّ.

الديمقراطيَّة الَّتي نريد:

ليست هذه هي الديمقراطيات الَّتي نريدها، إذا كنَّا نريد ديمقراطيات؛ نريد ديمقراطيات حقيقيَّة؛ تقوم على الشفافية، والمصارحة، وإعطاء الحرية للنَّاس، وإعطاء حقِّ النقد والمعارضة.

عليُّ بن أبي طالب وقف أحد معارضيه من الخوارج الَّذين قالوا فيه ما قالوا، وقال هذا الخارجي: لا حُكم إلَّا لله!

فقال عليٌّ رضي الله عنه: كلمة حقٍّ أريد بها باطل[1].

صحيح أنَّه لا حُكم إلَّا لله، ولكن هل سينزل الله من فوق عرشه، يحكم بين البشر، أو أنَّ البشر يحكم بعضهم بعضًا؟

ومن هنا قِبل التحكيم.

ولذلك قال في شؤون الأسرة: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النِّساء: ٣٥]، وقال في شؤون الصيد في الحجِّ: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ﴾ [المائدة: ٩٥].

فقال: كلمة حقٍّ يراد بها باطل، يعني: أنَّ الكلمة في ذاتها صحيحة، ولكن المقصود منها غير صحيح، وهو رفض حكم البشر.

(١) رواه مسلم في الزكاة (١٠٦٦)، عن عبيد الله بن أبي رافع.

QaradawiBooks.com

ثمَّ قال: لكم علينا ثلاث: أن لا نمنعكم مساجد الله، أن تصلوا فيها معنا، وأن نعطيكم حقَّكم من الفيء، إذا كانت سيوفكم مع سيوفنا ـ تأخذوا حقَّكم من الغنائم ما دمتم تجاهدون معنا ـ، وأن لا نبدأكم بقتال[1].

لا بدَّ أن تبدؤوا بقتال حتَّى نقاتلكم، فحفظ لهم حقَّ الوجود، وهم كانوا يمثِّلون حزب المعارضة؛ لأنَّ الخوارج جماعة لها رؤساؤها، ولها فكرها، ولها مبادئها، فهي حزب، وحزب مسلَّح في ذلك الوقت؛ لأنَّ العرب كانوا يحملون السِّلاح، ومع هذا ما داموا لا يشهرون السِّلاح فمن حقِّهم أن يعيشوا.

هذا هو الإسلام.

نريد لبلادنا الإسلاميَّة أن تتحرَّر تحرُّرًا حقيقيًّا من سلطان الجبارين، والمستبدين، والقاهرين للشعوب، نريد لهذه الشعوب أن تتنفس، وأن تقدر أن تقول: لم؟ وأن تقول: لا.

لا يمكن أن تحيا هذه الأمَّة إذا كانت تُساق بالعصا، وتعامَل معاملة العبيد؛ سَوق النَّاس بالعصا لا ينشئ أحرارًا، وإنَّما يُنشئ أمَّة من العبيد، والعبيد لا يستطيعون أن ينشئوا حضارة، ولا أن يقيموا استقلالًا، ولا أن يحموا دولة.

نريد حرية هذه الشعوب.

أطالب بحُرِّيَّة الشعوب قبل تطبيق الشريعة:

لقد قلت في أكثر من مرَّة: إنَّنا قبل أن نطالِب بتطبيق الشريعة الإسلاميَّة؛ نريد تحرير هذه الشعوب، نريد إعطاء الحُرِّيَّة لشعوبنا، وإذا

(١) سبق تخريجه صـ ٩٧.

QaradawiBooks.com

أُعطيت الحُرِّيَّة انتعش الإسلام، وانتعشت الدعوة الإسلاميَّة، وانتعش الفكر الإسلامي، والسلوك الإسلامي؛ لأنَّ الإسلام هو فكر هذه الشعوب، هذه الشعوب مؤمنة بربِّها، وبقرآنها، وبمحمَّدها، ولم تكفر يومًا بذلك، ولذلك نحن مطمئنون إلى أنَّ هذه الشعوب على الخير، وإلى الخير، ولكن الضعف في القيادة.

نريد ـ أيُّها الإخوة ـ لأمَّتنا: أن تسير مسيرة الحرية والديمقراطيَّة، وإن كنت أنا لا أحبُّ استعمال هذه الكلمات الأجنبيَّة، ولكن إذا فهمنا معنى الديمقراطيَّة في ضوابطها وقيودها، وهي ديمقراطيَّة المجتمع المسلم، الَّذي يؤمن بالإسلام مرجعًا له، ويؤمن بالشريعة حاكمة له، ويؤمن بالقيَم الإسلاميَّة مُوَجِّهة له، ويؤمن بالعقيدة الإسلاميَّة أساسًا لهويته.

هذه هي الديمقراطيَّة المطلوبة، لهذا المجتمع، هذا المجتمع لا يمكن أن يُحلَّ ما حرَّم الله، أو يُحرِّم ما أحلَّ الله، أو يُسقط ما فرض الله، أو يُشَرِّع ما لم يأذن به الله.

أسأل الله تعالى أن ينير بصائرنا، وأن يهدينا سبيل الرشد، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدًا، وأن يجعل يومنا خيرًا من أمسنا، ويجعل غدنا خيرًا من يومنا، ويُحْسِن عاقبتنا في الأمور كُلِّها، ويجيرنا من خزي الدُّنْيا وعذاب الآخرة.

* * *

نسخة مجانية
غير مرخص للطباعة

١٦

محطة الصبر(١)

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لا زال حديثنا موصولًا عن تزكية النفس، عن مراحل ومحطَّات الطريق إلى الله، الَّذي يجب على كل مسلم أن يسلكه، وأن يجاهد فيه نفسه، وهو جهاد لن يضيع، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

تحدثنا عن محطَّة العلم وأثرها في تزكية النفس، وتحدثنا عن محطَّة التوبة الَّتي بها يبدأ الإنسان مشواره إلى الله وقد تخفف من أعباء ذنوبه، وتطهر من أدران خطاياه، كما أنَّ الإنسان لا يدخل الصلاة إلَّا متطهرًا؛ فكذلك من أراد القرب من الله، ومن أراد حسن الصلة بالله؛ فعليه أن يغتسل وعليه أن يتطهَّر، وإنَّما يكون التطهر بالتوبة، فالتوبة طهارة معنويَّة، ولهذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٢ أكتوبر ٢٠٠٤م.

غير مرخص
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ثم هناك مراحل ومحطَّات أخرى على الإنسان أن يقطعها في طريقه إلى الله، نبدأ اليوم بالحديث عن محطَّة جديدة، إنَّها محطَّة الصبر.

غير مرخصة للطباعة

اقتران الصبر بالشكر:

هناك أمران مقترنان: الصبر والشكر، كما قال الله تعالى في أربع آيات من القرآن: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥، لقمان: ٣١، سبأ: ١٩، الشورى: ٣٣]. الصبَّار: المبالغ في الصبر. والشكور: المبالغ في الشكر.

وهاتان صفتان للمؤمن، كأنه يقول: إن في ذلك لآيات لكل مؤمن. فالمؤمن صبَّار على ما يصيبه من بلاء، شكور على ما يأتيه من نعماء، وهو بين هذين الأمرين دائمًا كما قال النبي ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن! إن أمره كلَّه له خير، وليس ذلك لأحد إلَّا للمؤمن، إن أصابته سرَّاء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**»[1]. فالمؤمن على خير في السرَّاء والضرَّاء، في النعمة والبأساء، في الشدة والرخاء، في العافية والبلاء، هو دائمًا على خير.

الحاجة إلى الصبر:

لكنا آثرنا أن نبدأ بالصبر لأن القرآن قال: ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾. فبدأ بالصبر لأن حاجة الإنسان المؤمن إلى الصبر أكثر من حاجته إلى الشكر، ذلك لأن الله تعالى خلق الإنسان كما قال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]. في مكابدة للمشقات والآلام منذ طفولته، هذه سنة الله في هذا الإنسان.

(١) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٢٩٩٩)، وأحمد (١٨٩٣٤)، عن صهيب الرومي.

QaradawiBooks.com

طبيعة الدنيا:

وهذه سنَّة الله في هذه الحياة، الحياة الدُّنيا مليئة بالأشواك، بالآلام، بالمشـقَّات، الإنسـان فيها مُعرَّض لبليَّة نازلة، أو لنعمة زائلة، أو لمنيَّة قاتلة، في كل يوم يتعرض لهذا.

قيل للإمام عليٍّ رضي الله عنه: صِف لنا الدنيـا. قال: ماذا أصف لك من دار أولها بكاء، وأوسطها عناء، وآخرها فناء[1]؟ أولها بكاء لأنَّ أوَّل ما يخرج الإنسان من بطن أمه يبكي، ويقول في ذلك ابن الرومي:

لِمـا تُـؤذنُ الدُّنيا مـن صروفِها ... يكون بُـكاءُ الطفلِ سـاعةَ يولدُ
وإلَّا فمـا يُبكيـه فيهـا وإنَّهـا ... لأفسـحُ ممَّـا كان فيـه وأرغدُ؟
إذا أبصـر الدُّنيـا اسـتهلَّ كأنَّه ... بما سوفَ يلقَى من أذاها يُهدَّدُ[2]

أولها بكاء، وأوسـطها عناء، كلها عناء! يقـول بعضهم: زهدت في الدُّنيا لقلة غنائها، وكثرة عنائها، وسرعة فنائها، وخسة شركائها. شركاؤك في الدُّنيا يريدون أن يزاحموك عليهـا، وأن يأخذوها منك، وأن يقاتلوك عليها؛ فزهد الرجل في الدنيا!

جُبلت على كـدرٍ وأنت ترومها ... صفـوًا من الأقـذاء والأكـدارِ!
ومكلِّـفُ الأيـام ضـدَّ طباعها ... متطلِّبٌ فـي الماء جَـذْوة نارِ[3]

---

(١) رواه القالي في الأمالي في لغة العرب (١٢٠/٢)، نشـر دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٤٤هـ ـ ١٩٢٦م.

(٢) انظر: ديوانه (٣٧٤/١) شـرح أحمد حسن بسج، نشـر دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٢م.

(٣) من قصيدة لأبي الحسن علي بن محمد التهامي يرثي فيها ولده، انظر: الكشكول للعاملي (٢٠٥/٢ ـ ٢٠٧)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

QaradawiBooks.com

ويقول النبي ﷺ: «**لو كانت الدُّنيا تزنُ عند الله جناحَ بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء**»[١]. ولكنَّها لا تزنُ عند الله جناح بعوضة، ولذلك ترك الكفَّار والفجَّار والأشرار يتمتَّعون بها.

ويقول القرآن: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ۝ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ۝ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٣ ـ ٣٥]. لولا أنَّ الله تعالى يخشى على عباده أن يكونوا أمَّة واحدة على الكفر لم يعطِ كل ذلك للكفار.

من شأن الدُّنيا أنَّها دار بلاء ودار عناء، ثمَّ هي تنتهي بالفناء، عِش ما شئت فإنَّك ميت، وكما قال الشاعر:

إذا كان آخرُ العمرُ موتًا فسواءٌ قصيرُه والطويلُ[٢]

لهذا كان لا بدَّ للإنسان المؤمن أن يوطِّن نفسه على الصبر، كل إنسان لا بدَّ أن يصبر، لا تستطيع أن تنجح في أمور الدُّنيا ولا في أمور الآخرة إلَّا بالصبر، لا يستطيع العامل أن ينتج، ولا الفلاح أن تثمر أرضه، ولا الطالب أن ينجح في دراسته إلَّا بالصبر.

وقَلَّ مَنْ جدَّ في أمرٍ يُحاولُهُ واستصْحبَ الصبرَ إلَّا فاز بالظَّفَرِ[٣]

الصبر مطلوب للناس عمومًا، وللمؤمنين خصوصًا.

---

(١) رواه التِّرْمِذي في الزهد (٢٣٢٠)، وقال: صحيح غريب. وابن ماجه في الزهد (٤١١٠)، والحاكم في الرقاق (٣٠٦/٤)، وصحَّحه، وقال الذهبي: زكريا بن منظور ضعَّفوه. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩٤٣)، عن سهل بن سعد.

(٢) الشاعر العراقي بهاء الدين الرواس.

(٣) البيت من شعر محمد بن يسير مولى الأزد، كما في الشعر والشعراء لابن قتيبة (٨٦٨/٢)، نشر: دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

QaradawiBooks.com

الصبر على البلاء:

هناك صبر على بلاء الله، قد يبتليك الله بمرض في صحَّتك، أو بخسارة في مالك، أو بفقد حبيب من أحبابك، فلا بدَّ أن تصبر على البلاء.

ورأينا من الأنبياء الصَّابرين على البلاء سيِّدنا أيوب عليه السلام، الَّذي قال الله فيه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]. صبر على البلاء في بدنه، وصبر على البلاء في أهله.

الصبر عن المعصية:

وهناك صبرٌ عن معصية الله، أن تتراءى لك المعصية وأنت قادر على اقتطافها والاستمتاع بها، ولكن عليك أن تصبر عنها، وتفطم نفسك عنها، خشيةً في عذاب الله، ورجاءً في ثواب الله.

ورأينا من الأنبياء الصابرين عن معصية الله سيِّدنا يوسف عليه السلام، الَّذي عرضت له المعصية، وأغري بالفاحشة، ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣]، كان يمكنه أن يقع في أوحال المعصية، خصوصًا أنَّه شاب، والشباب شعلة من الجنون، وأنَّه عزب ولا زوجة له، وأنَّه غريب في أرض لا يعرفه فيها النَّاس، ولكنَّه قال: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

ولقد عاودت المرأة الأمر معه بعد أن جمعت النسوة، وحصل ما حصل، فقالت: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢]. تطلب منه المعصية بالأمر، وهي سيِّدته ومالكة أمره، جرَّبت سلاح الإغراء فلم يفلح؛ فأرادت أن تجرِّب سلاح التهديد بالسجن والصغار، ولكن يوسف لجأ إلى ربه وقال:

QaradawiBooks.com

﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٣ ـ ٣٤]. فهناك صبر على بلاء الله، وهناك صبر عن معصية الله.

الصبر على الطاعة:

وهناك صبر أعلى من هـذا، هو الصبر علـى طاعة الله ﷻ، ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، الصبر على طاعة الله وعبادته وإن طال الطريق، مطلوب للإنسـان مهما كلفه ذلك.

وقد ذكر لنـا القرآن نموذجًـا لهذا الصبـر على الطاعة هو سـيِّدنا إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وقد بلغ معه السعي، وقال له أبوه: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الصافات: ١٠٢]. فماذا قال الابن؟

إنَّ الولد سـرُّ أبيه، ومن يشـابه أباه فما ظلم، وكان إبراهيم قد نذر نفسه وكل حياته لله، ضحَّى بوطنه لله، وضحَّى بنفسه لله، والآن يُبتلى في ولده وفلذة كبده، وأحبِّ النَّاس إليه، وهو بكره الوحيد، فلم يكن يكافئ روعة موقف الوالد إلَّا روعة موقف الولد، قال إسـماعيل لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافـات: ١٠٢]. هذا هو الصبر على طاعة الله وإن كلفت الإنسان رقبته وحياته.

وانظر إلـى قوله: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾. لـم يدَّع بطولة أو شـجاعة، بل اعتصم بـالله، ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، وكان من الصَّابرين بتوفيق الله وفضله وحمايته لـه، ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات: ١٠٣]، أسلم الوالد ولده، وأسم الولد عنقه، لما أسلما لله جاء الفرج من الله،

QaradawiBooks.com

﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ۝ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٤ ـ ١٠٧].

الصبر على طاعة الله، الفرائض والنوافل لا بدَّ أن يصبر الإنسان عليها حتَّى يؤدِّيها كما ينبغي، كما أنَّ عليه أن يصبر عن المحرمات حتَّى يفطم نفسه عنها، ويبتعد عن آثامها وشرورها.

الصبر على مشاق الدعوة:

ثم هناك مرتبة أخرى في الصبر، هي الصبر على مشاقِّ الدعوة إلى الله، وهذه مرتبة الأنبياء وورثة الأنبياء، الدعوة إلى الله تحتاج إلى صبر طويل، لأنَّك إذا دعوتَ إلى الحق عاداك أهل الباطل، وإذا دعوتَ إلى الخير عارضك أهل الشر، وإذا دعوتَ إلى الصلاح وقف في طريقك أهل الفساد، فلا بدَّ أن تحدث المعركة بينك وبين المبطلين، وبين أعداء الله.

ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١]. خلق الله آدم وإبليس، وخلق إبراهيم والنمرو، وخلق موسى وفرعون، وخلق محمَّدًا وأبا جهل، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]. فالدعوة تحتاج إلى صبر طويل، فالطريق ليس مفروشًا بالأزهار ولا بالرياحين، الطريقُ مفروش بالأشواك، مضرَّج بالدماء، مليء بجثث الضحايا والشهداء.

كان الإمام ابن الجوزي يقول: يا مخنثَ العزم؛ أين أنت والطريق؟! طريق تعب فيه آدم، وناح فيه نوح، وأُلقي في النَّار إبراهيم، واضطجع للذبح إسماعيل، وشُقَّ بالمنشار زكريا، وذُبِح السيد الحصور يحيى،

QaradawiBooks.com

وعاش مع الوحوش عيسى، وقاسى الضُّرَّ أيوب، وزاد على المقدار في البكاء داود، واتُّهم بالسحر والشعوذة والجنون رسولُ الله ﷺ، وشدَّ الحجر على بطنه من شدة الجوع، ولله خزائن السماوات والأرض، وكُسرت رباعيته، وشق رأسه(١).

طريق الأنبياء وورثة الأنبياء طريقٌ طويل، فلا بدَّ لمن عرَّض نفسه للدعوة أن يصبر على مشاقِّ الدعوة، ظلَّ نوح عليه السلام ألف سنة إلَّا خمسين عامًا يدعو النَّاس إلى الله، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: ٥ ـ ٧]، أي أنَّهم لا يريدون أن يسمعوا صوته، ولا أن يروا وجهه، وهكذا ألف سنة إلَّا خمسين عامًا فلا يجيبه هؤلاء، لم يجبه إلَّا قليل، ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]، حتَّى ابنه كفر به، حتَّى امرأته كفرت به، أي مشقَّة تلك الَّتي نالها الرسل الكبار؟!

ولذلك قال الله لرسوله محمد: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٥]، ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠]، ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧]، ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩].

إن للدعوة إلى الله مشاقَّها، فعلى الَّذين يسلكون طريق الدعوة أن يوطِّنوا أنفسهم على صبر جميل، وصبر طويل، وصبر مرير.

(١) المدهش صـ ٢٩١، تحقيق د. مروان قباني، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

QaradawiBooks.com

حينما ظنَّ المسلمون في مكَّة أنَّهم يؤمنون ولا تصيبهم المصائب، ولا تنزل بهم المحن والشدائد؛ نفى القرآن هذا الوهم عنهم، وقال: ﴿الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٣]. لا بدَّ أن يُفتنوا، ولا بدَّ أن يُبتلوا.

وقد ابتُلي المؤمنون في مكَّة ابتلاءً شديدًا: في أنفسهم، وفي أهليهم، وفي كلِّ ما يعزُّ عليهم، ومرَّ النبي ﷺ على آل ياسر ـ عمار بن ياسر، وأبيه ياسر، وأمِّه سميَّة ـ وهم يُعذَّبون، يُسلَّط عليهم أنواع العذاب، فلم يملك عليه الصلاة والسلام إلَّا أن يقول لهم: «**صبرًا آل ياسر؛ فإنَّ موعدكم الجنَّة**»[1]. وماتت أم عمار تحت العذاب، وكانت أوَّل شهيدة في الإسلام، ومات أبو عمار تحت العذاب.

وحُوصر المسلمون في مكَّة ثلاث سنوات، لا يُباع لهم ولا يُشترى منهم، حتَّى دميت أشداقهم ممَّا اضطروا أن يأكلوه من أوراق الشجر، عُذِّب المسلمون، صُبَّ عليهم هذا الصاب والعلقم، خلال ثلاث عشرة سنة في مكَّة.

وجاء خباب بن الأرت إلى النبي ﷺ، وكانت له مولاة من قريش تكويه بالنار كيًّا، فجاء من هول ما رأى، ومن كثرة ما أصيب به: يشكو إلى النبي ﷺ، كما يحدُث أحيانًا بحكم الضعف البشري، جاء يقول: يا رسول الله، ألا تدعُو لنا؟ ألا تستنصر لنا؟ وكان النبي ﷺ متوسِّدًا رداءه

(١) رواه الطبراني في الأوسط (١٥٠٨)، والحاكم في معرفة الصحابة (٣٨٣/٣)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٥٩٢): رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح، غير إبراهيم بن عبد العزيز المقوم، وهو ثقة. عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

في ظل الكعبة؛ فجلس محمرًّا وجهه، وقال: «**يا خباب، لقد كان من قبلكم يُؤتَى بالرجل فيُحفر له في الأرض، ثمَّ يوضع فيها، ثمَّ يوضع المنشار على رأسه، فيُشق نصفين، ويُمشَّط بأمشاط الحديد، ما دون لحمه وعظمه، لا يصدُّه ذلك عن دينه، والَّذي نفسي بيده ليتِمَّنَّ الله هذا الأمر، حتَّى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلَّا الله والذئبَ على غنمه، ولكنكم تستعجلون**»[1]. هكذا يوقن بأنَّ العاقبة له، وأنَّ المستقبل له، وأنَّ النصر آتٍ لا ريب فيه، ولكن لا ينبغي أن نستعجل، ﴿**وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ**﴾ [الأحقاف: ٣٥]، «**ولكنكم تستعجلون**»، وقد حدث هذا النصر والحمد لله، نصر الله هؤلاء المستضعفين، ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾، هكذا نزل في مكَّة.

وفي المدينة بعد أن كانت الغزوات، وبعد أن حدث النصر في بعض منها: استروحوا إلى هذا، وظنُّوا أنَّهم لن يُفتنوا أبدًا فنزل قول الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]. مسَّهم البؤس والفقر في أموالهم، ومسَّتهم الجراحات والأمراض والعذاب في أبدانهم، ومسَّتهم الزلزلة في نفوسهم، كل هذا أصابهم حتَّى قالوا: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾؟ يستبطؤون النصر، والله تعالى يقول: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾.

كلما اشتدَّت الأزمة، واحلولك الظلام كان الفجر قريبًا، أشد ساعات الليل حلوكًا وسوادًا هي السويعات الَّتي تسبق الفجر، يشتد الظلام ويتفاقم، ثمَّ ينبثق الفجر، وينفجر الضياء، كما قال الشاعر:

---

(١) رواه البخاري في المناقب (٣٦١٢)، عن خباب بن الأرت.

QaradawiBooks.com

اشْـتَدِّي أَزْمَـةُ تَنْفَرِجِـي قَـدْ آذَنَ لَيْلُـكِ بالبَلَـجِ[١]

وقال الآخر:

ولَرُبَّ نازلَـةٍ يضيقُ بهـا الفتى ذرعًـا وَعنـد الله منهـا المَخْرجُ
ضاقت فلما استحكمت حلقاتُها فُرجَت وَكنت أظنُّهـا لَا تُفرجُ[٢]

لا بد من الفرج، الفرج قريب، ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]، وسـيجعل الله بعد الليل فجرًا، هذه سنَّة الله، ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، ودوام الحال من المحال، ما تعانيه أمَّتنا اليوم لن يدوم، لا بدَّ أن يتغيَّر الحال، لا بدَّ أن يكون عندنا الأمل، لا بدَّ أن يكون الصبر ممزوجًا بالأمل، أنَّ الله سيغير ما بنا، علينا أن نغير ما بأنفسنا ليغير الله ما بنا.

مشـاقُّ الدعوة إلى الله كثيرة، لا بدَّ أن نتحمَّلها، الَّذين وضعوا أنفسـهم موضع الدعاة إلى الله، وسـاروا في طريق الأنبياء لا بدَّ أن يتحمَّلوا، لا بدَّ أن يصبروا، بل إنَّ الله تعالى أمرهم أن يصبروا ويصابروا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]. كلمة صابروا تعني: غالبوا خصومكم وأعداءكم بالصبر، هم يصبرون على باطلهم؛ فلا بدَّ أن تكونوا أنتم أكثر صبرًا على حقكم.

أهل الباطل يصبرون على باطلهم، كما حكى القرآن لنا عن المشـركين: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ [ص: ٦]. وقالوا عن النبـي ﷺ: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ [الفرقـان: ٤٢].

(١) من شعر ابن النحوي التوزري، انظر: المنفرجتان لشـيخ الإسلام زكريا الأنصاري صـ٤٣، تحقيق عبد المجيد دياب، نشر دار الفضيلة، القاهرة.

(٢) البيتان لإبراهيم بن العباس الصولي، انظر: الفرج بعد الشدة للتنوخي (١٥/٥)، تحقيق عبود الشالجي، نشر دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

QaradawiBooks.com

صبروا على عبادة الأوثان؛ أفلا نصبر نحن على عبادة الرحمن، ودعوة القرآن؟ لا بدَّ أن يكون صبرنا أقوى من صبرهم.

لقد رأينا أهل الباطل يقدمون لباطلهم الكثير، رأينا اليهود أقاموا دولة لهم في قلب ديارنا، جاؤوا من هناك، من بعيد، من أوروبا وأمريكا وغيرها ليقيموا دولتهم، وبذلوا في سبيلها الأنفس والنفائس، صبروا على هذا الباطل حتَّى نصروه.

ورأينا المبشِّرين في أنحاء الأرض بالملايين، أربعة ملايين وسبعمائة وخمسين ألف مبشِّر ومبشِّرة، ينشرون ديانتهم في العالم، ورأينا الشيوعيين يدخلون السجون من أجل المبدأ الشيوعي، ويتحمَّلون المشقَّات والبلايا؛ أفلا نتحمَّل نحن المسلمين في سبيل إسلامنا، وفي سبيل قرآننا، وفي سبيل دعوة ربنا ما يفرضه علينا الواقع؟

إنَّ علينا أن نصبر ونتحمَّل، وبالصبر سنصل، وبالأمل سنصل، يقول الشاعر الصالح:

لا تيأسنَّ وإن طالتْ مُطَالَبَةٌ إذا استعنتَ بصبرٍ أن ترى فرجًا

أَخْلِقْ بذي الصَّبْرِ أن يَحْظَى بحاجتهِ ومُدمنُ القرعِ للأبوابِ أن يَلِجَا[1]

الذي يدمن قرع الباب لا بدَّ أن يُفتح له.

عاقبة الصبر وجزاء الصابرين:

لا ينبغي أبدًا أن نجزع، ولا ينبغي أبدًا أن نيأس، لا بدَّ أن نعتصم بالصبر، ووراء الصبر الخير كل الخير، في الدُّنيا والآخرة، كل خيرات

(١) البيتان من شعر محمد بن يسير مولى الأزد، كما في الشعر والشعراء لابن قتيبة (٨٦٧/٢)، نشر دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

QaradawiBooks.com

الدُّنيا والآخرة مرتبطة بالصبر، ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠]، ﴿وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النساء: ٢٥]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الفرقان: ٧٥]، ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢].

الصبر مفتاح كل خير، فعلينا أيُّها الإخوة أن نعتصم بالصبر، وأن نحبس نفوسنا على ما تكره، وإذا حبسنا نفوسنا على ما تكره فتلك عبادةٌ من أرقى العبادات، ومقامٌ من أعلى المقامات، وخُلقٌ من أسمى الأخلاق، فالصبر خُلق من الأخلاق الربَّانيَّة، ومن أخلاق المؤمنين، ومن أخلاق المرسلين، ولذلك كان الرسل هم الأسوة الحسنة في هذا الأمر كله، وجدنا أيوب عليه السلام، ووجدنا إبراهيم عليه السلام، ووجدنا إسماعيل عليه السلام، ووجدنا يوسف عليه السلام، كيف كانوا أسوة في الصبر.

ويوسف عليه السلام هو النموذج للشخصيَّة، لأنَّه صبر على كيد إخوته وحسدهم وأذاهم، وقد ألقوه في غيابة الجب، ثمَّ صبر على فراق أبيه وأخيه، ثمَّ صبر على الخدمة في البيوت، ثمَّ صبر على مراودة الَّتي هو في بيتها عن نفسه، ثمَّ صبر على التُّهمة الباطلة الَّتي اتُّهم بها وألقي بسببها في السجن، ثمَّ صبر على ما في السجن من مرارة ومن ظلمات بضع سنين، صبر على هذا كله فكان جزاؤه أن مكَّنه الله في الأرض.

سُئل الإمام الشافعي: أيهما أوْلى للمؤمن: أن يُبتلى أو يُمكَّن؟ قال: وهل يُمكَّن المؤمن إلَّا بعد الابتلاء؟ إنَّ الله ابتلى يوسف ثمَّ مكَّن له في الأرض[1]. ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٦]، ولهذا قال سيِّدنا يوسف بعد

(١) إحياء علوم الدين (٢٦/١)، نشر دار المعرفة، بيروت.

QaradawiBooks.com

أنَّ التقى بإخوته، وكشف لهم عن نفسه: ﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٩٠]. أشار إلى مفتاح القضية كلها: التقوى، والصبر.

علينا أيُّها الإخوة أن نصبر ونصبر ونصبر! سُئل أحد الدعاة يومًا، وقد كنا في السجن، وضاق الحال ببعض الإخوة كما يضيق الحال بالإنسان في حالات الضعف، فقال له: إلى متى نصبر يا شيخ فلان؟ فقال له: أريد أن أسألك عن أجر الصبر: أي مقدار هو؟ وإلى أي مدى هو؟ قال له: الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [الزمر: ١٠]. فقال له: إذا كان الأجر بغير حساب؛ فلا بدَّ أن يكون الصبر بغير حساب.

فيا أخي المسلم؛ اصبر، واصبر، واصبر، وثق أنَّ الله تعالى لن يتخلَّى عنك، فإن الله مع الصابرين، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣]، وإنَّ الله يحب الصابرين، وإنَّ الله ناصر الصابرين دائمًا، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦]، فالصبر مطلوب في السِّلم وفي الحرب، وفي الرخاء والشدَّة، وفي كل حالة من الحالات؛ لا بدَّ للإنسان أن يعتصم بالصبر، فإذا اعتصم بالصبر كان الله معه، ﴿وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ۞ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴾ [النحل: ١٢٦ ـ ١٢٧]، ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٠]، ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٦]، اللهمَّ آمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

غير مرخصة للطباعة

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

الذكرى الرابعة للانتفاضة الفلسطينية:

منذ يومين أتمَّت الانتفاضة الفلسطينية المباركة أربع سنوات من عمرها، زعم شارون أنَّه سيقضي عليها في مائة يوم، وخيَّب الله ظنَّه، وكذَّب دعواه، وأثبت الإخوة الفلسطينيون أنَّهم أحياء، وأنَّهم قادرون على أن يدافعوا عن أرضهم وعرضهم ومقدساتهم.

مضت مائة يوم، ومائة يوم، ومئات الأيام والانتفاضة مشتعلة، متأجِّجة، تؤدي دورها، تقاوم بصدور أبنائها الترسانة المسلحة، أكبر ترسانة في الشرق الأوسط، الَّتي تملك أسلحة الدمار، وتملك الأسلحة النوويَّة، وتستخدم القنابل المُحرَّمة، ولا تبالي بأحد، لأنَّها مسنودة بالقوة الكبرى، بالقوة العظمى، قوَّة أمريكا، فلا تبالي بمن تقتل، ولا تبالي بما تدمر، ولا تبالي بما تُجرِّف، ولا تبالي بما تُحرِّف.

كل يوم يمر نرى فيه هذه الكوارث والمصائب تنزل بالإخوة الفلسطينيين، أرض تُغتصب وتُضم إلى إسرائيل بالقوة، أو تُضم إلى ما يسمَّى الجدار العازل الَّذي يأخذ أرض الفلسطينيين قهرًا عنهم، ومزارع تُجرَّف، وأشجار تُقتلع، مليون ومائة ألف شجرة اقتلعها الصهاينة، بعضها أشجار معمَّرة من قبل الإسلام، اقتلعها هؤلاء!

وهناك قوافل الشهداء تَتْرى، الشهداء وراء الشهداء، ثلاثة آلاف وأربعمائة شهيد، منهم ألفان وأربعمائة وسبعة وسبعون من المدنيِّين،

QaradawiBooks.com

وسبعمائة واثنان وسبعون من الأطفال، وأكثر من ثلاثمائة اغتيال لشخصيَّات جهاديَّة وقياديَّة، في الفصائل الوطنية والإسلاميَّة: حماس، والجهاد، وكتائب الأقصى، والكتائب الشعبية، ومن هؤلاء وعلى رأسهم: شيخ الانتفاضة وشيخ فلسطين، وشيخ المقاومة ومؤسِّس حركة حماس: الشيخ أحمد ياسين رحمه الله ورضي عنه، وخلفه الدكتور عبد العزيز الرنتيسي، والأمين العام للجبهة الشعبية أبو علي مصطفى، وغيرهم وغيرهم ممَّن سقطوا شهداء في سبيل الله.

وظنَّ الصهاينة، وظنَّ شارون الملعون أنَّه بهذا سَيفُتُّ في عضد الفلسطينيين، سيزلزل الأرض من تحتهم، سيدخل الرعب في قلوبهم، ولكن هيهات هيهات، لقد ظل الإخوة الفلسطينيون يحاربون محاربة الأبطال، ويثبتون ثبات الجبال، ويتحدون شارون على جبروته وبطشه وأسلحته، لم ينحنِ لهم رأس، ولم يطأطئ لهم رأس، ولم يركع منهم أحد.

رأينا هذه المعارك الباسلة الخالدة، الَّتي تُذكرنا ببطولات الصحابة والفاتحين من المسلمين: في جنين، وفي غزة، وفي رفح، وفي نابلس، وفي الخليل، في هذه المدن كلها رأينا أبطالًا، كل يوم نرى أبطالًا؛ كأن أرض هذا الشعب تنبت أبطالًا، يموت البطل فيأتي أبطال غيره، كما قال الشاعر[1]:

إِذَا مات مِنَّا سيِّد قام سَيِّدٌ قَؤُولٌ لما قال الكِرَامُ فَعُولُ

هكذا رأينا هذه الانتفاضة، فعل شارون ما فعل، اثنان وخمسون ألفًا من المصابين المعوقين والمجروحين غير الشهداء، أربعة آلاف

(١) هو السموءل بن عاديا، انظر: ديوانه صنعة نفطويه صـ٧٨، تحقيق واضح الصمد، نشر دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

وخمسمائة منزل هُدِّمت، هناك كذلك أكثر من سبعة آلاف من الأسرى والمسجونين في سجون إسرائيل.

كل هذا لم يزعزع الإخوة الفلسطينيين؛ بل قام الإخوة الفلسطينيون بواجبهم، أدوا ما عليهم، لم تهولهم أسلحة شارون، ولا تهديدات شارون، ولا زال السيل يتقاطر، بالأمس فقط سقط نحو أربعين شهيدًا، ومائتان وخمسون جريحًا في عملية يسميها شارون (أيام الندم)، وستكون ندمًا وحسرةً عليه وعلى قومه إن شاء الله.

لا زالت قوافل الشهداء مستمرَّة؛ فأين ما قدَّمناه نحن لإخوتنا في فلسطين؟ أين أمَّة العرب؟ وأين أمَّة الإسلام؟ كأنَّ فلسطين والمسجد الأقصى وأرض الإسراء والمعراج تخص الفلسطينيين وحدهم.

الدفاع عن أرض الإسلام واجب:

إنَّ فقهاء المسلمين في كل مذهب يقررون: أنَّ الدفاع عن أرض الإسلام واجب الأمَّة، إذا غُزي أي بلد من البلدان أو أي قرية من القرى وجب على أهلها أن يدافعوا عنها، فإن قدروا على طرد العدو فبها، وإلا كان على جيرانهم ثمَّ جيرانهم أن يدافعوا عنها، حتَّى لو تقاعس أهل البلدة عن الدفاع عنها؛ لوجب على المسلمين الآخرين أن يدافعوا عنها؛ حتَّى لا تضيع بلد من دار الإسلام. إذا عجز قوم أو جبنوا وتقاعسوا عن الدفاع عن هذه الأرض: يظل الجهاد واجبًا على من يليهم ثمَّ من يليهم، حتَّى يصبح الجهاد واجبًا على الأمة الإسلاميَّة كافة. هذا ما يقرره الفقهاء.

وأنا أعتقد أنَّ هذا هو الحادث الآن، إما عجز، وإما جبن وتقاعس، وإمَّا ممالأة للأعداء، أو سير في ركابهم، أو انصياع لهم، هذا هو حال

QaradawiBooks.com

أمَّة العرب والإسلام، تركوا الإخوة الفلسطينيين يقاتلون وحدهم، ويقولون: نحن عرب، ونحن مسلمون! أين الدفاع عن المسجد الأقصى؟ أين الدفاع عن أرض الإسراء؟ أين الدفاع عن أرض النبوَّات؟

يظنُّ الكثيرون أنَّ إسرائيل خطر على الفلسطينيين وحدهم، ويعتبرون أنفسهم إذا دافعوا عن الفلسطينيين متفضِّلين عليهم، متضامنين معهم، الأمر ليس أمر تضامن، إسرائيل خطر على الجميع، وعدو للجميع.

كانت كل الدراسات من قبل تقول: إسرائيل خطرٌ على العرب، خطر عسكري، وخطر سياسي، وخطر اقتصادي، وخطر ثقافي، وخطر ديني. الآن يريدون أن يجعلوها خطرًا على الفلسطينيين وحدهم؛ مَنْ قال هذا؟!

إن إسرائيل ستأكلكم جميعًا أيُّها الحمقى، إسرائيل لن تترك أحدًا، هي مرحلة بعد مرحلة، لا تظنُّوا أنَّ إسرائيل ستكتفي بما أخذت، إنَّها طموحة ولكنَّها تتبع سياسة المراحل، إسرائيل من الفرات إلى النيل، ومن الأرز إلى النخيل، ستستمر إسرائيل في توسُّعها، هذه طبيعتها، إنَّه استعمار توسُّعي، استعمار عنصري، استعمار إحلالي استيطاني، استعمار شيطاني، فلا بدَّ أن يتعاون العرب والمسلمون جميعًا على مقاومة هذا السرطان، على مقاومة هذا الوحش المتوغِّل، فليس هذا مجرد معاونة أو تضامن مع إخواننا الفلسطينيين، هذا واجبنا للدفاع عن أرضنا.

وحتى لو أرادوه تضامنًا، أين هذا التضامن؟ لقد دافع العرب عن فلسطين سنة ١٩٤٨م. ودخلت سبعة جيوش منهم إلى فلسطين، وهناك منهم من خان، وهناك من فرَّط، وهناك من قاتل، ولكن المسمَّى أنَّهم دخلوا، وكان عمر الجامعة العربيَّة حينها ثلاث سنوات.

QaradawiBooks.com

الآن والجامعة العربيَّة اثنتان وعشـــرون دولـــة، ولها أكثر من نصف قرن، ولها كذا وكذا؛ أين موقفها؟ أين العرب؟ وأين المسلمون؟ تتركون إخوتكم وحدهم! بئس القوم أنتم.

يا أيُّها الإخوة؛ إنَّ إخوتكم في فلســطين بذلوا الـــدم، بذلوا الغالي والرخيص، ضحوا بالنفس والنفيس، ولم يهنوا ولم يســتكينوا ولم تلن لهم قناة، حيَّاهم الله، حيَّا الله هؤلاء الأبطال، حيَّا الله هؤلاء الرجال الَّذين رفعوا رؤوسنا.

حيَّا الله هؤلاء، وأخْـــزى الله كل من لا يعاونهـــم، أخزى الله كل من يصافح اليهود، ويمشي في ركاب اليهود وحماة اليهود، أخزى الله هؤلاء إن لم يفيقوا، إن لم يرجعوا إلى أنفسهم ويعرفوا الواجب عليهم، يعرفوا الفريضة المفروضة عليهم دينيًّـــا، والمفروضة عليهم قوميًّا، والمفروضة عليهم إنسانيًّا، أن يقفوا وقفة الرجال مع إخوانهم، ألا يدعوهم وحدهم، عارٌ عليكم يا عرب ويا مسلمون، وحرامٌ عليكم يا عرب ويا مسلمون: أن تدعوا إخوانكم وحدهم.

شح المساعدات المالية لفلسطين:

حتى المساعدات الماليَّة شـــحَّت عليهم، قلَّت عنهم، إذا كان هؤلاء يضحُّون بأرواحهم؛ أفلا تضحُّون بأموالكم أو ببعض أموالكم؟ يُقدِّمون دماءهم أفلا تقدِّمون شـــيئًا من ريالاتكم أو جنيهاتكم أو دنانيركم؟ أين أنتم يا قوم؟!

لا بد أن نبعث لهؤلاء بكل ما نســـتطيع، لن تقف عقبة في سبيلنا، نســـتطيع أن نُوصِّل إلى إخواننا المعُونات، وإن كانوا يعتبرون كل معونة

QaradawiBooks.com

هي من قبيل الإرهاب، لا، هذا فرض، على كل مسلم أن يعين إخوانه بما يستطيع.

وعلينا أن نُذكِّر دائما بهذا الواجب، فالناس ينسون للأسف، ويسترخون بمرور الزمن عن مقاطعة البضائع الإسرائيلية والأمريكية، ما نادينا به من قديم يجب أن يستمر، إن له أثره على المدى الطويل ويقلقهم، وهؤلاء يؤذيهم خسارة أي ريال؛ لأنَّهم يريدون المزيد من الكسب دائمًا، علينا أن نُذكِّر بالمقاطعة دائما.

وعلينا أن ندعو الله لهؤلاء الإخوة: أن ينصرهم على عدوهم، وأن يهديهم صراطًا مستقيمًا، وأن يسدد رميتهم، ويقوِّي شوكتهم، ويجمع كلمتهم، وأن يرد كيد أعدائهم في نحورهم، ويعيد سهامهم المسمومة إلى صدورهم.

ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبِّت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين، اللهمَّ انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهمَّ انصرنا على اليهود المعتدين الغادرين الظالمين، اللهمَّ انصرنا على الصليبيين الحاقدين الكائدين، اللهمَّ فُلَّ حدهم، وأدل دولتهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلًا على أحد من عبادك المؤمنين؛ ربنا إنَّكَ سميعٌ قريب.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١٧

حقيقة التوحيد(١)

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

كان من دعاء النبيِّ ﷺ دُبر كل صلاة: «**اللهمَّ أعِنِّي على ذِكرِكَ وشكرِكَ وحُسنِ عبادتِكَ**»(٢). وقد تحدَّثنا عن الذكر، ومنه الدعاء، وعن الشكر لنعم الله تبارك وتعالى.

حسن العبادة:

وبقي علينا أن نتحدث عن حسن العبادة، «**اللهمَّ أعني على ذكرك وشكرك وحسنك عبادتك**»، فنحن ما خُلقنا إلَّا لنعبد الله ﷻ، ما خلق الله النَّاس لمجرد أن يأكلوا ويشربوا، ويلهو ويلعبوا: أن يمشوا على التراب، ويعملوا في التراب، ثمَّ يأكلهم بعد ذلك التراب.. ما خلق الله النَّاس لهذا، وإنَّما خلقهم ليعرفوه ويعبدوه،

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة.

(٢) رواه أحمد (٢٢١١٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الصلاة (١٥٢٢)، والنسائي في السهو (١٣٠٣)، وابن خزيمة (٧٥١)، وابن حبان (٢٠٢٠)، كلاهما في الصلاة، عن معاذ بن جبل.

QaradawiBooks.com

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۞ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨].

ومن هنا كان على النَّاس أن يعرفوا معنى حُسن العبادة، وأول ما يجب علينا فقهه من حُسن العبادة: ألا نعبد إلَّا الله. التوحيد إفراد الله تعالى بالعبادة وبالاستعانة، فلا تعبد غيره، ولا تستعين بسواه، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥]، ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ [هود: ١٢٣].

إنَّ النَّاس يتعبدون، والتعبد موجود في كل ملَّة، وفي كل زمن، وفي كل بيئة، حتَّى قرر المؤرخون للديانات وللأمم: أنَّه قد وُجِدت في التاريخ مدن بلا مدارس، ووُجِدت مدن بلا حصون، ووُجِدت مدن بلا قصور، ولكن لم توجد مدينة قط بغير معبد، المعابد موجودة في التاريخ، ولكن المهم: مَنْ الَّذي يُعبَد؟

ضل الناس المعبود الحقيقي:

للأسف ضلَّ النَّاس طوال التاريخ عن المعبود الحقيقي فعبدوا من دون الله ـ أو عبدوا مع الله ـ آلهة أخرى، آلهةً في الأرض، أو آلهة في السماء، عبدوا ما يعقل، وما لا يعقل، وما لا يسمع ولا يبصر، عبدوا الشمس والقمر، كما حكى الهدهد لسليمان عليه السلام عن ملكة سبأ وقومها: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [النمل: ٢٤]. وهناك مَنْ عبدوا الكواكب من الصابئين، وهناك من عبدوا القوى الطبيعية: عبدوا الجبال، وعبدوا الأنهار.

وهناك مَنْ عبدوا الحيوانات: عبدوا العجول والأبقار، كان المصريون القدماء يعبدون عجلًا اسمه (هبيس أو أبيس)، ولا زال

QaradawiBooks.com

النَّاس في الهنـــد إلى اليوم مئات الملايين يعبدون البقرة، ويُقدِّســـون بولها وروثها، وفي القرن الســـادس الميلادي ـ قبيل بعثة النبي ﷺ ـ كان في الهند ثلاثمائة وثلاثون مليون إلٰه، صوَّروها ونحتوها، وملؤوا بها البيوت والطرقات.

كما عبد العرب في الجاهلية الأصنام، روى أبو رجاء العُطاردي قال: كنا نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجـــرًا هو أخير منه ألقيناه، وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجرًا جمعنا جَثْوة من تراب، ثمَّ جئنا بالشاة فحلبناه عليه، ثمَّ طفنا به[1].

كان بعض العرب يعبدون أصنامًا مـــن العجوة، يجمعون التمر ثمَّ يشكلِّون منه إلهًا، فإذا جاعوا أكلوه، وهذا ما أشار إليه القرآن في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٧٣]. الآلهـــة الَّتي يعبدونها من الحلـــوى وغير ذلك، ﴿لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣]. لـــو أكل الذباب من هذه الآلهة ما استطاعت أن تدفعه عن نفسها.

هكذا ضلَّ النَّاس الطريق، ضلَّ الخلق بالشِّـــرك عن الإلٰه الحقيقي، وعبدوا ما لا يُعبد، وأشـــركوا مع الله آلهة أخرى بدعـــاوى كثيرة، قالوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، وقالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]. اعتقدوا أنَّهم لن يصلوا إلى الله إلَّا بوســـائط، وكل هذه دعاوى باطلـــة، وقياس للخالق على الخلْق، فبـــاب الله مفتوح للجميع، وهو ينادي الجميع أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا.

(١) رواه البخاري في المغازي (٤٣٧٦).

QaradawiBooks.com

الملاحدون قلة:

كان الَّذين أنكروا وجود الله على مر التاريخ فئةً قليلةً مغمورةً، لا يُقام لها وزن، ولكن الَّذين ضلُّوا هم الَّذين أشركوا بالله، وعبدوا من دون الله ـ أو مع الله ـ آلهة أخرى، ولهذا أرسل الله الرسل ليردُّوا النَّاس إلى حقيقة التوحيد، ومن هنا كان النداء الأوَّل في كل رسالة رسول إلى قومه: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]. كان هذا نداء نوح، ونداء هود، ونداء صالح، ونداء غيرهم من الأنبياء، وهذا ما قرَّره القرآن الكريم حينما قال للنبي ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

هكذا أرسل الله الرسل؛ لينقذوا النَّاس من الشرك، الَّذي أضل المُكلَّفين عن الحقيقة، وجعلهم يتعبَّدون لما لا يُتعبَّد له، وينحنون لمخلوقٍ مثلهم، قد يكون حجرًا، وقد يكون بشرًا، لأن هناك آلهة أيضًا من البشر ادَّعوا لأنفسهم، أو ادَّعى لهم أتباعهم أنَّهم آلهة مع الله، أو أنَّهم آلهة من دون الله.

حكى القرآن عن النّمرود، وكيف حاجَّه إبراهيم عليه السلام، ﴿إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، وكان قد حكم على اثنَيْن بالإعدام، فنفَّذ الحكم في أحدهما، وعفا عن الآخر، وقال: هذا أحييته، وهذا أمتُّه! ﴿قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، انتقل من دليل إلى دليل آخر؛ حتَّى لا يقع في جدل لا معنى له، ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وقال فرعون: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص: ٣٨]. ووجد هؤلاء مَنْ يُصدِّقهم،

QaradawiBooks.com

ومَنْ يعترف بربوبيَّتهم، طمعًا أو خوفًا، أو جهلًا وغباءً، وعُبِد من النَّاس مَنْ لا يستحق أن يُعبَد.

كان الشـــرك هو مباءة الخرافات، ووكر الضـــلالات والأباطيل على مدى القرون المتطاولة، واستطاع الكهنة الَّذين يدَّعون أنَّهم هم القريبون من الآلهة، وهم ألسنتها الَّتي تتكلَّم باسمها، استطاع هؤلاء أن يضحكوا على الشـــعوب، وأن يضللوها، وأن يبتزوا أموالها، وأن يدَّعوا أنَّهم هم وحدهم المحتكرون للدين، والمتاجرون بالوساطة بين الله وبين عباده.

لهذا جاء الإســـلام فأبطل هذا كله، أبطل الشرك بكل صوره، وأعلن أن كلمة الإســـلام العليا، وباب الدخول في الإســـلام هو: لا إلٰه إلَّا الله. هذه هي الكلمة المعبِّرة عن الإســـلام: كلمة التوحيد، كلمة الإخلاص، كلمة التقوى.

التوحيد الذي جاء به النبي ﷺ:

كانت كلمة التوحيد إيذانًا بميلاد جديد للبشـــريَّة، يتحرَّر فيه النَّاس، ترتفع فيه الجباه عن الانحناء لأيِّ مخلوق كان، فلا يُعفِّر أحد جبهته إلَّا لله ساجدًا، ولا يُطأطئ رأســـه إلَّا لله راكعًا، ولا يرجو ولا يخاف إلَّا الله، النَّاس كلهم عبيد؛ فلماذا ينحني إنســـان لآخر؟ ولماذا يخاف النَّاس من الناس؟ الرزق بيـــد الله، والأجل بيد الله، والضر والنفـــع بيد الله، فلهذا يجـــب أن يتحرَّر النَّاس مـــن الخـــوف، ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

كان هذا هو التوحيد الَّـــذي جاء به محمَّد ﷺ، مؤكِّـــدًا لما جاء به الأنبياء من قبل، ومُصحِّحًا لما حدث من انحرافات في الأديان السماويَّة

QaradawiBooks.com

الَّتي دخلت عليها الوثنيَّة فأفسدتها. فقد دخلت الوثنيَّة على اليهوديَّة فأخرجتها من حقيقة التوحيد بعد أن أفسدها التَّجسيد والتَّشبيه، كما دخلت الوثنيَّة على النصرانيَّة فأفسدتها أيضًا منذ عهد قسطنطين؛ فأصبح المسيح إلهًا مع الله، إلهٌ حقٌّ من إلهٍ حقٍّ، وأصبح أحد الأقانيم الثلاثة.

حقيقة التوحيد:

هكذا فسدت الأديان كلها، فكان النَّاس في حاجة إلى توحيد محرَّر مصفًّى، فجاء محمَّد ﷺ ليعلن حقيقة التوحيد، ويحمي جناب التوحيد، وحمى التوحيد من كل شائبة، جاء يُعلن ذلك في الأذان من فوق المنائر، خمس مرَّات في كل يوم يُعلَن على مرأى ومسمع من الناس: أشهد ألا إلٰه إلَّا الله. وفي الإقامة حينما نقيم الصلاة، وفي التشهُّد حينما نتلو التَّحيَّات في الصلوات: أشهد ألا إلٰه إلَّا الله، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

وحينما يُولد المولود أوَّل ما يطرق سمعه هو التوحيد، فمن السنة أن نؤذِّن في أذن المولود اليُمنى، نسمعه الأذان: الله أكبر الله أكبر، أشهد ألا إلٰه إلَّا الله. ومن السنَّة كذلك أن يُلقَّن المحتَضَر حين يموت: لا إلٰه إلَّا الله. فأول ما يستقبل الإنسان هذه الدنيا: لا إلٰه إلَّا الله؛ وآخر ما يودع به الدنيا: لا إلٰه إلَّا الله؛ التوحيد مبتدؤه، والتوحيد منتهاه، والتوحيد هو رسالته فيما بين الموت والحياة.

هكذا جاء الإسلام ليُقرَّ حقيقة التوحيد ويثبِّتها، ليُحرِّر النَّاس من الوثنيَّة أيًّا كانت هذه الوثنيَّة، فلا يجوز أن يتَّخذ الإنسان غير الله ربًّا، ولا أن يتَّخذ غير الله وليًّا، ولا أن يبتغي غير الله حكَمًا، وهذه عناصر التوحيد الَّتي أقرتها سورة التوحيد، سورة الأنعام: ألا تبغي غير الله ربًّا،

QaradawiBooks.com

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وألا تتَّخذ غير الله وليًّا، توالي فيه وتعادي فيه، ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤]، وألا تبتغي غير الله حكمًا تحتكم إليه، وترضى بأمره ونهيه، ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤]، فلا حَكَمَ غير الله، ولا وليَّ غير الله، ولا ربَّ غير الله.

شرك أهل الكتاب:

إنَّ النبيَّ ﷺ قد حكم على أهل الكتاب بالشرك؛ لأنَّهم اتَّبعوا أناسًا حلَّلوا لهم وحرَّموا بدون إذن من الله، وأطاعوهم طاعة مطلقة، ولذلك حينما دخل عدي بن حاتم الطَّائي على النبي ﷺ، وكان في عُنق عدي صليبٌ، وكان قد تنصَّر في الجاهليَّة، دخل على النبي ﷺ، فسمعه يقرأ سورة التوبة إلى أن وصل ﷺ إلى هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [التوبة: ٣١]. فقال: يا رسول الله، ما اتَّخذناهم أربابًا، ما كنَّا نعبدهم. فقال ﷺ: «**ألم يكونوا يُحلُّون لكم الحرام، ويُحرِّمون عليكم الحلال فتطيعوهم؟**» قال: بلى؟ قال: «**فتلك عبادتكم إيَّاهم**»[1]. ما داموا قد جعلوا من أنفسهم مُشرِّعين، يُحلِّلون ويُحرِّمون ما شاؤوا، حتَّى ولو حرَّموا ما أحلَّ الله، وأحلُّوا ما حرَّم الله، وتبعتموهم على ذلك طائعين مختارين فقد عبدتموهم، سلبتم الله حقَّه في التَّشريع والتَّحليل والتَّحريم، وأعطيتموه لهؤلاء النَّاس، فتبعتموهم وأطعتموهم، قال: بلى؟ قال: «**فتلك عبادتكم إياهم**».

(١) رواه الترمذي في تفسير القرآن (٣٠٩٥)، وقال: هذا حديث غريب. وحسَّنه الألباني في الصحيحة (٣٢٩٣).

QaradawiBooks.com

رسالة الإسلام تحرير البشر من الوثنيَّة:

إنَّ الإسلام جاء يُحرِّر البشريَّة من الوثنيَّة، ويرتفع بالناس من حضيض الوثنيَّة والشرك، ومباءة الخرافات والضلالات، إلى الارتفاع الإنساني، إلى السمو الإنساني، حيث لا يرجو الإنسان إلَّا ربه، ولا يخاف إلَّا ذنبه، ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]، هكذا شأن المشرك. أمَّا التوحيد فهو ارتفاع وسمو.

المشرك يخاف من كل شيء، يخاف من المجهول ومن المعلوم، من الجن ومن الإنس، ويخاف على نفسه، ويخاف على أهله، ويخاف على رزقه، ويخاف على أجله، ويخاف من كل شيء، أمَّا مَنْ وحَّد الله فلا يخاف إلَّا الله، ولهذا قال الله في المشركين: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٥١].

أمَّا المؤمنون فليس عندهم هذا الرعب ولا هذا الخوف، بل عندهم الأمن النفسي، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]. سأل الصحابة الرسول ﷺ عن هذه الآية، قالوا: ومَنْ منا لم يظلم نفسه يا رسول الله؟ إذا كان هذا لمن لم يخلط إيمانه بأيِّ نوع من الظلم؛ فكلنا يظلم نفسه ويتعرض للظلم، قال: «**ليس كما تقولون، إنَّه الشرك، أَمَا سمعتم ما قال لقمان لابنه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾** [لقمان: ١٣]»[(١)]. فمعنى أنَّهم لم يلبسوا إيمانهم بظلم: أنَّهم أخلصوا توحيدهم لله؛ فلم يشوبوه بشائبة من الشرك.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٦٠)، ومسلم في الإيمان (١٢٤)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

وهكذا ينبغي أن يكون الإنسان المؤمن محرِّرًا توحيده، مُصفِّيًا له من كل ما يشوبه، فإذا سأل لا يسأل إلَّا الله، وإذا استعان فلا يستعين إلَّا بالله، وإذا نذر لا ينذر إلَّا لله، وإذا ذبح لا يذبح إلَّا لله، لا ينذر لنبي ولا لولي، ولا يذبح لنبي ولا لولي، فهذه عبادات لا ينبغي أن تُوجَّه إلَّا لله، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

تحرير التوحيد من الخرافات:

ينبغي أن نحرِّر التوحيد ممَّا شابه على مر العصور، فممَّا يؤسف له أنَّ المسلمين شابوا توحيدهم بمخالطة الأمور الأخرى، ودخلت عليهم خرافات وأباطيل، فاتَّخذوا القبور مساجد، وبنوا في المساجد قبورًا، وتبرَّكوا بالشجر والحجر، واستغاثوا بالأولياء وأصحاب الأضرحة، ووسطوا بينهم وبين الله وسائط، ونذروا لغير الله، وذبحوا لغير الله، وعلَّقوا التمائم والأحجبة، وكل هذا ممَّا حذَّر منه النبي ﷺ، قال: «**لا تتَّخذوا القبور مساجد**»[(١)]، «**لعن الله اليهود والنصارى؛ اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[(٢)]. وحذَّر أن يُتَّخذ قبره من بعده وثنًا يُعبد، قال: «**لا تتَّخذوا قبري بعدي عِيدًا**»[(٣)]. حذَّر من ذلك أشدَّ التحذير خشية الغلو، أن يغلوا بعض الناس؛ فيصلوا إلى ما وصلت إليه الأمم الأخرى.

قالوا: إن وَدًّا وسواعًا ويغوث ويعوق ونسرًا ـ أصنام قوم نوح ـ كانت في الأصل أسماء لرجال صالحين، لمَّا ماتوا عكف أتباعهم وأصحابهم

(١) رواه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٢)، عن جندب.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجنائز (١٣٣٠)، ومسلم في المساجد (٥٢٩)، عن عائشة.

(٣) رواه أحمد (٨٨٠٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في المناسك (٢٠٤٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

على قبورهم، ثمَّ صوَّروا لهم صورًا ليتذكَّروهم بها، وبِمُضِيِّ الزمن نسي النَّاس قصة هذه الصور، وصارت أصنامًا تُعبد من دين الله.

لهذا كان النبي ﷺ حريصًا أشدَّ الحرص على أن يمنع كلَّ ما يشوب التوحيد، قال له رجل: ما شاء الله وشئت يا رسول الله. قال: «**أجعلتني لله ندًّا؟ قل: ما شاء الله وحده**»(١). وفي بعض الأحاديث: «**قل: ما شاء الله، ثمَّ ما شاء فلان**»(٢). لا ينبغي أن يقرن الإنسان بين الله وغيره، لا تقل: باسم الله واسم فلان، أو لوجه الله ولوجه فلان. إن كان ولا بدَّ أن تقرن مع الله أحدًا أو شيئًا فليكن العطف بـ(ثُمَّ) الَّتي تدلُّ على افتراق الرتبة، تقول: لولا الله ثمَّ فلان. لا تقل: لولا الله وفلان.

وهكذا كان السلف حذرين أشدَّ الحذر من مثل هذه الألفاظ الموهمة للشرك، وهكذا كان النبي ﷺ، وكان يقول: «**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، ولكن قولوا: عبد الله ورسوله**»(٣). ولذلك نقول في تشهُّد الصلوات: وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. نشهد له بالعبوديَّة والرسالة معًا، فهو ليس أكثر من عبد لله، ليس شريكًا مع الله، ولا نِدًّا لله، إنَّما هو مخلوق من مخلوقات الله، اصْطفاه الله ﷻ وأوحى إليه، ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠].

---

(١) رواه أحمد (١٨٣٩)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٧٥٩)، وابن ماجه في الكفارات (٢١١٧)، والبخاري في الأدب المفرد (٧٨٣)، عن ابن عباس.

(٢) رواه أحمد (٢٣٢٦٥)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وأبو داود في الأدب (٤٩٨٠)، والنسائي في الكبرى، في عمل اليوم والليلة (١٠٧٥٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٣٧)، عن حذيفة بن اليمان.

(٣) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٤٥)، عن عمر بن الخطاب.

QaradawiBooks.com

كان ﷺ حريصًا على أن يحمي حِمَى التوحيد من كل ما يُكدِّر صفاءَه، وكان يُحذِّر أصحابَه من كل ما يدخل في هـذا الناحية، ولذلك نراه منع الصلاة عند طلوع الشـمس إلى أن ترتفع، وعند اسـتوائها إلى أن تزول، وعند اصفرارها إلى أن تغرب، منع التطوع في هذه الأوقات؛ لماذا؟ لأن عُبَّاد الشمس كانوا يسجدون لها يتقرَّبون إليها في هذه الأوقات، فخُشِي أن تكون هذه المشابهة ذريعة لمشابهة المشركين فسدَّ الباب من أصله.

ينبغي أن نكون محتاطين في أمور التوحيد والشرك، قال النبي ﷺ: «**مَنْ علَّق تميمة فقد أشـرك**»[1]. تميمة: خرزة، حجاب، شيء ممَّا يُعلِّقه النَّاس تعويذةً ليحفظه من العين، أو يحرسـه مـن الجن، أو نحو ذلك، فهذه ضروب من الشرك.

وكذلك الرُّقَى ـ إلَّا ما كان فيه ذكر لله تعالى ولأسمائه وصفاته ـ نوع من الشرك، والتبرك بالأحجار والأشـجار ونحوها نوع من الشرك، رأى الإمام زيـن العابدين ابن الحسـين بن عليٍّ رجلًا وجـد فُرجة عند قبر النبي ﷺ، فـكان يأتي عندها ويدعـو الله تعالى فيهـا، فنهاه عن ذلك، وأبلغه أنَّ النبيَّ ﷺ نهـى عن ذلك، وقال: «**إنَّ سـلامكم يبلغني حيثما كنتم**»[2]. فصلِّ وسلِّم على النبي ﷺ أينما كنت تبلغه صلاتك وتسليمك، هكذا كانوا حذرين.

ولمَّا بلغ عمر رضي الله عنه أن بعض المسـلمين كانوا يذهبون إلى الشجرة الَّتي بايـع الصحابةُ النبـيَّ ﷺ عندها في يوم الحديبية، وهي الشـجرة

(١) رواه أحمد (١٧٤٢٢)، وقال مخرِّجوه: إسـناده قوي. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٩٢)، عن عقبة بن عامر.

(٢) رواه الضياء في المختارة (٤٢٨).

QaradawiBooks.com

المذكورة في القرآن، ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، كان بعض المسلمين يذهبون إلى تلك الشجرة للتبرُّك بها، فلما بلغ عمر ذلك أمر بقطعها سدًّا لباب الفتنة(١)، حتَّى لا تهُبَّ رياح الفتنة على الناس.

هكذا أيُّها الإخوة المسلمون ينبغي أن نصون توحيدنا، ينبغي أن نعيش بهذا التوحيد، فنحن أمَّة التوحيد، إذا أردنا أن نضيف الإسلام إلى شيء قلنا: إنَّه دين التوحيد. فهو دين التوحيد بعد أن ضلَّت الأمم عنه، ولو عرفنا التوحيد حقًّا لكنا سادة الأمم، وكنَّا خير الأمم، وانطلقنا بهذا الدين في الشرق والغرب؛ مُبشِّرين ومنذرين، ندعو البشريَّة إلى التَّحرُّر الحقيقي.

وإنَّ أساس التَّحرُّر الحقيقي هو التَّوحيد، لأننا إذا حرَّرنا النَّاس من عبادة غير الله؛ فقد تحرَّروا حقًّا، فلا حريَّة لمن يعبد غير الله، سواء كان هذا الغير حجرًا أم بشرًا، فأساس الحريَّة توحيد الله ﷻ.

ثم الأخوَّة الَّتي ينادي الإسلام بها النَّاس، لأنَّه لا أخوَّة بين رب ومربوب، لا يمكن أن يكون نمرود، ولا أن يكون فرعون أخًا للذين يعبدونه، لا يمكن أن يكون الأحبار والكهنة الَّذين يتحكَّمون في ضمائر النَّاس، ويبيعون لهم الجنَّة أسهمًا وقراريط، ويغفرون لهم إن شاؤوا أو لا يغفرون، لا يمكن أن يكون هؤلاء إخوة للنَّاس، بل هم سادة عليهم.

إنَّ الأخوَّة الحقيقيَّة إنَّما تكون في ظلال التوحيد. أنت أخي وأنا أخوك؛ لأننا جميعًا نعبد ربًّا واحدًا، قد تملك القناطير المقنطرة من الذهب والفضة، قد تكون عندك الملايين في رصيدك، قد تكون من

(١) الحوادث والبدع للطرطوشي صـ١٦٠، نشر دار ابن الجوزي، ط ٣، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

QaradawiBooks.com

أعظم أســرة في النَّاس، ولكن أنا بشــر وأنت بشــر، أنا وأنت نعبد ربًّا واحدًا، فأنت أخي وأنا أخوك إذن، هذا هو ما جاء به الإســلام، فالحرية والأخوة والمساواة تنبع من التوحيد.

التوحيد أساس الفلاح في الدنيا والاخرة:

التوحيد هو أساس الفلاح والسعادة في الدُّنيا والآخرة، فعلينا أيُّها الإخوة أن نعرف حقيقة التوحيــد، ونتعلَّمه ونُعلِّمه، ونعيش به ونعيش له، وندعــو إليه؛ كما دعــا الصحابة رضوان الله عليهــم، حينما وقف ربعي بن عامر ـ هذا القائد الأعرابي البسيط ـ أمام رستم قائد الفرس، وقال له رستم: مَنْ أنتم؟ قال له: نحن قوم ابتعثنا الله لنُخرج النَّاس من عبادة العباد إلى عبــادة الله وحده، ومن ضيق الدُّنيا إلى سَــعتها، ومن جَوْر الأديان إلى عدل الإســلام[1]. هكذا أدرك الصحابــة أنَّ مهمَّتهم ليست تحرير أنفسهم فقط، ولا تحرير جزيرة العرب فقط، ولكن تحرير مَنْ شــاء الله من النَّاس، من عبادة العباد إلى عبــادة ربِّ العباد، هكذا ينبغي أن نكون.

نسأل الله ﷻ أن يفقِّهنا في ديننا، وأن يُعلِّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علَّمنا، آمين.

أقول قولي هذا، وأســتغفر الله تعالى لي ولكم فاســتغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

(١) رواه الطبري في تاريخه (٥٢٠/٣)، نشر دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

مساعدة المسلمين في أوغندا:

كنت حدثتكم منذ أسابيع عن إخوة لكم في أوغندا في شرق أفريقيا، وعمَّا يعانيه هؤلاء الإخوة هناك، من حرب صليبيَّة جعلتهم يأكلون أوراق الشجر، اضطرت فريقًا منهم أن يأووا إلى الغابات، هاربين فيها من القتل والإبادة الجماعيَّة، فبعد خروج عيدي أمين من الحكم، كانت هناك حملات صليبيَّة وحشيَّة على هؤلاء الإخوة المسلمين، حتَّى اضطروا إلى أن يلجؤوا إلى الغابات والأدغال، يعيشون فيها أشهرًا وسنين، ولا زال بعضهم هناك، حتَّى قال لي بعض الإخوة الَّذين يقيمون معنا هنا لدراسة اللغة العربيَّة بجامعة قطر: إنَّ بعضهم لا يزالون في الغابات لأنَّهم لا يجدون من الملابس حتَّى يعودوا إلى القرى والمدن. لا يجدون ما يستر عوراتهم، هكذا يعيش هؤلاء الإخوة، ولهؤلاء الإخوة تلاميذ في المدارس لا يجدون الكتاب الَّذي يقرؤونه، لا يجدون المصحف الَّذي يقرؤون فيه، لأنَّه لا توجد مطبعة واحدة للمسلمين هناك في شرق أفريقيا تطبع لهم المصحف، أو تطبع لهم الكتاب، أو تُجلِّد لهم الكراسة، حتَّى الكراسة لا يجدونها، حتَّى القلم الرصاص لا يجدونه، وبجوارهم الكنائس التَّبشيرية تُغدَقُ عليها الملايين، ويدخلها التلاميذ فيجدون كل شيء مُيسَّر: الطعام، والشراب، والكساء، والدواء، والكتاب، والقرطاسيَّة، والناقلات الَّتي تنقلهم، والمساكن الداخليَّة، ويقولون للمسلمين: لماذا تتعبون أنفسكم؟ هاتوا أولادكم عندنا ونحن نُعلِّمهم بالمجانِّ، لا نطلب

QaradawiBooks.com

منكم شـــيئًا، وهؤلاء يضنُّون بأولادهم أن يُنشَّؤوا نشأة غير إسلاميَّة، أن يُنشَّؤوا في حضانة التبشـــير والتنصير، هؤلاء يحتاجون إلى مَنْ يُعينهم، ذكرت مرَّة أنَّهـــم يحتاجون إلى مطبعـــة يطبعون فيها القـــرآن والكتب الدينيَّة، ألا يوجد مَنْ يعاونهم لشراء مطبعة؟ إن هناك أناسًا من المسلمين في بعـــض الأعراس، بل فـــي عرس واحـــد ينفقون هـــذا، فهناك أناس يستطيعون أن ينفقوا على هذا المشروع لو جادت أنفسهم، أفلا يوجد من ينفق، ومن يجود، ومن يسخو؟

على كل حال أيُّها الإخوة؛ إذا لم نجد الأغنياء الَّذين يجودون فليس أمامنا إلَّا الفقراء والمتوسِّطون من النَّاس، والقليل على القليل كثير، وقد تعوَّدنا في هذا المسجد ألَّا نجمع تبرُّعات، وألَّا نفتح الباب لذلك، وهذا ما توجِّه إليه رئاسة المحاكم الشـــرعيَّة، ولكنِّي خرجت عن هذه القاعدة من أجل هؤلاء الإخوة، نريد أن نجمع لهم ما تيسَّـــر، عســـى الله تبارك وتعالى أن يعيدهم إلى بلادهـــم مجبورين، وقد اطمأنَّت خواطرهم على مستقبلهم ومســـتقبل أبنائهم، فأدعوكم إلى أن تساعدوهم بما استطعتم، ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٠]، يمكن أن تعطيهم من الزكاة، ويمكن أن تعطيهم ممَّا بعد الزكاة، والله تعالى يتقبَّل منَّا ويقبلنا؛ إنَّه هو السميع العليم.

* * *

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

١٨

الإسلام واستشراف المستقبل(١)

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

تُهَمٌ باطلة وأدلَّة مغلوطة:

كنت أقرأ من قريب مقالًا لأحد العلمانيين في إحدى الصحف العربيَّة، وكان يحذِّر من الثقافة الدِّينيَّة، ويقول: إنَّ هذه الثقافة تحمل دائمًا أفكارًا رجعية، تؤخِّر النَّاس إلى الوراء، ولا تقدِّمهم إلى الأمام.

وذكر مثلًا لذلك: أنَّ هذه الثقافة تربط النَّاس دائمًا بالماضي، ولا تربطهم بالحاضر، ولا تجعلهم يفكِّرون في المستقبل؛ فالمسلمون والمُتَدَيِّنون أناس ماضَوِيُّون، لا يعرفون إلَّا الأمس؛ إلَّا ما مضى، أمَّا المستقبل فلا يستشرفونه، ولا ينظرون إليه.

واستشهد على ذلك بأنَّهم يقولون: إنَّ المستقبل غيب، والغيب لا يعلمه إلَّا الله، إنَّه من اختصاص الله وحده، فلا ينبغي للإنسان أن يقحم نفسه فيما لا يحسنه، وفيما يختصُّ الله تعالى به.

(١) أُلقيت في مسجد عمر بن الخطَّاب بالدوحة، في ٥ شعبان ١٤٢٦هـ الموافق ٩ سبتمبر ٢٠٠٥م.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

ومن ناحية أخرى قالوا: إنَّ النظرة إلى المستقبل والتخطيط للمستقبل ينافي التوكُّل على الله؛ فالإنسان المسلم المتدين متوكِّل على الله، والتوكُّل على الله عندهم أن يطرح الأسباب ويتوكَّل على ربِّ الأرباب.

فمن أجل هذا لا يُنتظر ولا يُرتقب من دعاة الإسلام أن تتقدَّم الأمَّة على أيديهم؛ لأنَّ الأمَّة الَّتي تتلقى هذه الثقافة تعيش في الماضي أبدًا، لا تعيش في الحاضر، ولا تفكِّر في المستقبل، ولأنَّ معنى ذلك: أنَّ هذه الأمَّة لا تخطِّط لنفسها، ولا تعمل لغدها.

التعميم في مثل هذه الأمور لا يجوز:

هكذا يتصوَّرون الثقافة الدِّينيَّة أو الثقافة الإسلاميَّة، ولو قال الكاتب: إنَّ بعض من يتبنون الثقافة الدِّينيَّة، وتثقيف النَّاس في المساجد، أو على المنابر، أو في الدروس الدِّينيَّة، يحملون هذا الفكر القاصر، أو هذا الفكر المسموم، أو هذا الفكر الرجعي، لكان معقولًا، أمَّا أن يتَّهم الثقافة الدِّينيَّة، وبعبارة أخرى: الثقافة الإسلاميَّة بأنَّها ثقافة رجعية، وتؤخِّر النَّاس إلى الوراء، فهذا اتهام للإسلام نفسه.

هؤلاء ـ للأسف ـ يكتبون ولا يردُّ عليهم أحد، وتفتح لهم الصحف أبوابها وأعمدتها، يملؤونها بما يعرفون ولا يعرفون.

أنا لا أنكر: أنَّ هناك ممَّن يثقِّف النَّاس دينيًّا على المنابر وفي الدروس من يحمل مثل هذه الأفكار القاصرة، والأفكار المغلوطة، والأفكار الرجعية، ولكن تعميم هذا هو الَّذي ننكره.

نظرة الإسلام الحقيقيَّة إلى الزمن:

أيها الإخوة، إنَّ الإسلام في ثقافته الحقيقيَّة، وثقافته الصحيحة؛ يربط

QaradawiBooks.com

الإنسان بالغد؛ كما يربطه بالأمس، إنَّه يجعل المسلم يعيش متوازنًا مع زمنه كلِّه؛ مع أمسه ويومه وغده.

إنَّه ينظر إلى الأمس ليأخذ منه العبرة، وينظر إلى اليوم ليعايشه ويعمل فيه، وينظر إلى الغد ليفكِّر فيه ويعدَّ له العدَّة.

هذا هو شأن الإنسان المؤمن.

مضى اليوم، ولكن ليس معنى مضي اليوم أنَّه انتهى.

لا، إنَّك محاسَب على كلِّ ما مضى من زمنك، ستُسأل عن كلِّ يوم مضى من زمنك، عن كلِّ ساعة، عن كلِّ دقيقة؛ ماذا عملت فيها؟ وماذا أردت بهذا العمل؟ وكم أصبت؟ وكم أخطأت؟ وكم أصلحت؟ وكم أفسدت؟

لا بدَّ للإنسان أن يفكِّر فيما مضى؛ فإنَّ الله أعطى الإنسان ذاكرة حتَّى يتذكَّر ما فات.

بعض النَّاس يقولون: ما فات مات.

لا؛ إنَّه لم يمت؛ إنَّ الماضي يحكم على الحاضر، ويؤثِّر في المستقبل.

المسلم يعتبر بالماضي، ويعايش الحاضر، الحاضر له حقٌّ، لا ينبغي أن يغفل النَّاس عن حاضرهم، وعن واجب الحاضر.

إنَّ النَّبي ﷺ يعلِّمنا بهذا الحديث الرائع حقَّ الحاضر علينا فيقول: «**إن قامت الساعة وبيَدِ أَحَدِكُم فسيلة** ـ شتلة أو نخلة صغيرة ـ **فإن استطاع ألَّا تقوم** ـ يعني: ألَّا تقوم الساعة ـ حتَّى **يغرسها فليفعلْ**»[1].

(١) رواه أحمد (١٢٩٨١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والبخاري في الأدب المفرد (٤٧٩)، والضياء في المختارة (٢٧١٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

الساعة ستقوم، وفي يده هذه الشتلة، أو هذه النخلة الصغيرة؛ إن استطاع ألَّا تقوم الساعة حتَّى يغرسها فليغرسها! لماذا يغرسها؟

إنَّه لن يأكل منها، لا هو ولا أحد من بعده، والساعة قائمة؛ إنَّه حقُّ اللحظة الحاضرة؛ اللحظة الحاضرة تقتضي أن يعمل فيها؛ سواء انتفع بعمله أحد أم لم ينتفع؛ لأنَّه مستخلَف في هذه الأرض، يعمرها ما دام حيًّا، ما دام فيه عرق ينبض، ونفَس يتردَّد، فلا بدَّ أن يظلَّ عاملًا منتجًا معطاء، إنَّه يتعبَّد لله بالعمل، «**إن استطاع ألَّا تقوم الساعة حتَّى يغرسها فليغرسها**»، هذا هو حقُّ الحاضر، حقُّ اللحظة الحاضرة.

هكذا يُعَلِّم الإسلام المسلم.

الإسلام يأمر باستشراف المستقبل:

ثمَّ هو يجعله ينظر إلى المستقبل، يفكِّر في المستقبل، يستشرف المستقبل، ليس هذا من الاجتراء على عالم الغيب، أو إقحام نفسه فيما لا يعلمه إلَّا الله.

لا؛ إنَّه لا يفعل هذا عن طريق الكهانة والتنجيم؛ ولكن عن طريق الدراسة والعلم، وبناء النتائج على المقدِّمات، والمسببات على الأسباب، كما نسمع في نشرة الأخبار عن هبوب الرياح، ونزول الأمطار، والحرارة والبرودة، هذا بناء على وصف أشياء في الجو، يرصدها ويقول: سيحدث كذا وكذا، هذا بناء على سُنن الله تعالى.

نحن ننظر إلى المستقبل هكذا، وهكذا علَّمنا الإسلام.

النظرة المستقبليَّة في العهد المَكِّي:

القرآن الكريم ـ منذ العهد المَكِّي ـ يُعَلِّم المسلمين كيف ينظرون

QaradawiBooks.com

إلى المستقبل؛ كان هناك دولتان كبريان، تتنازعان السيادة على العالم: دولة الفرس في الشرق، ودولة الروم في الغرب. أشبه بالروس والأمريكان كما كانوا في عصرنا.

وحدث بينهما حرب، انتصر فيها الفرس على الروم، فرح الوثنيُّون من المشركين من قريش، وحزن المسلمون، فرحوا بانتصار الفرس؛ لأنَّهم مجوس يعبدون النَّار، يؤلهون النَّار كما يؤلهون هم الأوثان والأحجار، فهم أقرب إليهم، والمسلمون حزنوا على انهزام الروم؛ لأنَّهم نصارى أهل كتاب، أقرب إليهم.

ولكن القرآن نزل يعلم المسلمين ألَّا يقفوا عند انهزام الروم، الروم غُلبوا فعلًا، ولكن لماذا يقفون عند هذا الماضي؟

ليفتحوا أعينهم على المستقبل؛ المستقبل يحمل أشياء كثيرة، وهنا تنزل سورة الروم: ﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الرُّوم: ١ ـ ٥].

هكذا علَّمنا القرآن ألَّا نقف عند الماضي، وأن نتطلَّع ونرنو إلى الأفق البعيد، إلى المستقبل.

علَّمنا القرآن ذلك، حينما نزل في سورة القمر ـ وهي مكِّية ـ قول الله تعالى: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]، نجد سيِّدنا عمر يقول: كنت أقرأ هذه الآية وأقول: أي جمع يهزم؟ وأي جمع يغلب؟

﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ﴾؛ جمع المشركين وجمع قريش، وهم لهم القوَّة والسلطان!

QaradawiBooks.com

يقول: حتَّى رأيت النَّبي ﷺ يوم بدر، يثب في درعه ويقرأ هذه الآية: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ يقول: فعرفت تأويل هذه الآية يومئذ(١).

إنَّها كانت تعدُّ العقلية المسلمة للغد المرتقب، للتغيير الحتمي، الَّذي يسير وفق سُـــنن الله ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾، هكذا علَّمنا الإسلام أن ننظر إلى المستقبل.

لقد نزلت سورة المزمِّل على النَّبيِّ ﷺ في مكَّة، وكان الصَّحابة معه يقومون نصف الليل، أو أكثر مـــن نصفه، فخفَّف الله عنهم، ونزلت الآية الأخيرة من سورة المزمِّل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰۙ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُ﴾ [المزمّـل: ٢٠]، هـــذا التخفيف في قيـــام الليل والقراءة؛ لأنَّه ســـيأتيكم أيـــام تحاربون فيها، وتقاتلون في سبيل الله، وتضربون في الأرض، يُهَيِّئهم لهذا المستقبل.

هذا في العهد المكِّي.

في العهد المدني حينما أصيب المســـلمون في أُحُد استُشْـــهد منهم سبعون، من أبطال المسلمين من أمثال: أسد الله وأسد رسوله: حمزة بن عبد المطلب عمِّ رســـول الله، ومصعب بن عميـــر، وعبد الله بن جحش، وحزن المسلمون حزنًا شـــديدًا على انكسارهم يوم أُحد، فأراد الله تعالى

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١٠٤/٥، ١٠٥). وعن ابن عباس: أنَّ النَّبي ﷺ قال وهو في قبة له يوم بدر: «اللهم أنشـــدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تُعبد بعد اليوم أبدًا». فأخذ أبو بكر بيده وقال: حسبك يا رسول الله، ألححت على ربِّك، فخرج وهو يثب في الدرع وهو يقول: «﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]». رواه البخاري في الجهاد والسِّيَر (٢٩١٥).

QaradawiBooks.com

أنْ يُعَلِّمهم أنَّ المستقبل لهم، وأنَّهم لا ينبغي أن ينكسروا، أو أن يشعروا بالهزيمة في أنفسهم من أجل معركة، يقول: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٩، ١٤٠][1].

مراعاة السُّنن الإلٰهيَّة:

هناك سُنة إلٰهية؛ سُـنة التداول؛ تداول الأيام. الدهر يومان: يوم لك، ويوم عليك، ودوام الحال من المحال.

وهكذا علَّمهم القرآن، وعلَّمهم النَّبـي ﷺ، علَّمهم أن ينظروا إلى المستقبل، ليست هذه هي القاضية، فإنَّ مع اليوم غدًا، وإنَّ غدًا لناظره قريب، هكذا كان القرآن يعلِّم المسـلمين، حينما تقرأ القرآن ترى هذا واضحًا، حرف السين الَّذي يأتي مع الفعل المضارع مثل قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النَّمـل: ٩٣]، هذا في المستقبل، إنَّه يدلُّ على المستقبل ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فُصِّلت: ٥٣]، هكذا يعلِّم القرآن المسلمين، وتعلَّمهم السُّنة كذلك أن ينظروا إلى الغد، ويفكِّروا في المستقبل، كان الرسول ﷺ يعلم أن هذا الواقع الَّذي يعيشـه المشـركون، في مكَّة وفي غيرها، لا بدَّ أن يزول؛ لأنَّه يحمل في نفسـه أسـباب زواله، لا بدَّ أن يـزول؛ ولكنَّه

(١) قال القرطبي في تفسير هذه الآية: عزَّاهم وسـلَّاهم بما نالهم يوم أُحد من القتل والجراح، وحثَّهم على قتال عدوهم، ونهاهم عن العجز والفشل؛ فقال: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟﴾، أي: لا تضعفوا ولا تجبنوا يا أصحاب محمد عن جهاد أعدائكم لما أصابكم، ﴿وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ على ظهورهم، ولا على ما أصابكم من الهزيمة والمصيبة ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾، أي: لكم تكون العاقبة بالنصر والظفر. تفسير القرطبي (٤/٢١٦، ٢١٧).

QaradawiBooks.com

ـ أيضًا ـ سيزول وفق سُنن الله تعالى؛ فسُنن الله لا تحابي أحدًا، ولا تلين لأحد، ولذلك كان ﷺ يعلِّم الصَّحابة ألَّا ييئسوا مهما اشتدت بهم الكروب، ومهما تتابعت عليهم الخطوب، ومهما نزل بهم الأذى، ومهما اشتدَّ عليهم البلاء؛ فإن هذا لا بدَّ أن يتغير.

جاءه أحد الصَّحابة ـ خبَّاب بن الأرتِّ ـ وكان عند سيدة له تُعَذِّبه[1]، تكويه بالنَّار، فضاق به الحال يومًا ـ الضعف الإنساني يغلب أحيانًا ـ ذهب خباب رضي الله عنه إلى الرسول ﷺ وهو متوسِّد رداءه في ظلِّ الكعبة فقال يا رسولَ الله: ألا تدعو لنا؟ ألا تستنصر لنا؟

فجلس النَّبي ﷺ مغضبًا قائلًا: «**قد كان مَن قبلكم يؤخذ الرجل فيُحفر له في الأرض فيُجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمَّن هذا الأمر حتَّى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلَّا الله والذئب على غنمه، ولكنَّكم تستعجلون**»[2].

العجلة هي الَّتي تدفع بالإنسان إلى الثورة على حاضره، وعدم انتظار المستقبل.

وحينما خرج النَّبي ﷺ في الهجرة، وجاءه سراقة بن مالك يطمع في الجائزة؛ الَّتي أعدتها قريش لمن يأتي بمحمَّد ومرافقه، حيَّيْن أو ميتين، وساق فرسه وحدث له ما حدث، وقال له النَّبي ﷺ: «**يا سراقة، كيف بك إذا ألبسك الله سواري كسرى؟**»

فيقول سراقة: كسرى بن هرمز؟

---

(١) هي أم أنمار.

(٢) رواه البخاري في المناقب (٣٦١٢)، عن خباب بن الأرت.

QaradawiBooks.com

فيقول: «**نعم**»[١].

وعاش سراقة حتَّى فتح الله على المسلمين بلاد الفرس، وجاء البشير بسواري كسرى، وقال عمر بن الخطاب: أين سراقة بن مالك؟

تذكَّر وعد النَّبي ﷺ له، وجاء سراقة وألبسه سواري كسرى[٢].

عن البراء بن عازب رضي الله عنه: أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق، قال: وعرض لنا صخرة. فأخذ المعول فقال: «**باسم الله**». فضرب ضربة، فكسر ثلث الحجر. وقال: «**الله أكبر، أُعْطِيتُ مفاتيح الشام، والله إنِّي لأبصر قصورها الحُمْر من مكاني هذا**». ثم قال: «**باسم الله**». وضرب أخرى، فكسر ثلث الحجر فقال: «**الله أكبر، أُعْطِيتُ مفاتيح فارس، والله إنِّي لأبصر المدائن، وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا**». ثم قال: «**باسم الله**». وضرب ضربة أخرى فقلع بقية الحجر فقال: «**الله أكبر، أعطيتُ مفاتيح اليمن**»[٣]. هكذا وهو محاصر، في حالةٍ وصفها القرآن في قوله: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ [الأحزاب: ١٠].

---

(١) أسد الغابة لابن الأثير (٤١٢/٢)، نشر دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

(٢) ذكر البيهقي في السنن الكبرى: أن عمر قال: أين سراقة بن جعشم؟ فأتي به أشعر الذراعين، دقيقهما. فأعطاه سواري كسرى. قال: البسهما. ففعل. فقال: قل: الله أكبر. قال: الله أكبر. قال: قل: الحمد لله الذي سلبهما من كسرى بن هرمز، وألبسهما سراقة بن جعشم؛ أعرابيًّا من بني مدلج. انظر: الأم للشافعي (١٦٥/٤)، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

(٣) إشارة إلى ما رواه أحمد (١٨٦٩٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لضعف ميمون أبي عبد الله. والنسائي في الكبرى في السير (٨٨٥٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠١٣٨): رواه أحمد، وفيه ميمون أبو عبد الله، وثقه ابن حبان وضعَّفه جماعة. وبقية رجاله ثقات. وحسَّن إسناده الحافظ في الفتح (٣٩٧/٧).

QaradawiBooks.com

هكذا كان يعدُّهم النَّبي ﷺ للغد المرتقب، كان ينظر إلى المستقبل نظرة المؤمن بسُنن الله، والمؤمن بقدر الله، ويرى أنَّه مستقبل مشرق بإذن الله، ويعلِّم الصَّحابة كيف يخطِّطون للمستقبل.

غير مرخصة للطباعة

التخطيط المستقبلي في حياة الرسول:

١ ـ التخطيط في الهجرة إلى الحبشة:

ومن تأمَّل في حياة النَّبي ﷺ وسيرته، وجدها تقوم على التخطيط لا على الارتجال والفوضى.

حينما ابتلي الصَّحابة وعذِّبوا عذابًا شديدًا في مكَّة، أشار عليهم الرسول الكريم بأن يذهبوا إلى الحبشة، لم يكن هذا ارتجالًا ولا فكرة عشوائيَّة، ولكن بناء على معلومات وتخطيط؛ ومن ذلك: أنَّ الحبشة هي المكان المناسب جغرافيًا؛ لأنَّها ليست بعيدة جدًّا، ولا هي في جزيرة العرب، بينها وبين جزيرة العرب بحر. وهي المناسبة دينيًّا؛ لأنَّ أهلها نصارى أهل كتاب، وهي المناسبة سياسيًّا؛ لأنَّ فيها ملكًا عادلًا قال: «**لا يظلم أحدٌ عنده**»[1].

٢ ـ التخطيط في الهجرة إلى المدينة:

قصة الهجرة إلى المدينة كانت بناء على تخطيط، كان النَّبي ﷺ يعرض دعوته على قبائل العرب في مواسم الحجِّ، فمنهم من يردُّه ردًّا جميلًا، ومنهم من يردُّه ردًّا قبيحًا، إلى أن هيَّأ الله له الأوس والخزرج، وبايعهم بيعتي العقبة، وعاهدهم على أن يمنعوه ممَّا يمنعون منه أنفسهم وأموالهم وذراريهم، وبعد ذلك هاجر.

---

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٣٠١/٢)، وجوَّد إسناده العراقي في تخريج الإحياء صـ٦٩٠، عن أم سلمة.

نسخة مرقمة

أعدَّ فـي الهجرة كلَّ ما ينبغـي من إعداد وتخطيـط: الغار الَّذي سيختبئ فيه، الرفيق الَّذي سـيكون معه، الفدائي الَّذي سيجلس في مكان نومه، الرجل الَّذي يأتيه بالأخبار أيام الالتجاء إلى الغار، المرأة الَّتـي تأتيه بالطعـام، الدليل الَّذي سـيكون معه، اختـاره رجلًا من المشـركين، ولكنَّه كان مأمونًا، وذلك ليدلَّه علـى منعطفات الطريق الَّتي لا يسلكها النَّاس عادة.

كلُّ ما ينبغي من ترتيب وتدبير يقدر عليه البشر، فراعاه عليه السلام.

هكذا علَّمنا رسول الله ﷺ، التخطيط ليس ضدَّ الإيمان بالقدر، وليس ضدَّ التوكُّل، وليس ضدَّ الإيمان بالغيب.

التخطيط في قصَّة يوسف:

القرآن ذكر لنا قصَّة من قصص التخطيط في سورة يوسف؛ كيف علَّم الله يوسف أن يخطِّط لمصر، ولكلِّ ما حول مصر، أثناء الأزمة والمجاعة الَّتي حاقت بمصر وبما حولها، بما ألهمـه الله من تعبير الرؤى، وتأويل الأحاديث، فسَّـر رؤيا الملك ووضع الخطَّة ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ۞ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ۞ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يُوسف: ٤٧ ـ ٤٩].

علَّمهم يوسـف كيف يزيـدون الإنتاج ما اسـتطاعوا في سـنوات الخصب، ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾، وكيف يحسـنون حفظ المحاصيل، وكيـف يقلِّلـون الاسـتهلاك ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾، وكيـف يُنَظِّمـون الاستهلاك، ويُحَدِّدونه في سنوات الجدب ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾.

QaradawiBooks.com

خطَّة لمدة خمسة عشـــر عامًا: في التخطيط الاقتصادي، والتخطيط الزراعي، والتخطيط التمويني.

أيام الأزمات هذه لم يذكرهـــا القرآن عبثًا، أو لمجرد التســـلية؛ ولكن لنعرف أن هذا لا يتنافى مع الإيمان بالغيب، ولا يتنافى مع التوكُّل على الله.

معنى التوكُّل[١]:

التوكُّل ليس معناه أن تطرح الأســـباب؛ التوكُّل أن تأخذ بالأسباب، تزرع الحَب، وترجو الثمار من الربِّ؛ التوكُّل أن تعمل بما تقدر عليه، ثمَّ تدع النتائج إلى الله تعالى؛ كما جاء أعرابي ومعه ناقته وقال: يا رسولَ الله، أأتركها أمام المسجد أم أعقلها؟ أتركها وأتوكَّل، أم أعقلها؟

يعني: أقيدها، أم أدعها؟

قال له: «**اعقلها وتوكَّل**»[٢].

التقييد والربط لا ينافي التوكُّل؛ خذ بالأسباب ودع بعد ذلك الأمور إلى الله تعالى.

ولذلك نـــرى في قصَّة الهجرة أنَّ الرســـول عمـــل كلَّ ما يمكن من أســـباب واحتياطات، ومع هذا استطاع المشـــركون أنْ يصلوا إلى الغار الَّذي يختبئ فيه، وقال أبو بكر: يا رسولَ الله، لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا. فقال النَّبي ﷺ: «**يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟**»[٣] (عملنا

(١) راجع كتابنا: التوكُّل على الله، نشر مكتبة وهبة، القاهرة.

(٢) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٥١٧)، وقال: حديث غريـــب. وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣٩٠/٨)، وحسنه الألباني في تخريج مشكلة الفقر (٢٢)، عن أنس.

(٣) سبق تخريجه صـ ٢٢٨.

QaradawiBooks.com

ما نستطيع، والباقي على الله) ما ظنُّك باثنين ثالثهما الله ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾.

هكذا يعلِّمنا الإسلام أن ننظر إلى المستقبل، لا نعيش في الماضي وحده، ولا نعيش حتَّى في الحاضر وحده، الحاضر مربوط بالمستقبل.

الصَّحابة ونظرتهم إلى المستقبل:

وكان الخلفاء الراشدون بعد رسول الله ﷺ، يسيرون على نهجه، ويستنُّون بسنَّته.

مَن نظر إلى سيرتهم؛ وجدهم يهتمُّون بالمستقبل، ويفكِّرون فيه، بعد معركة اليمامَة، معركة بني حنيفة الَّتي قُتل فيها مئات من قرَّاء القرآن، قال سيِّدنا عمر لأبي بكر: يا خليفة رسول الله، أرى أن تجمع القرآن، كان القرآن في صحائف عند هذا، وعند هذا. قال له: أرى أن تجمع القرآن؛ أخشى أن يموت شيوخ القرَّاء.

قالوا: قُتل في معركة اليمامَة نحو سبعمائة قارئ، وقال: أخشى أنْ يموت أمثال: عبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأمثال هؤلاء.

تردَّد أبو بكر في أوَّل الأمر، ثمَّ شرح الله صدره، فجمع القرآن[1].

وذلك نظرٌ إلى المستقبل.

كذلك فعل سيِّدنا عثمان رضي الله عنه حينما جاءه حذيفة بن اليمان، وقال: أدرك هذه الأمَّة قبل أن تهلك.

(١) قصة جمع القرآن رواها البخاري في فضائل القرآن (٤٩٨٦)، عن زيد بن ثابت.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قال: بِمَ تهلك؟

قال: باختلافها في كتاب ربِّها؛ النَّاس اختلفوا في القراءات؛ هذا يقول: قراءتي أحسن من قراءتك، وهذا يقول: قراءتي أفضل من قراءتك.

فقال: اجمع النَّاس على مصحف واحد، قبل أنْ يختلفوا في الكتاب كما اختلفت اليهود والنَّصارى[١].

هذه نظرة للمستقبل لا بدَّ منها.

ومن ذلك: ما فعله سيِّدنا عمر رضي الله عنه حين رفض أن يقسّم سواد العراق حينما فتحوا العراق؛ أرض العراق الخضراء تسمَّى السواد؛ لأنَّها من بعيد ينظر إليها كأنَّها غابة سوداء، سواد العراق رفض أن يقسّمه كما قسَّم النَّبي خيبر، وقد طلب ذلك كثير من الصَّحابة، فقال: إذا قسَّمت هذا؛ ماذا أقول لمن يأتي بعدي؟

إنِّي أريد أمرًا يسع أوَّل النَّاس وآخرهم، واستدلَّ على ذلك بآيات سورة الحشر الَّتي قسَّمت الفيء على المهاجرين والأنصار ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠][٢].

---

(١) رواها البخاري في فضائل القرآن (٤٩٨٨)، عن أنس.

(٢) احتجَّ عمر بهذه الآية، وقال: ما أرى هذه الآية إلَّا عمَّت الخلق كلَّهم. ذكره ابن رشد في بداية المجتهد (١٦٣/٢)، نشر دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م. وقال للذين عارضوه: تريدون أنْ يأتي آخر النَّاس ليس لهم شيء؟! رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٩٧/٢).
ولعمر ـ أيضًا ـ عند البخاري في المغازي (٤٢٣٥): أَمَا والذي نفسي بيده، لولا أن أترك آخر النَّاس ببانًا (أي فقراء معدمين) ليس لهم شيء، ما فُتحت عليَّ قرية إلَّا قسمتها، كما قسم النَّبي خيبر، ولكنِّي أتركها خزانة لهم يقتسمونها.

QaradawiBooks.com

يجب أن تشـــترك الأجيال اللاحقة مع الجيل الحاضر؛ حتَّى يدعوا لمن سبقهم، ولا يدعوا عليهم، وبهذا تتكافل الأجيال سابقها ولاحقها.

هكذا ينبغي أن ننظر إلى المســـتقبل دائمًا، ســـيِّدنا عليٌّ رضي الله عنه يقول: لا تكرهوا أبناءكم على عاداتكم؛ فإنَّهم خُلقوا لزمن غير زمنكم[1].

لا تُكرهوهم؛ إنَّهم خلقوا لزمن غير زمنكم.

ها نحن نرى اختلاف الأجيال، وأذواق الأجيال، وأفكار الأجيال، اترك لكلِّ جيل أعرافه وعاداته؛ يكرِّرها حسب وقته، ويطوِّرها حسب ظرفه.

هكذا ـ أيُّهـــا الإخوة ـ نرى الإســـلام يعلِّمنا النظر إلى المســـتقبل، ولا يحيينا في الماضي وحده، كما يدَّعي المدَّعون.

أمَّتنا والمستقبل الآن:

فهل نحن فقهنا ـ نحن المسلمين ـ وفقهنا ـ نحن العرب ـ هذه الحقيقة؟ هل نظرنا في مستقبلنا؟ هل عندنا دراسات مستقبليَّة كما عند الآخرين؟

الآخرون عندهم عشرات ومئات من المراكز والمعاهد والمؤسسات الَّتي تنظر في المستقبل، وأصبحت هناك علوم تسمَّى علوم المستقبل.

المستقبليات هذه اهتمَّ بها غيرنا، ونحن لا نهتمُّ بها كما ينبغي.

لا، لم تصبح جزءًا أساسيًّا من ثقافتنا.

ماذا نفعل في مســـتقبل الزراعة فـــي بلادنا؟ متى نكتفـــي بمواردنا ولا نحتاج إلى اســـتيراد نصف الأقوات وبلادنا زراعية؟ متى نتطوَّر في صناعتنا؟

(١) انظر: إغاثة اللهفان (٢٦٥/٢)، تحقيق محمد حامد الفقي، نشر مكتبة المعارف، الرياض.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

نحن لم نصنع موتورًا حتَّى الآن! وهناك بلاد تعيش على الصناعات الدقيقة الَّتي لا تحتاج إلى مواد خام.

هناك بلاد بدأت بعد الحرب العالميَّة الثانية مثل كوريا؛ انظر أين هي الآن؟ وأين نحن؟

مستقبل التنمية في البلاد العربيَّة، مستقبل العلم والتكنولوجيا، إلى متى تظلُّ هذه الأمَّة لا تنظر في مستقبلها؟ وكيف تستطيع أن تُخَطِّط للمستقبل؟ وهل نستطيع أن نخطِّط للمستقبل فرادى؟ كلُّ بلد تخطِّط وحدها أم ينبغي أن نُفَكِّر بعقلية جماعيَّة؟

على الأقل نحن العرب إن لم نقل: نحن المسلمين.

البلاد الصناعية الكبرى يتعاون بعضها مع بعض، تجد دولتين أو ثلاثة تجتمع على صنع طائرة متطوِّرة.

متى نستفيد نحن من هذا أيُّها الإخوة المسلمون؟

نسأل الله تعالى أن يفقِّهنا في ديننا، وأن يعلِّمنا ما ينفعنا، وأن ينير بصائرنا، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدًا.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم؛ فادعوه يستجب لكم.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

غير مرخصة للطباعة

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

أحداث تحتاج إلى تعليق:

حدثت أحداث كثيرة في هذه الأيام أكثرها يحتاج إلى التعليق.

١ ـ أحداث جسر الأئمَّة في العراق:

وأهم هذه الأحداث ما حدث في العراق من موت المئات من إخواننا الشيعة على جسر الأئمَّة[١]، ونحن نُعَزِّي إخوتنا في العراق، ونبلِّغهم خالص عزائنا ومواساتنا في هذه المصيبة؛ فالمسلم ينبغي أن يعزِّي أخاه المسلم فيما يصيبه من بلاء، كما ينبغي أن يُهَنِّئه بما ينزل عليه من نعمة، هذا شأن الإنسان المؤمن.

ولقد حييتُ إخواننا في الفلوجة وغيرها من المناطق السُّنِّيَّة؛ الَّذين تواصوا بالتبرُّع بالدم لإخوانهم الشِّيعة، نحن حريصون ـ أيُّها الإخوة ـ على وَحْدة الشَّعب العراقي، ونحذِّر من الفتنة الَّتي تريد أن تثير الطائفية؛ سنة وشيعة، عرب وأكراد، مسلمون ومسيحيون، هذه الفتن ليس وراءها إلَّا تمزيق الصف، ولا يستفيد من وراء ذلك إلَّا أعداء الأمَّة، وأعداء الإسلام؛ من الصهاينة، وأنصار الصهاينة، فنحن نبلِّغ عزاءنا لإخوتنا، ونسأل الله تعالى أن يرحم الشهداء، وأن يُلهم الأحياء الصبر والسلوان.

(١) حادثة جسر الأئمة وقعت في ٣١ أغسطس ٢٠٠٥م.

QaradawiBooks.com

٢ ـ تعزية ضحايا إعصار كاترينا:

وبهذه المناسبة ـ أيضًا أيُّها الإخوة ـ أقدِّم عزائي إلى المصابين في أمريكا في إعصار كاترينا[1]، إلى ضحايا هذا الإعصار إلى أهل هؤلاء الضحايا، وإلى الشَّعب الأمريكي، وربما يستغرب بعض النَّاس هذا؛ كيف نعزِّي في مصيبة تنزل بأمريكا؟! وأمريكا تعادي الإسلام والمسلمين، وتحاربهم في كلِّ مكان؟

وأقول أيُّها الإخوة: إننا لا نعادي الشَّعب الأمريكي، نحن لا نعادي الشَّعب الأمريكي في حدِّ ذاته؛ الشَّعب الأمريكي في عمومه وفي جملته شعب طيب، نحن نعادي سياسة الإدارة الأمريكيَّة، ونحن لا نشمت في مصيبة أحد، لا يمكن للمسلم أن يشمت في مصائب النَّاس مهما كان هؤلاء النَّاس؛ لأنَّه يحبُّ الخير للجميع، ويحبُّ الهداية للجميع، ويحبُّ النعمة للجميع.

هذا هو شأن الإنسان المسلم، ولذلك أنا أعزِّي الشَّعب الأمريكي، وأعزِّي أهالي هؤلاء الضحايا، وأسأل الله تعالى أن يعقبهم خيرًا.

٣ ـ الانسحاب من غزَّة:

هناك أمر ـ أيضًا ـ أحبُّ أن أتحدَّث فيه وهو: الانسحاب من غزَّة؛ فتنة الانسحاب من غزَّة، وما أعقب هذه الفتنة، الَّتي أرادها شارون على انفراد منه، أراد أن يخرج من غزَّة لأنَّ غزَّة تكلِّفه الكثير، هي عبء عليه، هم من قديم أرادوا أن يتخلَّصوا من غزَّة. ولهذا لا نقول: إنَّه انسحب تمامًا من غزَّة، وهي مسألة إعادة انتشار كما يقولون. لا زال متمكنًا من العودة إلى غزَّة.

---

(١) وقع إعصار كاترينا في ٢٨ أغسطس ٢٠٠٥م.

QaradawiBooks.com

كلُّ ما كسبناه تفكيك المستوطنات، ولكنَّها فكِّكت في غزَّة لتذهب إلى الضفة الغربيَّة ـ أيضًا، وهو قادر على أن يعود ولا زال متمكنًا من المطار، متمكنًا من المياه، ومتمكنًا من المعابر، فلا ينبغي أن نفرح كلَّ الفرح بهذا، نفرح بتفكيك المستوطنات؛ ولكن ينبغي على إخوتنا الفلسطينيين أن يقفوا بالمرصاد، وأن يفتحوا أعينهم، وأن يكونوا يدًا واحدة على الأعداء، لا يكونوا بعضهم على بعض أبدًا.

٤ ـ لقاء وزير خارجيَّة باكستان بوزير خارجيَّة إسرائيل:

أحبُّ أن أذكُر هنا شيئًا آلمني أشدَّ الألم؛ وهو لقاء وزير خارجيَّة باكستان بوزير خارجيَّة إسرائيل!

باكستان ظلَّت طول عمرها تتبنى قضيَّة فلسطين، وترفض أن يكون لإسرائيل مكان عندها، ونحن نحذِّر المسؤولين في باكستان من هذا الأمر.

لا يصحُّ أن يكافأ الإسرائيليُّون بأن تقبل عليهم باكستان، وهم لا زالوا يقومون على تهويد القدس، وتهويد المسجد الأقصى، والعمل على هدم المسجد الأقصى، ولا يزالون يحاصرون هذا المسجد، ويمنعون النَّاس من الصَّلاة فيه، ولا يزالون يريدون أن يحاصروا القدس بمستوطناتهم، ولا يزالون ولا يزالون... علام تقوم معهم هذه العلاقة الجديدة؟

نحن نسأل الله أن يهدي إخوتنا في باكستان إلى الَّتي هي أقوم، وأن يهيئ لهم من أمرهم رشدًا.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١٩

نصرة النَّبيِّ ﷺ (١)

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

ماض مجيد نعتز به:

كان المسلمون في الزمن الماضي لا يستطيع أحد أن يمسَّ لهم طرفًا، أو يؤذيهم بكلمة؛ لأنَّ الأمَّة كانت أمَّة تستطيع أن تدافع عن نفسها، كانت تُنصر بالرعب مسيرة شهر.

قالوا: إنَّ عمر بن عبد العزيز بلغه أن أسيرًا مسلمًا أُهين في بلاد الروم، فكتب إلى ملك الروم يقول له: بلغني أنَّ مسلمًا أُهين عندكم، فإذا بلغك كتابي هذا فخلِّ سبيله، وإلَّا غزوتكم بجنود أولها عندك وآخرها عندي.

ولم يملك ملك الروم إلَّا أن أطلق سراح الأسير المسلم(٢).

(١) أُلقيت بمسجد عمر بن الخطَّاب بالدوحة في ٤ محرم ١٤٢٧هـ الموافق ٣ فبراير ٢٠٠٦م.

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لأبي محمد بن عبد الحكم صـ١٤٨، تحقيق أحمد عبيد، نشر عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

QaradawiBooks.com

والقصَّة المشـــهورة، قصَّة المـــرأة الَّتي لطمها رومـــي، فقالت وهي بعيدة، بعيدة في بلاد الروم، قالت: وامعتصماه، وامعتصماه.

فقيل لها: وأين المعتصم منك؟

فلما بلغ المعتصم استغاثتها؛ قال لها قولته: لبيك أختاه، لبيك أختاه. وجهَّز جيشًا كان من ورائه واقعة شـــهيرة، واقعة عَمُّوريَّة[1]، الَّتي خلَّدها أبو تَمَّام في بائيته:

السَّـــيْفُ أصدقُ أَنْباءً من الكُتُبِ في حدِّه الحدُّ بين الجَدِّ واللَّعِبِ[2]

إلى آخر القصيدة.

حاضر حزين نأسف له:

هكذا كنَّا، فأصبحنا الآن تســـتباح حرماتنا، تـــداس كرامتنا، وكأنَّنا أمَّة لا وزن لها؛ أمَّة تبلغ مليارًا وثلث المليار من البشر أو تزيد، تكاد تبلغ ربع العالم، ولكنَّها أمَّة لا يهتمُّ بهـــا أحد، ولا يقيم لها وزنًـــا؛ تؤذى في أهمِّ مقدَّساتها، ومع هذا كثيرًا ما سكتت، سدت أذنًا من طين، وأذنًا من عجين.

أُهين القرآن، وديس على المصحف، وفُعل ما فُعل، وسكتت الأمَّة، إلى أن طفح الكيل، وطغى السيل، وادلهمَّ الليل، وحاق الويل كلّ الويل؛

---

(١) راجع فتح عمورية في البداية والنهاية لابن كثير (٢٥٢/١٤).

(٢) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي (٤٠/١)، تحقيق محمد عبده عزام، نشر دار المعارف، القاهرة، ط ٥. وقد خوَّف المنجِّمـــون المعتصم من خوض هذه المعركـــة في ذلك الوقت، فضرب بتخمينهم عرض الحائط، وخاض معركته، فكتب الله له النصر المؤزر. ومما قاله:

والعِلم في شـــهب الأرماح لامعة بين الخميسين لا في السبعة الشهب
أين الرواية؟ أم أيـــن النجوم؟ وما صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تـــخـــرُّصًـــا وأحـــاديـــثًـــا ملفقة ليســـت بنبع إذا عـــدَّت ولا غرب

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إلى أن أُهيــن محمَّد ﷺ عيانًا بيانًا، جهارًا نهــارًا، كان ذلك في غرفات مغلقة، الَّذين داســوا المصحف، في «جوانتنامو» وغيرها، لم يكن هناك أحد يراهم، وقد أنكروا ذلك وجحدوه.

بِمَ تعظم الجرائم؟

أمَّا أن يُهان محمَّد عليه الصلاة والسلام علنًا وجهارًا؛ وفي الصحف! هذا أمر لا يمكن أن تقبله الأمَّة بحال.

إنَّها جريمة أيُّها الإخوة.

جريمة غير مسبوقة، جريمة لا نظير لها، جريمة كبرى.

تقاس الجريمة وعظمها بمقدار المُســاء إليــه، والمعتدى عليه، من يسيء إلى المعلِّم غير من يسيء إلى التلميذ، من يسيء إلى الشيخ غير من يسيء إلى الشاب، من يســيء إلى الأب غير من يسيء إلى الابن، فكيف بأعظم شخصيَّة بشريَّة في الوجود؟!

بمحمَّد ﷺ، الَّذي ختم الله به النَّبيين، وختم برســالته الرســالات، وبعثــه ليتمِّم مكارم الأخلاق، وأرســله رحمة للعالميــن، وحجَّة على النَّاس أجمعين، بعثه بالرســالة العامَّة الخالدة الشــاملة، «التي امتدت طولًا حتَّى شملت آباد الزمن، وامتدت عرضًا حتَّى انتظمت آفاق الأمم، وامتدت عمقًا حتَّى اســتوعبت شــؤون الدُّنْيا والآخرة»[1]، وصدق الله العظيم حين يقول: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ﴾ [النَّحل: ٨٩].

(١) من كلام الإمام الشــهيد حســن البنا، انظر كتابنا: الخصائص العامَّة للإسلام صـ١٠٥، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م.

QaradawiBooks.com

محمَّد ﷺ يُهان جهارًا نهارًا على الملأ، هذه جريمة كبرى، الجريمة تقاس بمقدار المُساء إليه والمعتدى عليه، وتقاس بمقدار من يتأثَّر بها، ويتضرَّر بها.

من يتضرَّر بهذه الإساءة؟!

إنَّها ليست عائلة كما إذا أسيء إلى كبير عائلة أو أسرة ما، أو إلى شيخ من شيوخ القبيلة، تتضرَّر القبيلة.

إذا قال جرير:

فغضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ من نُمَيْرٍ فلا كعبًا بلغتَ ولا كِلَابَا[1]

تغضب قبيلة نمير.

وإذا قال أيضًا:

ويُقضى الأمرُ حِينَ تَغِيبُ تَيْمٌ ولا يُستأذنُونَ وهُمْ شُهُودُ[2]

تغضب تيم حين تمسُّ كرامتها.

من المتضرِّر هنا؟

أمَّا هنا من المتضرِّر؟

إنَّها أمَّة محمَّد ﷺ؛ عربها وعجمها، سنتها وشيعتها، في مشارقها ومغاربها، أمَّة المليار وثلث المليار.

إنَّ هذه جريمة، جريمة كبرى بكلِّ المقاييس.

(١) انظر: ديوان جرير (٨٢١/٢)، تحقيق د. نعمان محمد أمين طه، نشر دار المعارف، القاهرة، مصر ط١، ويعد من أشدِّ الأبيات في الهجاء. انظر: البداية والنهاية (٢٦٠/٩).

(٢) انظر: ديوان جرير (٣٣٢/١).

QaradawiBooks.com

لكلِّ جريمة دافع، فما الدافع هنا؟

وإذا نظرنا إلى هذه الجريمة ما الباعث عليها؟ ما الدافع إليها؟

هناك جرائم لها دوافع، ما الَّذي دفع إلى هذه الجريمة:

إنَّها جريمة بلا مقدِّمات، بلا أسباب، في الجريدة الدنماركية، أراد رئيس تحريرها أن يستدعي الرسامين ليتنافسوا في رسوم تخيلية لمحمَّد ﷺ، تقاعس بعض الرسامين وأعرضوا عن ذلك خشية أن يستثير غضب المسلمين الدنماركيين، وما زالت الجريدة تحرِّض وتستثير، حتَّى استجاب لها من استجاب، ونشرت اثني عشر رسمًا، كلّها في غاية الإسفاف، ونهاية الإقذاع والتجريح في محمَّد ﷺ.

لا باعث ولا دافع إلى هذه الجريمة، لم يكن هناك سبب في الأجواء الدنماركية، المسلمون علاقاتهم جيدة مع الحركة والمجتمع الدنماركي، ما الَّذي يدفع إلى هذه الجريمة إلَّا الاستهانة بهذه الأمَّة؟

أمَّة من ورق! هذه استهانة بهذه الأمَّة، كأنَّ أحدًا لن يغضب لتدنيس هذه الحرمات بالأقدام.

جريمة غير مبرَّرة:

ثمَّ هي جريمة غير مبرَّرة، لا تبرير لها إطلاقًا، يقولون: إنَّها حرية الرأي، وحرية التعبير عن الرأي.

هذا كذب، هذا افتراء، أي رأي هنا حتَّى نستطيع أن نحاجه ونناقشه بالرأي الآخر؟

ليس هناك رأي، حينما يقابلك أحد ويقول: لعن الله أباك. هل هنا رأي تستطيع أن ترد عليه؟

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

هذا سباب علني.

إنَّ هذه الجريمة لا يستطيع أن يدركها إلَّا من رأى هذه الرسوم وهذه الصور، كنت أظن أنَّ الأمر هيِّن، حتَّى رأيت هذه الرسوم، فجن جنوني، ونفد صبري، وضاق صدري، وثار غضبي.

إنَّها رسوم مسيئة غاية الإساءة، هابطة غاية الهبوط، لا يملك الحليم إلَّا أن يغضب إذا رأى هذه الرسوم، لا تبرير لهذا على الإطلاق.

حرية الرأي والتعبير عن أي رأي هنا؟

ليس هنا رأي حتَّى نناقشه، هذا سباب علني، ولذلك من الكذب الصراح والقبيح أن يقال: إنَّها حرية الرأي والتعبير عنه.

إذا كانت الحرية أن تقابِل النَّاس بالطريق وتسبهم، وتسب آباءهم وأمهاتهم، وتقول: هذا رأيي، وأنا أعبِّر عنه.

هذا ليس من حرية الرأي لا في قليل ولا في كثير؛ هذا سوء أدب، هذا قلَّة أدب، هذا من سوء السلوك، ومن قيَم التعامل مع الآخر المرفوضة؛ بل ترفضها الأعراف، وترفضها الأخلاق، وترفضها الأديان، ويرفضها كلُّ إنسان عنده أدب أو ذوق.

لا تبرير لهذه الجريمة أيُّها الإخوة.

تعنُّت دنماركي:

ومع هذا قبِل المسلمون الدنمارك أنْ تعتذر الجريدة في بادئ الأمر.

أبت الجريدة أن تعتذر، وقالت: هذا من حقِّنا، هذا من حريتنا.

QaradawiBooks.com

طلب واحد وعشرون سفيرًا إسلاميًّا وعربيًّا في الدنمارك أنْ يقابلوا رئيس الوزراء، فأبى أن يقابلهم، رفض مجرد المقابلة، وقال: هذا شأن دنماركي، شأن يتعلَّق بحرية الصحافة، ولا شأن لنا به، رفض مجرد المقابلة.

لو أنَّهم في أوَّل الأمر وقفوا في منتصف الطريق، وقالوا: لا نقصد الإساءة، ونحن نأسف لهذا، وقبِل الرجل أنْ يقابل السفراء، ربما انتهى الأمر، ولكنَّهم أصرُّوا على الحنث العظيم، أصرُّوا على هذا الموقف المخزي، فكانت النتيجة: أنَّه بعد شهرين نشرت صحيفة نرويجية إسكندنافية ـ أيضًا ـ نشرت الصور مرَّة أخرى في شهر يناير، وبذلك اشتعلت النَّار من جديد، النَّاس نسوا قضيَّة الدنمارك، هذه الصحيفة تعيدها تبعًا، وتظهر القضيَّة من جديد.

هنا رأى الإخوة في الدنمارك أنْ يعرضوا القضيَّة على أمَّتهم كلِّها، الأمر ليس أمرهم، إنَّ محمَّدًا ليس ملكهم، إنَّ الإسلام ليس دينهم وحدهم، ولذلك أنا أقول: إنَّها جريمة كبرى.

مَن سنَّ سُنَّة سيِّئة، عليه وزرها ووزر من عمل بها:

ثمَّ إنَّ هذه الجريدة سنت سُنة سيِّئة، عليها وزرها ووزر من عمل بها، سنت سُنة سيِّئة للصحف الأوربية، وأصبحت صحف أوربا تتنافس فيما بينها لإعادة نشر هذه الصور؛ تضامنًا مع الصحيفة الدنماركية، فنشرت صحيفة سويسرية وصحيفة هولندية، وصحيفة إيطالية، وصحيفة ألمانية، وصحيفة إسبانية، وصحيفة فرنسية، والـ «بي بي سي» في لندن، كلُّ هذا منشور في الصحف.

حتى الصحيفة الفرنسية الَّتي يملكها رجل مصري، من رجال المال

QaradawiBooks.com

والأعمال، قبطي معروف رامي لكح، لكن هذا الرجل قال: لا أعلم بهذا، وأقال رئيس تحرير الصحيفة واعتذر عن هذا، وأنَّه لا يقبل هذا أبدًا.

وقيل لي: إنَّ وزارة الخارجيَّة الفرنسية اعتذرت عمَّا نشر في تلك الصحيفة، فإن كان هذا صحيحًا فإنَّا نبرئ فرنسا.

أمَّا الدول الأوربية الأخرى، فسيكون لنا موقف منها؛ إذا لم تقف مثل موقف فرنسا هذا، إذا لم تتبرأ من موقف صحفها هذه.

إنَّها جريمة ـ أيُّها الإخوة، جريمة كبرى.

ما موقف أمَّتنا من هذه الجريمة؟

أيها الإخوة المسلمون، ما موقف أمَّتنا من هذه الجريمة؟ أن يعتدى عليها؛ على مقدَّساتها، على نبيها ورسولها، وقد اعتدي من قبل على قرآنها، ما موقف الأمَّة؟

موقف الأمَّة المسلمة المليار وثلث المليار، موقفها يتحدَّد في هذه الأمور:

الأمر الأوَّل: الغضب المشروع:

أول شيء أن تغضب الأمَّة، أن تثور الأمَّة، أن تغضب لدينها، لربِّها، لقرآنها، لمحمَّدها، لرسولها العظيم، أن تظهر الأمَّة أنَّها لا تقبل هذا بحال من الأحوال.

الغضب هنا فضيلة، بل فريضة، لا بدَّ أن تغضب الأمَّة، الصَّحابة ما كانوا يقبلون أي كلمة تمسُّ رسول الله ﷺ، يقول أحدهم: دعني ـ يا رسولَ الله ـ أضرب عنقه[1]؛ لأنَّه تطاول بكلمة على رسول الله.

(١) وردت هذه الكلمة عن عدد من الصَّحابة في مواقف مختلفة، منهم عمر وخالد وغيرهما، ومنها ما رواه أبو سعيد الخدري، وفيه: فقام رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناشز الجبهة، كثّ اللحية، محلوق الرأس، مشمِّر الإزار، فقال: يا رسول الله، اتق الله، فقال: «ويلك أولست أحقّ =

QaradawiBooks.com

كان حبُّ الرسول ﷺ جزءًا من الإيمان، ولا يزال حبُّ هذا الرسول جزءًا من الإيمان، كما في الحديث: «**لا يؤمن أحدكم حتَّى أكون أحبَّ إليه من نفسه وماله وولده والنَّاس أجمعين**»[١].

وفي الحديث الآخر: «**ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه ممَّا سواهما**»[٢].

وحينما وقف بعض الصَّحابة على خشبة الصلب ليصلب في مكَّة، قال له المشركون: أتحبُّ أن يكون محمَّد في مكانك وأنت بين أهلك في مكَّة؟

قال: والله ما أحبُّ أن يكون رسول الله ﷺ في مكانه الَّذي هو فيه تصيبه شوكة في قدمه.

فقال أبو سفيان: ما رأيت أحدًا يحبُّ أحدًا كحبِّ أصحاب محمَّد محمَّدًا[٣].

لسنا حميرًا تركب، بل نحن أسود تزأر:

لا بدَّ للأمَّة أن تغضب؛ يروى عن الإمام الشافعي أنَّه قال: من استُغضب ولم يغضب فهو حمار، ونحن لسنا أمَّة من الحمير، لسنا حميرًا تُركب، بل نحن أسود تزأر، أسود تغار على عرينها، تثأر لحرماتها، لسنا أمَّة من الحمير.

= أهل الأرض أنْ يتقي الله». قال: ثمَّ ولى الرجل، فقال خالد بن الوليد: يا رسول الله! ألا أضرب عنقه؟ فقال: «لا لعلَّه أن يكون يصلي». قال خالد: وكم من مصلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه. متَّفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٣٥١)، ومسلم في الزَّكاة (١٠٦٤).

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤)، كلاهما في الإيمان، عن أنس بن مالك.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٢١)، ومسلم (٤٣)، كلاهما في الإيمان، عن أنس.

(٣) رواه أبو نُعيم في معرفة الصحابة (٢٩٩٩)، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، نشر دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

QaradawiBooks.com

أمَّة يجب أن تغضب لله ولرسوله ولكتابه، هذه أمَّة محمَّد.

لا يجوز أبدًا أن نقبل الهوان في ديننا، والحقُّ جلَّ وعلا يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

لا يجوز أن نقبل الذلة أبدًا، نُستغضب ولا نغضب؟!

لا بدَّ أن نغضب لكي نُري العالم كيف تكون غضبتنا.

الشاعر العربي يقول:

لئن كنت محتاجًا إلى الحلم إنَّني ... إلى الجهل في بعض الأحايين أحوج
ولي فرس للحلـــم بالحلم ملجم ... ولي فرس للجهل بالجهل مسرج
فمـــن رام تقويمـــي فإنـــي مقوَّم ... ومـــن رام تعويجـــي فإني معوج
وما كنت أرضى الجهل خدنًا وصاحبًا ... ولكنَّني أرضـــى به حين أحرج[1]

لسنا أمَّة من الدياييث:

المســـلم الحقُّ يغار على حرماته أن تُنتهك، ولا يقبل الإســـلام من المسلم أن يفقد الغيرة على دينه وعلى مقدَّســـاته، قبَّح الله من لا يغار؛ النَّبي ﷺ يقول: «**لا يدخل الجنة ديوث**»[2].

يسمع أن هناك من يكلِّم امرأته ريبة، من يدخل على امرأته في غيابه، ويسدُّ أذنًا من طين، وأذنًا من عجين، هذا رجل فقد الغيرة على حرماته،

(١) الأبيات لمحمد بن حازم الباهلي مولاهم، كما في المحمدون من الشعراء صـ٢٢٧، تحقيق حسن معمري وحمد الجاسر، نشر دار اليمامة، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.

(٢) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده (٦٤٢)، وعند أحمد في المسند: «ثلاثة قد حرَّم الله عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق، والديوث الذي يقر في أهله الخبث» رواه أحمد (٦١١٣)، وقال مخرِّجوه: صحيح، وهذا إسناد ضعيف لجهالة الشيخ الذي رواه عن سالم. وقال الهيثمي في المجمع (٥٩٩/٤): رواه أحمد، وفيه راوٍ لم يسم، وبقية رجاله ثقات. عن عبد الله بن عمر.

QaradawiBooks.com

فقد معنى الرجولة، ليس برجل من لا يغار على أهله وحرماته؛ النَّبي ﷺ يقول: «**إنَّه لغيور، وأنا أغير منه، والله أغير مني**»[١].

هناك دياثة في مجال الأسرة، وهناك دياثة في مجال الأمَّة.

هناك دياييث يقبلــون على أمَّتهم أن تُهان، ويقبلــون على دِينهم أن يُهان، ويقبلون على كرامتهم أن تُداس، ولا يقدِّمون شــيئًا، ولا يغارون ولا يغضبون.

لا، ليست هذه أُمَّتنا، لسنا أمَّة من الدياييث، نحن أمَّة تغار على حرماتها.

أول ما نطلب من هذه الأمَّة أن تغار وأن تغضب، وهذا يوم غضب لله ولرســوله ولكتابه، ولكلِّ أنبياء الله وكتبه ورســله، ولكلِّ مقدَّسات الأديان، هذا يوم الغضب لله ولرســوله ﷺ، أوَّل ما نطلب من الأمَّة أن تغار وأن تغضب.

إذا فقدت الأمَّة الغضب والغيرة؛ فقدت حيويتها ومعناها ورجولتها.

الأمر الثاني: المقاطعة:

الأمر الثاني: أن نقاطع من استهان بحرماتنا، وتعدَّى على نبينا ﷺ، إن نقاطع منتجاته وبضائعه، هذا أقلُّ الواجب.

كيف أروِّج بضائع هؤلاء الَّذين يهينونني ويشتمونني ويهينون نبيي؟

إنَّ كلَّ ريال أو دينار أو جنيه أو فلس ستدفعه إلى هؤلاء يتحوَّل في محصلته في النهاية إلى صحفهم وجرائدهم، يتحوَّل إلى كلمات بذيئة،

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٤١٦)، ومسلم في الطلاق (١٤٩٩)، عن المغيرة بن شعبة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أو رسوم مخزية، أو تعليقات مزرية، تمسُّ دينك ونبيك ورسولك محمَّدًا ﷺ؛ فهل تقبل هذا أيُّها المسلم؟

لا بدَّ أن نقاطع هؤلاء.

قبل ذلك رفضوا أن يعتذروا أو يقابلوا سفيرًا، حينما وجدوا هذه المقاطعة بدؤوا يلينون الكلام ويعتذرون، أين كان اعتذاركم في أوَّل الأمر؟

الأمر الثالث: الضغط على الحكومات:

ثمَّ إننا نطلب من الأمَّة أن تضغط على حكوماتها لتقف موقفًا إيجابيًّا، إنَّ الأمر ليس هينًا، إنَّه محمَّد عليه الصلاة والسلام، يجب أن تسحب الحكومات سفراءها من هذه الدولة، يجب أن تشعرهم أننا نغضب لنبينا.

تحيَّة لكلِّ ذي موقف إيجابي:

نحن نحيي الحكومات الَّتي وقفت موقفًا كريمًا، نحيي ليبيا الَّتي أغلقت سفارتها، نحيي السعودية وسوريا اللتين سحبتا سفراءهما، نحيي مجلس النواب الكويتي الَّذي تبنى علنًا المقاطعة وأعلنها، نحيي مجلس الشَّعب المصري الَّذي أنكر هذا، نحيي غرفة التجارة والصناعة في قطر الَّتي أعلنت مقاطعة البضائع، نحيي الجماهير الغاضبة في أنحاء العالم الإسلامي والعربي، في كلِّ مكان في المشرق والمغرب، نحيي هذه الجماهير.

ولكنا نريد من الحكومات أن تستجيب لغضبة الجماهير، وتقف موقفًا إيجابيًّا؛ حتَّى يعلم هؤلاء أنَّ لحمنا ليس لحمًا سائغًا؛ إنَّ لحمنا مسموم، لا نستطيع أن نقبل الهوان في ديننا ولا لأمَّتنا بحال من الأحوال.

الأمر الرابع: إصدار قرار يُحَرِّم بشكلٍ قاطع إهانة الأنبياء:

ثمَّ نريد أمرًا رابعًا هو: الضغط على الحكومات، بأن تطلب من الأمم المتَّحدة إصدار قرار أو قانون صريح؛ يحرِّم بشكلٍ قاطع إهانة الأنبياء؛ أنبياء الله ورسله، وكتب الله المقدَّسة، ومقدَّسات الأديان؛ بحيث لا يستطيع أحد أنْ يمسَّ هؤلاء بسوء.

لقد أصدروا مثل هذا لحماية اليهود واليهوديَّة، فنستطيع كما قال بعض الدنماركيين: نحن نستطيع أن نسخر من المسيح ومن أمِّ المسيح. قيل له: هل تستطيع أن تسخر من اليهود؟ فلم يستطع أن يتكلَّم.

اليهود محميون هنا بالقوانين؛ القوانين الَّتي تحمي الساميَّة؛ الَّتي لا يستطيع أحد أنْ يتكلَّم بكلمة في مناقشة أرقام المحرقة المزعومة «الهولوكوست»، لا يستطيع أحد ولو كان يتحدث في رسالة ماجستير أو دكتوراه ويناقش الأمر مناقشة علمية، لا يُقبل منه هذا.

روجيه جارودي ـ على مكانته في عالم الفكر ـ حينما تحدَّث عن هذا، حُكم عليه بالسجن بمقتضى القوانين، نحن نريد قوانين تحمي المقدَّسات، تحمي الأنبياء، تحمي رسل الله تعالى.

نريد من الحكومات أن تضغط على الأمم المتحدة لإصدار مثل هذا، ونريد ـ أيضًا ـ من الشعوب والجماهير أن تضغط على الحكومات لتقول للدنماركيين: نحن يمكننا أن نتساهل معكم إذا اعترفتم بالدين الإسلامي، وبالوجود الإسلامي عندكم، وسمحتم للمسلمين أن يقيموا مساجدهم ومراكزهم أسوة بالبلاد الأوروبية الأخرى، وسمحتم

QaradawiBooks.com

للمسلمين أن يردُّوا في هذه الجريدة عن عِرض محمَّد ﷺ، وأن يُسمح لهم عدة أشهر بالكتابة دفاعًا عن هذا الرسول، وبيانًا لفضائله ومكارمه ودعوته ورسالته إلى العالم، نرجو منهم هذا.

هذا ما نريده من الحكومات، ومن الأمَّة في هذا الوقت.

السبُّ ممنوع في شرعنا:

وأحب هنا ـ أيُّها الإخوة ـ أن أبيِّن نهجنا ـ نحن المسلمين ـ لهذا الأمر، نحن المسلمين لنا منهجنا المتميز الخاص، الإسلام يربي المسلم على عفَّة اللسان، على نظافة اللسان، على الامتناع عن التعبير بالسباب لأي شخص، لأي ظاهرة، حتَّى سب الأشياء ليس سب الأشخاص فقط، هكذا يقول النَّبي عليه الصلاة والسلام: «**لا تسبوا أصحابي**»(١)، «**لا تسبنَّ أحدًا، ولا تحقرنَّ معروفًا**»(٢)، «**لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء**»(٣)، «**لا تسبوا الموتى؛ فإنهم أفضوا إلى ما قدَّموا**»(٤)، «**لا تسبي الحمَّى؛ فإنَّها كفَّارة الخطايا**»(٥)، «**لا تسبوا الريح؛ فإنَّها من روح الله**»(٦)، «**لا تسبوا الدهر؛ فإنَّ الله هو الدهر**»(٧)،

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١)، كلاهما في فضائل الصَّحابة، عن أبي سعيد الخدري.

(٢) رواه أحمد (٢٠٦٣٥)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وأبو داود في اللباس (٤٠٨٤)، عن جابر بن سليم.

(٣) رواه أحمد (١٨٢٠٩)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. والترمذي في البر والصلة (١٩٨٢)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٣٩٧)، عن المغيرة بن شعبة.

(٤) رواه البخاري في الجنائز (١٣٩٣)، عن عائشة.

(٥) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٧٥)، عن جابر.

(٦) رواه أحمد (٧٤١٣)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود (٥٠٩٧)، وابن ماجه (٣٧٢٧)، كلاهما في الأدب، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٧٣١٦)، عن أبي هريرة.

(٧) رواه مسلم في الألفاظ من الأدب (٢٢٤٦)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

«**لا تسبوا الديك؛ فإنه يوقظ للصَّلاة**»[١]، كلُّ شيء يحمل أو يحتمل جانبًا من الخير لا ينبغي أن يُسبَّ.

وأكثر من ذلك أنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ [الأنعام: ١٠٨] لا تسبوا الأصنام، الحجارة الَّتي يعبدها المشركون، لا تسبوها؛ لأنَّ هذا يجرئهم على أن يردُّوا على السبِّ بسبٍّ مثله، فيسبوا الله تعالى، ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾.

وأخطر من ذلك الحديث الشريف الَّذي يقول: «**لا تسبوا الشيطان، وتعوذوا بالله من شرِّه**»[٢]، حتَّى الشيطان، إنَّ الإسلام يعلِّم المسلم الإيجابية، بدل أن تسبَّ الشَّيْطان تعوَّذ بالله من شرِّ الشيطان، السبُّ عمل سلبي، والاستعاذة عمل إيجابي، استعذ بالله من الشَّيْطان الرجيم، ليس في القرآن: العنوا الشيطان، أو سبوا الشيطان، إنَّما فيه استعذ بالله من الشَّيْطان الرجيم، ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [المؤمنون: ٩٧] إلى آخر ما في القرآن الكريم.

سبُّ أي نبي من الأنبياء جريمة:

هذا هو المنهج الإسلامي؛ لأنَّ المسلم لا يكون سبَّابًا ولا لعَّانًا، لا يسبُّ أحدًا من النَّاس، فكيف بالأنبياء؟

---

(١) رواه أحمد (٢١٦٧٩)، وقال مخرِّجوه: رجاله ثقات رجال الشيخين. وأبو داود في الأدب (٥١٠١)، وابن حبان في الحظر والإباحة (٥٧٣١)، عن زيد بن خالد الجهني.

(٢) رواه أبو طاهر في المخلصيات (١٥٧٢)، وأبو القاسم تمام الرازي في الفوائد (٧٧٨)، ورجح الدارقطني في العلل (١٩٣٦) الموقوف، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٧٣١٨)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الأنبياء لا يجوز لأحد أنْ يمسَّهم بسوء، نحن لا نجرِّم سبَّ محمَّد ﷺ وحده، من سبَّ نبيًّا من الأنبياء: إبراهيم أو يعقوب أو موسى أو عيسى، أو أي نبي من أنبياء بني إسرائيل من دون هؤلاء الأنبياء العظام، إبراهيم وموسى والمسيح من دونهم حتَّى داود وسليمان الَّذين يعتبرونهم من ملوكهم، هم عندنا أنبياء معصومون، لا يجوز أن يمسَّهم أحد بسوء.

من مسَّ نبيًّا بسوء في فقه شريعة الإسلام، فقد ارتكب جريمة من جرائم الردة، إذا كان مسلمًا مرق من الإسلام، خرج من دين الإسلام بسبِّ نبي من الأنبياء، نحن أوَّل من يغار على من يسبُّ عيسى المسيح عليه السلام أو أمَّه الصديقة عليها السلام، وهذا هو النهج الإسلامي.

حكم سبِّ النَّبي ﷺ:

أمَّا محمَّد ﷺ فهذا له أمر آخر، محمَّد ﷺ لا يسمح المسلمون بالتطاول عليه بحال من الأحوال؛ لأنَّه رمز الأمَّة.

من سب محمَّدًا إن كان ذميًّا انتقضت ذمته، وانتقض عهده، وأصبح مستباح الدم، وإنْ كان مسلمًا انتقض إسلامه، وخرج من الملَّة، وارتكب جريمة كبرى، فإنَّ أكثر فقهاء المسلمين يقولون باستتابة المرتد. من ارتد عن الدين يجب أن تطلب توبته، يتاح له الفرصة مدة من الزمن تُطلب منه. إلَّا من شتم الرسول هذا لا تقبل منه التَّوبة؛ لأنَّه ارتكب ما لا يُقبل الرجوع عنه، إلى هذا الحد ذهب بعض فقهاء المسلمين، وألفوا في ذلك كتبًا، منها كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية المشهور «الصارم المسلول على شاتم الرسول»، شتْم الرسول وسبُّ الرسول ﷺ كبرى الجرائم في الإسلام، كيف يسمح بأن يُسبَّ الرسول علنًا، وفي الصحف وبصور غاية في الإقذاع والإيذاء، هذا أمر لا يُقبل بحال من الأحوال.

QaradawiBooks.com

تحذيرات لا بدَّ منها:

وأحبُّ هنا قبل أنْ أختم هذه الخُطبة أن أوجِّه بعض التحذيرات:

غير مرخصة للطباعة

التحذير الأوَّل:

إلى حكوماتنا المتخاذلة، الَّتي تتحسَّس موقف أمريكا هل ترضى عنَّا إذا غضبنا على هـذا الأمر أو لا ترضى، الَّذين يخشـون الخالق قبل أن يخشـوا المخلـوق، ويسـترضون النَّاس قبـل أن يسـترضوا الله، هذه الحكومـات المتخاذلة، نقول لها: قفي وقفة شـجاعة، قفي، أثبتي أنكِ مسلمة، أنكِ تغارين على هذا الدين، إنَّما نريد من حكوماتنا ألا تنفصل عن شعوبها، الجماهير في طول العالم الإسلامي وعرضه أثبتت موقفًا، أثبتت غضبها، فعلى الحكومات ألَّا تنفصل عن هذه الجماهير.

التحذير الثاني:

والتحذيـر الثاني أوجِّهه إلـى الغربيين، إلى الأمريـكان، وإلى من تبعهم من الأوربيين؛ الَّذين يزعمون أنَّهم يحاربون الإرهاب، ويقاومون العنف في العالم.

أقول لهم: إنَّكم بسكوتكم على مثل هذه الجرائم الَّتي تهين رسول الإسـلام، وتسـتهين بأمَّته الكبرى؛ إنَّ هذا هو الَّذي يولِّد العنف، وهو الَّذي ينشئ الإرهاب، وهو الَّذي يجعل الإرهابيين يقولون: إنَّ حكوماتنا لم تفعل شيئًا، فلا بدَّ أن نأخذ الثأر لنبينا بأنفسنا.

هذا ما يصنع الإرهاب، هذا ما يولِّد العنف.

لا بدَّ أن تقفوا ـ أيُّها النَّاس ـ وقفة فيها إنصاف، وفيها شجاعة، وفيها قولة حقٍّ أمام هذه الإساءات والإهانات، وإلَّا فأنتم قد اخترتم لأنفسكم.

QaradawiBooks.com

أنتم تصنعون «قاعدة جديدة» للعنف، بل أنتم تصنعون قواعد للعنف، حينما تستهينون بأمَّة الإسلام، ومقدَّسات الإسلام، وحرمات المسلمين، هذا تحذير آخر.

التحذير الثالث:

وهناك تحذير ثالث: أوجِّهه إلى بعض المسلمين؛ بعض المسلمين ينتقمون من مثل هذه الأعمال بالذهاب إلى مواطنيهم من النَّصارى ليحرقوا كنائسهم، أو يعتدوا على بعضهم، وهذا خطأ محض.

أولًا أريد أن أقول: إنَّ هؤلاء الدنماركيين وأمثالهم لا هم نصارى ولا مسيحيون ولا أهل كتاب؛ معظمهم أناس لا دين لهم، دينهم اتباع الشهوات، واقتراف الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ومن هذه الفواحش فاحشة قوم لوط، ويرون أنَّ لهم الحرية في كلِّ شيء؛ فهؤلاء ليسوا نصارى حتَّى ننتقم من النَّصارى عندنا.

ثمَّ إنَّ النَّصارى عندنا يستنكفون من هذه الأمور، ويستنكرونها كما رأينا رامي لكح يستنكر هذا، وهو يعيش في فرنسا، ومعه الجنسية الفرنسية، ولكنَّه قال: أنا أحترم الأديان، وأحترم الإسلام، ولا أقبل الإهانة للإسلام، ولا لأي دين من الأديان، فلا يجوز لنا أن نعتدي على مواطنينا، أو على شعائرهم، أو على مقدَّساتهم، فهذا هو العمل الخطأ.

يجب أن نقف أمام هؤلاء المعتدين، ويجب أن نري العالم أنَّنا لهم بالمرصاد، إذا وقفت أوربا مع هؤلاء، وأصرَّت أنَّها تتضامن معهم، فنحن ـ أيضًا ـ نتضامن لمقاطعة هؤلاء جميعًا، والله تعالى يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ﴾ [الأنفال: ٧٣]، إذا

QaradawiBooks.com

والى بعضهم بعضًا وساند بعضهم بعضًا، ولكنَّكم لم تساندوا بعضكم بعضًا، ولم توالوا بعضكم بعضًا، ولم يشد بعضكم أزر بعض تكن فتنة في الأرض وفساد كبير؛ لأنَّه سيكون إيجابية هناك وسلبية هنا، عمل هناك وفراغ هنا، تكتُّل هناك وتمزُّق هنا، هذا لا يجوز.

لا بدَّ للأمَّة من وقفة:

لا بدَّ أن تقف الأمَّة الإسلاميَّة وقفة الرجولة، نقول لهؤلاء الأوربيين: نحن نستطيع أن نستغني عنكم، وأنتم لا تستطيعون أن تستغنوا عنَّا. نحن نستطيع أن نستغني عن منتجاتكم وبضائعكم، نستطيع أن نشتري من الصين، من اليابان، من كوريا، من تايوان، من هونج كونج، من ماليزيا، من بلاد آسيا. ونقول ما قاله الملك فيصل رَحِمَهُ اللَّهُ سنة ثلاثة وسبعين أيام حرب البترول، قال لهم: نحن نستطيع أن نستغني عن البترول ونعود إلى حياتنا الأولى، نكتفي باللبن والتمر، اللبن من نوقنا والتمر من نخيلنا، هذا حينما هدِّدت الكرامَة العربيَّة، قال هذا الملك فيصل رَحِمَهُ اللَّهُ، حين هدِّدت كرامَتنا الإسلاميَّة.

أمَّا إذا هدِّدنا في نبينا ورسولنا نقول: نكتفي بأقل القليل، نعيش على الكفاف، نعيش كما كان يعيش آباؤنا وأجدادنا، ونقول ما قال الشاعر:

لا تَسْقِنِي ماءَ الحَيَاةِ بِذِلَّةٍ بل فاسْقِنِي بالعزِّ كأسَ الحَنْظَلِ[1]

هذه هي أمَّة محمَّد، هذه هي أمَّة الإسلام الَّتي يجب أن تقف هذا الموقف دفاعًا عن دينها، وذودًا عن مقدَّساتها وحرماتها، نحن لا نعتدي

(١) شرح ديوان عنترة للخطيب التبريزي صـ١٣٥، فهرسة مجيد طراد، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

QaradawiBooks.com

على أحد، نحن مدافعون، نحن يُعتدى علينا، نحن نردُّ عن أنفسنا، وهل يلام الإنسان إذا دافع عن نفسه؟

وها أنا أُرَدِّد ما قاله الشاعر العربي:

وكنتُ إذا قومٌ غَزَوْنـي غَزَوْتُهم فهل أنا في ذا يـا لَهَمْدَانَ ظَالِمُ؟
مَتَى تَحْمِلِ القلب الذَّكِيَّ وصارمًا وأنفًـا حميًّا تجتنبْـكَ المَرَاغِمُ[1]

لا نريـد أن نقبل الهـوان على أنفسـنا، لا نريد أن نُجـرح ونُؤذى ويستهان بنا، ونسكت ونقف موقف المتفرِّج، هذا لا يكون من أمَّة حيَّة، لا نريد أن نقول كما قال أبو الطَّيِّب المُتَنَبِّي:

ذلَّ مـن يَغْبِـط الذليـلَ بعَيْشٍ ربَّ عَيْـشٍ أخـفُّ منـه الحِمامُ
مَنْ يَهُـنْ يَسْـهُلُ الهـوانُ عَلَيْهِ مـا لجُـرْحٍ بمَيِّـتٍ إِيـلَامُ[2]

أسـأل الله تعالى أن يحيي أمَّتنا من موات، وأن يجمعها من شتات، وأن يوقظها من سُبات، وأن يعزِّها من ذلَّة، وأن يؤمِّنها من الخوف، وأن يجعل يومها خيرًا من أمسها، وغدها خيرًا من يومها.

أقول قولي هذا، وأسـتغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

(١) يقال بأنَّ الشعر لعمرو بن سراقة الهمداني السـهمي، انظر: الوحشيات لأبي تمام صـ٣٢، تحقيق عبد العزيز الميمني ومحمود محمد شاكر، نشـر دار المعارف، القاهرة، والمؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء صـ٨١، تحقيق الدكتور ف. كرنكو، نشر دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

(٢) خزانة الأدب (١٨٩/١)، تحقيق عصام شقيو، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

كان في نيتي أنْ أجعل الخُطبة الثانية تعليقًا على فوز حركة المقاومة الإسلاميَّة حماس في الانتخابات، وتصويت الشَّعب الفلسطيني لها، وإعطائها تفويضًا بأنْ تقود السفينة في المرحلة القادمة، كان في نيتي أن أعلِّق على هذا الأمر، وأعطيه بعض حقِّه، ولكن هكذا أراد الله، أن تكون هذه الخُطبة الأولى والثانية خالصة للدفاع عن رسول الله ﷺ، وهو جدير بهذا، وموعدي مع الإخوة في الأحد القادم ـ إن شاء الله ـ في برنامج الشريعة والحياة، حيث نتحدَّث عن قضيَّة حماس، وحقِّها على الأمَّة في هذه المرحلة الحرجة القادمة إن شاء الله.

أسأل الله تعالى أن يجمع كلمة أمَّتنا على الهُدى، اللهمَّ اجمع كلمة أمَّتنا على الهدى، وقلوبها على التُّقى، ونفوسها على المحبَّة، ونياتها على الجهاد في سبيلك، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل.

* * *

نسخة مجانية

٢٠

رُبَّ ضارَّة نافعة[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

ربَّ ضارَّة نافعة:

يقول العرب: ربَّ ضارَّة نافعة، ويقول الصوفيَّة: كم من مِحْنَة في طيِّها مِنْحَة، وقبل ذلك يقول الله تعالى: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [النِّساء: ١٩].

نقول هذا بمناسبة تلك الرسوم الخبيثة السيِّئة، الَّتي ظهرت في صحف الدنمارك وغيرها في بلاد الغرب، تسيء إلى صفوة خلق الله، وخاتم رسل الله، سيِّدنا محمَّد ﷺ.

هذه الرسوم كان من ورائها خير كثير، وإن أساءت إلى رسول الله، وأساءت إلى أمَّة الإسلام كلِّها، في مشارق الأرض ومغاربها.

الأمَّة الإسلاميَّة حقيقة لا وهم:

كان من هذا الخير، ومن هذا النفع، الَّذي جرَّته هذه البلوى وهذه

(١) أُلقيت بمسجد عمر بن الخطَّاب بالدوحة في ١٩ محرم ١٤٢٧هـ الموافق ١٧ فبراير ٢٠٠٦م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

المكاره، أنَّها أثبتت أنَّ هناك أمَّة إسلاميَّة لم تزل حية، ولم تمت، ولم تُهل عليها الأتربة في القبور.

لا زالت هذه الأمَّة حيَّة، أثبتت هذه الرسوم المسيئة المزرية المنحطَّة أثبتت أنَّ هناك أمَّة إسلاميَّة، وأنَّها حقيقة لا وهم[1]، وأنَّ هذه الأمَّة غضبت لرسولها ومحمَّدها ﷺ من المحيط إلى المحيط، من جاكرتا من الفلبين إلى الرباط وإلى موريتانيا، من المحيط الهادي إلى المحيط الأطلسي.

أثبتت هذه الرسوم وهذه الإساءات والإهانات ـ لنبي الإسلام ـ أثبتت أنَّ هناك أمَّة، وأنَّ هذه الأمَّة غضبت لرسولها ومحمَّدها، وقامت تعلن استعدادها للدفاع عن رسولها، وبذل النَّفس والنَّفيس في سبيل هذا الرسول ﷺ.

هذا كسب كبير، كان كثير من النَّاس يشكِّك أنَّ هناك أمَّة إسلاميَّة، يقولون: لا توجد أمَّة إسلاميَّة، هناك أمَّة عربية، وأمَّة هندية، وأمَّة تركية، وأمَّة كذا، وأمَّة كذا، ولكن لا توجد أمَّة إسلاميَّة، هذا الحادث أثبت للنَّاس: أنَّ هناك أمَّة إسلاميَّة.

أمَّة محمد، أمَّة القرآن، أمَّة الإسلام، أمَّة التوحيد، أمَّة «لا إلٰه إلَّا الله محمَّد رسول الله»، لم تزل حية.

كلمة التوحيد توحِّد الأمَّة:

ثمَّ أثبتت بعد ذلك: أنَّ هذه الأمَّة لا تزال توحِّدها أشياء كثيرة؛ صحيح أنَّ السياسة فرَّقتها، مزَّقتها كلَّ ممزَّق، ذهبت بها يمنة ويسرة؛ عن

(١) راجع كتابنا: الأمَّة الإسلامية حقيقة لا وهم، نشر مكتبة وهبة، القاهرة.

QaradawiBooks.com

طريق المناهج الوضعية، والمذاهب المستوردة، من الشرق والغرب، ومن اليمين واليسار، هذه مذاهب اشتراكيَّة، وتلك مذاهب ليبرالية، وهذا يميل إلى تلك العاصمة، وذاك إلى أخرى، وهذا يتَّجه إلى قبلته في واشنطن، وآخر يتَّجه إلى قبلته في باريس، وهكذا.

ولكن أثبتت هذه الحوادث: أنَّ هناك هذه الأمَّة الَّتي مزَّقتها السياسات والأيديولوجيات، والعصبيات المختلفة؛ العصبيات العرقية، والعصبيات اللونية، والعصبيات اللغوية، والعصبيات الأيديولوجية، هذه الأمَّة لا تزال أمَّة واحدة، وتحتاج إلى محرِّك يحرِّكها، وإلى قيادة تقودها، لا زالت «لا إلٰه إلَّا الله محمَّد رسول الله» هي الَّتي تجمع هذه الأمَّة، في مشارق الأرض ومغاربها.

هذا مكسب كبير ـ أيضًا.

الدين هو المحرِّك الأوَّل للأمَّة:

ثمَّ دلت على أمر ثالث، أنَّ هذه الأمَّة لا زال الدين هو المحرِّك الأوَّل لها، الدين هو الَّذي يوجِّه مسيرتها، هو الَّذي يحرِّك مشاعرها، وهذا ما رأيناه في هذه القضيَّة.

حينما مُسَّ قدس الأقداس عند المسلمين، قدس الأقداس عند المسلمين يتمثَّل في أمرين اثنين: القرآن الكريم، والرسول الَّذي أُنزل عليه هذا القرآن.

وربما غضب النَّاس للرسول أكثر ممَّا يغضبون للقرآن؛ لأنَّ القرآن شيء تجريدي نظري، إنَّما الرسول شخصيَّة، النَّاس تغضب للمُجسَّد والمُحَس أكثر للمعنوي، وخصوصًا أن هذه الإساءات إساءات ليست بمجرد الكلام،

QaradawiBooks.com

هي رسوم وصور، يعرفها القارئ والأمِّي وكلُّ أحد، وهي صور مسيئة غاية الإساءة، مسفَّة غاية الإسفاف، ولذلك حرَّكت سواكن الأمَّة، فجَّرت مكنونات الأمَّة، أثارت الأمَّة من أعماقها، فغضبت الأمَّة لرسولها.

أثبتت هذا، أنَّ الدين ليس شيئًا تافهًا، ليس شيئًا عارضًا، ليس شيئًا طارئًا على الحياة؛ بل هو جوهر الحياة، وسرُّ الوجود، ربما لا يعرف ذلك الغربيون؛ لأنَّ الدين عندهم على الهامش، وربما ليس له وجود.

أمَّا الدين عندنا فهو سرُّ حياتنا، الدين عندنا أساس وجودنا، الدين عندنا جوهر بقائنا، فلذلك أثبتت هذه المأساة أهميَّة الدين في حياتنا.

ومن هنا ينبغي أن نستفيد من هذه المناسبة، لنعلِّم الأمَّة من جديد، ونؤدِّب الأمَّة من جديد، ونقودها من جديد؛ قيادة حكيمة بصيرة؛ حتَّى تسير على نور، وعلى بصيرة، وعلى بيِّنة من أمرها.

المسيرات علامَة على الحبِّ لكنها وحدها لا تكفي:

نحن قلنا للمسلمين ولا زلنا نقول ذلك: إنَّنا لا ينبغي أن نكتفي بمسيرات الغضب الَّتي غضبت للنَّبي ﷺ ـ فداه أبي وأمِّي رسول الله ـ، هذه المسيرات دلَّت على أنَّ الأمَّة تحبُّ رسولها، وحبُّ رسول الله جزء من الإيمان؛ كما قال عليه الصلاة والسلام: «**لا يؤمن أحدكم حتَّى أكون أحبَّ إليه من نفسه، وولده، وماله، والنَّاس أجمعين**»(١).

حبُّ رسول الله وحبُّ الله هو من أصول الإيمان، «**أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه ممَّا سواهما**»(٢).

(١) سبق تخريجه صـ ٤١٢.

(٢) سبق تخريجه صـ ٤١٢.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

حبُّ النَّبي ﷺ له متطلَّبات:

أيها الإخوة، ولكــن الحبَّ وحده لا يكفي، لا يكفــي أن تقول: أنا أحبك، ولكنك لا تقوم بحقِّي، الحبُّ يتطلَّب أشياء.

الاتِّباع دليل الحبِّ:

أن تحبَّ الله ورســوله، معنى هذا: أن تتبع رسول الله ﷺ، أن تؤمن برســالته وبما جاء به، أن يكون هواك تبعًا لما جاء به محمَّد ﷺ[1]، أن تجعل حياتك ومســيرتك كلَّها مقيدة بتعاليم رســول الله ﷺ، ألَّا تسير وحبلك على غاربك، تفعل ما تشاء وتحكم ما تريد.

لا، ليس هــذا من الإيمان فــي شــيء، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النِّساء: ٦٥]، لا بدَّ أن تسلِّم لحكم رسول الله ﷺ، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

﴿إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا﴾، إذا قال: هذا حلال، أو هذا حرام، أو هذا فرض، أو هذا مستحب؛ فليس لك خيار أمام حكم الله ورسوله.

حبُّ المنافق زعْم:

لا تكــن كالمنافقين الَّذين يقبلــون من الأحــكام ما يوافق هواهم، ويرفضون ما لا يوافق أهواءهم ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النُّــور: ٥١] ليس أمام

(١) إشارة إلى حديث النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به». رواه ابن أبي عاصم في السُّنَّة (١٥)، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٢٠٩)، والبغوي في شرح السنة (٢١٣/١)، وقال النووي في الأربعين النووية (٤١): حسن صحيح. عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

المؤمنين إذا دُعوا إلى حكم الله ورسوله، وظهر لهم هذا الحكم بيِّنًا، ليس لهم أن يتلكؤوا، ولا أن يتردَّدوا، ولا أن يتعلَّلوا بمعاذير واهية، بل عليهم أن يقبلوا، ويحنوا رؤوسهم أمام النصوص المحكمة القاطعة، وأن يقولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربَّنا وإليك المصير.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النُّور: ٥١]، ولا يكونوا كالمنافقين الَّذين قال الله عنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النِّساء: ٦١]، يُعرضون إعراضًا، ولا يقبلون بما جاء به الله والرسول.

ليس هذا شأن المؤمنين.

الإيمان لا يتجزَّأ:

المؤمن يُذْعِن لما جاء به الله ورسوله، ويقول: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، ويتبع كلَّ ما جاء به الله ورسوله. لا يتخيَّر؛ يقبل أحيانًا، ويرفض أحيانًا؛ هذا شأن بني إسرائيل مع كتابهم، وقد قرَّعهم الله أشدَّ تقريعٍ وأقساه في كتابه حينما قال: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥].

لا، لا يقبل البعض ويرفض البعض، هذا هو النِّفاق.

تقبل كلَّ ما جاء به الله ورسوله، ولذلك قال الله تعالى لرسوله: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾، ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾؛ لأنَّك إذا أعرضت عن بعض ما أنزل الله إليك، فكأنَّك أعرضت عن الكلِّ.

QaradawiBooks.com

لا يجوز أن تقبل بعضًا من هذا الدين وتترك بعضه.

القرآن (١١٤) سورة؛ هل يجوز أن تقبل القرآن كلَّه وتقول: لكنِّي لا أقبل سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص]، أو سورة ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [سورة الكوثر]، أو سورة ﴿وَٱلْعَصْرِ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر: ١، ٢]!

لا يجوز، لا بدَّ أن تقبل القرآن كلَّه، هذا هو الدين، لا بدَّ أن تأخذ الإسلام كلَّه.

ولذلك إذا كنَّا نحبُّ الله ورسوله؛ فلا بدَّ أن نؤمن بكلِّ ما جاء به القرآن، ولا بدَّ أن نعمل بكلِّ ما جاء به القرآن، وبكلِّ ما جاء به رسول الله ﷺ مبينًا للقرآن؛ فقد كانت مهمَّته: أن يبيِّن للنَّاس ما نُزِّل إليهم كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النَّحل: ٤٤].

محمَّد ﷺ جاء بكلِّ خير[1]:

علينا أن نتبع ما جاء به رسول الله ﷺ، وهو لم يجئ إلَّا بما فيه الخير، ما فيه النُّور، ما فيه الهداية، ما فيه الرحمة، ما فيه مصلحة للنَّاس جميعًا، ولم يكن يريد لنفسه شيئًا، ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يُونس: ٧٢]، ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]، إنَّما كان يريد أن يهدي النَّاس إلى الَّتي هي أقوم، أن يخرجهم من الظلمات إلى النُّور، أن يهديهم إلى صراط ربِّهم العزيز الحميد، أن يُصلح من أحوالهم، أن ينتقل بهم من الجهل إلى العلم، من الضلالة إلى الهدى، من الفوضى إلى النِّظام، من

(١) ذكرنا ذلك بالتفصيل في كتابنا: البابا والإسلام، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠٧م، فليراجع.

QaradawiBooks.com

الشرِّ إلى الخير، من الفساد إلى الصَّلاح، من الرذيلة إلى الفضيلة، ينتقل بهم إلى كلِّ خير، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النَّحل: ٨٩]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يُونس: ٥٧].

ولذلك علينا ـ نحن المسلمين ـ وقد ظهرت منَّا هذه العواطف الجيَّاشة الصادقة نحو رسول الله ﷺ: أن نحقِّقها في حياتنا، ونجعل منها واقعًا معيشًا ملموسًا، ولا تكون مجرَّد عواطف طائرة في الهواء، نريد أن نثبتها، وأن نجعل لها كيانًا في حياتنا.

نريد أن نُحَوِّل حبَّنا لرسول الله ﷺ إلى إيمانٍ صادق؛ بكلِّ ما جاء به من الهدى ودين الحقِّ، بكلِّ ما جاء به من البيِّنات، بكلِّ ما جاء به من العقائد الصادقة، وما جاء به من العبادات الخالصة، وما جاء به من الأخلاق الفاضلة، وما جاء به من القيَم الراسية، وما جاء به من التشريعات العادلة؛ الَّتي تنظِّم أمر الحياة، وعلاقات النَّاس بعضها ببعض؛ على أقوم ما يكون، وأعدل ما يكون، وأمثَل ما يكون.

تحويل الحبِّ إلى واقع ملموس:

علينا أن نؤمن بهذا، وعلينا بعد هذا أن نتبع ونعمل بكلِّ ما جاء به محمَّد ﷺ، نجعله واقعًا في حياتنا، في حياتنا الفردية، حياة كلِّ إنسان في سلوكنا الشخصي، يحلُّ ما أحلَّ الله ويحرِّم ما حرَّم الله، في حياتنا الأسرية، في علاقاتنا الأسرية، علاقة الرجل بزوجته، وعلاقة المرأة بزوجها، وعلاقة كلٍّ منهما بأولادهم بنين وبنات، وعلاقة الأبناء بآبائهم وأمَّهاتهم، وعلاقاتهم بأصولهم وفروعهم، وعلاقاتهم بعصباتهم، وعلاقاتهم بأرحامهم؛ بأخوالهم وخالاتهم، بأعمامهم وعمَّاتهم، بأجدادهم وجدَّاتهم.

QaradawiBooks.com

فالإسلام جاء بالأسرة الواسعة، الأسرة الموسَّعة، الأسرة الممتدة، ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥].

علينا أن نعمل بالإسلام في مجتمعنا، نقيم المجتمع المسلم الَّذي يرتبط بعضه ببعض، على أساس من التعارف والتعاطف، والتراحم والتعاون؛ التعاون على البرِّ والتقوى، لا على الإثم والعدوان، نكون «**كالبنيان المرصوص يشدُّ بعضه بعضًا**»[(١)]، «**كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**»[(٢)].

حبُّ الرسول يقتضي: إقامَة أمَّة تتحاكم إلى القرآن:

هناك تعليمات وأحكام تضبط علاقات هذا المجتمع وتنظِّمها بالتشريعات المحكمة، وبالتوجيهات والوصايا الأخلاقية، الَّتي تجبر نقص التشريعات.

علينا أن نقيم أمَّة من هذه المجتمعات المحلية المختلفة، نقيم منها كلَّها أمَّة واحدة، أمَّة وسطًا، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

هكذا ينبغي أن نقيم الإسلام في حياتنا، لا يكون الإسلام مجرَّد شيء نظري، نتحدَّث عنه ونتكلَّم عنه ونخطب فيه ونحاضر فيه، فإذا نظرنا إلى الواقع نجد الإسلام غريبًا.

لا، نريد الإسلام حيًّا واقعًا مشاهدًا في حياتنا، في حياة كلٍّ منَّا أفرادًا وأسرًا ومجتمعات وأمَّة ودولة.

---

(١) سبق تخريجه صـ ٥٦.

(٢) سبق تخريجه صـ ٥٦.

QaradawiBooks.com

نريد دولة إسلاميَّة تحكم بما أنزل الله، تقيم العدل بين النَّاس، تقيم عدل الله في أرض الله، ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحجُّ: ٤١].

هذا ما نريده من المسلم.

حبُّ الرسول يقتضي: الدعوة إلى دينه:

نريد من المسلم في هذه المناسبة لكي يحبَّ رسول الله حقًّا، ولكي يؤمن به حقًّا، ولكي يؤمن برسالته حقًّا، أن يتحمَّس للعمل بهذه الرسالة، ويدعو غيره إليها؛ لأنَّ المسلم كما هو مطالب بالعمل برسالة الإسلام مطالب إلى دعوة غيره إلى رسالة الإسلام، كلُّ مسلم مطالب بأن يدعو غيره إلى ما يؤمن به.

الإسلام لا يكتفي منك بأن تكون صالحًا في نفسك وتقول: «أنا ما لي وما للنَّاس»!

لا؛ الله تعالى يلزمك أن تعمل على إصلاح غيرك كما أصلحت نفسك، أصلح نفسك وادع غيرك.

انظر إلى سورة العصر: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [سورة العصر].

لم يكتف من الإنسان أن يؤمن ويعمل الصالحات ويعيش وحده.

لا، لا بدَّ أن توصي غيرك بالحقِّ، وتقبل الوصية من غيرك بالحقِّ، لا بدَّ أن تتفاعل مع غيرك من أبناء المجتمع حتَّى يقوم المجتمع الصالح، وتواصوا بالحقِّ، ولا تكتفي بهذا لأنَّ الحقَّ طريقه طويل، وأعباؤه شاقة، فلا بدَّ أن توصي غيرك بالصبر، وتقبل من غيرك الوصية

QaradawiBooks.com

بالصبر، الصبر على الحـقِّ وتكاليف الحـقِّ، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ٣].

لا بدَّ أن تدعو إلى رسالة الإسلام، تدعو غيرك ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [يُوسف: ١٠٨]، ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾.

إذا كنت ممَّن اتَّبع محمَّدًا ﷺ؛ فيجـب أن تدعو إلى الله، أن تكون داعيًا إلى الله، وداعيًا على بصيرة وعلى بيِّنة.

والدعوة إلى الإسلام تقتضي العلم:

وهذا يقتضي منك أن تعرف الإسـلام الَّذي تدعو إليه، كيف تدعو النَّاس إلى شيء وأنت لا تعرفه، ولا تعلمه على حقيقته، بل كيف تعمل بهذا الإسلام وأنت لا تعرفه؟

ولذلك كان العلم بالإسلام مقدَّمًا على العمل بالإسلام، العمل إمام والعمل تابعه.

الإمام البخاري رضي الله عنه يقول: «العلم قبل القول والعمل»[(١)]، ويسـتدلُّ على ذلـك بقولـه الله تعالـى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾ [محمَّـد: ١٩]، اعلـم أولًا، اعلم ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وبعدها ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ﴾، الاستغفار عمل؛ فالعلم قبل العمل.

لا بدَّ أن تعلم ما هذا الدين الَّذي جاء به محمَّد ﷺ، ولذلك كان «**طلب العلم فريضة على كلِّ مسـلم ومسـلمة**»[(٢)]، هناك قدر من العلم لا بدَّ أن

(١) هو الباب العاشر من كتاب العلم، قبل الحديث (٦٨).

(٢) سبق تخريجه صـ ٢١٠.

QaradawiBooks.com

يعرفه كلُّ مسلم، لا بدَّ أن تعرف من أمور عقيدتك ما تصحِّح به عقيدتك، لا تدخل فيها الخرافات ولا الأضاليل، ولا الشركيات ولا الأشياء الَّتي تهدم العقيدة من أساسها، أو تلوِّثها بعد نقائها، اعرف من دينك، اعلم ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، لا بدَّ أن تعرف، هذا فرض على كلِّ مسلم.

وفرض على كلِّ مسلم أنْ يعرف من أمور عبادته ما يؤدي به العبادة سليمة خالصة لله تعالى، بعيدة عن النقص والقصور، بعيدة عن الرياء، بعيدة عمَّا ينقص هذه العبادة، ويجعلها تقصر عن القبول عند الله، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البيِّنة: ٥].

لا بدَّ أن تعرف من العقائد، ومن العبادات، ومن الأخلاق، والفضائل، ومن الأمور الشرعية، ومن أمور الحلال والحرام؛ ما تحتاج إلى معرفته.

لا بدَّ أن تعرف أنَّك تأكل من حلال لا من حرام، وأنَّك تشرب من حلال لا من حرام، وأنَّك تلبس حلالًا لا حرامًا، وأنَّك تبيع وتشتري في حالة حلال وليس في حالة حرام، كلُّ ما يمكن أن يقع لا بدَّ أن تعرف حكمه، هذا فرض عليك.

حبُّ الرسول يقتضي: معرفة سيرته:

ولا بدَّ أن تعرف قدرًا من سِيرة رسولك ﷺ، يجعلك تؤمن بهذا الرسول عليه الصلاة والسلام، لا بدَّ لكي تقول: إنَّ محمَّدًا رسول الله، لا بدَّ أن تكون مطمئنًّا إلى رسالة محمَّد عليه الصلاة والسلام، وهذا يدعوك إلى أن تقرأ سِيرة هذا الرسول إن كنت قارئًا، أو تسمع من العلماء إن لم تكن من أهل القراءة.

QaradawiBooks.com

كثير منَّا لا يعرف عن سِيرة النَّبي ﷺ إلَّا قشورًا، ربما كان بعضها من الأشياء الَّتي لا تثبت عن الرسول، أساسها أحاديث موضوعة، أو حكايات مكذوبة، إشاعات تتناقلها النَّاس بعضها عن بعض، فليس هذا المقصود بالسيرة.

السيرة المراد معرفتها:

نريد هذه السِّيرة الحيَّة العاطرة، الَّتي تمسُّ هذا النَّبي العظيم منذ ولادته إلى أن توفاه الله تعالى، وهي سِيرة كلُّها نور على نور، وكلُّها طيب من طيب، وخيار من خيار، منذ ولادته عليه الصلاة والسلام.

لا تتعلَّق بالخرافات الَّتي نسمعها في قراءة الموالد، أنَّ الرسول حينما حملت به أمُّه في أوَّل شهر رأت سيِّدنا آدم، وفي ثاني شهر سيِّدنا شيث، وسيدنا إدريس، وسيدنا فلان، هذه خرافات.

اعرف السِّيرة الصحيحة، اقرأها في كتاب صحيح، وهذا ما جعلنا نعلن منذ الأسبوع الماضي أنَّنا سنتحدَّث في سلسلة خطب عن رسول الله ﷺ، ونعرف بها عظمة هذا النَّبي الكريم، الَّذي يجهله كثير من المسلمين أنفسهم، فلا عجب أن يجهله الغربيون، وأنشأنا موقعًا على إسلام أون لاين يتحدَّث عن رسول الله بلغات شتَّى، يبدأ عن قريب باللغة الإنجليزية ـ إن شاء الله.

وهكذا ينبغي أن ندرس سِيرة رسول الله ﷺ.

موقف السَّلف من السِّيرة:

كان الصَّحابة كما يقول سيِّدنا سعد بن أبي وقاص: كنَّا نروي أبناءنا مغازي رسول الله ﷺ كما نحفظهم السورة من القرآن[1].

(١) رواه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (١٥٩١)، علي بن الحسين.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

يعلمونهم سور القرآن ويحدثونهم ماذا فعل النَّبي ﷺ في هجرته، ماذا فعل الرسول والمسلمون في غزوة بدر؟ ماذا أصابهم في غزوة أُحد؟ ماذا كان في غزوة الخندق أو الأحزاب؟ ماذا في خيبر؟ ماذا في بني قينقاع؟ في بني النضير؟ إلى آخره.

يحدِّثونهم، يعلِّمونهم، يروون لهم، يروى لهم، بدل ما يروى لهم الحواديت و«الغولة» والعفاريت وهذه الأشياء، يروى لهم سِيرة رسول الله ﷺ، وبدل ما يقرأ الشَّباب الروايات المستوردة والمترجمة من الخارج وفيها ما فيها من الأباطيل، وفيها ما فيها من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، يتعلَّمون سِيرة رسول الله، يعرفون هذه البطولات الَّتي حدثت، يعرفون هذا الفداء، أنَّ هذا الإسلام الَّذي وصل إليهم، لم يصل إليهم عفوًا صفوًا؛ إنَّما وصل بعد تضحيات هائلة، بعد دماء أُريقت وأرواح أُزهقت، وأموال بُذلت، ورجال ضحوا بأنفسهم ونفائسهم في سبيل الله.

«فقه السِّيرة» من أروع ما كُتب:

هكذا ينبغي ـ أيُّها الإخوة ـ أن نتعلَّم سِيرة الرسول ﷺ، نتعلَّمها من الثقات، من العلماء، نتعلَّمها أوَّل ما نتعلَّمها في كُتبٍ مبسطة، ومن أعظم ما كُتب في عصرنا كتاب «فقه السِّيرة» للشيخ محمَّد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ، كتبه وكان منتدبًا في المدينة، بجوار مسجد رسول الله وقبر رسول الله ﷺ، فكان يكتبه بعاطفة مشبوبة، تختلط فيها دموعه بمداده، وهو يكتب هذا الكتاب عن رسول الله ﷺ[1].

(١) راجع: مقدمة فقه السيرة للشيخ الغزالي صـ٥ ـ ٩، نشر دار الشروق، القاهرة.

QaradawiBooks.com

ينبغي أن نقرأ، هناك كتب كثيرة، لكــن ابدأ بكتاب، ثمَّ بكتاب، ثمَّ بكتاب، وستجد أنك ستتلذَّذ وتسعد بهذه القراءة.

هناك أناس يجدون لذَّتهم في قراءة المجلات، وربما المجلات الَّتي لا قيمة لها، ولا أخلاقيات لها، إنَّما اقرأ الكتب النافعة، تلذَّذ بقراءة هذه الأشــياء النافعة كما كان بعض السلف حينما ســئل: فيمَ سعادتك؟ فيمَ لذتك؟ قال: في حُجة تتبختر اتِّضاحًا، وفي شبهة تتضاءل افتضاحًا[1].

حينما أجد الحجَّة أمامي واضحة بيِّنة، أتلذَّذ أنتعش، أشــعر بسعادة غامرَة، وحينما أجد الشُّــبهات تفتضح أمامي، تقوِّمها الحُجج القاهرة، فلا تقف أمامها، أسعد بهذا.

يجب أن تســعد ـ أيُّها المســلم ـ بالقــراءة النافعة في سِــيرة نبيك محمَّد ﷺ، فهذا ممَّا يجب علينا نحو رسول الله، يجب أن تقرأ عن سيرته.

إيصال السِّيرة النَّبويَّة مطلوب إلى كلِّ النَّاس:

ويجب أن نكتب من جديد كتبًا ـ أيضًا ـ عن رســول الله ﷺ بلغات العالم، يجب أن نكتب بلغات العالم، ونستخدم الأدوات الحديثة، آليات العصر، الفضائيات في كلِّ مكان، شــبكة الإنترنت، هذه الأشــياء كلُّها يجب أن نســتغلها لنعرِّف النَّاس بهذه الشــخصيَّة العظيمة، شــخصيَّة محمَّــد ﷺ، الَّتي وصفها الله فــي كتابه وأثنى عليها هــذا الثناء العظيم حينما قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلــم: ٤]، أثنى الله على محمَّد بهذه الجملة الرائعة، البليغة، لم يثن عليه أنَّــه صائم النهار وقائم الليل، كثير التســبيح والتحميد والتهليل ـ وهو كذلك، ولكنَّه أثنى عليه بهذا الأمر،

(١) ذكره الزمخشري في تفسيره (٣٧/١)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ.

QaradawiBooks.com

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ﴾ بهذا التأكيد، هذا الأسلوب والجملة الاسمية، وهي أوكد من الجملة الفعلية، ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ﴾ «إن، والكاف، واللام» هذه كلُّها مؤكِّدات، ولم يقل: إنَّك لعلى خُلق حسن.

لا، فرق بين الخُلق الحسن والخُلق العظيم، كثير من النَّاس أخلاقهم حسنة، أمَّا أن يكون الإنسان خلقه عظيم، فهذا شيء قلَّما يوجد.

ومن الَّذي قال له هذا؟

إنَّه الله، لم يقل له بشر مثله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾، ولكن الله ربّه، خالقه، الَّذي بعثه بالهدى ودين الحقِّ، الَّذي أدَّبه فأحسن تأديبه، وعلَّمه فأكمل تعليمه، الَّذي أنزل عليه القرآن، هو الَّذي قال له: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾.

علينا ـ أيُّها الإخوة ـ أن نتعلَّم سِيرة رسول الله ﷺ، وأن نعلِّم النَّاس بعد ذلك هذه السِّيرة، هذه واجباتنا نحو هذا الرسول العظيم، علَّمتنا إياها هذه الأحداث المؤسفة، ولكن ربَّ ضارة نافعة.

على أمَّتنا الكبرى، أمَّة الإسلام، أمَّة لا إلٰه إلَّا الله محمَّد رسول الله، على هذه الأمَّة من المحيط إلى المحيط أن تحبَّ رسولها كما أثبتت ذلك هذه الأحداث، وأن تحوِّل هذا الحبَّ إلى واقع، وإلى إيمان ملموس بما جاء به محمَّد ﷺ، وأنْ تحوِّل هذا الإيمان إلى عمل وسلوك في حياتها كلِّها الفردية والأسرية والاجتماعيَّة والأممية، وأن تدعو النَّاس إلى هذا كلِّه، كما تعمل بالإسلام عليها أن تعمل إلى رسالة الإسلام وتدعو إليه العالم.

الأمَّة الإسلاميَّة أمَّة دعوة، ليست أمَّة منكمشة على ذاتها.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

لا؛ أمَّة دعوة، تريد أن تنشـــر دينها في العالم، مكلَّفة أن تنشـــر هذه الرسالة إلى العالمين، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وكلُّ ضلالة ضلتها الأمم المختلفة، الأمَّة الإســـلاميَّة مسؤولة عنها، لماذا لم تبلغ رسالة محمَّد إلى هذه الأمم؟!

ثمَّ عليها بعد ذلك لكي تكون دعوتها على بصيرة، أن تتعلَّم سِـــيرة هذا الرسول الكريم، وتتعلَّم سُنة هذا الرسول الكريم، وتتعلَّم رسالة هذا الرســـول الكريم، رســـالة الرحمة والهدايـــة، الَّتي قـــال الله فيها: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لي كلمتان لا بد منهما:

الكلمة الأولى: «زعْم باطل»:

إنَّه قد نشرت بعض الصحف في الخليج، وبعض مواقع الإنترنت أنَّي دعيت إلى بيان أصدره مجموعة من العلماء، وأنَّي رفضت التوقيع عليه، وهذا ليس بصحيح، لم يُعرض عليَّ أي بيان، ولا أعرف من دعا إلى هذا البيان، وقد قرأت هذا البيان وقد وجدت كلَّ ما فيه هو ترديد لما قلته في هذه الخطب، وما دعا إليه الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين من قبل.

فنحن دعونا إلى الغضب، ودعونا إلى يوم الغضب[1]، يوم الجمعة المعروف هناك، واستجاب العالم لنداء الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، والحمد لله.

وكان الغضب الَّذي دعونا إليه غضبًا عاقلًا حكيمًا غير متهوِّر ولا متجاوز للحدود، وحينما حدث ما حدث من إحراق بعض الكنائس أو إحراق بعض السفارات، أنكرنا هذا ودِنَّاه[2].

فالكلام الَّذي قاله الإخوة؛ أنا دعوت إليه من قبل، فمن العجب أن يقول بعضهم: إنَّ الشيخ القرضاوي رفض التوقيع؛ لأنَّه يريد التصعيد.

(١) كان ذلك بتاريخ ١٠ فبراير ٢٠٠٦م.

(٢) في برنامج الشريعة والحياة.

QaradawiBooks.com

هذا الكلام حقيقة لا أساس له، ومفترى عليَّ، أنا أردت التصعيد في وقت معين، أن يصل الغضب إلى الأمَّة الإسلاميَّة في كلِّ مكان، لتعرف الإساءة إلى رسولها، ولكن لا أريد التصعيد بمعنى أن يتجاوز الأمر حدوده، هذا ما رفضته.

أردت أن أوضِّح موقفي هنا.

الكلمة الثانية: مجاعة القرن الإفريقي:

الأمر الثاني ـ أيُّها الإخوة ـ: أريد أن أنبِّه إلى أمر عظيم، لا أدري لماذا غفل النَّاس عنه، ولماذا يغفل النَّاس عنه إلى يومنا هذا، هذا الأمر العظيم الَّذي يفتت الأكباد ويقطع نياط الفؤاد، وتذهب النفوس من أجله حسرات، وتفيض العين من أجله عَبرات، هذا هو المجاعة في القرن الإفريقي، ألم تروا آثار هذه المجاعة في التلفزيون؟!

ألم تروا هذه البطون الخَمِيصة؟!

ألم تروا هذه السيقان الهزيلة كأنَّها عصي؟!

ألم تروا هؤلاء الأطفال الَّذين يموتون أمامنا دقيقة بعد دقيقة؟!

ألم تروا هؤلاء النَّاس الَّذين يشربون أبوالهم لأنَّهم لا يجدون الماء؟!

ألم تروا هذه الحيوانات الَّتي تنفق يومًا بعد يوم؟!

هؤلاء النَّاس الَّذين طال عليهم الأمد، والعالم كأنَّه غافل عنهم لا يحسُّ بهم، لماذا نهتم بتسونامي وغيرها من الأشياء الَّتي حدثت ولا نهتمُّ بهذا؟!

لماذا نهتمُّ بجماعة ولا نهتمُّ بأخرى؟!

QaradawiBooks.com

يجب أن يكون اهتمامنا واحدًا للجوعى والعطشـــى، الَّذين يهلكون جوعًا، وعطشى وهزالى.

حرام علينا والله، حرام على النَّاس، حرام على العرب، حرام على المسلمين، حرام على البشر جميعًا أن يتركوا هؤلاء ولا يمدون لهم يد المعونة.

أمن الإسلام؟ أمن الإيمان؟ أمن الأخلاق؟ أمن الإنسانية؟ أن تأكل ملء بطنك، وأن تنام ملء جفنك، وأن تشـــرب حتَّـــى ترتوي، وهؤلاء لا يجدون قطرة من الماء؟!

حرام والله هذا.

لماذا لا ندفع لهؤلاء؟ لماذا لا تعمل الجامعة العربيَّة؟ لماذا لا تعمل منظَّمة المؤتمر الإسلامي؟ لماذا لا تعمل منظَّمات الأمم المتَّحدة؟ لماذا لا يعمل هؤلاء؟

لماذا لا يتنادى هؤلاء لإغاثة هؤلاء الملهوفين؟

لإطعام هؤلاء الجائعين!

لسقي هؤلاء العطشى!

هذا ما أعجب له.

إنَّني أدعو النَّاس جميعًـــا؛ أدعو المســـلمين أولًا، أدعو الجمعيات الخيرية فـــي قطر وفي بلاد الخليـــج، أن تهبَّ لنجدة هـــؤلاء، أن تهبَّ لنجدتهم، وأن تعمل كلَّ ما تستطيع.

لقد عَمِلت وجزاها الله خيرًا من أجل إنقاذ إخواننا في باكستان، وفي

QaradawiBooks.com

إندونيسيا وغير ذلك، فعليها أن تعمل لنجدة هؤلاء، أن تخصِّص لهم شيئًا، لا بدَّ.

طلب أحد الزعماء في الصومال ستين مليونًا لإنقاذ عدة ملايين، طلب إسعافًا، إغاثة الملهوف، ستين مليونًا! ستين مليونًا يا قوم! ويعجز العالم عن ستين مليونًا!

واحد ملياردير يمكنه أن يدفع ستين مليونًا، دولة من الدول ممكن أن تدفع الستين مليونًا.

لماذا سارعتم لنجدة أمريكا؟

دفعتم لها الملايين وعشرات الملايين، وأمريكا ليست محتاجة، يكفيها أن تسحب جنودها من العراق وجيوشها لتوفِّر عشرات الملايين، ومئات الملايين، بل عشرات البلايين وليس الملايين، عشرات المليارات.

ندفع لأمريكا ولا ندفع لهؤلاء؟!

حرام ـ والله ـ أي حرام، وعار ـ والله ـ أي عار؛ أن تقف الأيدي مكتوفة أمام هؤلاء ولا يقدِّم لهم أحد معونة؟!

وكلُّ يوم تعرض علينا شاشات التلفاز هذه المناظر الَّتي تعصر الإنسان من الألم عصرًا، وتذرف الدموع من أجلها ذرفًا، هذا عجيب والله.

أدعو الخيِّرين إلى نجدة هؤلاء، وأدعو جمعية قطر الخيرية، وجمعية الشيخ عيد، واللجنة المشتركة في قطر، وجهات الخير كلّها في بلاد الخليج؛ أدعوهم أن يغيثوا هؤلاء، إنَّ الله يحب إغاثة اللهفان.

QaradawiBooks.com

وأي لهفة عند هؤلاء؟

الذين يموتون أمامنا، نراهم يموتون أمامنا من الجوع، ونحن ـ والله ـ قادرون أن نفعل الكثير.

نحن نلقي في «درامات» القمامَــة، الفضلات تكفي هؤلاء، في بلاد الخليج ترمى هذه الأشياء، وهم محتاجون إلى اللقمة.

رأيت من يبحث في القمامَة عن لقمة، رأيت من يأتي بعظمة قديمة يريد أن يكسرها عسى أن يجد داخل العظم شيئًا، عظمة قديمة.

هذا والبشريَّة ترى هذا وتتفرَّج وكأنَّها لا ترى شيئًا.

يا الله، يا للهول، يا للمصيبة، أين البشر؟ أين القلوب الرحيمة؟ أين الضمائر الحية؟ أين الَّذين يخافون الخالق ويرحمون المخلوق؟

نســأل الله تعالى أن ينير بصائرنا، وأن يبعث في قلوبنا الحرقة على إخواننا، وأن يغيث لهفة إخواننا، وأن يفرِّج كرباتهم، وأن يكشف همهم.

اللهمَّ آمين.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الفهارس العامة

- فهـــرس الآيات القرآنيـــة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـــريفة.
- فهرس الموضوعات.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	٥	١٢٣، ٣٧١
﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾	٦	٢٠٢
﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾	٧	٢٠٢
سورة البقرة		
﴿وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾	٤	١٧٦
﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾	٨	١٢٤
﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾	٩	١٢٤
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾	١١	١٠٢
﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾	١٢	١٠٢
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾	١٣	٢١٤
﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ﴾	٢٧	١٠٣
﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾	٢٩	٢٧٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾	٣٠	١٨٠
﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾	٣٤	٢٧١
﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾	٣٧	٢٣٨، ٢٧٩
﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾	٤٤	١٣٢
﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾	٦٠	١٠٣
﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةًۚ﴾	٧٤	١٨، ٨١
﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍۚ﴾	٨٥	٤٣٠
﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾	٩٦	٦٠
﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾	١١٠	٣٨٤
﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾	١١١	٣٠٣
﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾	١١٢	٣٠٣
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾	١٤٣	٤٣٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾	١٥٣	٣٦٣
﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ۚ﴾	١٩٠	٢٠٧
﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌۚ﴾	١٩٤	٢٠٧
﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾	١٩٥	١١٨
﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَۗ﴾	٢٠٥	١٠٠، ١٠٤
﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمۖ﴾	٢١٤	١٣٤، ٣٥٩
﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾	٢١٧	١٠٩، ٣١٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾	٢١٨	٣٠٢
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾	٢٢٢	٢٢٣، ٣٢٤، ٣٥٠
﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ ﴾	٢٣٥	٢١١
﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾	٢٤٩	٤٤، ٢٣٥
﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا ﴾	٢٥٠	٣٦٣
﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ ﴾	٢٥٨	٣٧٣
﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ﴾	٢٨٢	١٠
﴿وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ ﴾	٢٨٣	١٠
سورة آل عمران		
﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ ﴾	١٤	١٦٥، ٢٠٠
﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ ﴾	١٥	٢٠٠
﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾	١٩	١٨
﴿ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	٣٤	٣٢٢
﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾	٥٤	٦٥
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾	٧٥	١٨
﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾	١٠١	١١٠، ٢٠٣، ٢٢٧
﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ﴾	١٢٠	٣٦٢
﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾	١٣٣	٢١٠، ٢٤١، ٢٩٥، ٣٢٥

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾	١٣٤	٣٢٥
﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ ﴾	١٣٥	٣٢٥، ٣٢٦
﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾	١٣٦	٣٠٢، ٣٢٥
﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	١٣٩	٣٩١
﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ﴾	١٤٠	٨٢، ٣٦٠، ٣٩١
﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾	١٤٤	١٥٦
﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا ﴾	١٤٧	٣٢٧
﴿ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ ﴾	١٥١	٣٧٧
﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾	١٥٤	٩٣
﴿ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾	١٦٤	٧
﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾	١٦٩	٤٤، ٩٤
﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾	١٨٥	١٥٦، ١٥٧، ٢١١، ٢١٦
﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾	١٨٦	١٣٥، ٣٦٢
﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ ﴾	١٩١	١٧٤، ١٩٦
﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ﴾	١٩٣	٣٢٧
﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ ﴾	١٩٥	١٦٤، ١٩٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ ﴾	٢٠٠	٣٦٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة النساء		
﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾	١٠	٢٨٦
﴿فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾	١٩	٤٢٥
﴿وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾	٢٥	٣٦٢
﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾	٢٩	١١٨
﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾	٣١	٣٣١، ٣٣٣
﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾	٣٢	١٢٤
﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ﴾	٣٥	٣٤٧
﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ﴾	٤٠	٣٢٩
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾	٤٩	١٤٤
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ﴾	٥١	١٩
﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾	٥٢	١٩
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ﴾	٦١	٤٣٠
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾	٦٥	٤٢٩
﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾	٨٣	١١٠، ١٩٥
﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ﴾	١٠٢	٤١
﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ﴾	١٠٤	٩٤
﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا﴾	١١٠	٣٢٥

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾	١٢٣	٣٠٣، ٣٣٧، ٣٣٨
﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾	١٢٤	٣٠٣
﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾	١٢٨	٢٨١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾	١٣٥	١٢
﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾	١٣٨	١٨٧
﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ﴾	١٣٩	١٨٧
﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا﴾	١٤٠	٢٢٠
﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾	١٤٢	١٢٤، ٢٧٢
﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ﴾	١٤٣	١٢٤
﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾	١٤٥	٢٢٢
﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾	١٤٦	٢٢٢
سورة المائدة		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾	٨	١٣
﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾	٢٢	٦٠
﴿قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ﴾	٢٧	١٢٦، ٣٠٠
﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ﴾	٢٨	١٢٦
﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾	٣٠	١٢٦
﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾	٣٢	٢٠٦
﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾	٣٣	١٠٣، ٣١٩

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾	٤٨	١٨
﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ﴾	٤٩	٤٣٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ﴾	٥٤	٣١٨
﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾	٥٨	٢٧٢
﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾	٦٤	١٠٠، ١٠٤
﴿أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾	٨٢	٣١٧
﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ﴾	٩٥	٣٤٧
﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	٩٨	٢١١
﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ﴾	١٠٨	١١
سورة الأنعام		
﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾	١٤	٣٧٦
﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾	٣٨	٢٠٦
﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾	٤٤	٨٠، ٨١
﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٤٥	٨١
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾	٨٢	٣٧٧
﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾	١٠٨	٤١٨
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ﴾	١١٢	٣٥٦
﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾	١١٤	٣٧٦
﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ﴾	١٢٠	٢٧٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾	١٣٢	٨١
﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْ﴾	١٥٢	١٣
﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾	١٥٣	٢٠٣
﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	١٦٢	١٢٣، ١٩٩
﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾	١٦٣	١٢٣، ١٩٩
﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖ﴾	١٦٤	٣٧٦
سورة الأعراف		
﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾	١٢	٢٤٠، ٢٧١
﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾	٢٣	٢١٨، ٢٢٨، ٢٤٧، ٢٧٩، ٣٢٦
﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗۖ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾	٣٤	١٢٣، ١٥٥
﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾	٥٦	١٠٣، ٣٠١، ٣٠٧
﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾	٥٩	٣٧٣
﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾	١٢٦	٣٦٣
﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾	١٣٦	١٤٩
﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾	١٥١	٣٠١، ٣٢٧
﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ﴾	١٥٥	٣٢٧
﴿فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾	١٥٦	٣٠١
﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾	١٥٨	١٨

غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾	١٦٩	٣٠١
﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾	١٧٥	١٣
﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾	١٧٩	١٤٥، ١٤٦، ١٤٨
﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾	٢٠٥	١٦٥
سورة الأنفال		
﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾	٣٨	٢٢٢
﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾	٤٦	٣٦٣
﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	٥٥	١٨
﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾	٥٦	١٨
﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾	٦٠	٤، ٤١
﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	٦٢	٥٠
﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾	٦٣	٥٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾	٧٠	٢٦٦
﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ﴾	٧٣	٤٢١
﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾	٧٥	٤٣٢
سورة التوبة		
﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	٥	٢٢١
﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ﴾	١١	٢٢١، ٢٢٢
﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾	٣١	٣٧٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾	٣٢	١٠٩
﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾	٤٠	٣٩٧
﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾	٤١	٧١، ٢٩٣
﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾	٥٢	٩٣
﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾	١٠٣	١٢٢
﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾	١١١	٧١، ١٣٥، ٢٩٣، ٣٠٣
﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾	١١٨	٢٤٧، ٣٢٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾	١١٩	٤، ٩
سورة يونس		
﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾	١٨	٣٧٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾	٥٧	١١٥، ٤٣١
﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ﴾	٧٢	٤٣١
﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾	٨١	١٠٠، ١٠١
﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾	٩٢	١٤٩
﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾	١٠٩	٣٥٧
سورة هود		
﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾	٣	٣٢٤
﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ﴾	٦	١٢٣
﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾	٤٠	٣٥٧

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾	٤٥	٢٤٧، ٢٧٠
﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ﴾	٤٦	٢٤٧، ٣٢٦
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ﴾	٤٧	٢١٨، ٢٤٨، ٣٢٦
﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾	٦١	١٨٠
﴿يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ﴾	٩٨	٣٤٢
﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾	١٠٢	٨٠، ٢٦٦
﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾	١١٢	٣٣٩
﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾	١١٤	٢٢٣، ٢٥١، ٣٣٥
﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِ﴾	١٢٣	٣٧١
سورة يوسف		
﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ﴾	٩	١٢٧
﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾	١٠	١٢٧
﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ﴾	١٦	١٢٧
﴿بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾	١٨	١٢٧
﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾	٢٣	٣٥٤
﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ﴾	٣٢	٣٥٤
﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾	٣٣	٣٥٥
﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾	٣٤	٣٥٥
﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا﴾	٤٧ ـ ٤٩	٣٩٥

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾	٥٣	١٢٥
﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ﴾	٥٦	٣٦٢
﴿أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾	٦٤، ٩٢	٣٠١
﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾	٧٦	٢١٣
﴿وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ﴾	٨١	١١
﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾	٨٦	٥٩
﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾	٨٧	٣٠٩
﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ﴾	٩٠	٣٦٣
﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ﴾	١٠٥	١٤٩
﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾	١٠٨	١٣٣، ٤٣٥
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا﴾	١١٠	١٣٤
﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾	١١١	٧٧
سورة الرعد		
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾	١١	١١٢
﴿أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾	١٩	١٩٦
﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ... سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾	٢٢ ـ ٢٤	١٩٦
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾	٢٨	٢٢٨
سورة إبراهيم		
﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾	٥	٣٥١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾	٧	١١٩
﴿ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾	١٥	٣٤٢
﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾	٣٤	١٨٨، ٢٤٣
﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾	٤١	٢١٨، ٣٢٧
﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾	٤٢	٨١، ٢٦٧
سورة الحجر		
﴿ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾	٢٦	١٧٦
﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾	٢٩	١٧٦
﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	٤٩	٢٢٤
﴿ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾	٥٠	٢٢٤
﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾	٥٦	٣٠٩
﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾	٩٢، ٩٣	١٦١
سورة النحل		
﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ﴾	٧	١٤٧
﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾	١٨	٢٤٣
﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	٤٤	٤٣١
﴿ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾	٧٧	٣٠٤
﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾	٧٨	١٣٢، ١٩٦
﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾	٨٩	٤٠٦، ٤٣١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾	١٢٥	٣١٤
﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾	١٢٦	٣٦٣
﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ ﴾	١٢٧	٣٥٧، ٣٦٣
سورة الإسراء		
﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾	٨	١٠٠
﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾	١٨	٤، ١٦٧، ١٦٨
﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾	١٩	٤، ١٦٨، ١٨١
﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾	٣٣	٢٠٩
﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ ﴾	٣٦	١٣٢، ١٩٦
﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾	٥٧	٢٢٤
﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾	٨١	٤٩
﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٨٢	١١٥
﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾	٨٥	٢١٢
﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴾	١٠٠	٢٨١
سورة الكهف		
﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾	٢٨	١٤٨، ٢٤٢
﴿ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾	٩٤	١٠٤
﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾	١١٠	٣٧٩
سورة مريم		
﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾	٦٥	٣٥٥

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة طه		
﴿فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾	٥٢	١٤٩
﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾	٥٥	٢٠٠
﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾	٨٢	٢٥٠
﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾	٨٨	١٢٧
﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾	٩٦	١٢٨
﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾	١١٤	٢١٢
﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾	١١٥	٢٣٩
﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾	١٢١	٢٣٨، ٣٢٢
﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾	١٢٢	٢٣٨
﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَاۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًاۖ﴾	١٣٢	١٣٣
سورة الأنبياء		
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾	٢٥	٣٧٣
﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَۖ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾	٣٤	١٥٦
﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾	٣٥	١٥٦
﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔاۖ﴾	٤٧	١٦١
﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾	٧٣	٢٥١
﴿أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾	٨٣	٣٠١
﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	٨٧	٢٤٨
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾	١٠٧	١٨، ٤٤١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الحج		
﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾	٣٠	١٠، ١٢٢
﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾	٣١	١٢٢، ٣٧٧
﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾	٤٠	٣١، ٧٥
﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾	٤١	٣١، ٤٣٤
﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ﴾	٥٤	٢٤٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ﴾	٧٣	٣٧٢
﴿وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾	٧٨	١٣٦
سورة المؤمنون		
﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾	٥	٢٧٥
﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾	٦	٢٧٥
﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾	٩٧	٤١٨
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾	٩٩	١٦٩
﴿لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾	١٠٠	١٦٩
﴿خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾	١٠٩، ١١٨	٣٠١
﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾	١١٥	١٧٤
سورة النور		
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ﴾	١١ ـ ١٥	٢٩٦، ٢٩٩

غير مرخصة للطباع
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾	٣١	١٣٩، ٢١٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٦٨، ٢٨٦، ٢٩٥، ٣٢١
﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾	٣٩	٥٣
﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾	٥١	٤٢٩، ٤٣٠
سورة الفرقان		
﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾	٢٧ ـ ٢٩	٢٥٣
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾	٣١	٣٥٦
﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾	٤٢	٣٦٠
﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾	٤٣	١٤٦
﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ﴾	٤٤	١٤٦
﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ﴾	٦٨ ـ ٧٠	٢٢٣، ٢٥٠، ٣٢٣
﴿لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾	٧٢	١١
﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾	٧٥	٣٦٢
سورة الشعراء		
﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾	٧٨ ـ ٨٢	١٩٩
﴿وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾	٨٧ ـ ٨٩	٢٧٧
﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾	١٥٠ ـ ١٥٢	١٠٤
﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	١٦٥	١٠٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾	١٦٦	١٠٢
﴿ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ۞ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴾	١٨١ ـ ١٨٣	١٠١
﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾	٢٢٧	٨٢
سورة النمل		
﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾	٢٤	٣٧١
﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ﴾	٣٤	١٠١
﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾	٩٣	٣٩١
سورة القصص		
﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾	٤	١٠١، ١٤٠، ٣٤٢
﴿ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾	١٥	٢٤٨
﴿ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	١٦	٢١٨، ٢٤٨، ٣٢٧
﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾	٢٦	١٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾	٣٨	٣٧٣
﴿ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾	٧٦	١٠٢
﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ ﴾	٧٧	١٠٢
سورة العنكبوت		
﴿ الٓمٓ ۞ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾	١ ـ ٣	٣٥٨، ٣٥٩
﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ ﴾	٢٩	١٠٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾	٣٠	١٠٢
﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ ﴾	٤٥	١٢٠
﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ﴾	٤٦	٣١٥، ٣١٦
﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴾	٥٧	١٥٦
﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾	٦٩	١٢٨، ١٢٩، ١٨٩، ١٨٩، ٣٥٠
سورة الروم		
﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴾	١ ـ ٥	٣٨٩
﴿ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ﴾	٧	١٤٥، ١٤٩، ١٥١، ١٦٥، ٢٢٦
﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾	٤٧	٥٠، ٧٥، ٢٣٥
﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾	٦٠	٣٥٧
سورة لقمان		
﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾	١٣	٣٧٧
﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾	٢٠	١٧٧
﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴾	٣١	٣٥١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾	٣٣	٢٨١، ٣٠٥
سورة السجدة		
﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴾	١١	١٥٠
﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ﴾	١٨	٢٧٢

غير مرخصة للبيع

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأحزاب		
﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾	١٠	٣٩٣
﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا ﴾	٣٦	٤٢٩
﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾	٣٨	٧٦
﴿ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾	٣٩	٣٧٤
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ ﴾	٥٦	١٢٠، ١٨٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٥٩	١٣٩
﴿ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾	٧٢	١٨٨
سورة سبأ		
﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾	١٩	٣٥١
﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾	٣٩	٢٩٤، ٣٨٤
سورة الصافات		
﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾	١٠٢	٣٥٥
﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴾	١٠٣	٣٥٥
﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾	١٠٤ ـ ١٠٧	٣٥٦
سورة ص		
﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴾	٦	٣٦٠
﴿ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾	٢٤	٣٢٧
﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ ﴾	٢٧	١٧٤

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	٢٨	١٧٤
﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾	٣٥	٣٢٧
﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾	٤٤	٣٥٤
﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾	٧١	٣٢٢
﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾	٧٢	٣٢٢
﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴾	٧٥	٢٧٩
﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾	٧٦	٢٤٠، ٢٧٩
﴿ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۞ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾	٧٧، ٨٨	٢٧٩
﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾	٨٦	٤٣١
سورة الزمر		
﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾	٣	٣٧٢
﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾	٩	٢٢٤، ٣٠٩
﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾	١٠	٣٦٣
﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾	٣٠	١٥٥، ١٥٦
﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾	٣١	١٥٦
﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ ﴾	٤٥	١٢٤
﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ ﴾	٥٣	٢٢٢، ٣٠٩، ٣١٠، ٣٢٦
﴿ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾	٥٦	١٤٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة غافر		
﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾	٢٩	٧٨
﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾	٣٥	٣٤٢
﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾	٣٩	٢٠٠
﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا﴾	٤٠	٢٠٠
سورة فصلت		
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾	٣٣	١٣٣
﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾	٥٣	٣٩١
سورة الشورى		
﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾	٣٣	٣٥١
﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾	٣٧	٣٣٢
﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	٥٢	٢٠٢
﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾	٥٣	٢٠٢
سورة الزخرف		
﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾	٣٣ ـ ٣٥	٣٥٣
﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾	٥٤	٣٤٢
﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾	٦٧	٢٥٤
سورة الدخان		
﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾	٢٥ ـ ٢٩	٨٣، ١٥٧، ١٥٨

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الجاثية		
﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾	٢٣	١٦٥
﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾	٣٤	١٤٩
سورة الأحقاف		
﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾	٣٥	١٣٥، ٣٥٧، ٣٥٩
سورة محمد		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾	٧	٧٥
﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾	١٢	١٩٧
﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾	١٧	٢١٢
﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾	١٩	١٩٠، ٢١١، ٣٢٨، ٤٣٥، ٤٣٦
﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾	٢٢	١٠٣
﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾	٢٣	١٠٣
سورة الفتح		
﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾	٤	٢٢٨
﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾	١٨	٣٨١
سورة الحجرات		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾	١١	٢٢١، ٢٧٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾	١٢	٢٨٢، ٢٨٣

غير مرخص للطباعة

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة ق		
﴿هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٍ﴾	٣٠	١٩٨
﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾	٣٧	٧٧
سورة الذاريات		
﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۝ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾	١٧، ١٨	٣٣٠
﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾	٥٦ ـ ٥٨	١٢٣، ١٤٧، ١٨٠، ٢٧١، ٣٧١
سورة النجم		
﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾	٢٩	١٦٨
﴿ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾	٣٠	١٦٨
﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾	٣٢	١٤٣، ٣٣٢
سورة القمر		
﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾	٤٥	٣٨٩، ٣٩٠
سورة الرحمن		
﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ﴾	٧ ـ ٩	١٩٤
سورة الحديد		
﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾	٢١	٢٤١، ٢٩٥
﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ﴾	٢٥	١٨١
سورة المجادلة		
﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ﴾	١	٣١٤

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الحشر		
﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ﴾	٢	٦٥
﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا﴾	١٠	٣٩٨
﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ﴾	١٤	٦٠
﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾	١٩	١٤٨
سورة الصف		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾	١٠	٣٣، ٢٩٤
﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾	١١	٣٣، ٢٩٤
﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾	١٢	٢٩٤
سورة المنافقون		
﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٨	٤١٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾	٩	١٥٤
﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾	١٠	١٥٤، ٣٠٨
﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾	١١	١٢٣، ١٥٥، ٣٠٨
سورة الطلاق		
﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾	٢	١٢
﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾	٧	٣٦٠
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾	١٢	١٧٩، ١٨٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة التحريم		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾	٦	١٣٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾	٧	٣١٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ ﴾	٨	٢١٥، ٢١٦، ٢٤٢
سورة القلم		
﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾	٤	٤٣٩، ٤٤٠
﴿ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ۝ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴾	٤٤، ٤٥	٨٠
سورة الحاقة		
﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴾	٢٨، ٢٩	١٥٧، ١٥٨
سورة المعارج		
﴿ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ﴾	٥	٣٥٧
﴿ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ۝ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ﴾	٦، ٧	٨٢
﴿ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴾	١٩ ـ ٢١	١٨٨
سورة نوح		
﴿ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾	٤	١٢٣، ١٥٥
﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ۝ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ﴾	٥ ـ ٧	٣٥٧
﴿ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾	٢٨	٣٢٦
سورة المزمل		
﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ ﴾	٢٠	٣٩٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المدثر		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ... وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾	١ ـ ٧	١٩٠
سورة القيامة		
﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾	١، ٢	١٢٨
﴿كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ۝ وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾	٢٠، ٢١	١٦٦
سورة الإنسان		
﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾	١	١٧٥
﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾	٢	١٧٥
﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا﴾	٣	١٨٨
﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾	٨ ـ ١٢	٢٣١، ٣٦٢
سورة النازعات		
﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾	٢٤	٣٧٣
﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۝ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾	٣٧ ـ ٣٩	١٦٨
سورة عبس		
﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾	٣٧	٢٨١
سورة الانفطار		
﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ۝ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ﴾	١٣، ١٤	٣٠٦
سورة المطففين		
﴿كَلَّا بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾	١٤	٢٤١، ٣٠٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الطارق		
﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۞ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾	١٥، ١٦	٦٥
سورة الأعلى		
﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۞ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾	١٦، ١٧	١٦٦
سورة الفجر		
﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾	٢٧ ـ ٣٠	١٢٩
سورة البلد		
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ﴾	٤	٣٥١
﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۞ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۞ وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾	٨ ـ ١٠	١٨٨
سورة الشمس		
﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾	٧ ـ ١٠	١١٢، ١٨٨
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾	٩، ١٠	١٤٣، ١٦٤، ١٨٨، ١٨٩
سورة الشرح		
﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۞ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾	٥، ٦	٧٥
سورة العلق		
﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾	١	٩٨، ١٩٠
﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾	٤، ٥	١٩٠
سورة البينة		
﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾	٥	٢٦٩، ٣٧٨، ٤٣٦

غير مرخصة للطباعة

نسخة تجريبية

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الزلزلة		
﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾	٧	١٧٥، ٢٠١
﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾	٨	١٧٥، ٢٠١
سورة العاديات		
﴿ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾	٦	١٨٨
﴿ وَٱلْعَصْرِ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾	١ - ٣	٤٣١، ٤٣٤، ٤٣٥
سورة الماعون		
﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۞ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴾	١ ـ ٣	٢٢٩، ٢٤٦
﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۞ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾	٤، ٥	٢٧٣
سورة الكوثر		
﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾	١	٤٣١
سورة الكافرون		
﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾	١	٣١٥
﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾	٦	٣١٥
سورة النصر		
﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾	١ ـ ٣	٢١٨، ٣٢٨
سورة الإخلاص		
﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾	١	٤٣١

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	رقم الصفحة
أ	
آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان	١٢٥
أتبع السيِّئة الحسنة تمحها	٢٥٢
اتَّبعوا السواد الأعظم	٣٤٥
أتدرون من المفلس؟ فقالوا: المفلس فينا يا رسولَ الله من لا درهمَ له	٢٨٣
اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيِّئة الحسنة تمحها	٢٥١، ٣٣٥
أجعلتني لله ندًّا؟ قل: ما شاء الله وحده	٣٧٩
أخذ برأي الأكثريَّة في غزوة أحد	٣٤٤
إذا ضُيِّعَت الأمانة فانتظر الساعة. قال: وكيف إضاعتها؟	١٦
إذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر	١٢٥
إذا كان لأحدكم عند أخيه مَظْلَمة، فليتحلَّلْ منها قبل أن يأتي يومٌ لا درهم فيه	٢٨٣
إذا مات ابن آدم انقطع عنه عمله إلَّا من ثلاث: صدقة جارية	٢٩٧
اذكروا هاذم اللذات	١٥٢، ١٥٩
استعاذ ﷺ من موت الفجأة	٣٠٦
أستغفرُ الله، أستغفر الله، أستغفر الله	٣٣٠
أشدّ النَّاس بلاء الأنبياء، ثمَّ الأولياء فالأمثل فالأمثل	٣٣٨

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
اعقلها وتوكَّل	٣٩٦
الأعمال بالنيَّات ولكلِّ امرئ ما نوى	٣١٢
أقرب ما يكون العَبْدُ من ربِّه وهو ساجد	٣٢٩
أكثر أهل الجنَّة البُله	١٩٦
ألا أُنَبِّئكم بأكبر الكبائر ثلاثًا؟ قالوا: بلى يا رسولَ الله. قال: الإشراكُ بالله	١١
ألا إنَّ في الجسد مضغة إذا صلَحت صلَح الجسد كلُّه	٢١٢، ٢٧٧، ٣١١
ألك أمٌّ؟ قال: لا. قال: ألك خالة؟ قال: نعم. قال: اذهبْ فبَرَّها	٣٣٧
اللهمَّ أعِنِّي على ذِكرِكَ وشكرِكَ وحُسنِ عبادتِكَ	٣٧٠
اللهمَّ اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري	٢١٩، ٣٢٨
اللهمَّ أنت ربي، لا إلٰه إلَّا أنت، خلقتني وأنا عبدك	٢١٨، ٣٢٨
اللهمَّ أنت السَّلام ومنك السَّلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام	٣٣٠
اللهمَّ إنِّي ظلمتُ نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفرُ الذنوبَ إلَّا أنت	٣٣٠
ألم يكونوا يُحلُّون لكم الحرام، ويُحرِّمون عليكم الحلال فتطيعوهم؟	٣٧٦
أمَّا علمت يا عمرو، أنَّ الإسلام يهدم ما كان قبله	٢٢٢
إنَّ الله ﷻ يبسط يدَه بالليل ليتوبَ مسيءُ النهار، ويبسطُ يدَه بالنهارِ	٥
إنَّ الله تعالى يثيب في السهم الواحد ثلاثة: صانعه يحتسب في صنعته الخير	٤١
إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم	٢٧٧
إنَّ الله ليملي للظالم يمهله حتى إذا أخذه لم يفلته	٨٠، ٢٦٦
إنَّ الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النَّهار، ويبسط يده بالنَّهار	٣١٢
أنَّ امرأة بغيًّا رأت كلبًا في يوم حارٍّ يطيف ببئر	٣٣٦

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
أنَّ امرأة دخلت النَّار في هرَّة حبستها حتَّى ماتت	٢٠٦
إنَّ الرجل ليتكلَّم بالكلمة لا يرى لها بأسًا يهوي بها سبعين خريفًا في النَّار	٢٢٠، ٢٩٩
إنَّ سلامكم يبلغني حيثما كنتم	٣٨٠
إنَّ العبد إذا أذنب الذنب نكت في قلبه نكتة ـ نقطة سوداء جعلت في قلبه	٢٤١، ٣٠٨
إن قامت الساعة وبَيَدِ أَحَدِكُم فسيلة ـ شتلة أو نخلة صغيرة ـ	٣٨٧، ٣٨٨
إنَّ النَّبي ﷺ نهى عن إضاعة المال	١١٨
أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه ممَّا سواهما	٤٢٨
أنا أغنى الشركاء عن الشِّرك	٢٧٦
إنَّما الأعمال بالنيات، وإنَّما لكلِّ امرئ ما نوى	٣٢
إنَّما يكفيه أن يعصب على جرحه ويتيمم	١٩٥
إنَّه لغيور، وأنا أغير منه، والله أغير مني	٤١٤
إنَّه ليُغَانُ على قلبي، فأستغفر الله في اليوم سبعين مرَّة	٢٣٩، ٣٣٠
أيُّها النَّاس، قوموا إلى جنَّة عرضها كعرض السماوات والأرض	١٣٥
ب	
باسم الله. فضرب ضربة، فكسر ثلث الحجر. وقال: الله أكبر	٣٩٣
بحسب امرئ من الشرِّ أنْ يحقر أخاه المسلم	٢٤٥، ٢٧٥
ت	
التائب من الذنب كمن لا ذنب له	٢٢٣، ٣٢٣
ترى المسلمين في توادِّهم وتراحمهم كمثَل الجسد الواحد	٥٦، ٤٣٣
تُكَفَّر عنك خطاياك، إلَّا الدَّين، أخبرني جبريل بذلك	٢٨٤
تنام عيناه وقلبه لا ينام	٢١٧

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ث	
ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه ممَّا سواهما	٤١٢
ثلاث مهلكات: شحٌّ مطاع، وهوًى متَّبع، وإعجاب المرء بنفسه	٢٧٨
ح	
الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدِّين	٢٩٦
الحجُّ عرفة	٢٤٦
حديث الرجل الذي قتل مائة نفس	٢٢٥، ٢٥٣، ٣١١
الحلال بيِّن والحرام بيِّن وبينهما مشتبهات، لا يعلمهن كثير من النَّاس	٢٧٣
خ	
خير أمرائكم الَّذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلُّون عليهم ويصلون عليكم	٣٤٢
د	
دخلت امرأة النَّار في هرَّة حبستها حتَّى ماتت	٢٠٦، ٣٣٧
دعوة المظلومين يرفعها الله فوق الغمام، تُفتح لها أبواب السماء	٨٢
ذ	
ذكر الموت؛ إنَّ القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد. قيل: وما جلاؤها؟	١٥٥
ر	
الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء	٢٣١
رأيت النَّبي ﷺ يوم بدر، يثب في درعه	٣٩٠
ربِّ اغفر لي وتب عليَّ؛ إنَّك أنت التواب الرحيم	٢١٧، ٣٢٨
رجلًا ممَّن كان قبلنا قتل تسعة وتسعين نفسًا	٣١١

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
س	
سبحان الله! سبحان الله، ماذا أُنزل من التشديد؟	٢٨٤، ٢٨٥
سبعة يظلُّهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلَّا ظلُّه	٢٥٤
ص	
صبرًا آل ياسر؛ فإنَّ موعدكم الجنَّة	٣٥٨
الصَّلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان	٣٣٦
ط	
الطاعون رجس أرسل على طائفة من بني إسرائيل	١٥٤
طلب العلم فريضة على كلِّ مسلم ومسلمة	٤٣٥
ع	
عجبًا لأمر المؤمن! إن أمره كلَّه له خير، وليس ذلك لأحد إلَّا للمؤمن	٣٥١
عِش ما شئت فإنك ميت، وأحبب ما شئت فإنك مفارقه	١٥٠، ١٧١
العُمْرة إلى العُمْرة مُكَفِّرات لما بينهما	٣٣٧
غ	
غَفْرَ اللهُ لك يا أبا بكر، ألستَ تمرض؟ ألستَ تنصب؟ ألستَ تحزن؟	٣٣٨
الغِيبَة أن تذكر أخاك بما يكره سواء كان هذا في جسمه، في ملبسه	٢٨١، ٢٨٢
ف	
فإنَّ الجنَّة حُفت بالمكاره كما حُفت النَّار بالشهوات	١٣٥
فإنَّ من وقع في الشُّبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى	٢١٢
ق	
قتلوه قتلهم الله، هلا سألوا إذ لم يعلموا؛ فإنما شفاء العي السؤال	١٩٥، ١٩٦

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
قد كان مَن قبلكم يؤخذ الرجل فيُحفر له في الأرض فيُجعل فيها	٣٩٢
قل: ما شاء الله، ثمَّ ما شاء فلان	٣٧٩
ك	
كغثاء السيل	٥٦
كلُّ ابن آدم خطَّاء، وخير الخطائين التوَّابون	٢٣٨
كلُّ أمَّتي معافى إلَّا المجاهرين	٢١٦، ٢٣٧
كلُّ بدعةٍ ضلالة، وكلُّ ضلالةٍ في النَّار	٣٤٣
كلُّ لحم نبت من سُحت فالنَّار أولى به	٢٧٥
كلَّما أذنب الإنسان ذنبًا نُكت في قلبه نكتة سوداء	٣٠٨
كنْ في الدُّنْيا كأنَّك غريبٌ أو عابر سبيل، وعدَّ نَفْسَكَ من أهل القبور	١٧٢، ٣٠٥، ٣٠٧
الكيِّس من دان نفسه ـ حاسبها وحاكمها ـ وعمل لما بعد الموت	١٢٨، ٣٠١
ل	
لا بدَّ أن يأتي يوم يستيقظ فيه هذا الشيء الَّذي في داخله	٣١١
لا تتَّخذوا قبري بعدي عِيدًا	٣٧٨
لا تتَّخذوا القبور مساجد	٣٧٨
لا تسبنَّ أحدًا، ولا تحقرنَّ معروفًا	٤١٧
لا تسبوا أصحابي	٤١٧
لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء	٤١٧
لا تسبوا الدهر؛ فإنَّ الله هـو الدهر	٤١٧
لا تسبوا الديك؛ فإنه يوقظ للصَّلاة	٤١٨
لا تسبوا الريح؛ فإنَّهـا من روح الله	٤١٧

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
لا تسبوا الشيطان، وتعوذوا بالله من شرِّه	٤١٨
لا تسبوا الموتى؛ فإنهم أفضوا إلى ما قدَّموا	٤١٧
لا تسبـي الحمَّى؛ فإنَّها كفَّارة الخطايا	٤١٧
لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، ولكن قولوا: عبد الله ورسوله	٣٧٩
لا يدخل الجنة ديوث	٤١٣
لا يدخل الجنَّة من كان في قلبه مثقال ذرَّة من كِبر	٢٤٥، ٢٧٥
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها	٢٤٩
لا يظلم أحدٌ عنده	٣٩٤
لا يعضد شجرها	٤٠
لا يؤمن أحدكم حتَّى أكون أحبَّ إليه من نفسه وماله وولده والنَّاس أجمعين	٤١٢، ٤٢٨
لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به	٤٢٩
لتتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر	١٠٦
لعن الله اليهود والنصارى؛ اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد	٣٧٨
لو اتَّفقتما على رأيٍ ما خالفتكما	٣٤٥
لو كانت الدُّنْيا تزِن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء	١٧٢
لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلَّا التراب	١٩٨
لولا أنَّ الكلاب أمَّة من الأمم، لأمرت بقتلها	٢٠٦
ليس كما تقولون، إنَّه الشرك، أَمَا سمعتم ما قال لقمان لابنه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾	٣٧٧
ليس منَّا من بات شبعان وجاره إلى جنبه جائع	٢٩٣
م	
ما أظلَّت الخضراءُ ولا أقلَّت الغبراءُ أصدق لهجةً من أبي ذَرٍّ	١٤

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ما أقلَّ حياءَ من يطلب جنَّتي بغير عمل، كيف أجود برحمتي	٣٠٢
ما رأيت أحدًا يحبُّ أحدًا كحبِّ أصحاب محمَّد محمَّدًا	٤١٢
ما كانت هذه لتقاتل	٢٠٧
ما يُصِيبُ المسلمَ من نصبٍ ولا وصب، ولا همٍّ ولا حزن	٣٣٨
مثل الجسد؛ إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى	٢٩١
المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله	١٢٨
من تقرَّب إليَّ شبرًا تقرَّبت إليه ذراعًا، ومن تقرَّب إليَّ ذراعًا تقرَّبت إليه باعا	٢٥٤
من توضأ نحو وضوئي هذا	٣٣٥
من جهَّز غازيًا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازيًا في أهله بخير فقد غزا	٣٣
من حجَّ فلم يَرْفُثْ ولم يَفْسُقْ رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمُّه	٣٣٧
من حمل علينا السِّلاح فليس منَّا	٩٧
من سأل الله الشهادة بصدق، بلَّغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه	٢٢، ٣٣
من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدَّم من ذنبه	٣٣٥
مَنْ علَّق تميمة فقد أشرك	٣٨٠
من قُتل دون دمه فهو شهيد، ومن قُتل دون أهله فهو شهيد	٦٦
من مات ولم يغزُ، ولم يحدِّث نفسه بغزو، فقد مات على شعبة من النفاق	٣٢
موت الفجأة، الَّذي روي أنَّ النَّبي ﷺ استعاذ منه	٣٠٦
المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا	٥٦، ٢٩١، ٤٣٣
المؤمنُ يرى ذَنْبَه كالجبل يخاف أن يقع عليه، والمنافق يرى ذَنْبَه كذبابٍ	٣٠٠
ن	
الندم توبة	٢٤٦
نهى ﷺ عن إضاعة المال	١١٨

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
هـ	
هذا صراط الله مستقيمًا أو سبيل الله مستقيمًا، ثمَّ خطَّ عن يمينه	٢٠٣
هذه المضغة الَّتي إذا صلَحت صلَح الجسد كلُّه، ألا وهي القلب	٣١١
هل يبقى على بدنه من دَرَنِه شيء؟ قالوا: لا. قال: فذلك مثل الصَّلوات	٣٣٥
و	
وأطعموني الخبز بوصية رسول الله ﷺ	٢٦٥
واعلم أنَّ النصر مع الصبر، وأنَّ مع العسر يسرًا	٩٤
والَّذي نَفْسي بيَدِه! لو لم تُذنبوا فتستغفروا، لذهب الله بكم	٣٢٢
والصَّدقة تطفئ الخطيئةَ كما يُطْفِئ الماء النَّار	٣٣٦
ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك	٢٥٣
ي	
يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما	٢٢٨، ٣٩٦
يا أبا ذرٍّ، إنَّك ضعيف! وإنَّها أمانة، وإنَّها خزي وندامَة يوم القيامَة	٥، ١٤
يا أيُّها النَّاس، توبوا إلى الله؛ فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرَّة	٢١٧، ٢٣٩
يا خباب، لقد كان من قبلكم يُؤتَى بالرجل فيُحفر له في الأرض	٣٥٩
يا عائشة، لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته	٢١٩، ٢٢٠، ٢٨١
يا عبادي، إنَّكم تذنبون بالليل والنَّهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا	٣١٢، ٣٢٥
يا عبادي، إنِّي ما خلقتكم لأستأنس بكم من وحشة، ولا لأستكثر بكم	١٨٠
يتَّخذ النَّاس رؤوسًا جهَّالًا، فإذا سُئلوا أفتوا بغير علم	١٩٥
يتصدَّق بيمينه، فلا تعلم شماله ما تنفق يمينه	٢٣١
يسعى بذِمَّتهم أدناهم، وهم يد على مَن سواهم	٢٩١

غير مرخصة للطباعة

الحديث	رقم الصفحة
يشدُّ بعضه بعضًا	٨٩
يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي الرجل مؤمنًا ويصبح كافرًا	١٦٧
يُغفر للشهيد كلُّ ذنب إلَّا الدَّيْن	٢٨٤
يكذب الكذبة تبلغ الآفاق	٢٩٧

❊ ❊ ❊

نسخة مجانية

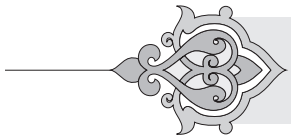

فهرس الموضوعات

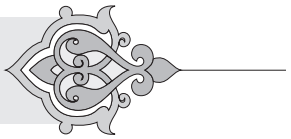

❖ **من الدستور الإلهي للبشرية** **٤**

❖ **من مشكاة النبوة الخاتمة** **٥**

• **مقدِّمة** **٧**

❖ **١ ـ وأقيموا الشهادة لله** **٩**

حيرة والإيمان هو العاصم ٩

شهادة يترتَّب عليها مصير أُمَّة ١٠

توجيهات حكيمة في باب الشهادة ١٠

ولا تكتموا الشهادة ١٠

على مِثل ضوء الشمس فاشهد ١١

الشهادة لله ١٢

كيف يُختار الرِّجال؟ ١٣

الأمانة وحدها لا تكفي ١٣

لا بدَّ من الكُفء الدَّيِّن ١٤

❖ **٢ ـ نور الدين محمود الشهيد** **١٧**

بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى ١٧

QaradawiBooks.com

معركتنا مع اليهود طويلة الأمد ١٩
رجال يجب أن نقرأ تاريخهم ٢٠
علاقة نور الدين محمود بربِّه ٢١
كيف لي أن أتبسم وثغر من ثغور المسلمين محاصر ٢٣
شخصيَّة فريدة ٢٤
نور الدين حريص على إقامَة العدل ٢٤
شرع الله أولى بالتطبيق ٢٥
الحامي والحارس هو الله ٢٦
تواضع رفيع ٢٦
«بيماريستان» نور الدين محمود ٢٨
ورعه ٢٨
من خاف الله أخاف الله منه كلّ شيء ٣٠
آثار «نور الدين» في الحياة الإسلاميَّة ٣٠
واجبنا نحو فلسطين ٣٢
١ ـ اصطحاب نية الجهاد ٣٢
٢ ـ الجهاد بالمال ٣٣
٣ ـ واجب مقاطعة إسرائيل وأعوانها ٣٤
٤ ـ حَمْل همِّ المسجد الأقصى ٣٦

❖ **٣ ـ صلاح الدين الأيوبي ٣٧**

في تاريخنا مناطق مضيئة وأخرى مظلمة ٣٧

QaradawiBooks.com

شبلٌ ناشئٌ في عرين أسدٍ مقاتلٍ ٣٨
صلاح الدين يعيد النَّاس إلى صراط الحقِّ ٤٠
عاشق للجهاد ٤٢
صلاح الدين «العابد» ٤٢
صلاح الدين «العادل» ٤٢
عفَّته وزهده ٤٣
حلمه ٤٣
شجاعته ٤٣
سماحته ٤٤
شدة في موضعها ٤٥
حطِّين يوم من أيام الله ٤٦
يطلب العلم بين الصفين! ٤٦
معركة فتح بيت المقدس ٤٧
المعركة لم تنته بحطين وبفتح بيت المقدس ٤٩
نصر الله للمؤمنين وبالمؤمنين ٤٩
تدخلات أضاعت الثمرَة والآمال ٥١
المحطَّة الأولى إضراب ١٩٣٦م ٥١
المحطة الثانية دخول الجيوش العربيَّة ٥٢
المحطَّة الثالثة انتفاضة الحجارة ٥٢
المحطَّة الرابعة انتفاضة الأقصى ٥٣

QaradawiBooks.com

أخشى ما أخشاه ٥٤

❖ **٤ ـ مذبحة جنين البطلة!** **٥٥**

ولكن لمن نشكو؟ لمن نشكو؟ ٥٨

إنَّما نشكو إلى الله ٥٩

بل نعتزُّ ونفتخر ٥٩

أم نستنهض ونستصرخ؟ ٦٤

معهم أمريكا ومعنا القوَّة الَّتي لا تُقهر ٦٥

أين أنتم يا عرب؟! ٦٦

وفي الشَّباب خير ٦٧

ماذا نستطيع أن نقدِّم؟ ٦٩

الجهاد السياسي ٦٩

الجهاد الاقتصادي (المقاطعة) ٧٠

شراء البضائع الأمريكيَّة أو الإسرائيلية كبيرة! ٧١

الجهاد بالمال ٧١

الجهاد الثقافي ٧٢

الجهاد الروحي ٧٤

❖ **٥ ـ الدروس المستفادة من أحداث فلسطين والعراق** **٧٦**

غياب بسبب المرض ٧٦

المؤمن يستفيد من التاريخ الحافل، ومن الواقع الماثل ٧٦

الدرس الأوَّل قانون القوَّة يحكم العالم ٧٧

أسباب الغزو الحقيقيَّة ٧٩

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

الدرس الثاني لكلِّ ظالم نهاية ٧٩
لعلَّ هذه عِبرة لكلِّ الطغاة ٨١
لم تُغن عن صدَّام أسلحته ولا جيشه ٨٣
الدرس الثالث الاحتلال هو الاحتلال بمساوئه وظُلمه ٨٣
بغداد في عهد هولاكو القديم ٨٤
بغداد في عهد هولاكو الجديد «بوش» ٨٥
ماذا يجري غدًا في العراق؟ ٨٦
الدرس الرابع دعوة الشعب العراقي للوقوف صفًّا واحدًا ٨٧
الدرس الخامس الدرس القديم الجديد «الانتفاضة» ٨٩
علام يحتفي العرب ببوش؟! ٩٠
وصيتي للفلسطينيين حكومة ومعارضة ٩١
١ ـ ألا تمتد يد الفلسطيني إلَّا على الإسرائيلي ٩١
٢ ـ ألا يُوقفوا الحوار فيما بينهم ٩٢
تفجيرات الرياض والدار البيضاء ٩٥
العنف لا يحارَب بالعنف ٩٦
معالجة العنف تبدأ بمعرفة أسبابه ٩٦

❖ **٦ ـ الإصلاح الَّذي ننشده أهدافه وشروطه ومجالاته ٩٩**

ما المراد بالإصلاح؟ ١٠٠
من ألوان الإفساد ١٠٠
الإفساد السياسي وأعوانه ١٠٠
الإفساد الاقتصادي ١٠١

QaradawiBooks.com

الإفساد الأخلاقي ١٠٢
ذو الوجهين ١٠٢
الإفساد الاجتماعي ١٠٣
الإفساد البيئي ١٠٣
الإفساد الأمني ١٠٣
لهذا ننكر الفساد وندعو إلى الإصلاح ١٠٤
أهداف الإصلاح ١٠٥
من أهداف الإصلاح أن يكون مُعَبِّرًا عن ذاتية الأمَّة ١٠٥
الإصلاح المرفوض ١٠٦
الإصلاح المنشود ١٠٧
شروط الإصلاح المنشود ١٠٨
١ ـ أن يعتمد الإسلام مرجعية له ١٠٩
٢ ـ أن يقوم به أهل الحِكمة والخبرة ١٠٩
٣ ـ أن يكون الإصلاح شعبيًّا ١١١
٤ ـ أن يبدأ الإصلاح من داخلنا ١١١
٥ ـ التدرُّج ١١٢
مجالات الإصلاح ١١٤
الإصلاح السياسي ١١٤
الإصلاح الاقتصادي ١١٥
الإصلاح الاجتماعي والأخلاقي ١١٥
انتحار الشَّباب بالسُّرعة الجنونية أثناء قيادة السَّيارات ١١٧

غير مرخص للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

قيمة الحياة ١١٨
احترام الحياة والثروة ١١٨
نداء للآباء والمسؤولين ١١٩
بين موتتين ١١٩

❖ **٧ ـ بداية الإصلاح تزكية الأنفس ١٢١**

أهميَّة إصلاح النُّفوس بالتزكية ١٢١
معنى التزكية ١٢٢
أولًا تطهير الأنفس من الشِّرك ١٢٢
الشِّرك انحطاط والتوحيد ارتقاء ١٢٢
ثانيًا تطهير الأنفس من النِّفاق ١٢٤
منافقو هذا الزمان ١٢٤
أخي المسلم ١٢٥
مخاطر اتباع النَّفس الأمَّارة بالسوء ١٢٥
نماذج للنَّفس الأمَّارة بالسوء ١٢٦
١ ـ ابن آدم الأوَّل ١٢٦
٢ ـ إخوة يوسف ١٢٧
٣ ـ السَّامري ١٢٧
كيف تكون أنفُسُنا أنفسًا لوَّامَة؟ ١٢٨
كيف نرتقي بأنفسنا إلى الأنفس المُطْمَئِنَّة؟ ١٢٩
مراتب تزكية النَّفس ١٣١

غير مرخصة للطباعة
نسخة محتبه
QaradawiBooks.com

١ ـ مجاهدة النَّفس على التعلُّم ١٣١
أوَّل العلم أن تعلم دين الله ١٣٢
٢ ـ العمل بما علمت ١٣٢
٣ ـ مجاهدة النَّفس في تعليم ما تعلَّمت ١٣٣
كلُّ مسلم داعية لدينه ١٣٣
٤ ـ الصبر على مشقَّة الطريق ١٣٤
سِلعة الله غالية ١٣٥
سلعة الله لا تُنال إلَّا بالتعب ١٣٦
مشكلة الحجاب في فرنسا ١٣٨
أمران لا بدَّ منهما ١٣٨
ولي على هذا الكلام أمران ١٣٨
الأمر الأوَّل الحجاب ليس رمزًا دينيًّا ١٣٨
الأمر الثاني هذا القرار يتنافى مع العلمانية ١٣٩
كلام غريب من شيخ كبير ١٤٠
لماذا حاربوا طالبان إذن؟! ١٤١
دعاء للمرابطين في أرض النُّبوات ١٤١
❖ **٨ ـ تحرير النَّفس من سجن الغفلة ١٤٣**
تزكية النَّفس نوعان ١٤٣
التزكية المذمومة ١٤٣
التزكية الممدوحة ١٤٤

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إخراج النَّفس من سجن الغفلة ١٤٤
غفلة في أمر الدين فقط! ١٤٥
متى يفضل الحيوان الإنسان؟! ١٤٦
الأنعام والبهائم أفضل من هذا الإنسان، لماذا؟ ١٤٧
فيم تكون الغفلة؟ ١٤٨
١ ـ الغفلة عن ذِكر الله ١٤٨
٢ ـ الغفلة عن آيات الله ١٤٩
٣ ـ الغفلة عن المصير ١٤٩
الغفلة سمٌّ قاتل وداء عضال فابحث عن الدواء ١٥١
أدوية الغفلة ١٥٢
الموت يأتي فجأة ١٥٢
ارفع لنفسك بعد موتك ذكرها ١٥٨
وقفة بين عامين ١٦٠
وقفة على مستوى الفرد ١٦٠
وقفة على مستوى الأمَّة ١٦١
اغتيال الرئيس الشيشاني السابق ١٦٣
❖ **٩ ـ التحرُّر من حبِّ الدنيا ١٦٤**
طريق التزكية ليس بالسهل ولا بالمستحيل ١٦٤
حبُّ الدُّنْيا رأس كلِّ خطيئة ١٦٥
العاقل هو الَّذي يؤثِر الباقي على الفاني ١٦٦
المذموم إرادة الدُّنْيا لا ملكها ١٦٧

غير مرخص للبيع
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الدنيا إما أن تفارقها، وإما أن تفارقك ١٦٩
لا قيمة للدنيا عند الله ١٧١
إيَّاك وطول الأمل ١٧٢
ما نصيبك من جناح البعوضة؟ ١٧٣
لا بدَّ من الإجابة عن الأسئلة الخالدة ١٧٤
السؤال الأوَّل من أين؟ ١٧٥
السؤال الثاني إلى أين؟ ١٧٥
السؤال الثالث ما أنا؟ ١٧٦
قيمة الإنسان بقيمة هدفه ١٧٧
السؤال الرابع لِمَ ١٧٨
المؤمن يعيش ليعبد الله تعالى ١٧٩
رسالة المسلم تتمثَّل في ثلاثة أشياء ١٧٩
الأول معرفة الله تعالى وعبادته ١٧٩
الثاني عمارة الأرض ١٨٠
الثالث الخلافة عن الله ١٨١
إسرائيل تسرق بالإكراه ١٨٣
أمريكا مشغولة بمشروع الشرق الأوسط الكبير ١٨٤
لن نسير في الركاب، ولن نتمسَّح بالأعتاب فنحن أمَّة لها حضارة ١٨٤

❖ **١٠ ـ محطَّة العلم ١٨٨**
طريق طويل مفروض على كلِّ مسلم ١٨٩
الاكتفاء الذاتي في كلِّ علم فرض كفاية ١٩١

QaradawiBooks.com

ما لا يجوز الجهل به ١٩١
احذروا هؤلاء ١٩٣
١ ـ ضيِّق الأفق ١٩٣
٢ ـ الَّذي يتبع الهوى ١٩٤
هؤلاء ضلُّوا وأضلُّوا ١٩٥
أصناف النَّاس في الحياة ١٩٧
الإنسان الحقيقي ١٩٩
لا بدَّ من الإجابة عن الأسئلة المحيِّرة ٢٠٠
الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها ٢٠٤
الأصل في الدماء الحُرمة ٢٠٥
وللحيوان حُرمة ٢٠٦
أخلاقنا الحربيَّة ٢٠٧
لا بدَّ من رعاية الأخلاق في الغايات وفي الوسائل ٢٠٨
❖ **١١ ـ التَّوبة إلى الله ٢١٠**
محطَّات سابقة ٢١٠
تعرَّف على ربِّك وصفاته من خلال كتابه وسُنَّة نبيِّه ٢١١
اطلب العلم من المهد إلى اللحد ٢١٢
الجهل المركَّب ألَّا يعلم الجاهل أنَّه جاهل ٢١٤
نظِّف نفسك بالتَّوبة ٢١٤
ما معنى التَّوبة؟ ٢١٥
التَّوبة إلى الله وليست لأحد من خلقه ٢١٥

QaradawiBooks.com

الخطر أن تعتقد أنَّك مطهَّر من الذنوب ٢١٧
استغفارات الأنبياء في القرآن ٢١٨
كلُّنا معرَّضون للذنوب ومأمورون بالتَّوبة ٢١٩
إيَّاك واستصغار الذنب ٢١٩
لا تقعد في مجلس يُعصى الله فيه ٢٢٠
التَّوبة فريضة على كلِّ النَّاس ٢٢١
توبة من الشِّرك ٢٢١
توبة من النِّفاق ٢٢٢
التَّوبة من الكبائر ٢٢٣
التَّوبة من الصغائر ٢٢٣
الفقيه الحقيقي من لا يقنِّط النَّاس من رحمة الله ولا يؤمِّنهم من مكر الله ٢٢٤
توبة الخواص من الغفلات ٢٢٤
السعادة ها هنا ٢٢٧
الكلمة الأولى مظلمة رفع إيجارات المنازل ٢٢٩
الكلمة الثانية قضيَّة فلسطين والعراق ٢٣٢
مستر بوش راعي السَّلام أكلَ السَّلام «ولحسه»! ٢٣٢

❖ **١٢ ـ التَّوبة النَّصوح وعناصرها ٢٣٦**
التَّوبة لا تكون إلَّا لله تعالى ٢٣٦
كلُّ بني آدم خطَّاء ٢٣٨
معاصي القلوب أشدُّ من معاصي الجوارح ٢٣٩
التسويف جند من جنود إبليس ٢٤٠

QaradawiBooks.com

التَّوبة النَّصوح وعناصرها ٢٤٢
العنصر الأوَّل المعرفي الإدراكي ٢٤٣
العنصر الثاني النَّفسي الوجداني ٢٤٥
١ ـ الندم اللاذع ٢٤٥
نفسيَّة التائبين في القرآن الكريم ٢٤٧
٢ ـ العزم الجازم ٢٤٨
التَّوبة ترمِّم بناء الإيمان الَّذي تهدَّم بالمعاصي ٢٤٩
العنصر الثالث العنصر العملي للتَّوبة «الإقلاع عن المعصية» ٢٥٠
فروع لهذا الأصل ٢٥١
محو السيِّئة بالحسنة ٢٥١
اجعل الحسنة من جنس السيِّئة ٢٥٢
غيِّر البيئة الَّتي كنت تعيش فيها ٢٥٣
ذكرى إعلان الدولة الصهيونيَّة ٢٥٦
إسرائيل قامت على أساس ديني ٢٥٧
كاد المشروع الصهيوني أن يفشل لولا حكَّام العرب ٢٥٨
الغرب سارع إلى الاعتراف بإسرائيل ٢٦٠
من جرائم شارون ٢٦١
خاب فألك يا بوش ٢٦٣
تنكيس الرؤوس واجب على بوش ومساعديه ٢٦٥
❖ **١٣ ـ مم يتوب الإنسان؟** **٢٦٨**
المحطَّات السابقة ٢٦٨

غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

ما هو باعثك الأوَّل على التَّوبة؟ ٢٦٨
مم يتوب الإنسان؟ ٢٦٩
أنواع الذنوب ومراتبها ٢٧٠
ترك المأمور أشدُّ من فعل المحظور ٢٧١
تفاوت المتروك في الخطورة ٢٧١
حكم ترك الصَّلاة ٢٧١
الخطايا الظاهرة والباطنة ٢٧٤
١ ـ خطايا الجوارح ٢٧٤
٢ ـ خطايا القلوب ٢٧٥
خطايا القلوب أشدُّ خطرًا لأسباب ثلاثة ٢٧٦
السبب الأوَّل ٢٧٦
ما هو القلب السليم؟ ٢٧٧
السبب الثاني ٢٧٧
السبب الثالث ٢٧٨
المعاصي كالطاعات منها القاصر والمتعدي ٢٨٠
حقوق الله مبنيَّة على المُسامحة، وحقوق العباد مبنيَّة على المُشَاححة ٢٨٠
ما أخيبَ هذا الإنسان! ٢٨٣
معنى «تستحلُّهم» ٢٨٥
يأكلون في بطونهم نارًا ٢٨٥
عصر المآسي ٢٨٧
أبو زيد «الأمريكاني» يعترف ٢٨٧

QaradawiBooks.com

دم المسلم بثلاثمائة دينار! ٢٨٨
هل يكون الخصم حكَمًا؟ ٢٨٨
بلغ الصهاينة المدى ٢٨٩
لمثل هذا يذوب القلب من كمد ٢٩٠
قدَّموا أرواحهم فلنقدِّمْ أموالنا ٢٩١

❖ **١٤ ـ موانع التَّوبة ٢٩٥**
المانع الأوَّل الاستهانة بالذنوب ٢٩٦
طوبى لمن إذا مات ماتت ذنوبه معه ٢٩٧
لا بدَّ من الإحساس بالذنب ٢٩٨
المانع الثاني الاتِّكال على عفو الله تعالى ٣٠١
إيَّاك والاتِّكال على الأماني ٣٠١
المانع الثالث طول الأمل ٣٠٤
الموت يأتي فجأة ٣٠٥
عصر موت السرعة ٣٠٥
الدنيا مزرعة الآخرة ٣٠٧
المانع الرابع اليأس من رَوح الله ٣٠٩
نُرَحِّب بالحوار بين الإسلام والمسيحيَّة بشروط ٣١٤
الجدال هو الحوار ٣١٤
الطريق مُغْلَق مع الَّذين ظلموا ٣١٥
نحن نعترف بالمسيحيَّة لكنهم لا يعترفون بالإسلام ٣١٦
لا بدَّ أن يكون الحوار حوار النِّد للنِّد ٣١٧

QaradawiBooks.com

من حقِّنا أن نختار الموضوع ٣١٨

❖ **١٥ ـ مُكَفِّرات الذنوب ٣٢١**

لا بدَّ للإنسان أن يقع في الذنوب ٣٢١

لا بدَّ لأسماء الله الحسنى أن تعمل عملها ٣٢٢

من أنواع مُكَفِّرات الذنوب ٣٢٣

أوَّلًا التَّوبة ٣٢٣

لا بدَّ للتوبة من أثر ٣٢٤

ثانيًا الاستغفار ٣٢٤

المُتَّقون ليسوا معصومين ٣٢٦

الأنبياء استغفروا ٣٢٦

والربَّانيون استغفروا ٣٢٧

أفضل الاستغفار ما كان بالقلب واللسان ٣٢٩

أفضل أوقات الاستغفار وحالاته ٣٢٩

ثالثًا اجتناب كبائر الذنوب يُكَفِّر صغائرها ٣٣١

معنى اللمم ٣٣٢

لا تُشَدِّد على النَّاس إذا ارتكبوا الصغائر وتركوا الكبائر ٣٣٣

رابعًا الحسنات والطاعات ٣٣٤

خامسًا الصبر على المصائب ٣٣٧

الذنوب خطر على البشريَّة ٣٣٩

الأمر الأوَّل حاجة الأمَّة إلى الإصلاح ٣٤٠

الأمر الثاني الديمقراطيَّة الحقيقيَّة من رُوح الإسلام ٣٤١

غير مرخصة للبيع
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحكم الفرعوني مرفوض ٣٤٢
ليس كلُّ جديد مرفوضًا ٣٤٣
الأخذ برأي الأغلبيَّة له أصل في الإسلام ٣٤٤
المهمُّ هو حقيقة الديمقراطيَّة وجوهرها ٣٤٥
بدعة جديدة هي الجمهوريات الدائمة ٣٤٦
الديمقراطيَّة الَّتي نريد ٣٤٧
أطالب بحُرِّيَّة الشعوب قبل تطبيق الشريعة ٣٤٨

❖ **١٦ ـ محطة الصبر ٣٥٠**
اقتران الصبر بالشكر ٣٥١
الحاجة إلى الصبر ٣٥١
الصبر على البلاء ٣٥٤
الصبر عن المعصية ٣٥٤
الصبر على الطاعة ٣٥٥
الصبر على مشاق الدعوة ٣٥٦
عاقبة الصبر وجزاء الصابرين ٣٦١
الذكرى الرابعة للانتفاضة الفلسطينية ٣٦٤
الدفاع عن أرض الإسلام واجب ٣٦٦
شح المساعدات المالية لفلسطين ٣٦٨

❖ **١٧ ـ حقيقة التوحيد ٣٧٠**
حسن العبادة ٣٧٠
ضل الناس المعبود الحقيقي ٣٧١

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الملاحدون قلة ٣٧٣
التوحيد الذي جاء به النبي ﷺ ٣٧٤
حقيقة التوحيد ٣٧٥
شرك أهل الكتاب ٣٧٦
رسالة الإسلام تحرير البشر من الوثنيَّة ٣٧٧
تحرير التوحيد من الخرافات ٣٧٨
التوحيد أساس الفلاح في الدنيا والاخرة ٣٨٢
مساعدة المسلمين في أوغندا ٣٨٣

❖ **١٨ ـ الإسلام واستشراف المستقبل ٣٨٥**
تُهَمٌ باطلة وأدلَّة مغلوطة ٣٨٥
التعميم في مثل هذه الأمور لا يجوز ٣٨٦
نظرة الإسلام الحقيقيَّة إلى الزمن ٣٨٦
الإسلام يأمر باستشراف المستقبل ٣٨٨
النظرة المستقبليَّة في العهد المَكِّي ٣٨٨
مراعاة السُّنن الإلٰهيَّة ٣٩١
التخطيط المستقبلي في حياة الرسول ٣٩٤
١ ـ التخطيط في الهجرة إلى الحبشة ٣٩٤
٢ ـ التخطيط في الهجرة إلى المدينة ٣٩٤
التخطيط في قصَّة يوسف ٣٩٥
معنى التوكُّل ٣٩٦
الصَّحابة ونظرتهم إلى المستقبل ٣٩٧

QaradawiBooks.com

أمَّتنا والمستقبل الآن ٣٩٩
أحداث تحتاج إلى تعليق ٤٠١
١ ـ أحداث جسر الأئمَّة في العراق ٤٠١
٢ ـ تعزية ضحايا إعصار كاترينا ٤٠٢
٣ ـ الانسحاب من غزَّة ٤٠٢
٤ ـ لقاء وزير خارجيَّة باكستان بوزير خارجيَّة إسرائيل ٤٠٣
❖ **١٩ ـ نصرة النَّبيِّ ﷺ ٤٠٤**
ماض مجيد نعتز به ٤٠٤
حاضر حزين نأسف له ٤٠٥
بِمَ تعظم الجرائم؟ ٤٠٦
من المتضرِّر هنا؟ ٤٠٧
لكلِّ جريمة دافع، فما الدافع هنا؟ ٤٠٨
جريمة غير مبرَّرة ٤٠٨
تعنُّت دنماركي ٤٠٩
مَن سنَّ سُنَّة سيِّئة، عليه وزرها ووزر من عمل بها ٤١٠
ما موقف أمَّتنا من هذه الجريمة؟ ٤١١
الأمر الأوَّل الغضب المشروع ٤١١
لسنا حميرًا تركب، بل نحن أسود تزأر ٤١٢
لسنا أمَّة من الدياييث ٤١٣
الأمر الثاني المقاطعة ٤١٤
الأمر الثالث الضغط على الحكومات ٤١٥

غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

تحيَّة لكلِّ ذي موقف إيجابي ٤١٥
الأمر الرابع إصدار قرار يُحَرِّم بشكلٍ قاطع إهانة الأنبياء ٤١٦
السبُّ ممنوع في شرعنا ٤١٧
سبُّ أي نبي من الأنبياء جريمة ٤١٨
حكم سبِّ النَّبي ﷺ ٤١٩
تحذيرات لا بدَّ منها ٤٢٠
التحذير الأوَّل ٤٢٠
التحذير الثاني ٤٢٠
التحذير الثالث ٤٢١
لا بدَّ للأمَّة من وقفة ٤٢٢

❖ **٢- ـ رُبَّ ضارَّة نافعة ٤٢٥**

ربَّ ضارَّة نافعة ٤٢٥
الأمَّة الإسلاميَّة حقيقة لا وهم ٤٢٥
كلمة التوحيد توحِّد الأمَّة ٤٢٦
الدين هو المحرِّك الأوَّل للأمَّة ٤٢٧
المسيرات علامَة على الحبِّ لكنها وحدها لا تكفي ٤٢٨
حبُّ النَّبي ﷺ له متطلَّبات ٤٢٩
الاتِّباع دليل الحبِّ ٤٢٩
حبُّ المنافق زعْم ٤٢٩
الإيمان لا يتجزَّأ ٤٣٠
محمَّد ﷺ جاء بكلِّ خير ٤٣١

غير مرخص نسخة مجانية

تحويل الحبِّ إلى واقع ملموس ٤٣٢
حبُّ الرسول يقتضي إقامَة أمَّة تتحاكم إلى القرآن ٤٣٣
حبُّ الرسول يقتضي الدعوة إلى دينه ٤٣٤
والدعوة إلى الإسلام تقتضي العلم ٤٣٥
حبُّ الرسول يقتضي معرفة سيرته ٤٣٦
السيرة المراد معرفتها ٤٣٧
موقف السَّلف من السِّيرة ٤٣٧
«فقه السِّيرة» من أروع ما كُتب ٤٣٨
إيصال السِّيرة النَّبويَّة مطلوب إلى كلِّ النَّاس ٤٣٩
لي كلمتان لا بد منهما ٤٤٢
الكلمة الأولى «زعْم باطل» ٤٤٢
الكلمة الثانية مجاعة القرن الإفريقي ٤٤٣

- **فهرس الآيات القرآنية الكريمة ٤٤٩**
- **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ٤٧٩**
- **فهرس الموضوعات ٤٨٩**

❊ ❊ ❊

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

فهرس كتب المجلد

١٧٠ ـ خطـب الشيـخ القرضـاوي (٧) ٥

١٧١ ـ خطـب الشيـخ القرضـاوي (٨) ٤٠٣

* * *

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com